تهذيب تاريخ الطبري

تاريخ الأمم والملوك

وضعه

صالح خريسات

دار الفكر للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

أما وقد تغيرت مظاهر الحياة ، وثقلت أعباء الإنسان وتشعبت أمامه السبل ، فإن من واجبنا أن نهون عليه ونساعده في تطوير نفسه . فجاء اختيارنا وضع مختصر لكتاب «**تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري**». نسأل الله التوفيق والسداد في الرأي .

صالح خريسات

الجمعة : ١ محرم ١٤١٣ هـ

٣ تموز ١٩٩٢ م

القول في الزمان ماهو

قال أبو جعفر : فالزمان هو ساعات الليل والنهار ، ويقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها .

القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

قال ابن عباس : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، سبعة آلاف سنة ، فقد مضى ستة آلاف سنة ومائتا سنة ، وليأتين عليها مئون من سنين ، ليس عليها موحد . وقال كعب ووهب بن منبه : الدنيا ستة آلاف سنة . قال أبو جعفر : والصواب ما روي عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أجلكم في أجل من كان قبلكم ، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس) . وعنه أيضاً قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر ، فقال : (ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه) . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعثت أنا والساعة كهاتين) وأشار بالسبابة والوسطى .

وقد زعم اليهود أن جميع ما ثبت عندهم في قدر مدة الدنيا ، من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة ـ أربعة آلاف سنة وستمائة سنة واثنتان وأربعون سنة . وأما اليونانية من النصارى فقالوا : هي خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة وأشهر ، وزعموا أن اليهود إنما نقصوا ما نقصوا من عدد سني ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى دفعاً منهم لنبوة عيسى بن مريم عليه السلام ، إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبتة في التوراة . وقالوا : لم يأت الوقت الذي وقت لنا في التوراة أن الذي صفته صفة عيسى يكون فيه ، وهم ينتظرون ـ بزعمهم ـ خروجه ووقته . وأحسب أن الذي ينتظرونه ، هو الدجال الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود ، فإن كان ذلك هو عبدالله بن صياد، فهو من نسل اليهود .

وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرت إلى وقت الهجرة ، ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة ، وهم لا يذكرون

مع ذلك نسباً يعرف فوق جيومرت ، ويزعمون أنه آدم أبو البشر عليه السلام وأهل الأخبار بعد في أمره مختلفون ، فمن قائل منهم أنه تسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة ، وأنه إنما هو جامر بن يافث بن نوح ، كان بنوح عليه السلام براً ولخدمته ملازماً ، وعليه ، حدباً شفيقاً ، فدعا الله له ولذريته نوح ، بطول العمر ، والتمكين في البلاد ، والنصر على من ناوأه وإياهم ، واتصال الملك له ولذريته ، ودوامه له ولهم ، فاستجيب له فيه ، فأعطى جيومرت ذلك وولده ، فهو أبو الفرس ، ولم يزل الملك فيه وفي ولده إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى ، وغلبة أهل الإسلام إياهم على ملكهم .

القول في الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار

قد قلنا قبل أن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار . وساعات الليل والنهار إنما هي مقادير من جري الشمس والقمر في الفلك ، كما قال الله عز وجل: ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ .

فإذا كان الزمان على ما ذكرنا ، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هي قطع الشمس والقمر درجات الفلك ، كان بيقين معلوماً أن الزمان محدث والليل والنهار محدثان ، وأن محدث ذلك الله تعالى ، كما قال ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان من المحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالهما في وقت واحد في جزء واحد ـ كان معلوماً يقيناً أنه لابد من أن يكون أحدهما كان قبل الآخر منهما ، وأيهما كان منهما قبل صاحبه فإن الآخر منهما كان لاشك بعده ، وذلك إبانة ودليل على حدوثهما ، وإنهما خلقان لخالقهما .

ومن الدلالة أيضاً على حدوث الأيام والليالي أنه لا يوم إلا وهو بعد يوم كان قبله ، وقبل يوم كائن بعده ، فمعلوم أن ما لم يكن ثم كان ، أنه محدث مخلوق ، وأن له خالقاً ومحدثاً . وأخرى أن الأيام والليالي معدودة ، وما عد من الأشياء فغير خارج من أحد العددين : شفع أو وتر ، فإن يكن شفعاً فإن أولها اثنان ،

وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداء وأولاً ، وإن كان وتراً فإن أولها واحد وذلك دليل على أن لها ابتداء وأولاً ، وما كان له ابتداء ، فإنه لابد له من مبتدىء ، هو خالقه .

القول في هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً غير ذلك الخلق

عن ابن عباس ـ قال هناد أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ، فهذه أربعة ، ثم قال : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ ، لمن سأل . قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال من يحيا ومن يموت ، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبت لو أتممت : قالوا : ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فنزل : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب . فاصبر على ما يقولون ﴾ .

وعن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : (خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة ، آخر خلق خلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل) . قال عبدالله بن سلام : أنا أعلم أي ساعة هي ، فهي آخر ساعة من يوم الجمعة .

وعن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ ، قال الله عز وجل للسموات : اطلعي شمسي

وقمري، واطلعي نجومي . وقال للأرض : شققي أنهارك واخرجي ثمارك ، فقالتا : أتينا طائعين . وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾، خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها . والله أعلم .

القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وأن لاشيء يبقى غير الله تعالى ذكره

والدلالة على صحة ذلك قوله تعالى: ﴿ كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلالة والاكرام ﴾، وقوله ﴿ لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه ﴾، فلاشك أنهما (الليل والنهار) فانيان هالكان ، كما أخبر وقال : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ يعني أنها عميت وذهب ضوءها ، وذلك عند قيام الساعة .

القول في الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل كل شيء وأنه هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره

فمن الدلالة على ذلك أنه لاشيء في العالم مشاهد إلا جسم أو قائم بجسم ، وأنه لا جسم إلامفترق أو مجتمع ، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الافتراق ، فمعلوم أن اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن ، وأن الافتراق إذا حدث فيهما بعد الاجتماع ، فمعلوم أنه حادث بعد أن لم يكن ، فإذا كان الأمر كذلك ، وكان جامع ذلك ومفرقه من لا يشبهه ولا يجوز عليه الاجتماع والافتراق ، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات ، فبين أن بارىء الأشياء ومحدثها كان قبل كل شيء ، وأن في قوله تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ لأبلغ الحجج وأدل الدلائل ـ لمن فكر بعقل ، واعتبر بفهم ـ على قدم بارئها .

وذلك أن كل ما ذكر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية من الجبال والأرض والإبل ، فإن ابن آدم يعالجه ويدبره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم ، غير ممتنع عليه شيء من ذلك . ثم إن ابن آدم مع ذلك غير قادر على ايجاد شيء من ذلك من غير أصل ، فمعلوم أن العاجز عن ايجاد ذلك لم يحدث نفسه ، وأن الذي أنشأه هو الذي لا يعجزه شيء أراده ، وهو الله الواحد القهار .

فإن قال قائل : فما تنكر أن تكون الأشياء التي ذكرت من فعل قديمين ؟ قلنا لو كان المدبر إثنين ، لم يخل من اتفاق أو اختلاف ، فإن كانا متفقين فمعناهما واحد، وإنما جعل الواحد إثنين من قال بالإثنين ، وإن كانا مختلفين كان محالاً وجود الخلق على التمام والتدبير على الإتصال ، لأن المختلفين ، فعل كل واحد منهما خلاف فعل صاحبه ، بأن أحدهما إذا أحيا أمات الآخر . وفي قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ ، وقوله: ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾ أبلغ حجة وأوجز بيان وأدل دليل على بطول ما قاله المبطلون .

وأخرى ، أن ذلك لو كان كما قاله المشركون بالله لم يخل كل واحد من الإثنين اللذين أثبتوهما قديمين من أن يكونا قويين أو عاجزين ، فإن كانا عاجزين فالعاجز مقهور وغير كائن إلهاً . وإن كان قويين فإن كل واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز ، والعاجز لا يكون إلهاً . وإن كان كل واحد منهما قوياً على صاحبه ، فهو بقوة صاحبه عليه عاجز ، تعالى ذكره عما يشركون ! . فتبين إذاً أن القديم بارىء الأشياء وصانعها وهو الواحد الذي كان قبل كل شيء ، وهو الكائن بعد كل شيء. وفي هذا روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنكم تسألون بعدي عن كل شيء ، حتى يقول القائل : هذا الله خلق كل شيء فمن ذا خلقه !) .

القول في ابتداء الخلق ما كان أوله

عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن أول ما خلق الله القلم فقال له : أكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن) وعن ابن عباس قال : أول ما خلق الله من شيء القلم فقال له : أكتب ، فقال : وما أكتب يا رب ؟ قال : أكتب القدر ، قال : فجرى بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات . وقال آخرون : بل أول شيء خلق الله عز وجل من خلقه النور والظلمة . قال ابن إسحاق في قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ كان كما

وصف نفسه عز وجل ، إذ ليس إلا الماء عليه العرش ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، فكان أول ما خلق الله النور والظلمة . فهو (ابن إسحاق) لم يسند قوله هذا إلى أحد ، وذلك من الأمور التي لا يدرك علمها إلا بخبر من الله عز وجل ، أو خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت الرواية فيه .

القول في الذي ثنى خلق القلم

ثم إن الله جل جلاله ، خلق بعد القلم سحاباً رقيقاً وهو الغمام الذي ذكره في محكم كتابه فقال : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ وذلك قبل أن يخلق عرشه . عن أبي رزين قال : قلت يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال (كان في عماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء) ثم اختلف في الذي خلق تعالى بعد العماء . قال ابن عباس : إن الله عز وجل خلق العرش أول ما خلق ، فاستوى عليه . وعن عبدالله بن مسعود ـ عن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : إن الله عز وجل كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء . قال وهب بن منبه : إن العرش كان قبل أن يخلق السموات والأرض على الماء ، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض قبض من صفاة الماء قبضة ، ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً ، ثم قضاهن سبع سموات في يومين ، ودحا الأرض في يومين ، وفرغ من الخلق اليوم السابع . وقد قيل : إن الذي خلق ربنا عز وجل بعد القلم الكرسي ، ثم خلق بعد الكرسي العرش ، ثم بعد ذلك خلق الهواء والظلمات ، ثم الماء ، فوضع عرشه عليه . قال أبو جعفر : وأولى القولين عندي بالصواب ما روي عن أبي رزين العقيلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره .

وقد قيل : إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه . وقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ : على أي شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح . والسموات والأرض وكل ما فيهن من شيء يحيط بها البحار ، ويحيط بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل ـ فيما قيل ـ الكرسي . قال وهب : وإن قدميه عز وجل لعلى الكرسي ، وهو يحمل الكرسي ، وقد عاد الكرسي كالنعل في قدميه . وسئل وهب : ما الهيكل ؟ قال : شيء من أطراف

السموات محدق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط . وسئل عن الأرضين : كيف هي ؟ قال : هي سبع أرضين ممهدة جزائر ، بين كل أرضين بحر ، والبحر محيط بذلك كله ، والهيكل من وراء البحر .

وقد قيل : إنه كان بين خلقه القلم وخلقه سائر خلقه ألف عام . قال أرطأة ابن المنذر ، سمعت ضمرة يقول : إن الله خلق القلم ، فكتب به ماهو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من الخلق ، فلما أراد جل جلاله خلق السموات والأرض خلق أياماً ستة ، فسمى كل يوم منهن باسم غير الذي سمى به الآخر . قال الضحاك بن مزاحم : خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، ليس منها يوم إلا له اسم : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت . وقال ابن عباس : إن الله خلق يوماً واحداً فسماه الأحد ، ثم خلق ثانياً فسماه الإثنين ، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامساً فسماه الخميس . وهذان القولان غير مختلفين، إذ كان جائزاً أن تكون أسماء ذلك بلسان العرب على ما قاله ابن عباس ، وبلسان آخرين ، على ما قاله الضحاك بن مزاحم .

وقد قيل إن الأيام سبعة لا ستة . قال وهب : الأيام سبعة وكلا القولين صحيح مؤتلف غير مختلف ، ذلك أن الأيام التي خلق الله فيهن الخلق من حين ابتدائه في خلق السماء والأرض وما فيهن إلى أن فرغ من جميعه ستة أيام ، وإن معنى قول وهب أن عدد الأيام التي هي أيام الجمعة سبعة أيام لا ستة .

واختلف السلف في اليوم الذي ابتدأ الله عز وجل فيه في خلق السموات والأرض . قال عبدالله بن سلام : إن الله تبارك وتعالى ابتدأ الخلق ، فخلق الأرض يوم الأحد ويوم الإثنين ، وقال الضحاك : ابتدأ الخلق يوم الأحد ، ومثله قال مجاهد وأهل التوراة . وقال أهل الإنجيل : ابتدأ الله الخلق يوم الإثنين . ونقول نحن المسلمون : ابتدأ الله الخلق يوم السبت . وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال : اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والأرض يوم الأحد ، لاجماع السلف من أهل العلم على ذلك . بدليل أن آخر ما خلق الله من خلقه آدم ، وأن خلقه كان في يوم الجمعة ، وهو داخل في الأيام الستة التي أخبر الله تعالى أنه خلق خلقه فيهن ، لأن ذلك لو لم يكن داخلاً في الأيام الستة ،

كـان إنما خلق خلقه في سبعة أيام ، وذلك خلاف ما جاء به التنزيل ، فتبين إذاً أن أول الأيام التي ابتـدأ الله فـيـهـا خلق السـمـوات والأرض وما فـيهن من خلقه يوم الأحـد ، إذ كان الآخر يوم الجمعة ، وذلك ستة أيام ، كما قال ربنا جل جلاله .

القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله في كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

قـال عـبـدالله بن سـلام : إن الله بدأ الخلق يوم الأحـد ، فـخلق الأرضين في الأحـد والإثنين ، وخلق الأقـوات والرواسي في الثـلاثاء والأربعـاء ، وخلق السموات في الخـمـيس والجـمـعـة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عـجل ، فـتلك السـاعـة التي تقـوم فـيـهـا الساعة . وقال ابن مسعود عن اناس من أصـحـاب الـنبي صلى الله عليـه وسلم : جـعل الله سـبع أرضين في يومين : الأحـد والإثنين ، وجـعل فـيـهـا رواسي أن تميـد بكم ، وخلق الجـبال فيها وأقوات أهلها ، وشـجـرها ومـا ينبـغي لها في يومين : في الثـلاثاء والأربعـاء ، ثم اسـتوى إلى السماء وهي دخـان فـجـعلهـا سماء واحـدة ، ثم فـتـقـهـا فجعلها سبع سموات في يومين : الخـمـيس والجـمـعـة . فـفي قـول هؤلاء خلقت الأرض قبل السماء ، لأنها خلقت عندهم في الأحـد والإثنين . وقـال ابن عـبـاس : إن الله خلق السـمـوات والأرض وبث أقـوات الأرض فـيـهـا بعد خلق السماء ، وأرسى الجبال - يعني ذلك دحوها - قـــال تـعـالى : ﴿ والأرض بـعـد ذلـك دحـاها ﴾ وقـال : ﴿ أخـرج منهـا مـاءها ومـرعـاها ﴾ . قـال أبو جعفر : والصواب عندي ما قاله الذين قالوا : إن الله خلق الأرض يوم الأحـد ، وخلق السماء يوم الخـمـيس ، وخلق النجـوم والشـمـس والقمر يوم الجـمـعـة ، وغير مستحيل ما رويناه عن ابن عباس من أن الله خلق الأرض ولم يدحـهـا ، ثم خلق السـمـوات فسواهن ثم دحا الأرض بعد ذلك . فإن قال قائل : إن جماعـة من أهل التأويل قـد وجـهت قـول الله : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ إلى مـعنى (مع ذلك دحـاها) نقول : إن المعروف من معنى (بعد) في كلام العرب بخـلاف مـعنى (قـبل) لا بمعنى (مع) وإنما توجه معاني الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة في أهله ، لا إلى غير ذلك .

وقـد قـيل : إن الله خلق البـيت العـتـيق على الماء على أربعـة أركان ، قبل أن

يخلق الدنيـا بألفي عام ، ثم دحيت الأرض من تحته . قال ذلك ابن عباس وعبدالله ابن عمر .

وعن اناس من أصـحـاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله تعالى كان عـرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخـاناً فارتفع فوق الماء ، فسما عليه ، فسماه سماء ، ثم أيبس الماء ، فجعله أرضـاً واحـدة ، ثم فـتـقـهـا فـجـعلها سبع أرضين في يومين ، في الأحد والإثنين ، فـخـلـق الأرض على حـوت ـ والحـوت هو النون الذي ذكـره الله في القـرآن : ﴿ ن والقلم ﴾ ـ والحوت في الماء ، والماء على ظهـر صـفـاة ، والصـفاة على ظهر ملك ، والملك على صـخـرة ، والصخرة على الريح ـ وهي الصخرة التي ذكر لقمان ـ ليست في السماء ولا في الأرض ، فـتـحـرك الحـوت فاضطرب ، فتزلزلت الأرض ، فأرسى عليـهـا الجـبـال فقرت ، فالجبال تفخر على الأرض ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميـد بكم ﴾ .

وأمـا مـا خـلق في يوم الثـلاثاء والأربعـاء ، فـالذي صح عندنا مـا روي عن اناس من أصـحـاب رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : وخلق الجبال فيها ـ يعني في الأرض ـ وأقـوات أهلهـا وشـجـرها وما ينبغي لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء، وذلـك حـين يـقـول الله عـز وجـل : ﴿ قل أئنكم لتكفـرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجـعلون له أنداداً ذلك رب العـالمين . وجـعل فـيـهـا رواسي من فوقها وبارك فـيـهـا وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين ﴾ . ثم استوى إلى السماء وهي دخـان ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ثم فـتـقها فجعلها سبع سموات في يومين الخميس والجمعة . ومثل ذلك قال عبدالله بن سـلام ، وقـال ابن عـباس : إن الله خلق الجبال يوم الثلاثاء . فذلك قول الناس : هو يوم ثقيل .

وأمـا يوم الخـمـيس فإنه خلق فيه السموات كما ذكرنا في حديث عن أناس من أصـحـاب النبي صلى الله عليـه وسلم ، قالوا : فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخـمـيس والجـمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض . والصـحـيح عندنا ، مـا روي عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وخلق يوم الخـمـيس السماء ، وخلق يوم الجـمـعـة النجوم والشمس والقمر والملائكة

إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة ساعات الآجال ، من يحيا ومن يموت ، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود ، وأخرجه منها في آخر ساعة) . وقال أبو هريرة : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : (وبث فيها ـ يعني في الأرض ـ الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر خلق في آخر ساعة ، من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) .

فإذا كان الله تعالى خلق الخلق وخلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلق جميعهم في ستة أيام ، وكان كل يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا ، وكان بين ابتدائه في خلق ذلك وخلق القلم الذي أمره بكتابة كل ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام ـ وذلك يوم من أيام الآخرة ـ كان معلوماً أن قدر مدة ما بين أول ابتداء خلق الله ما خلق من خلقه إلى الفراغ من آخرهم سبعة آلاف عام ، على ما قد روينا من الآثار والأخبار .

وإذا كان الأمر كما ذكرنا ، فإن مدة ما بين أول خلق خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء جميع العالم ، أربعة عشر ألف عام من أعوام الدنيا ، وذلك أربعة عشر يوماً من أيام الآخرة ، سبعة منها مدة ما بين أول ابتداء الله في خلق أول خلقه إلى فراغه من خلق آخرهم وهو آدم أبو البشر ، وسبعة أخر مدة ما بين فراغه من آخر خلق خلقه ـ وهو آدم ـ إلى فناء آخرهم وقيام الساعة . فإن قال قائل : وما دليلك على أن الأيام الستة التي خلق الله فيهن خلقه كان قدر كل يوم منهن ألف عام من أعوام الدنيا دون أن يكون ذلك كأيام أهل الدنيا التي يتعارفونها بينهم ؟ نقول : لا نعلم قائلاً من أئمة الدين قال خلافه . فعن ابن عباس قال : خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، فكل يوم من هذه الأيام كألف سنة مما تعدون أنتم . وقال الضحاك في قوله تعالى : ﴿ في يوم مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ : يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهن السموات والأرض وما بينهما . ومثل ذلك قال مجاهد وكعب وغيرهما . فلا وجه لقول قائل : وكيف يوصف الله تعالى بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام قدر مدتها من أيام الدنيا ستة آلاف سنه ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، لأنه لاشيء يتوهمه متوهم في قول قائل ذلك إلا وهو موجود في قول قائل : خلق ذلك

كله في ستة أيام مدتها مدة ستة أيام من أيام الدنيا ، لأن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه

قال ابن عباس : إن الليل قبل النهار ، ثم قال : ﴿ كانتا رتقاً ففتقناهما ﴾ . وقال ابن مسعود : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه ، وإن مقدار كل يوم من أيامكم هذه عنده اثنتا عشرة ساعة . قال أبو جعفر : أولى القولين عندي بالصواب قول من قال : كان الليل قبل النهار ، لأن النهار من ضوء الشمس ، التي خلقها الله وأجراها في الفلك بعد ما دحا الأرض فبسطها ، كما قال تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾ فإذا كانت الشمس خلقت بعدما سمكت السماء ، وأغطش ليلها ، فعلوم أنها كانت ـ قبل أن تخلق الشمس ، وقبل أن يخرج الله من السماء ضحاها . مظلمة لا مضيئة . وما نشاهده من أمر الليل والنهار ، دليلاً بيناً على أن النهار هو الهاجم على الليل ، لأن الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلاً أو نهاراً أظلم الجو ، فكان معلوماً بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره . والله أعلم .

فأما القول في بدء خلق الله الشمس والقمر مختلف . روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خلق الله يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه) . وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خلق الله النور يوم الأربعاء) . وأي ذلك كان ، فقد خلقهما عز وجل لما هو أعلم به من مصلحة خلقه ، فجعلهما دائبي الجري ، ثم فصل بينهما ، فجعل إحداهما آية الليل ، والأخرى آية النهار ، فمحا آية الليل ، وجعل آية النهار مبصرة . وقد روي عن الرسول في سبب اختلاف حالتي آية الليل وآية النهار . قال أبو ذر الغفاري : كنت آخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتماشى جميعاً نحو المغرب ، وقد طفلت الشمس ، فما زلنا ننظر إليها حتى غابت ، قال : قلت : يا رسول الله ، أين تغرب ؟ قال : تغرب في السماء ، ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى إلى السماء السابعة العليا ، حتى تكون تحت العرش ،

فتخر ساجدة ، فتسجد معها الملائكة الموكلون بها ، ثم تقول : يا رب ، من أين تأمرني أن أطلع ، أمن مغربي أم من مطلعي ؟ قال : فذلك قوله عز وجل : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾ حيث تحبس تحت العرش ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم﴾ ثم يأتيها جبرائيل بحلة ضوء من نور العرش ، على مقادير ساعات النهار ، في طوله في الصيف ، أو قصره في الشتاء ، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع ، فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه ، ثم تنطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فكأنها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوءاً ، وتؤمر أن تطلع من مغربها ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ . قال : والقمر كذلك في مطلعه ومجراه في افق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة العليا ، ومحبسه تحت العرش وسجوده واستئذانه ، ولكن جبرائيل يأتيه بالحلة من نور الكرسي فذلك قوله عز وجل : ﴿ جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ﴾ . قال أبو ذر : ثم عدلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا المغرب .

فأما الخبر الذي يدل على غير هذا المعنى ، ما حدث به ابن عباس فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال : إن الله تبارك وتعالى لما أبرم خلقه احكاماً فلم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه ، فأما ما كان في سابق علمه أنه يدعها شمساً ، فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها ، وأما ما كان في سابق علمه أنه يطمسها ويحولها قمراً ، فإنه دون الشمس في العظم، ولكن إنما يرى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض . قال : فلو ترك الله الشمسين كما كان خلقهما في بدء الأمر لم يكن يعرف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، وكان لا يدري الأجير إلى متى يعمل ، ومتى يأخذ أجره . ولا يدري الصائم إلى متى يصوم ، ولا تدري المرأة كيف تعتد ، ولا يدري المسلمون متى وقت الحج ، ولا يدري الدّيان متى تحل ديونهم ، ولا يدري الناس متى ينصرفون لمعايشهم ، ومتى يسكنون لراحة أجسادهم . وكان الرب عز وجل أنظر لعباده وأرحم بهم ، فأرسل جبرائيل فأمر جناحه على وجه القمر ـ وهو يومئذ شمس ـ ثلاث مرات ، فطمس عنه الضوء ، وبقي فيه النور ، فذلك قوله عز وجل: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾.

قـال : فـالسـواد الذي ترونه في القـمر شبه الخطوط فيه فهو أثر المحو . ثم خلق الله الشـمس عـجلة من ضـوء نور العـرش لها ثلاثمائة وسـتـون عـروة ، ووكل بالشمس وعـجلتها ثلاثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء الدنيا ، قد تعلق كل ملك منـهـم بعـروة ، ووكل بالقـمـر وعـجلتـه ثلاثمائة وسـتين ملكاً من الملائكة من أهل السماء ، قد تعلق بكل عروة من تلك العرا ملك منهم .

ثـم قـال : وخلق الله لهما مـشـارق ومـغـارب في قطري الأرض وكنفي السماء ثمانـين ومـائة عـين في المغـرب ، طينة سـودا ، فـذلك قـوله عـز وجل : ﴿ وجـدها تغـرب في عين حمئة ﴾ إنما يعني حمأة سـوداء من طين ، وثمانين ومائة عين في المشرق مـثل ذلك طينة سـوداء تفـور غلياً كغلي القدر إذا ما اشتد غليها . قال : فكل يوم وكل ليلة لها مطلع جـديد ومـغـرب جـديد ، مـا بين أولها مطلعـاً ، وآخـرها مـغرباً أطول مـا يكون النهـار في الصـيف إلى آخـرها مطلعـاً ، وأولها مغرباً اقصر ما يكون الـنـهـار في الشـتـاء ، فـذلك قـوله تعـالى : ﴿ رب المشرقين ورب المغـربين ﴾ يعني آخـرها هاهنا وآخـرها ثمّ ، وترك مـا بين ذلك من المشـارق والمغـارب ، ثم جمعـهـا فـقال : ﴿ برب المشارق والمغارب ﴾ فذكر عدة تلك العيون كلها .

قـال : وخلق الله بحراً ، فجرى دون السماء مقدار ثلاث فراسخ ، وهو موج مكفـوف قـائم في الهواء بأمـر الله لا يقطر منه قطرة ، والبـحـار كلها ساكنة ، وذلك البـحـر جـار في سرعـة السـهم ثم انطلاقه في الهواء مستوياً ، كأنه جبل ممدود ما بين المشرق والمغـرب ، فتجري الشمس والقمر والخُنّس في لجة غمر ذلك البحر ، فذلك قـوله تعـالى : ﴿ كل في فلك يسبحون ﴾ ، والفلك دوران العجلة في لجة غمر ذلك البـحـر . والذي نفس محمـد بيـده ، لو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت كل شيء في الأرض ، حـتى الصـخـور والحـجارة ، ولو بدا القمر من ذلك لأفتتن أهل الأرض حـتى يعـبدوه من دون الله ، إلامن شاء الله أن يعصم من أوليائه . قال ابن عـبـاس : فـقـال علي ابن ابي طالب : بأبي انت وأمي يا رسـول الله ! ذكـرت مجرى الُخنّس مع الشـمس والقـمر ، وقد قسم الله الُخنس في القرآن إلى ما كان من ذكرك ، فما الُخنّـس ؟ قـال : يـا علي هن خمس كـواكب : البرجيس ، وزحل ، وعطارد ، وبهرام ، والزهرة ، فـهـذه الكواكب مـثل الشـمس والقمر ، العاديات معهما ، فأما سـائر الكواكب فـمـعلقـات من السماء كتعليق القناديل من المساجد ، وهي تحوم مع

السماء دوراناً بالتسبيح والتقديس والصلاة لله .

قال : فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع من بعض العيون على عجلتها ومعها الملائكة ناشري أجنحتهم يجرونها في الفلك على قدر ساعات الليل والنهار ، فإذا أحب الله أن يبتلي الشمس والقمر فيري العباد آية من الآيات ، خرّت الشمس من العجلة فتقع في غمر ذلك البحر وهو الفلك ، فإذا أحب الله أن يعظم الآية ، وقعت الشمس كلها فلا يبقى منها على العجلة شيء ، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم ، وهو المنتهى من كسوفها . فإذا أراد أن يجعل آية دون آية ، وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان في الماء ، ويبقى سائر ذلك على العجلة ، فهو كسوف دون كسوف ، وبلاء للشمس أوللقمر ، وتخويف للعباد ، فأي ذلك كان صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين : فرقة يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة وفرقة يقبلون على العجلة فيجرونها نحو الشمس ، وهم في ذلك يقرونها في الفلك على قدر ساعات النهار أو ساعات الليل لكيلا يزيد في طولها شيء .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : وللعجب من القدرة فيما لم نر أعجب من ذلك ، قول جبرئيل عليه السلام لسارة : ﴿ اتعجبين من أمر الله ﴾ وذلك أن الله تعالى خلق مدينتين : إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، أهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم ، وأهل التي بالمغرب ، من بقايا ثمود من نسل الذين آمنوا بصالح ، اسم التي بالمشرق بالسريانية (مرقيسيا) وبالعربية (جابلق) واسم التي بالمغرب بالسريانية (برجيسيا) وبالعربية (جابرس) ولكل مدينة منها عشرة آلاف باب ، ما بين كل بابين فرسخ ، ينوب كل يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين ، عشرة آلاف رجل من الحراسة ، عليهم السلاح ، لا تنوبهم الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ في الصور ، فوالذي نفس محمد بيده ، لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب ، ومن ورائهم ثلاث أمم : منسك ، وتافيل ، وتاريس ، ومن دونهم يأجوج ومأجوج .

وإن جبرئيل عليه السلام انطلق بي إليهم ليلة أسري بي في المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فدعوت يأجوج ومأجوج إلى عبادة الله فأبوا أن يجيبوني ، ثم انطلق بي إلى أهل المدينتين ، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأجابوا وأنابوا ،

فـهـم في الـديـن إخـواننا ، من أحـسن منهم فـهـو مع محسنكم ، ومن أسـاء منهم فأولئك مع المسيئين منكم . ثم انطلق بي إلى الأمم الثلاث ، فـدعوتهم إلى دين الله ، فكفـروا ، فـهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله في النار ، فإذا ما غربت الـشـمـس رفـع بهـا مـن سماء إلى سماء في سرعـة طيران الملائكة ، حـتى يبلغ بها إلى السماء السـابعـة العليـا ، حـتى تكون تحت العـرش فـتـخر ساجدة ، وتسجد معها الملائكة الموكلون بها ، فـيحدر بها من سماء إلى سماء ، فإذا وصلت إلى هذه السماء ، فـذلك حين ينفـجـر الفـجـر ، فإذا انحـدرت من بعض تلك العيون ، فذاك حين يضيء الصبح ، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذاك حين يضيء النهار .

قـال : وجـعل الله عند المشرق حـجاباً من الظلمة على البحر السابع ، مقدار عـدة الليـالي منذ يوم خلق الله الدنيـا إلى يوم تصرم ، فإذا كـان عند الغـروب أقـبل ملك قد وكل بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ، ثم يستقبل المغرب فلا يزال يرسل من الظلمـة من خلل اصـابته قليلاً قليلاً وهو يراعي الشفق ، فإذا غاب الـشـفـق أرسل الظلمـة كلهـا ثم ينشر جناحـيـه ، فـيـبلغـان قطري الأرض وكنفي السماء ، ويجاوزان إلى مـا شـاء الله خـارجـاً في الهواء ، فـيـسوق ظلمة الليل بجناحيه حتى يبلغ المغرب ، فإذا بلغ المغرب ، تفجر الصبح من المشرق ، فضم جناحيه ، ثم يضم الظلمـة بعضها إلى بعض بكفيه ، ثم يقبض عليها بكف واحدة نحو قبضته إذا تناولها من الحـجـاب بالمشرق ، فـيضعها عند المغرب على البحر السابع من هناك ظلمـة الليل . فإذا مـا نقل ذلك الحـجـاب من المشرق إلى المغرب نفخ في الصور ، وانـقـضـت الدنيـا ، فـضـوء النهـار من قـبل المشرق ، وظلمـة الليل من قـبل ذلك الحـجـاب ، فلا يزال الأمر كذلك ، حتى يأتي الوقت الذي ضرب الله لتوبة العباد ، فـتكثـر المعـاصي في الأرض ، ويذهب المعروف ، فلا يأمر به أحد ، ويفشو المنكر فـلا ينهى عنه أحـد . فإذا كـان ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش حتى يوافـيـهـا القـمـر فـيحبسهما مقدار ثلاث ليال للشمس ، وليلتين للقمر ، فلا يعرف طول تلك الليلة إلا المتـهـجـدون في الأرض ، فـينام أحـدهم ، ثم يقـوم فـيـتوضأ ويدخل مـصـلاة فـيـصلي ورده ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فينكر ذلك ويظن فيه الظنون من الشر ، ثم يقـول : فلعلي خففت قراءتي ، أو قصرت صلاتي ، أو قمت قبل حيني ! .

قـال : فلا يزال الأمر كذلك ، حتى إذا ما تم لهما مقدار ثلاث ليال للشمس وللقـمـر ليلتين ، أتاهما جبرئيل فـيـقـول : إن الرب يأمـركما أن ترجعا إلى مغاربكما فـتطلعـا منهـا ، وأنه لا ضـوء لكما عندنا ولا نور . قال : فيبكيان بكاء يسمعه أهل سبع سـمـوات من دونهما وأهل سرادقات العرش وحملة العرش من فوقهما ، فيبكون لبكائهما مع مـا يخالطهم من خـوف الموت ، وخوف يوم القيامة . قال : فبينما الناس ينتظرون طلوعـهما من المشرق إذا هما قـد طلعـا خلف أقـضيتهم من المغرب أسودين مكورين كـالغـرارتين ، ولا ضـوء للشـمس ولا نور القـمـر ، فـيـتـصـايح الناس ، وتذهل الأمـهـات عن أولادها ، والأحـبـة عن ثمـرة قلوبها ، فـتشتغل كل نفس بما آتاها . قـال : فأمـا الصالحون والأبرار فإنه ينفعهم بكاؤهم . وأما الفاسقون والفجار فإنه لا ينفـعـهم بكاؤهم . قـال : فيرفـعان مثل البعيرين القرينين ، ينازع كل واحد منهما صـاحـبـه استـبـاقاً ، حتى إذا بلغا سرة السماء ـ وهو منصفها ـ أتاهما جبرئيل فأخـذ بقرونهما ثم ردهما إلى المغرب ، فلا يغربهما في مغاربهما من تلك العيون، ولكن يغربهما في باب التوبة .

فـقـال عـمـر بن الخطاب : أنا وأهلي فـداؤك يا رسـول الله ! فما باب التوبة ؟ قـال : يا عـمـر ، خلق الله تعالى باباً للتوبة خلف المغرب ، مصراعين من ذهب ، مـكـلـلاً بـالـدر والجـوهر ، مـا بين المصراع إلى المصراع الآخـر مـسيرة أربعين عـامـاً للراكب المسرع ، فـذلك البـاب مـفـتـوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشـمس والقـمـر من مـغـاربهما . ومن يتب توبة نصـوحـاً ، ولجت تلك التوبة من ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله. قال معاذ بن الجبل : وما التوبة النصوح؟ قـال : أن يندم المذنب على ذنبـه فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه . قال : فإذا أغلق باب التـوبة لم يقـبل بعـد ذلك توبة ، وذلك قـول الله عز وجل : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفـسـاً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾ . فـقـال أبي بن كـعـب : فكيف بالشـمس والقمر بعد ذلك ! وكيف بالناس والدنيا ! فـقال : يا أبي ، إن الشمس والقمر بعد ذلك يكسيان النور والضوء ، ويطلعان على الناس ويغـربان كما كـانا قـبل ذلك ، وأمـا الناس فإنهم نظروا إلى مـا نظروا إليه من فظاعـة الآية ، فـيلحون على الدنيا حتى يجروا فيها الأنهار ، ويغرسوا فيها الشجر ، ويبنوا فـيـهـا البنيـان . وأمـا الدنيـا فإنه لو أنتج رجل مـهـراً لم يركبه من لدن طلوع

الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور . فقال حذيفة بن اليمان : فكيف هم عند النفخ في الصور ! فقال : يا حذيفة ، والذي نفس محمد بيده ، لتقومن الساعة ولينفخن في الصور والرجل قد لط حوضه فلا يسقى منه ، ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا يطويانه ، ولا يتبايعانه . ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يطعمها ، ولتقومن الساعة والرجل قد انصرف بلبن لقحته من تحتها فلا يشربه . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ .

فإذا نفخ في الصور ، وقامت الساعة ، يدعو الله عز وجل بالشمس والقمر ، فيجاء بهما أسودين مكورين قد وقعا في زلزال وبلبال ، حتى إذا كانا حيال العرش خرّا لله ساجدين ، فيقولان : إلهنا قد علمت طاعتنا ودؤوبنا في عبادتك ، وسرعتنا للمضي في أمرك أيام الدنيا ، فلا تعذبنا بعبادة المشركين ، فإنا لم ندع إلى عبادتنا ، ولم نذهل عن عبادتك ! قال : فيقول الرب : صدقتما ، وإني قضيت على نفسي أن أبدىء وأعيد ، وإني معيدكما فيما بدأتكما منه ، فارجعا إلى ما خلقتما منه ، قالا : إلهنا ، ومم خلقتنا ؟ قال : خلقتكما من نور عرشي ، فارجعا إليه . قال : فيلتمع من كل واحدة منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نوراً ، فتختلط بنور العرش. فذلك قوله تعالى : ﴿ يبدىء ويعيد ﴾ .

ومما روي عن السلف ، أن ابن الكواء قال لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين، ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك ! أما تقرأ القرآن: ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ ! فهذه محوه . وجائز أن يكون الله تعالى خلقهما شمسين من نور عرشه، ثم محا نور القمر بالليل . وجائز أن يكون اضاءة الشمس للكسوة التي تكساها من ضوء العرش ، ونور القمر من الكسوة التي يكساها من نور الكرسي . ولو صح سند أحد الخبرين اللذين ذكرتهما لقلنا به ، ولكن في أسانيدهما نظراً .

ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك

قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان الدنيا ، وكان له سلطان الأرض . وفي رواية اخرى له : إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين

السماء والأرض ، فعصى ، فمسخه الله شيطاناً رجيماً . وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : جعل إبليس على السماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازناً .

ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية

عن ابن جريج قال في قوله تعالى : ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه ﴾ لم يقله إلا إبليس ، دعا إلى عبادة نفسه ، فنزلت الآية في إبليس . قال قتادة : وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس ، لما قال ما قال ، لعنه الله وجعله رجيماً فقال : ﴿ كذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ .

القول في الأحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية

قال ابن عباس : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن ، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وكان اسمه الحارث ، وكان خازناً من خزان الجنة ، قال : وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي ، وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت ، قال : وخلق الإنسان من طين ، فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وقتل بعضهم بعضاً ، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم هذا الحي الذين يقال لهم الجن ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، فلما فعل إبليس ذلك أغتر في نفسه ، وقال : قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، قال : فأطلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه . وقال الربيع بن أنس : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، قال : فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض .

ذكر السبب الذي به هلك عدو الله
وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عز وجل

عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب استوى على العرش ، فجعل إبليس على مُلك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وكان إبليس مع ملكه خازناً ، فوقع في صدره كبر ، وقال : ما أعطاني الله هذا إلا لمزية . قال عمرو بن حماد : لمزية على الملائكة ، فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله عز وجل على ذلك منه ، فقال للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ . قال ابن عباس : كان اسم (إبليس) قبل أن يركب المعصية عزازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً ، فذلك الذي دعاه إلى الكبر ، وكان من حي يسمون جناً . وقال سعيد بن المسيب : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا . وعن ابن حوشب قال في قوله تعالى : ﴿ كان من الجن ﴾ قال : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعضهم فذهب به إلى السماء . وقال سعد بن مسعود : كانت الملائكة تقاتل الجن فسبي إبليس ، وكان صغيراً ، وكان مع الملائكة يتعبد معهم ، فلما أمروا أن يسجدوا لآدم سجدوا وأبى إبليس ، فلذلك قال الله عز وجل : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ﴾ .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندي بالصواب أن يقال كما قال الله عز وجل: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ ، وجائز أن يكون فسوقه عن أمر ربه من أجل أنه كان من الجن ، وجائز أن يكون من أجل اعجابه بنفسه لشدة اجتهاده في عبادة ربه ، وكثرة علمه ، وما أوتي من ملك السماء الدنيا والأرض وخزن الجنان .

وقد قيل : إن سبب هلاكه كان من أجل أن الأرض كان فيها قبل آدم الجن، فبعث الله إبليس قاضياً يقضي بينهم ، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة حتى سمي حكماً ، وسماه الله به ، وأوحى إليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبر ، فتعظم وتكبر ، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حكماً البأس والعداوة والبغضاء، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض ألفي سنة فيما زعموا ، حتى أن خيولهم تخوض في دمائهم ، قالوا : وذلك قوله تعالى : ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من

خلق جديد ﴾ ، وقول الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ فبعث الله تعالى عند ذلك ناراً فأحرقهم . قالوا : فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء ، فأقام عند الملائكة يعبد الله في السماء مجتهداً في العبادة حتى خلق الله آدم ، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان .

القول في خلق آدم عليه السلام

وكان مما حدث في أيام سلطان إبليس وملكه ، خلق الله تعالى آدم أبا البشر، فقال للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ فأجابوه : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ! قال ابن عباس : إن الملائكة قالت ذلك اشارة لما عهدوا من أمر الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك ، إذ كانوا يسفكون فيها الدماء ويفسدون فيها ويعصون الله . فقال الرب تعالى لهم (للملائكة) : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ ، يقول : أعلم ما لا تعلمون من إنطواء إبليس على التكبر، وعزمه على خلافة أمري ، وتسويل نفسه له الباطل واغتراره ، وأنا مبد ذلك لكم منه لتروا ذلك منه عيانا .

فلما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم عليه السلام أمر بتربته أن تؤخذ من الأرض . قال ابن عباس : ثم أمر ـ يعني الله ـ بتربة آدم فرفعت ، فخلق الله آدم من طين لازب ـ واللازب اللزج الطيب ـ من حمأ مسنون ، منتن ، قال : وإنما كان حمأً مسنوناً بعد التراب ، قال : فخلق منه آدم بيده . وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : بعث الله جبرئيل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت الأرض : إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني شيئاً وتشينني ، فرفع ولم يأخذ ، وقال : يا رب إنها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها . فرجع ، فقال كما قال جبرئيل ، فبعث ملك الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ، ولم انفذ أمره ، فأخذه من وجه الأرض ، وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به فبل التراب حتى عاد طيناً لازباً ـ واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض ـ ثم ترك حتى تغير وأنتن ، وذلك حين يقول : ﴿ من حمأٍ مسنون ﴾ ، قال : منتن ، قال ابن عباس : بعث رب العزة عز وجل إبليس،

فأخذ من أديم الأرض ، من عذبها وملحها ، فخلق منه آدم ، ومن ثم سمي آدم، لأنه خلق من أديم الأرض . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر ، والأسود ، والأبيض ، وبين ذلك . والسهل والحزن والخبيث والطيب ، ثم بلت طينته حتى صارت طيناً لازباً ، ثم تركت حتى صارت حمأ مسنوناً ، ثم تركت حتى صارت صلصالاً . وقرأ : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ . قال ابن عباس : خلق آدم من ثلاثة : من صلصال، ومن حمأ ، ومن طين لازب ، فأما اللازب فالجسد ، وأما الحمأ فالحمئة ، وأما الصلصال فالتراب المدقق ، وبعني قوله تعالى ﴿ من صلصال ﴾ ، أي من طين يابس له صلصلة ، والصلصلة : الصوت .

وقال ابن عباس : خلق الله آدم من طين لازب بيده ، فمكث أربعين ليلة جسداً ملقى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلصل فيصوت ، قال : فهو قول الله تعالى: ﴿ من صلصال كالفخار ﴾ أي كالشيء الذي ليس بمصمت، قال: ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره ، ويدخل في دبره ويخرج من فيه ، ثم يقول لست شيئاً للصلصلة ولشيء ما خلقت ، ولئن سلطت عليك لأهلكنك ، ولئن سلطت علي لأعصينك . وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله آدم بيديه لكيلا يتكبر إبليس عنه ليقول حين يتكبر : تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه ! فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه ، وكان أشدهم فزعاً إبليس ، فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول: ﴿ من صلصال كالفخار ﴾ . وقال ابن إسحاق: يقال ـ والله أعلم ـ: خلق الله آدم ، ثم وضعه ينظر إليه أربعين يوماً حتى عاد صلصالاً كالفخار ، ولم تمسه نار ، فلما أراد عز وجل أن ينفخ فيه الروح ، تقدم إلى الملائكة فقال لهم : إذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .

وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح ، في رأسه عطس ، فقالت الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله عز وجل له : رحمك ربك . فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار

الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ ، ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ فقال الله له : ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ قال : أنا خير منه ، لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين ، قال الله له : ﴿ فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ . والصغار الذل . قال ابن عباس : فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى وأستكبر، لما كان حدث به نفسه من كبره واغتراره ، فقال : لا أسجد، وأنا خير منه وأكبر سناً ،وأقوى خلقاً ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾، يقول: إن النار أقوى من الطين ، قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله تعالى، آيئسه من الخير كله ، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته ، وأخرجه من الجنة ﴿ فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ .

ثم علّم الله عز وجل آدم الأسماء كلها . قال ابن عباس : وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها . قال مجاهد : علمه اسم كل شيء، وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ ، قال : فأنبأ كل صنف من الخلق بأسمه والجأه إلى جنسه . وقال آخرون بل علمه أسماء الملائكة ، وقال غيرهم بل أسماء ذريته .

وأسكن الله عز وجل آدم جنته ، قال ابن مسعود عن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكان يمشي فيها وحشياً ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ ، فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها : ما أنت ؟ قالت : امرأة ، قال : ولم خلقت ؟ قالت لتسكن إلي ، قالت له : الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي ، فقال الله تعالى : ﴿ يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ﴾ .

القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام

فلما أسكن الله عز وجل آدم عليه السلام وزوجه أطلق لهما أن يأكلا كل ما شاء أكله من ثمار الجنة ، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاء منه لهما بذلك ، وليمضي قضاء الله فيهما وفي ذريتهما ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ، قال ابن مسعود عن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة فمنعه الخزنة ، فأتى الحية ، وهي دابة لها أربع قوائم ، كأنها البعير ، فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم ، فادخلته في فمها ، فمرت الحية على الخزنة ، فدخلت وهم لا يعلمون ، لما أراد الله عز وجل من الأمر ، فكلمه من فمها ولم يبال كلامه ، فخرج إليه فقال : ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ يقول : هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكاً مثل الله أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبداً . وحلف لهما بالله إني لكما من الناصحين ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء فأكلت ، ثم قالت : يا آدم كل ، فإني قد أكلت ، فلم يضرني ، فلما أكل بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة. قال ابن عباس: إن إبليس عرض نفسه على دواب الأرض: أيها تحمله حتى تدخل به الجنة حتى يكلم آدم وزوجه ، فكل الدواب أبى ذلك عليه ، حتى كلم الحية ، فقال لها : أمنعك من بني آدم ، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة ، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به ، فكلمهما من فمها وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم ، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها . قال : اقتلوها حيث وجدتموها ، واخفروا ذمة عدو الله فيها .

وقال وهب بن منبه : لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ، وهي الثمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، فأكل منها آدم ، فبدت لهما سوأتهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربه : يا آدم ، أين أنت؟ قال : أنا هذا يا رب ، قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك يا رب ، قال : ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكاً ! قال : ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسدر . ثم قال : يا حواء ، أنت التي غررت عبدي ، فإنك لا تحملين حملاً إلاحملته كرهاً ، فإذا أردت

أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً . وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غر عبدي ، ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمك في بطنك ، ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه ، وحيث لقيك شدخ رأسك . وقال محمد بن قيس : كلم الله آدم فسأله : لم أكلتها وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب أطعمتني حواء ، قال لحواء : لم أطعمته ؟ قالت : أمرتني الحية ، قال للحية : لم أمرتها ؟ قالت : أمرني إبليس ، قال : ملعون مدحور ! أما أنت يا حواء ، فكما أدميت الشجرة تدمين في كل هلال ، وأما أنت يا حية ، فأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدخ رأسك من لقيك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو .

وقال ابن إسحاق : حدثت أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها ، فقالا له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي عليكما ، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة ، فوقع ذلك في أنفسهما ، فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ وقال : ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور ﴾ .

القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عز وجل إياه ووقت اهباطه إياه من السماء إلى الأرض

روى سعد بن عبادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن في الجمعة خمس خلال : فيه خلق آدم وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه توفى الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها ربه شيئاً إلا أعطاه الله إياه ، ما لم يسأل اثماً أو قطيعة ، وفيه : تقوم الساعة ، وما من ملك مقرب ، ولا سماء ، ولا جبل ، ولا أرض ، ولا ريح ، إلا مشفق من يوم الجمعة) . وقال سلمان : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا سلمان ، أتدري ما يوم الجمعة ؟ هو اليوم الذي جمع فيه أبوكم آدم) أو (أبوك) .

ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم عليه السلام
من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط إلى الأرض

قال عبدالله بن سلام : خلق آدم في آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ، ومثل ذلك قال مجاهد وابن زيد وغيرهما ، وقد زعم بعضهم أن الله عز وجل أسكن آدم وزوجته الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة ، وقيل لثلاث ساعات مضين منه ، وأهبط إلى الأرض لسبع ساعات مضين من ذلك اليوم ، فكان مقدار مكثهما في الجنة خمس ساعات منه . وقيل : كان ذلك ثلاث ساعات . وقال بعضهم : أخرج آدم من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة . قال أبو جعفر : قرأت ذلك على عبدان بن محمد المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن عن غيره ، عن أنس ، عن أبي العالية ، قال : أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة ، فقال لي : نعم ، لخمسة أيام مضين من نيسان .

القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه
من الأرض حين أهبطا إليها

قال قتادة : أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض ، وكان مهبطه بأرض الهند. وقال ابن عباس : أهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، فجاء في طلبها حتى اجتمعا ، فازدلفت اليه حواء ، فلذلك سميت المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعاً . قال : وأهبط آدم على جبل بالهند يقال له بوذ . قال ابن اسحاق : وأما أهل التوراة فإنهم قالوا : أهبط آدم بالهند على جبل يقال له واسم ، عند واد يقال له بهليل بين الدهنج والمندل . قالوا : وأهبطت حواء بجدة من أرض مكة . وقال آخرون : بل أهبط آدم بسرنديب ، على جبل يدعى بوذ ، وحواء بجدة من أرض مكة ، وإبليس بميسان ، والحية بأصبهان . وقد قيل : أهبطت الحية بالبرية ، وإبليس بساحل بحر الأُبُلّة .

وقال ابن أبي رباح : لما أهبط الله عز وجل آدم من الجنة كان رجلاه في الأرض ، ورأسه في السماء ، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، يأنس إليهم ، فهابته الملائكة حتى شكت إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاتها ، فخفضه إلى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله عز وجل

في دعـائه وفي صـلاته ، فـوجـه إلى مكة فصار موضع قدمه قرية ، وخطوته مفازة ، حـتى انتـهى إلى مكة ، وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الأن ، فلم يزل يطوف به حـتى أنزل الله الطوفـان ، فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تـعـالى إبـراهيم الخليل عليـه السـلام فـبناه ، فـذلك قـوله تعـالى : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ . قـال قـتادة : وضع الله تعالى البيت مع آدم ، فكان رأسه في السماء ورجـلاه في الأرض ، فـكانت الملائكة تهابه ، فنقص إلى ستين ذراعـاً ، فـحـزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم ، فشكا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم ، إني أهبطت لك بيـتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي ، وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي . فانطلق إليه آدم عليه السلام ، فطاف به ومن بعده الأنبياء .

وعن ابن عـبـاس قـال : إن آدم شكا إلى الرب عندما أمره بالتوجه إلى البيت في مكة ، فقال : لست أقوى عليه ولا أهتدي له ، فقيض الله له ملكاً ، فانطلق به نحـو مكة ، فكان آدم إذا مـر بروضة ومكان يعجبه قال للملك : انزل بنا ها هنا ، فيقول له الملك : مكانك ، حتى قدم مكة ، فكان كل مكان نزل به صار عمراناً ، وكل مكان تعـداه صـار مفاوز وقفازاً ، فبنى البيت من خمسة أجبل : من طور سيناء وطور زيتـون ولبنان والجـودي ، وبنى قـواعـده من حـراء ، فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عـرفـات ، فأراه المناسك كلهـا التي تفـعلهـا الناس اليـوم ، ثم قدم به مـكـة، فطاف بالبيت اسبـوعـاً ، ثم رجع إلى أرض الهند ، فمات على بوذ . قـال عـبـدالله بن عـباس : لقد حج منها (الهند) أربعين حجة على رجليه ، فقيل له : يا أبا الحـجـاج ، ألا كان يركب ؟ قال : فأي شيء كان يحمله ! فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام ، وان كـان رأسـه ليـبلغ السماء ، فـاشتكت الملائكة نفسه ، فهمزه الرحمن همزة ، فتطأطأ مقدار أربعين سنة .

وذكـر أن آدم عليـه السـلام أهبط إلى الأرض ، وعلى رأسـه اكليل من شـجـر الجنة، فلما صـار إلى الأرض ويبس الاكليل، سـحـات ورقه فنبت منه أنواع الطيب. وقـال ابن اسـحاق : هبط ومعه ورق من ورق الجنة ، ومنه كان أصل الطيب كله ، وكل فـاكـهـة لا توجد إلا بأرض الهند. وقال الأشعري: بل زوده الله من ثمار الجنة. وقـال ابن عـبـاس : نزل آدم عليـه السلام معه ريح الجنة ، فعلق بشجرها وأوديتها وامـتـلأ مـا هنالك طيـباً ، فمن ثم يؤتى بالطيب من ريح الجنة . وقال : أنزل معه

الحجر الأسود ، وكان أشد بياضاً من الثلج ، وعصا موسى ، وكانت من آس الجنة.ء طولها عشرة أذرع على طول موسى ، ومرّ ولبان ، ثم أنزل عليه بعد ذلك العلاة والمطرقة والكلبتان ، فنظر آدم حين هبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل ، فقال : هذا من هذا ، فجعل يكسر أشجاراً قد عتقت ويبست بالمطرقة ، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب ، فكان أول شيء ضربه مدية ، ثم ضرب التنور ، وهو الذي ورثه نوح ، وهو الذي فار بالعذاب بالهند .

وقال ابن عباس ايضاً: أهبط آدم إلى غير رغد من طعام وشراب ، فعلم صنعة الحديد ، وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصده ، ثم داسه ، ثم ذراه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ ، قال سعيد : أهبط إليه (آدم) ثوراً أحمر ، فكان يحرث عليه ، ويمسح العرق عن جبينه ، فهو الذي قال الله عز وجل : ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ فكان ذلك شقاؤه .

وعن وهب بن منبه قال : إن آدم لما أهبط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيره قال : يا رب ، أما لأرضك هذه عامرة يسبح بحمدك ويقدس لك غيري ! قال الله : إني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني ثم أمر آدم عليه السلام أن يأتي البيت الحرام الذي أهبط له إلى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله ، وكان ذلك ياقوتة واحدة او درة واحدة حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقي أساسه ، فبوأه الله عز وجل لإبراهيم فبناه . وقال ابن عباس : بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ، ثم أكلا وشربا ، وهما يومئذ على بوذ ، الجبل الذي أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة . قال مجاهد : ثم اتخذا مغارة يأويان إليها في ليلها ونهارهما ، وأرسل الله إليهما ملكاً يعلمهما ما يلبسانه ويستتران به ، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن والأنعام والسباع . ثم إن الله مسح ظهر آدم عليه السلام بنعمان من عرفة ، وأخرج ذريته ، فنثرهم بين يديه كالذر ، فأخذ مواثيقهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ . قال ابن عباس : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم

بنعمان ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها ، ثم كلمهم قبلاً ، وقال : ﴿ ألست بربكم . . . إلى قوله بما فعل المبطلون ﴾ .

وقيل : إنه أخذ ذرية آدم عليه السلام من ظهره بدحنا ، وقال بعضهم : أخرج الله ذرية آدم من صلبه في السماء قبل أن يهبط إلى الأرض ، وبعد أن أخرجه من الجنة ، قال السدي : أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ، ثم أنه مسح من آدم صفحة ظهره اليمنى . فأخرج منه ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيئة الذر سوداً ، فقال : ادخلوا النار ولا ابالي . فذلك حين يقول : ﴿ أصحاب اليمين ﴾ و ﴿ أصحاب الشمال ﴾ ، ثم أخذ الميثاق فقال : ألست بربكم ؟ قالوا بلى ، فأعطاه طائفة طائعين ، وطائفة على وجه التقية .

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض

فكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل . قال ابن مسعود عن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان لا يولد لآدم مولود إلا ومعه جارية ، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ، حتى ولد له ابنان، يقال لهما قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرع ، وكان هابيل صاحب ضرع ، وكان قابيل أكبرهما ، وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هي أختي ولدت معي ، وهي أحسن من اختك ، وأنا أحق أن أتزوجها ، فأمره أبوه أن يزوجها هابيل ، فأبى . وإنهما قربا قرباناً إلى الله أيهما أحق بالجارية ، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها ، قال الله لآدم : يا آدم ، هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض ؟ قال : اللهم لا ، قال فإن لي بيتاً بمكة فأته ، فقال آدم للسماء : احفظي ولدي بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال فأبت ، ففال لقابيل ، فقال : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك . فلما انطلق آدم قربا قرباناً ، فقرب هابيل جذعة سمينة، وقرب قابيل حزمة سنبل، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنك

حتى لا تنكح أختي ، فقال هابيل : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾ إلى قوله ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه ﴾ ، فطلبه ليقتله ، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه ، فمات وتركه بالعراء ، لا يعلم كيف يدفن ، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حثا عليه ، فلما رآه قال : ﴿ يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي ﴾ . فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حين يقول الله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ ﴿ إنه كان ظلوماً جهولا ﴾ يعني قابيل حين حمل أمانة آدم ، ثم لم يحفظ له أهله .

وقال آخرون غير ذلك . قال الحسن : كان الرجلان اللذان في القرآن قال الله عز وجل فيهما : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ﴾ من بني اسرائيل ، ولم يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنما كان القربان في بني اسرائيل ، وكان آدم أول من مات . وذكر في التوراة أن هابيل قتل وله عشرون سنة ، وأن قابيل كان له يوم قتله خمس وعشرون سنة . قال أبو جعفر : والصحيح من القول عندنا أن الذي ذكر الله في كتابه أنه قتل أخاه من ابني آدم لصلبه . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها) وذلك لأنه أول من سن القتل .

وذكر أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن ، أولهم قابيل وتوءمته قليما ، وآخرهم عبدالمغيث وتوءمته أمة المغيث . قال ابن إسحاق ، إن جميع ما ولدته حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وانثى في عشرين بطناً ، وقال : قد بلغنا أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض ، فكان من بلغنا اسمه خمسة عشر رجلاً وأربع نسوة ، منهم قلين وتوءمته ، وهابيل وليوذا وأشوث بنت آدم وتوءمها ، وشيث وتوءمته ، وحزورة وتوءمها ، على ثلاثين ومائة سنة من عمره . ثم أباد ابن آدم وتوءمته ، ثم بالغ بن آدم وتوءمته ، ثم أثاثي بن آدم وتوءمته ، ثم توبة بن آدم وتوءمته ، ثم بنان بن آدم وتوءمته ، ثم شبوبة بن آدم وتوءمته ، ثم حيان بن آدم وتوءمته ، ثم ضرابيس بن آدم وتوءمته ، ثم هذر بن آدم وتوءمته ، ثم يحود ابن آدم وتوءمته ، ثم سندل بن آدم وتوءمته ، ثم بارق بن آدم وتوءمته ، كل

رجل منهم تولد معه امرأة في بطنه الذي يحمل به فيه .

وقال سعيد بن جبير : ولما حملت حواء في أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها إبليس قبل أن تلد فقال : يا حواء ما هذا في بطنك ؟ فقالت : ما أدري من ؟ فقال : أين يخرج ؟ من أنفك ؟ أو من عينك ؟ أو من أذنك ؟ قالت : لا أدري ، قال : أرأيت إن خرج سليماً أمطيعتي أنت فيما آمرك به ؟ قالت : نعم ، قال : سميه عبدالحارث ـ وقد كان يسمى إبليس لعنه الله الحارث ـ فقالت : نعم ، فلما وضعته أخرجه الله سليماً فسمته عبدالحارث ، فهو قوله تعالى : ﴿ جعلا له شركاء فيما أتاهما ﴾ إلى قوله ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ . وقيل : إنه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة .

ذكر ولادة حواء شيثاً

قال ابن عباس : ولدت حواء لآدم شيثاً وأخته عزورا ، فسمي هبة الله ، اشتق له من هابيل ، قال لها جبرئيل حين ولدته : هذا هبة الله بدل هابيل ، وهو بالعربية شث ، وبالسريانية شاث ، وبالعبرانية شيث ، وإليه أوصى آدم ، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة . قال ابن إسحاق : لما حضرت آدم الوفاة ، دعا ابنه شيثاً فعهد إليه عهده ، وعلمه ساعات الليل والنهار ، وأعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منهن ، فأخبره أن لكل ساعة صنفاً من الخلق فيها عبادته. وقال له : يا بني إن الطوفان سيكون في الأرض يلبث فيها سبع سنين . وكتب وصيته ، فكان شيث وصي أبيه آدم عليه السلام ، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث ، فأنزل الله عليه خمسين صحيفة . قال أبو ذر الغفاري : قلت : يا رسول الله كم كتاب أنزل الله عز وجل ؟ قال (مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة) . وإلى شيث أنساب بني آدم كلهم اليوم ، وذلك أن نسل سائر ولد آدم من غير نسل شيث ، انقرضوا وبادوا فلم يبق منهم أحد ، فأنساب الناس كلهم اليوم إلى شيث عليه السلام .

ذكر وفاة آدم عليه السلام

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فجلس فعطس فقال: الحمد لله ، فقال له ربه: يرحمك ربك ،ايت أولئك الملأ من الملائكة فقل لهم: السلام عليكم ، فأتاهم فقال لهم : السلام عليكم . قالوا له : وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ، ثم قبض له يديه ، فقال له : خذ واختر ، قال : اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين ، ففتحها له ، فإذا فيها صورة آدم وذريته كلهم ، فإذا كل رجل مكتوب عنده أجله ، وإذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة ، وإذا قوم عليهم النور ، فقال : يا رب ، من هؤلاء الذين عليهم النور ، فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسل إلى عبادي ، وإذا فيهم رجل هو أضوءهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ، فقال : يا رب ، ما بال هذا من أضوئهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ؟ فقال: ذاك ما كتب له ، فقال: يا رب ، انقص له من عمري ستين سنة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فلما أتاه ملك الموت ليقبضه قال له آدم ، عجلت علي يا ملك الموت ! فقال : ما فعلت ، فقال : قد بقي من عمري ستون سنة ، فقال له ملك الموت : ما بقي من عمرك شيء ،قد سألت ربك أن يكتبه لابنك داود ، فقال: ما فعلت ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنسي آدم ، فنسيت ذريته ، وجحد آدم فجحدت ذريته ، فيومئذ وضع الله الكتاب ، وأمر بالشهود) .

وذكر أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً ، وأوصى إلى ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته ، قال ابن إسحاق : لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه ، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صفي الرحمن ، فقبرته الملائكة ، وشيث واخوته في مشارق الفردوس ، عند قرية هي أول قرية كانت في الأرض،وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام ولياليهن ، فلما اجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية ، جعلها في معراج ، ومعها القرن الذي أخرج أبونا آدم من الفردوس ، لكيلا يغفل عن ذكر الله عز وجل . وروى يحيى بن عباد عن أبيه أنه قال: بلغني أن آدم عليه السلام حين مات بعث الله إليه بكفنه وحنوطه من

الجنة، ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً ، والحدوا له ، وقالت : هذه سنة آدم في ولده) .

وقال أبي بن كعب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق) وقال ابن عباس : لما مات آدم عليه السلام ، قال شيث لجبرئيل : صل على آدم ، قال : تقدم أنت فصل على أبيك ،وكبر عليه ثلاثين تكبيرة، فأما خمس فهي الصلاة ، وأما خمس وعشرون فتفضيلاً لآدم عليه السلام . وقيل أنه دفن بمكة في غار أبي قبيس ، وهو غار يقال له غار الكنز . قال ابن عباس: مات على بوذ ـ الجبل الذي أهبط عليه ـ وإنه لما خرج نوح من السفينة دفنه ببيت المقدس . وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت ، فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرناه وأنهما لم يزالا مدفونين في ذلك المكان ، حتى كان الطوفان فاستخرجهما نوح ، وجعلهما في تابوت ، ثم حملهما معه في السفينة ، فلما غاضت الأرض الماء ردهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان .

وقال ابن إسحاق : نكح شيث بن آدم أخته حزورة ابنة آدم ، فولدت له يانش بن شيث ، ونعمة ابنة شيث ، وشيث يومئذ ابن مائة سنة وخمس وستين ، فعاش بعد ما ولد له يانش ثمانمائة سنة وسبع سنين ، ثم نكح يانش بن شيث أخته نعمة ، فولدت له قينان ، ويانش يومئذ ابن تسعين سنة ، فعاش يانش بعدما ولد له قينان ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة ، ثم نكح قينان بن يانش دينة ابنة براكيل بن محويل بن خنوح بن قين بن آدم . فولدت له مهلائيل بن قينان ، فعاش قينان بعدما ولد له مهلائيل ثمانمائة سنة وأربعين سنة ، ونكح مهلائيل خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، فولدت له يرد بن مهلائيل ، فعاش مهلائيل بعدما ولد له يرد ثمانمائة سنة وثلاثين سنة .

ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

ذكر أن قابيل لما قتل هابيل ، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن ، أتاه إبليس ، فقال له : إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار ، لأنه كان يخدم النار ويعبدها ،

فأنصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار ، فهو أول من نصب النار وعبدها . ويقول أهل التوراة : أن الذي اتخذ الملاهي من ولد قايين رجل يقال له توبال ، اتخذ في زمان مهلائيل آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان والطنابير والمعازف ، وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث ، فهمّ منهم مائة رجل بالنزول إليهم ، وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم ، وبلغ ذلك يارد ، فوعظهم ونهاهم فأبوا إلا تماديا ، ونزلوا إلى ولد قايين ، فأعجبوا بما رأوا منهم ، فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم ، فلما أبطئوا بمواضعهم ، ظن من كان في نفسه زيغ ممن كان بالجبل أنهم أقاموا اعتباطاً ، فتساللوا ينزلون عن الجبل ، ورأوا اللهو فأعجبهم ، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرعات إليهم ، وصرن معهم، وانهمكوا في الطغيان ، وفشت الفاحشة وشرب الخمر .

وأما الفرس فقد قالوا في مهلائيل بن قينان ، أنه هو أوشهنج الذي ملك الأقاليم السبعة ، وأنه هو أول من قطع الشجر وبنى البناء وأول من استخرج المعادن وأمر باتخاذ المساجد ، وبنى مدينتين كانتا أول ما بني على ظهر الأرض ، وهما مدينة بابل التي بسواد الكوفة ، ومدينة السوس . وكان ملكه أربعين سنة .

ونرجع الآن إلى ذكر يرد ـ وبعضهم يقول هو يارد ـ فولد يرد لمهلائيل من خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين ، بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة وستون سنة ، فكان وصي أبيه وخليفته فيما كان والد مهلائيل أوصى إلى مهلائيل ، واستخلفه عليه بعد وفاته ، وكانت ولادة امه إياه بعد ما مضى من عمر أبيه مهلائيل خمس وستون سنة . قال ابن اسحاق : ثم نكح يرد ، وهو ابن مائة سنة واثنتين وستين سنة ، بركنا ابنة الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم . فولدت له أخنوخ بن يرد ـ وأخنوخ إدريس النبي، وكان أول بني آدم أعطي النبوة، فعاش يرد بعد ما ولد له اخنوخ ثمانمائة سنة ، وولد بنون وبنات ، فكان كل ما عاش يرد تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة ثم مات .

وقال أهل التوراة: ولد ليرد أخنوخ ـ وهو إدريس ـ فنبأه الله عز وجل، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، وهو أول من خط بعد آدم وجاهد في سبيل الله، وقطع الثياب وخاطها، وأول من سبى من ولد قابيل، فاسترق منهم، وكان وصي والده

يرد. قال ابن عباس: في زمان يرد عملت الأصنام، ورجع من رجع عن الإسلام.

وقال ابن إسحاق: ثم نكح أخنوخ بن يرد هدانة ـ ويقال ـ أدانة ـ ابنة باويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، وهو ابن خمس وستين سنة، فولدت له متوشلخ بن أخنوخ، ثم نكح متوشلخ عرباً ابنة عزرائيل بن أنوشيل بن خنوخ ابن قين بن آدم، وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة. فولدت له لمك بن متوشلخ، ونكح لمك بتنوس ابنة براكيل بن محويل، وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة، فولدت له نوحاً النبي عليه السلام. ونكح نوح بن لمك عمذرة ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، وهو ابن خمسمائة سنة، فولدت له بنيه: سام، وحام، ويافث، بني نوح. قال ابن عباس: كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق. قال قتادة: ﴿ كان الناس امة واحدة ﴾ أي كانوا على الهدى جميعاً فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان أول نبي بعث نوح عليه السلام.

ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام

قالوا: كان قوم نوح، قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله، من ركوب الفواحش وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عز وجل. وقال آخرون: بل كانوا من الصابئين، وأما كتاب الله فإنه ينبىء عنهم أنهم كانوا أهل أوثان. قال تعالى: ﴿ قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً. ومكروا مكراً كباراً. وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق ونسراً. وقد أضلوا كثير ﴾. فبعث الله إليهم نوحاً مخوفهم بأسه، ومحذرهم سطوته، وداعياً إلى التوبة والمراجعة إلى الحق. قال ابن عباس: بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة، وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة، قال أبو جعفر: فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله سراً وجهراً، فلا يستجيبون له، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم، فلما أراد الله عز وجل اهلاكهم دعا عليهم نوح عليه السلام فقال: ﴿ رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ﴾ فأمره الله تعالى أن يغرس

شجرة فغرسها ، ثم أمره بقطعها بعدما غرسها بأربعين سنة ، فيتخذ منها سفينة كما قال الله له : ﴿ واصنع الفلك بأعيينا ووحينا ﴾ قالت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (جعل يعمل سفينة فيمرون (قومه) فيسألونه فيقول : أعملها سفينة، فيسخرون منه ، ويقولون : تعمل سفينة في البر فكيف تجري ! فيقول : سوف تعلمون) . قال قتادة : ذكر لنا أن طول السفينة ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً ، وبابها في عرضها .

قال ابن عباس : كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الذرة ، وآخر ما حمل الحمار . فلما ادخل الحمار ودخل صدره ، تعلق إبليس لعنه الله بذنبه فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ! ادخل ، فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح ، ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك ، قال كلمة زلت عن لسانه ، فدخل الحمار ودخل الشيطان معه ، فكان ـ فيما يزعمون ـ في ظهر الفلك ، فلما اطمأن نوح في الفلك وادخل فيه كل من آمن به ، تحرك ينابيع الغوط الأكبر ، وفتحت أبواب السماء كما قال الله تعالى ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ . قال ابن عباس : ونادى نوح ابنه فقال : ﴿ يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ وكان شقياً قد أضمر كفراً ، قال: ﴿ سأوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ ، قال نوح : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ . قال ابن عباس : أرسل الله المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة ، فأقبلت الوحوش حين أصابها المطر والدواب والطير كلها إلى نوح، فحمل منها كما أمره الله: ﴿ من كل زوجين اثنين ﴾ وحمل معه جسد آدم ، فجعله حاجزا بين النساء والرجال ، فركبوا فيها لعشرة ليال مضين من رجب ، وخرجوا منها يوم عاشورا من المحرم ، فلذلك صام من صام يوم عاشورا . واخرج الماء نصفين ، فذلك قوله تعالى : ﴿ ففتحنا أبواب السماء بما منهمر ﴾ يقول: منصب ﴿ وفجرنا الأرض عيوناً ﴾ يقول شققنا الأرض، ﴿فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾ فصار الماء نصفين: نصف من السماء ونصف من الأرض .

قال ابن عباس : وارتفع الماء على أطول جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً، فسارت بهم السفينة ، فطافت بهم الأرض كلها في ستة أشهر ، ورفع البيت الذي

بناه آدم عليه السلام ، رفع من الغرق ، وانتهت السفينة إلى الجودي ، وهو جبل بالحضيض من أرض الموصل ، فاستقرت بعد ستة أشهر ثم قيل ﴿ بعداً للقوم الظالمين ﴾ و ﴿ قيل يا أرض ابلعي ماءك ﴾ (ويا سماء اقلعي) يقول : احبسي ماءك ﴿ وغيض الماء ﴾ نشفته الأرض ، فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي ترون في الأرض .

واختلف في عدد من ركب الفلك من بني آدم . قال ابن عباس : حمل نوح في السفينة بنيه : سام ، وحام ، ويافث ، وكنائنه ، نساء بنيه هؤلاء ، وثلاثة وسبعين من بني شيث ، ممن آمن به ، فكانوا ثمانين في السفينة . وقال قتادة : ذكر لنا أنه لم يتم في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية . وقال الأعمش : بل كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنائن وثلاثة بنين له . وقال ابن اسحاق : حمل نوح بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ونساءهم ، وستة اناسي ممن كان آمن به فكانوا عشرة .

وقال جريج : كانت السفينة أعلاها الطير ، ووسطها الناس ، وأسفلها السباع ، ودفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب ، وأرست على الجودي يوم عاشورا ، ومرت بالبيت ، فطافت به سبعاً ، وقد رفعه الله من الغرق ، ثم جاءت اليمن ، ثم رجعت . قال قتادة : هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه : من كان منكم صائما فليتم صومه ، ومن كان منكم مفطراً فليصم .

وقال ابن إسحاق : إن جميع عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً . وقيل إن الذين هم اليوم في الدنيا من بني آدم ولد نوح وذريته دون سائر ولد آدم ، كما قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم سام ، وحام ، ويافث . وقال وهب بن منبه : إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وإن حام أبو السودان ، وإن يافث أبو الترك وأبو يأجوج ومأجوج ، وهم بنو عم الترك .

وقال قتادة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش) وفي رواية أخرى عن سمرة بن جندب : سام أبو العرب ، وحام أبو الزنج ، ويافث أبو الروم ، وكان سعيد بن المسيب يقول :

ولد سام العرب وفارس والروم ، وفي كل هؤلاء خير . وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وليس في واحد من هؤلاء خير ، وولد حام القبط والسودان والبربر .

ذكرالأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام

قالوا : وكان ممن طغا وعتا على الله عز وجل بعد نوح ، فأرسل الله إليهم رسولاً فكذبوه وتمادوا في غيهم ، فأهلكهم الله هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح : أحدهما عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وهي عاد الأولى ، والثاني ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهم كانوا العرب العاربة ، فأما عاد فإن الله عز وجل أرسل إليهم هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها ، يقال لاحداها ، صدّاء ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء . فدعاهم إلى توحيد الله وافراده بالعبادة دون غيره، وترك ظلم الناس ، فكذبوه وقالوا : من أشد منا قوة ! فلم يؤمن بهود منهم إلا قليل ، فوعظهم هو إذ تمادوا في طغيانهم ، فقال لهم : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون. واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون. أمدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ . فكان جوابهم له أن قالوا: ﴿ سواء أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ . وقالوا له : ﴿ يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ . فحبس الله عنهم القطر سنين ثلاثاً ، حتى جهدوا .

وقال السدي : إن عاداً أصابهم حين كفروا قحط من المطر ، حتى جهدوا لذلك جهداً شديداً ، فبعث الله عليهم الريح العقيم ، وهي الريح لا تلقح الشجر ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال ، تطير بهم الريح بين السماء والأرض ، فلما رأوها تبادروا إلى البيوت فأهلكتهم فيها ، فأصابتهم ﴿ في يوم نحس ﴾ والنحس هو الشؤم (مستمر) استمر عليهم بالعذاب ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ﴾ حسمت كل شيء مرت به ،

حتى أخرجتهم من البيوت . قال تعالى : ﴿ تنزع الناس ﴾ عن البيوت ﴿ كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ انقعر من اصول (خاوية) خوت فسقطت ، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداً ، فنقلتهم إلى البحر ، فالقتهم فيه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ ﴿ فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ والصرصر: ذات الصوت الشديد .

وأما ثمود فإنهم عتوا على ربهم ، وكفروا به ، وأفسدوا في الأرض ، فبعث الله إليهم صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن خادر بن ثمود بن جاثر ابن إرم بن سام بن نوح ، رسولاً يدعوهم إلى توحيد الله وافراده بالعبادة . فكان من جوابهم له أن قالوا : ﴿ يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ﴾ وكان الله عز وجل قد مد لهم في الأعمار . قال عمرو بن خارجة عن النبي صلى الله عليه وسلم : أطال الله أعمارهم حتى يجعل أحدهم يبني المسكن من المدر فيتهدم والرجل منهم حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فرهين ، فنحتوها ، وكانوا في سعة من معايشهم). ولم يزل صالح يدعوهم إلى الله على تمردهم فلا يزيدهم دعاؤه إياهم إلى الله إلا مباعدة من الاجابة ثم قالوا له : ائتنا بآية إن كنت من الصادقين . قال ابن طفيل : قال لهم صالح: اخرجوا إلى هضبة من الأرض، فإذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل، ثم تفرجت فخرجت من وسطها الناقة، فقال صالح: ﴿ هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ . ﴿ لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ فلما ملّوها عقروها ، فقال لهم : ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ . فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
وذكر من كان في عصره من ملوك العجم

هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح . واختلفوا في الموضع الذي ولد فيه ،

فقال بعضهم : كان مولده بالسوس من أرض الأهواز ، وقال بعضهم : كان مولده ببابل من أرض السواد ، وقال بعضهم : كان بالسواد بناحية كوثى ، وقال بعضهم : كان مولده بالوركاء ، وقال آخرون : بحران ولكن أباه نقله إلى أرض بابل . وقال عامة السلف من أهل العلم : كان مولده في عهد نمرود بن كوش .

وقال ابن إسحاق : فلما أراد الله تعالى أن يبعث إبراهيم عليه السلام حجة على قومه ورسولاً إلى عباده ، أتى أصحاب النجوم نمرود ، فقالوا له : إنا نجد في علمنا أن غلاماً يولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينكم ، ويكسر أوثانكم في شهر كذا من سنة كذا ، فلما دخلت تلك السنة ، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته ، فحبسها عنده ، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعرف بحبلها ، ولم يعرف الحبل في بطنها ، فجعل نمرود لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح ، فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها ، فولدت فيها إبراهيم عليه السلام ، وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ، ثم سدت عليه المغارة ، وصارت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل ، فتجده حياً يمص ابهامه . وكان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ، فقالت : ولدت غلاماً فمات . فصدقها فسكت عنها ، وكان اليوم - فيما يزعمون - على إبراهيم في الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة ، ولم يمكث في المغارة إلا خمسة عشر شهراً ، حتى قال لأمه : اخرجيني أنظر ، فاخرجته عشاء ، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض . ثم نظر في السماء ورأى كوكباً ، فقال: ﴿ هذا ربي ﴾ ثم اتبعه ببصره حتى غاب ﴿ فلما أفل قال لا أحب الأفلين ﴾ ثم اطلع للقمر فرآه بازغاً فقال : ﴿ هذا ربي ﴾ ثم أتبعه ببصره حتى غاب ﴿ فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾ فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس قال : ﴿ هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ .

قالوا : ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر ، فأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه ، وقصت عليه ما صنعت في شأنه ، فسر بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً ، وكان آزر يصنع الأصنام فيعطيها ولده فيبيعونها ، وكان يعطيه فينادي : من يشتري ما يضره ولا ينفعه ؟ فيرجع اخوته وقد باعوا أصنامهم، ويرجع إبراهيم بأصنامه كما هي، ثم

دعـا أباه فـقـال: ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ قال ﴿ أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً ﴾ . قال : أبداً . ثم قال أبوه : يا إبراهيم ، إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا لأعجبك ديننا، فلما كـان يوم العـيد ، فخرجوا إليه خرج معهم إبراهيم ، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسـه وقـال : ﴿ إني سقيم ﴾ يقول : أشتكي رجلي ، فلما مضوا قال : (تالله لأكـيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعوها منه ، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة ، فإذا هو في بهو عظيم ، مـسـتـقـبل باب البـهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه، بعـضها إلى جنب بعض ، كل صنم يليه أصغر منه ، فلما نظر إليهم إبراهيم عليـه السلام ، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال : ألا تأكلون ؟ فلما لم تجبه قال : مـالكم لا تنطقـون ! فـراغ عليـهم ضرباً باليـمين ، فأخذ حديدة فبقر كل صنم في حـافـتـيـه ، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر ، ثم خـرج ، فلما جاء القوم إلى طعـامـهم الذي وضعـوه عند الآلهة ، ونظروا إلى آلهتـهم ، قـالوا : ﴿ من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قـالوا سـمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ . وبلغ ذلك نمـرود وأشراف قـومـه ، فقالوا : ﴿ فآتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ﴾ .

قـال ابن إسـحـاق: فلما أتى به فـاجتمع له قومه عند ملكهم نمرود ﴿ قالوا: أأنـت فـعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قـال بل فـعله كـبيرهم هذا فأسألوهم إن كـانوا ينطقـون ﴾ فـقالوا: ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ فقال لهم إبراهيم: ﴿أفتعبدون من دون الله مـا لا ينفـعكم شيئاً ولا يضركم . اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعـقلون﴾ . قـال أبو جـعـفر : ثم إن نمرود قال لإبراهيم من هو ربك هذا الذي تدعـو إلى عـبـادته. ﴿ قـال إبراهيم ربي الذي يحيي ويمـيت ﴾ فـقـال نمرود: فأنا ﴿احـيي وأميت﴾ فقال إبراهيم : ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فآت بها من المغـرب﴾ يقول الله عز وجل : ﴿فبهت الذي كفر﴾ يعني وقعت عليه الحجة .

وقـال ابـن إسـحـاق : ثـم إن نـمـرود وقـومـه أجمعـوا في إبراهيم فـقـالوا : ﴿إحـرقـوه وانـصروا آلهـتـكـم إن كنتم فـاعلين﴾ و ﴿قـالوا ابنوا له بنيـاناً فـالقـوه في الجحيم﴾ فأمر نمرود بجمع الحطب ، حتى أن كانت المرأة لتنذر في بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك : لئن اصـابتـه لتحطبن في نار إبراهيم التي يحرق بها احتساباً في دينهـا ، حـتى إذا أرادوا أن يلقـوه فيها قدموه وأشعلوا في كل ناحية من الحطب الذي

جمعوا له . قال السدي : فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء وقال : اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري ، حسبي الله ونعم الوكيل ! فقذفوه في النار ، فناداها فقال : ﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ قال ابن عباس : لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها ، فلم تبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت ظنت أنها تعنى .

وقال ابن إسحاق : وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم ، فقعد فيها إلى جنبه يؤنسه ، فمكث نمرود أياماً لا يشك إلا أن النار قد أكلت إبراهيم وفرغت منه ، ثم ركب فمر بها وهي تحرق ما جمعوا لها من الحطب ، فنظر إليها ، فرأى إبراهيم جالساً فيها إلى جنبه رجل مثله ، فناداه نمرود : يا إبراهيم ، كبير إلهك الذي بلغت قدرته وعزته أن حال بين ما أرى وبينك ، حتى لم تضرك يا إبراهيم ، هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال : نعم ، قال : هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك ؟ قال : لا ، قال : فقم واخرج منها ، فلما خرج إليه قال له نمرود : يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من عزته وقدرته ، ولما صنع بك حين أبيت إلا عبادته ، إني ذابح له أربعة آلاف بقرة . فقال له إبراهيم : لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك هذا حتى تفارقه إلى ديني! فقال : يا إبراهيم ، لا أستطيع ترك ملكي ، ولكني سوف أذبحها له ، فذبحها نمرود ، ثم كف عن إبراهيم . قال أبو جعفر : واستجاب لإبراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمرود وملئهم ، فآمن له لوط ـ وكان ابن أخيه ـ وهاران هو أخو إبراهيم ، وآمنت به سارة وهي ابنة عمه ، بنت هاران الأكبر عم إبراهيم .

وقال السدي : ودعا إبراهيم أباه آزر إلى دينه ، فأبى أبوه الاجابة إلى ما دعاه إليه . ثم إن إبراهيم ومن كان معه من أصحابه الذين اتبعوه أجمعوا لفراق قومهم ، فقالوا : ﴿ إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ﴾ أيها المعبودون من دون الله ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ . ثم خرج إبراهيم مهاجراً إلى ربه ، وتزوج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه ، حتى نزل حران ، فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ، وبها فرعون من الفراعنة الأولى . وكانت

سـارة من أحـسن الناس فيما يقال ، فلما وصفت لفرعون أرسل إلى إبراهيم فقال : مـا هذه المرأة التي مـعك ؟ قـال : هي اختـي ، وتخوف إبراهيم إن قال هي امرأتي إن يقـتله عنهـا . فقال لإبراهيم : زينها ، ثم أرسلها إلي حتى أنظر إليها ، فرجع إبراهيم إلى سـارة وأمـرها فتهيأت ، ثم أرسلها إليه ، فلما قعدت إليه تناولها بيده ، فـيبست إلى صدره ، فلما رأى ذلك فرعون أعظم أمرها ، وقال: ادعي الله أن يطلق عني ، فـوالله لا أريبك ولأحـسن إليك ، فـقـالت : اللهم إن كـان صـادقـاً فأطلق يـده، فـأطـلق الله يده ، فـردها إلى إبراهيم ، ووهب لها هاجَـر جـارية كـانت له قـبطيـة . قـال ابن اسـحـاق : وكـانت (هاجـر) جـارية ذات هيئة فـوهبـتـهـا سارة لإبـراهـيم، وقـالت : إني أراها امـرأة وضـيئة فـخـذها لعل الله يرزقك منهـا ولداً ، وكـانت سـارة قـد منعت الولد فـلا تلد لإبراهيم حـتى أسنت ، وكان إبراهيم قد دعـا الله أن يهب له من الصـالحين ، وأخـرت الدعـوة حـتى كبر إبراهيم وعـقمت سـارة ، ثم إن إبراهيم وقع على هاجر فولدت له إسماعيل عليهما السلام .

قـال ابن إسـحاق : ويزعمون أن سارة حزنت عند ذلك على ما فاتها من الولد حـزناَ شـديداً ، وقد كان إبراهيم خرج من مصر إلى الشام ، فنزل السبع من أرض فلسطين ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وهي من السـبع على مـسيرة يوم وليلة ، فـبعثه الله عـز وجل نبـيـاَ ، وأقـام إبراهيم بالسبع ، فاحتفر به بئراً ، واتخذ به مسجداً ، ثم إن أهلهـا آذوه فـيـهـا فـخـرج منهـا حـتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليـا، ببلد يقـال له قط ، وكان إبراهيم يضيف من نزل به ، وكان الله عز وجل قـد أوسع عليـه ، وبسط له في الرزق والمال والخـدم ، فلما أراد الله هلاك قوم لوط ، بعث إليـه رسله يأمـرونه بالخـروج من بين أظهـرهم ، وكـانوا قد عملوا من الفاحشة مـا لم يسـبـقـهم به أحـد من العالمين ، وأمرت الرسل أن ينزلوا على إبراهيم ، وأن يبشروه وسـارة باسـحـاق ، ومن وراء اسـحـاق يعقوب ، فلما نزلوا على إبراهيم سر بهم ،فخرج إلى أهله ، فجاء كما قال تعالى : ﴿بعجل سمين﴾ قد حنذه ـ والحناذ ـ الانضـاج . قـال تعالى : ﴿ جاء بعجل حنيذ ﴾ فقربه إليهم ، فأمسكوا أيديهم عنه ﴿ فلما رأى أيديهم لا تصل إليـه نكرهم وأوجس منهم خـيـفة ﴾ ﴿ قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قـوم لوط . وامـرأته ﴾ سـارة ﴿ قـائمـة فضحكت فبشروها باسحاق ومن وراء اسـحـاق يعـقـوب ﴾ فقالت ـ يقال ضربت على جبينها : ﴿ يا ويلتي أألد وأنا

عجوز ﴾ إلى قوله : ﴿ إنه حميد مجيد ﴾ . وكانت سارة يومئذ ابنة تسعين سنة ، و إبراهيم ابن عشرين ومائة سنة ، فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى بإسحاق ويعقوب ، قال: ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء ﴾.

ذكر أمر بناء البيت

قالوا : ثم إن الله عز وجل أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ، ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر ، فلم يدر إبراهيم في أي موضع يبني . قال علي ابن أبي طالب : فأرسل الله السكينة ، وهي ريح خجوج ولها رأسان ، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوت على موضع البيت كتطوي الحية ، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة ، فبنى إبراهيم وبقي حجر ، فذهب الغلام يبني شيئاً ، فقال إبراهيم : أبغني حجراً كما آمرك ، فانطلق الغلام يلتمس له حجراً ، فأتاه به فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه ، فقال : يا أبت ، من أتاك بهذا الحجر ؟ فقال : أتاني به من لم يتكل على بنائك ، أتاني به جبرئيل من السماء . فأتماه ، قال : فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر : يا إبراهيم إلى من تكلنا ؟ قال : إلى الله قالت : انطلق فإنه لا يضيعنا ، قال : فعطش إسماعيل عطشاً شديداً ، فصعدت هاجر إلى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم أتت المروة فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم رجعت إلى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، حتى فعلت ذلك سبع مرات ، فقالت : يا إسماعيل ، مت حيث لا أراك ، فأتته وهو يفحص برجله من العطش ، فناداها جبرائيل ، فقال : من أنت ؟ قالت : أنا هاجر ، أم ولد إبراهيم ، قال : إلى من وكلكما ؟ قالت : وكلنا إلى الله ، قال : وكلكما إلى كاف ، قال : ففحص الغلام الأرض بأصبعه ، فنبعت زمزم ، فجعلت تحبس الماء ، فقال : دعيه ، فإنها رواء .

وقال السدي : إن سارة غضبت على أم إسماعيل ، وغارت عليها ، فأخرجتها ثم أدخلتها ، وحلفت لتقطعن منها بضعة ، فقالت : أقطع أنفها ، أقطع أذنها ، فيشينها ذلك ، ثم قالت : لا بل أخفضها ، فقطعت ذلك منها ، فاتخذت هاجر عند ذلك ذيلاً تعفي به عن الدم ، فلذلك خفضت النساء ،

واتخـذت ذيولا ، ثم قـالت : لا تسـاكنيّ في بلد . واوحى الله إلى إبراهيم ان ياتي مكة ، وليس يومئذ بمكة بيت فـذهب بها إلى مكة وابنهـا فـوضـعـهما ، ووكلهما إلى الله . قـال ابن عباس : إن أول من سعى بين الصفا والمروة لأم إسماعيل ، وإن أول من أحـدث من نسـاء العـرب جـر الذيول لأم إسماعـيل ، فإنها لما فـرت من سـارة أرخت ذيلهـا لتعفي أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى إلى موضع الـبيت ثم رجع وقـال : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيـتك المحرم . . ﴾ الآية .

وقـال ابن عـباس : وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة ، قال : ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء ، فـقـالوا : مـا لزمته إلا وفيه ماء ، فجاؤوا إلى هاجر، فـقـالوا : لو شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك ، قالت : نعم ! فكانوا معها حتى شب إسماعـيل ومـاتت هاجـر ، فتزوج إسماعيل امرأة من جرهـم ، قال : فأستأذن إبراهيم سـارة أن يأتي هاجـر ، فأذنت له ، وشرطت عليـه ألا ينزل ، وقدم إبراهيم إلى بيت إسماعـيل ، فـقـال لأمرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيد، فقال إبراهيم: هل عندك ضيـافـة ؟ قالت : ليس عندي وما عندي أحد ، قال إبراهيم إذا جـاء زوجك فأقـرئيـه السـلام ، وقـولي له : فليغير عتبة بابه ، وذهب إبراهيم وجـاء إسماعيل ، فوجد ريح أبيه ، فقال لأمرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت: جاءني شـيخ صـفـتـه كـذا وكذا كالمستخفة بشأنه ـ قال : فما قال لك : قالت : قال لي : اقـرئي زوجك السـلام ، وقـولي له : فليـغير عتبة بابة ، فطلقها وتزوج أخرى ، ثم استأذن إبراهيم سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنت له فجاء إلى باب إسماعيل ، فقال لأمـرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ! قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو تمر ؟ قـال : فـجـاءته باللبن واللحم ، فـدعا لهما بالبركة ، وقال : إذا جاء زوجك فأقـرئيـه السـلام ، وقـولي له : قـد استقامت عتبة بابك . فلما جاء إسماعيل أخبرته بذلك ، قـال ذلك أبي ، فلبث إبراهيم مـا شاء الله أن يلبث وأمره الله ببناء البيت فـبناه هو وإسماعـيل وقالا : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ . قال ابن عـبـاس : في قوله تعالى ﴿ وأذن في الناس بالحج ﴾ قال : قام إبراهيم عليه السلام على الحـجـر فنادى : يا أيها الناس ، كـتب عليكم الحج ، فأسـمع من في أصلاب

الرجـال وأرحـام النسـاء ، فأجـابه من آمن : لبـيك اللهم لبـيك! . قال عبدالله بن عـمـرو عـن الـنبي صلى الله عليـه وسلم : ثم أتي جبرئيل إبراهيم وعلمـه مناسك الحج. ثم أوحى الله عـز وجل إلى نبـيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أن اتبع ملة إبراهيم حنيـفاً وما كان من المشركين ﴾ .

واختـلف السلف من علماء أمـة الإسـلام في الذي أمـر إبراهيم بذبحـه من ابنيـه ، فقال بعضهم : هو إسحاق ، وقال آخرون : هو إسماعيل ، وقد روي عن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم كـلا القـولين ، غير أن الدليل من القرآن على صحة الـروايـة الـتي رويت عنه أنه قـال : (هو إسـحـاق) أوضح وأبين منه على صـحـة الأخـرى ، فـعن العـبـاس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكـر فـيه : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قال : (هو إسحاق) وأما الدلالة من القرآن ، فـقـوله تعالى مخبراً عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومه مهاجراً إلى ربه إلى الشام مـع زوجـتـه سـارة ، فـقـال : ﴿ إني ذاهـب إلى ربي سيـهـدين . رب هب لي من الصـالحين ﴾ وذلك قـبل أن يعـرف هاجـر ، ثم أتبع ذلك ربنا عز وجل عن اجابته دعـاءه ، وتبشيره إياه بغلام حليم ، ثم عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ مـعه السعي ، ولا يعلم في كتاب ذكر لتبشير إبراهيم بولد ذكر إلا بإسحاق ، وذلك قـوله : ﴿ وامـرأته قـائمـة فـضـحكت فـبشرناها بإسـحـاق ومن وراء إسحاق يعـقـوب ﴾ وقـوله : ﴿ فأوجس منهم خـيـفـة قـالوا لا تخف وبشروه بغـلام عليم . فـاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ فإنما ذكر تبشير الله إياه من زوجـتـه سـارة ، فـالواجب أن يكون ذلك في قـوله : ﴿ فـبشرناه بغلام حليم ﴾ نظير مـا في سـائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة . والله أعلم .

ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم وابنه الذي أمر بذبحه والسبب الذي من أجله كان ذلك

ذكـر أنه عندمـا فارق إبراهيم قومه هارباً بدينه مهاجراً إلى ربه ، دعا الله أن يهب له ولداً ذكـراً صـالحـاً من سـارة فـقال : ﴿ رب هب لي من الصالحين ﴾ يعني ولـداً صـالحـاً من الصـالحين ، ﴿ وقـال اني ذاهب إلى ربي سيـهـدين ﴾ فلما نزل به أضـيـافـه من الملائكة الذين كـانوا أرسلوا إلى المؤتفكة قوم لوط بشروه بغلام حليم من

أمر الله تعالى إياهم بتبشيره ، فقال إبراهيم : هو إذا لله ذبيح . قال ابن عباس : فلما كبر إسحاق أتي إبراهيم في النوم فقيل له : أوف بنذرك الذي نذرت ، فقال لإسحاق: انطلق فقرب قرباناً إلى الله ، وأخذ سكيناً وحبلاً ، ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال قال له الغلام : يا أبت ، أين قربانك ؟ قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى . قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، قال له إسحاق : أشدد رباطي حتى لا أضطرب ، وأكفف عن ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه أمي فتحزن ، وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي ، وإذا أتيت أمي فأقرأ عليها السلام . فأقبل عليه إبراهيم عليه السلام يقبله وقد ربطه وهو يبكي ، وإسحاق يبكي ، حتى استنقع الدموع تحت خد إسحاق ، ثم إنه جر السكين على حلقه فلم يحك السكين، وضرب الله عز وجل صفيحة من النحاس على حلق إسحاق ، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه ، وحز في قفاه . قال تعالى : ﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾ يقول: سلما لله الأمر ، فنودي : يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا بالحق . التفت ، فإذا بكبش ، فأخذه وخلى عن ابنه ، فأكب على ابنه وهو يقول : يا بني اليوم وهبت لي ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ . فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر ، فجزعت وقالت: يا إبراهيم أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني ! .

وكان ممن امتحن الله به إبراهيم عليه السلام وابتلاه به ـ بعد ابتلاءه إياه بما كان من أمره وأمر نمرود ، ومحاولته احراقه بالنار وابتلائه بما كان من أمره إياه بذبح ابنه ، بعد أن بلغ معه السعي ورجا نفعه ومعونته على ما يقربه من ربه عز وجل ورفعه القواعد من البيت ، ونسكه المناسك ـ ابتلاؤه جل جلاله بالكلمات التي أخبر الله عنه أنه ابتلاه بهن، فقال: ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ قال ابن عباس : ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم عليه السلام ، ابتلي بالإسلام فأتمه ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ فذكر عشراً في براءة ﴿ التائبون العابدون الحامدون . . . . ﴾ وعشراً في الأحزاب : ﴿ إن المسلمين والمسلمات . . . ﴾ وعشراً في سورة المؤمنين إلى قوله تعالى : ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ وعشراً في سأل سائل : ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾. وروي عنه (ابن عباس) أنه قال : ابتلاه الله عز وجل بالطهارة :

خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ، في الرأس قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق والسواك وفرق الرأس . وفي الجسد ، تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الابط ، وغسل أثر الغائط والبول بالماء . وقال مجاهد : ابتلى إبراهيم بالآيات التي بعد قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ والآيات التي بعدها : ﴿ إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ .

وقال آخرون : هي مناسك الحج ، وقال الحسن : إن الله ابتلاه (إبراهيم) بأمر فصبر عليه ، ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فأحسن في ذلك ، وعرف أن ربه دائم لا يزول ، فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين ، وابتلاه بالهجر فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله تعالى ، ثم ابتلاه بالنار فصبر على ذلك ، وابتلاه بذبح ابنه وبالختان فصبر . فلما عرف الله تعالى من إبراهيم الصبر على كل ما ابتلاه به ، اتخذه خليلاً ، وجعله لمن بعده من خلقه إماماً ، واصطفاه إلى خلقه رسولاً ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب والرسالة ، وخصهم بالكتب المنزلة ، والحكم البالغة ، وجعل منهم الأعلام والقادة والرؤساء والسادة ، وأبقى لهم ذكراً في الآخرين .

أما مصير نمرود ، فقد حدث ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : حلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفرخ من فراخ النسور ، فرباهن باللحم والخمر ، حتى إذا كبرن وغلظن واستعجلن قرنهن بتابوت ، وقعد في ذلك التابوت ، فطرن به ، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ، ثم نظر فرأى الأرض محيطاً بها بحر كأنها فلكة في ماء ، ثم رفع طويلاً فوقع في ظلمة ، فلم ير ما فوقه وما تحته ، ثم انقضت النسر إلى تحت ، فلما نظرت الجبال إليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال ، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ فلما رأى نمرود أنه لا يطيق شيئاً أخذ في بناء الصرح ، فبنى حتى إذا أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر ـ بزعمه ـ إلى إله إبراهيم، فأخذ الله بنيانه من القواعد : ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ .

أما ما كان من أمر لوط وقومه، فقد ذكر أن إبراهيم عليه السلام نزل فلسطين، وأنزل ابن اخيه لوطاً في الأردن، وأن الله تعالى أرسل لوطاً إلى أهل سدوم ، وكانوا أهل كفر بالله وركوب فاحشة ، كما أخبر الله عن قوم لوط: ﴿إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها أحد من العالمين . أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾ . قال ابن زيد ﴿وتقطعون السبيل﴾ قال: السبيل طريق المسافر إذا مر بهم ، وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث . وأما اتيانهم المنكر في ناديهم ، فقد قال بعضهم : كانوا يتضارطون في مجالسهم . وقال آخرون : كان بعضهم ينكح بعضاً فيها ، فكان لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم بأمر الله إياه عن الأمور التي كرهها الله تعالى لهم من قطع السبيل وركوب الفواحش واتيان الذكور في الأدبار ويتوعدهم ـ على إصرارهم على ما كانوا مقيمين من ذلك وتركهم التوبة منه ـ العذاب الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعيده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتواً واستعجالاً لعذاب الله ، فيقولون له : ﴿ ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ حتى سأل لوط ربه عز وجل النصرة عليهم ، فبعث الله عليهم جبرئيل عليه السلام وملكين آخرين معه . قال النبي صلى الله عليه وسلم : أقبلت الملائكة تمشي في صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه ، فكان من أمرهم وأمر إبراهيم ما قد مضى ذكره . فلما ذهب عن إبراهيم الروع جاءته البشرى ، وأطلعته الرسل على ما جاؤوا له ، وأن الله أرسلهم لهلاك قوم لوط جادلهم إبراهيم وحاججهم في ذلك كما أخبر الله تعالى : ﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ﴾ . قال قتادة : بلغنا أنه قال للرسل : ﴿ إن فيها لوطاً ﴾ اشفاقاً منه عليه ، فقالت الرسل: ﴿ نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾.

وقال ابن عباس ، عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سدوم ، لقوا ابنة لوط تستقي الماء لأهلها ، فقالوا لها : يا جارية هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فمكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ، فرقت عليهم من قومها ، فأتت أباها فقالت : يا أبتاه ، أرادك فتيان على باب المدينة ، ما رأيت وجوه قوم

هي أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم ، فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت : إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثلهم ومثل وجوههم حسناً قط ، فجاء قومه يهرعون إليه . قال أبو جعفر : فلما أتوه قال لهم لوط : يا قوم اتقوا الله ﴿ ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد ﴾ هؤلاء بناتي هن أطهر لكم مما تريدون . فقالوا له : أو لم ننهك أن تضيف الرجال ! لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ! فلما لم يقبلوا منه شيئاً مما عرضه عليهم قال : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ . فلما يئس لوط من اجابتهم إياه إلى شيء مما دعاهم إليه وضاق ذرعاً ، قالت الرسل له حينئذ : ﴿ يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم ﴾. قال سعيد: فقال لهم لوط : أهلكوهم الساعة ، فقال جبرئيل عليه السلام : ﴿ إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾. قال ابن عباس: فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه إلا امرأته ، وذلك قوله تعالى: ﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ .

قال مجاهد: فلما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ففتقها من أركانه، ثم أدخل جناحيه تحت الأرض السفلى ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، وأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها، ثم قلبها ، فذلك قوله تعالى: ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾. قال قتادة: وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف آلف. قال ابن إسحاق: وكن خمس قريات: صبعة ،وصعرة ،وعمرة ،ودوما ، وسدوم وهي القرية العظمى .

ذكر وفاة سارة بنت هاران ، وهاجر أم إسماعيل
وذكر أزواج إبراهيم عليه السلام وولده

أما سارة ، فقد ذكر أهل العلم، أنها ماتت بالشام ، وقيل إنها ماتت بقرية الجبابرة من أرض كنعان في حبرون، قال ابن إسحاق: تزوج إبراهيم بعدها ، قطوراً بنت يقطن ،امرأة من الكنعانيين ،فولدت له ستة نفر: يقسان ،وزمران ، ومديان ، ويسبق ،وسوح ، وبشر أبناء إبراهيم ، فكان جميع بني إبراهيم ثمانية بإسماعيل وإسحاق. قال: فنكح يقسان بن إبراهيم رعوة بنت زمر بن يقطن

فولدت له البربر. وولد زمران بن إبراهيم المزامير الذين لا يعقلون. وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب النبي. قال بعضهم: تزوج إبراهيم بعد سارة امرأتين من العرب، إحداهما قنطوراً بنت يقطان، فولدت له ستة بنين، وهم الذين ذكرنا، والأخرى منهما حجور بنت آرهير، فولدت له خمسة بنين: كيسان، وشورخ، وأميم، ولوطان، ونافس.

ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام

قال السدي: كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس، ويضيفهم، فبينما هو يطعم الناس إذا هو بشيخ كبير يمشي في الحرة، فبعث إليه بحمار، فركبه حتى إذا أتاه أطعمه، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه، فيدخلها عينه وأذنه ثم يدخلها فاه، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره. وكان إبراهيم قد سأل ربه عز وجل ألا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت، فقال للشيخ حين رأى من حاله ما رأى: ما بالك يا شيخ تصنع هذا؟ قال: يا إبراهيم، الكبر، قال: ابن كم أنت؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين، فقال إبراهيم: إنما بيني وبينك سنتان، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك! قال: نعم، قال إبراهيم: اللهم اقبضني إليك قبل ذلك، فقام الشيخ فقبض روحه، وكان ملك الموت. قالوا: وكان موته وهو ابن مائتي سنة، وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة، ودفن عند قبر سارة في حبرون. وكان مما أنزل الله عليه من الصحف عشر صحائف.

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام

ذكرنا إنه لما كبر إسماعيل تزوج امرأة من جرهم، فكان من أمرها ما تقدم ذكره، ثم طلقها بأمر أبيه إبراهيم، وتزوج أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي. قال ابن إسحاق: وولد له منها اثنا عشر رجلا: نابت، وقيدر، وأدبيل، ومبشا، ومسمع، ودما، وماس، وآدد، ووطور، ونفيس، وطما، وقيدمان. وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة، ومن نابت وقيدر نشر الله العرب، وقيل إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته من العيص بن إسحاق، ودفن في الحجر عند قبر أمه هاجر.

ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده

قال ابن إسحاق : نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس ، فولدت له عيص بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق ، يزعمون أنهما كانا توءمين وأن عيصاً كان أكبرهما . ثم نكح عيص بن إسحاق ابنة عمه بسمة ابنة إسماعيل ، فولدت له الروم بن عيص ، كل بني الأصفر من ولده . قال : ونكح يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ ابنة خاله ليا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس ، فولدت له روبيل ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، وزبالون ، ويسحر ، ودينة . ثم توفيت ليا بنت لبان فخلف يعقوب على أختها راحيل ، فولدت له يوسف ، وبنيامين ، وولد له من سريتين ، اسم إحداهما زلفة ، واسم الأخرى بلهة ، أربعة نفر : دان ، ونفثالي ، وجاد ، وأشر ، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً .

ذكر أيوب عليه السلام

قال ابن إسحاق : هو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم . وقيل إن زوجته التي أمر بضربها بالضغث ، هي ليا ابنة يعقوب بن إسحاق، وقيل إنها رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب. قال وهب بن منبه: إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه ،فأدركه الحسد، فسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه ، فسلطه الله على ماله، وكان لأيوب البثينة من الشام كلها بما فيها بين شرقها وغربها، وكان بها ألف شاة برعاتها ،وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد ،لكل عبد امرأة وولد ومال ، فأرسل إبليس عفاريت الشياطين وعظماءهم ، فأهلكوا ماله كله، وأيوب يحمد الله ويشكره على ما أصابه وعلى ما أعطاه ،فلما رأى ذلك إبليس، سأل الله أن يسلطه على ولده ، فسلطه عليهم ،فأهلك كل ولده ،ولم يثن أيوب عليه السلام ما حل به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه،والصبر على ما ناله ، ثم سأل الله عز وجل إبليس أن يسلطه على جسده، فجاءه وهو ساجد، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده ، فصار من جملة أمره إلى أن أنتن جسده ، فأخرجه أهل القرية إلى كناسة خارج القرية لا يقربه أحد إلا زوجته. وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه ويلزمه، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه ، فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه

واتهموه من غير أن يتركوا دينه. فلما رأى أيوب ذلك أقبل على ربه يستغيثه ويتضرع إليه، فرحمه ربه ورفع عنه البلاء، ورد عليه أهله وماله، وقال له: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فاغتسل به فعاد كهيئته قبل البلاء في الحسن والجمال.

قال الحسن: مكث أيوب عليه السلام مطروحاً على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً، وذكر أن عمره كان ثلاثاً وسبعين سنة، وإنه أوصى عند موته إلى ابنه حومل، وإن الله عز وجل بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً، وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء إلى توحيده، وإنه كان مقيماً بالشام عمره حتى مات، وكان عمره خمساً وسبعين سنة، وإن بشراً أوصى إلى ابنه عبدان، وأن الله عز وجل بعث بعده شعيب بن صيفون بن عينا بن نابت بن مدين بن إبراهيم إلى أهل مدين، وقد اختلف في نسبه، فكان ابن إسحاق يقول: هو شعيب بن ميكائيل من ولد مدين. وقال بعضهم هو ابن بنت لوط عليه السلام.

ذكر خبر شعيب عليه السلام

قال سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ قال: كان أعمى. وقال سفيان: وكان يقال له خطيب الأنبياء، وإن الله تبارك وتعالى بعثه نبياً إلى أهل مدين، وهم أصحاب الأيكة، وكانوا أهل كفر بالله وبخس للناس في المكاييل والموازين وإفساد لأموالهم، وكان الله قد وسع عليهم في الرزق، وبسط لهم في العيش، فقال لهم شعيب عليه السلام: ﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾.

قال ابن عباس: ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ بعث الله وبدة وحراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت، فدخل عليهم الحر، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية فبعث الله عز وجل سحابة، فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً: ﴿إنه كان عذاب يوم عظيم﴾. وقال وهب بن منبه: بعث الله عز وجل إليهم ظلة من سحاب، وبعث الله إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة، حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة، وأحمى عليهم الشمس، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى.

ذكر يعقوب وأولاده

ذكروا والله أعلم ، أن إسحاق بن إبراهيم عاش بعدما ولد له العيص ويعقوب مائة سنة ، ثم توفي وله مائة وستون سنة فقبره أبناه : العيص ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم في حبرون ، وكان عمر يعقوب بن إسحاق كله مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وكان ابنه يوسف قد قسم له ولأمه من الحسن ما لم يقسم لكثير من أحد من الناس . قال أبو جعفر : فلما رأت إخوة يوسف شدة حب والدهم يعقوب إياه في صباه وطفولته وقلة صبره عنه حسدوه على مكانه منه ، وقال بعضهم لبعض : ﴿ ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة ﴾ يعنون بالعصبة الجماعة ، وكانوا عشرة : ﴿ إن أبانا لفي ضلال مبين ﴾ . قال السدي : أرسل يعقوب ولده يوسف مع إخوته ، ليسعى وينشط ويلعب ، فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربة ، فجعل لا يرى منهم رحيماً ، فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، قال يهوذا : أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه ! فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه ، فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفيرها فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت ، فكان في البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ، فلما ألقوه في الجب جعل يبكي ، فنادوه ، فظن أنها رحمة أدركتهم ، فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه ، فقام يهوذا ، فمنعهم ، وكان (يهوذا) يأتيه بالطعام .

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا ﴾ قال : أوحى إلى يوسف وهو في الجب أن ينبئهم بما صنعوا به ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ بذلك الوحي. وقد أخبر الله تعالى عن إخوة يوسف ومجيئهم إلى أبيه عشاءً يبكون ، يذكرون له أن يوسف أكله الذئب ، وقول والدهم : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ﴾ وأخبر الله عن مجيء السيارة ، وارسالهم واردهم ، واخراج الوارد يوسف واعلامه أصحابه به بقوله : ﴿ يا بشراي هذا غلام ﴾ يبشرهم . قال قتادة : تباشروا حين أخرجوه ، وقال السدي : بل كان اسم صاحبه بشرى . ثم أخبر الله تعالى كيف اشتروه من إخوته ﴿ بثمن بخس دراهم معدودة ﴾ وقيل إنهم باعوه بعشرين درهماً ، وقيل بأربعين درهماً ، وقيل باثنين وعشرين درهماً .

قال ابن عباس : وأما الذي اشتراه بمصر وقال : ﴿ لأمرأته أكرمي مثواه ﴾ كان قطفير ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ ، الريان بن الوليد ، وقد قال بعضهم : إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه، ثم مات ويوسف بعد حي . وذكر بعض أهل التوراة : أن الذي كان من أمر يوسف وإخوته والمصير به إلى مصر ، وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ ، وإنه أقام في منزل العزيز الذي اشتراه ثلاث عشرة سنة ، وإنه لما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر ، الوليد بن الريان ، وإنه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين وأوصى إلى أخيه يهوذا ، وإنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة ، وإن مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وإن يعقوب أوصى إلى يوسف عليه السلام .

وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنساناً من أهله . قال ابن إسحاق . فلما اشترى اطفير يوسف قال لأهله : ﴿ أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا ﴾ أي يساعدنا أو ﴿ نتخذه ولداً ﴾ لأنه كان لا يأتي النساء ، وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا ، فلما خلا من عمر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله الحكم والعلم . و ﴿ راودته ﴾ حين بلغ من السن أشده ﴿ التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ ـ وهي راعيل امرأة العزيز ﴿ وغلقت الأبواب ﴾ وجعلت تشوقه إلى نفسها. قال السدي في قوله تعالى: ﴿ ولقد همت به وهم بها ﴾ قال: قالت له يا يوسف: ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما ينتثر من جسدي. قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك ! قال: هي أول ما يسيل إلى الأرض من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن وجهك! قال: هو للتراب يأكله، فلم تزل حتى أطمعته فهمت به وهم بها ، فدخلا البيت وغلقت الأبواب ، وذهب ليحل سراويله فإذا هو بصورة يعقوب قائماً في البيت قد عض على اصبعه ، فربط سراويله وذهب ليخرج يشتد ، فأدركته فأخذت بمؤخرة قميصه من خلفه فخرقته حى آخرجته منه ، وسقط وطرحه يوسف ، واشتد نحو الباب ، والفى يوسف وراعيل سيدها ـ وهو زوجها اطفير ـ جالساً عند الباب مع ابن عم لراعيل . قال السدي: فلما رأته قالت: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب اليم﴾ إنه راودني عن نفسي ، فدفعته. قال يوسف : بل هي راودتني عن نفسي ، فأبيت وفررت منها ، فأدركتني

فشقت قميصي . فقال ابن عمها : تبيان هذا في القميص ، فإن كان القميص ﴿ قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ وإن كان القميص ﴿ قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ فاتى بالقميص ، فوجده قد قد من دبر ، قال : ﴿ إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم. يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾ .

وقال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : (تكلم أربعة وهم صغار) فذكر فيهم شاهد يوسف . وقال مجاهد في قوله تعالى : (وشهد شاهد من أهلها) قال : قميصه مشقوق من دبره فتلك الشهادة . وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر : ﴿ قد شغفها حباً ﴾ . قال السدي : فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن ، أرسلت إليهن واعتدت لهن متكأ يتكئن عليه ، فقدمت إليهن طعاماً وشراباً وأترجاً ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً تقطع به الأترج ، ثم قالت ليوسف ﴿اخرج عليهن﴾ فلما رأينه أجللنه وأكبرنه وأعظمنه وقطعن أيديهن بالسكاكين التي في أيديهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن بها الأترج وقلن : معاذ الله ما هذا انس ، ﴿ إن هذا إلا ملك كريم ﴾ عند ذلك أقرت لهن امرأة العزيز ما كان من مراودتها إياه على نفسها ، فقالت : ﴿ فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ ، ثم قالت لهن : ﴿ ولئن لم يفعل ما آمره ﴾ من إتيانها ﴿ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ فاختار السجن على الزنا ومعصية ربه ، فقال : ﴿رب السجن أحب الي مما يدعونني إليه﴾ واستغاث بربه فقال : ﴿ وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ فأستجاب الله له . قال عكرمة : سجن سبع سنين ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ من فتيان الملك ، إحداهما كان صاحب طعامه والآخر كان صاحب شرابه .

وقال السدي : فلما دخل يوسف السجن ، قال له الخباز : ﴿ إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ﴾ وقال الآخر : ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾ ، ﴿ نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴾ فقال لهما يوسف : ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه ﴾ في يومكما هذا ﴿ إلا نبأتكما بتأويله ﴾ في اليقظة . فكره عليه السلام أن يعبر لهما ما سألاه عنه ، وأخذ في غير الذي سألا عنه لما في عبارة ما سألا عنه من المكروه فقال : ﴿ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ ثم قال

: ﴿ أمـا أحـدكـما فـيسقي ربه خمراً ﴾ وهو الذي ذكر أنه كأنه يعصر خمراً ﴿ وأما الآخـر فـيصلب فتأكل الطير من رأسه ﴾ فقالا : ما رأينا شيئاً . قال علقمة : إنما كـانا تحـالما ليـختبراه ، ثم قال : ﴿ قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ ثم قال للذي ظـن أنـه ناج منهما : ﴿ اذكـرني عند ربك ﴾ يعني عند الملك ، وأخبره إني محبـوس ظلماً ، ﴿ فأنسـاه الشيطان ذكر ربه ﴾ . قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لو لم يقل يوسف الكلمـة التي قـال ـ مـا لبث في السـجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل) .

وقـال الـسـدي : ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالتـه : ﴿ سـبع بقـرات سمان يأكلهن سـبع عـجـاف وسـبع سنبـلات خضر وآخـر يابسـات ﴾ فـجمع السحرة ، والكهنة فـقـصـهـا عليـهم ، فـقـالوا : ﴿ أضـغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعـالمين. وقال الذي نجا منهما ﴾ من الفتيين الذي خرج من السجن (واذّكـر) حاجة يـوسف (بعـد أمـة) يعني بعـد نسـيـان : ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ﴾ يقـول : فأطلقـون . فأرسلوه فأتى يوسف فـقـال : ﴿ أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سـبع عـجـاف وسـبع سنبـلات خضر وآخر يابسات ﴾ قال قتادة : فالسمان المخـاصيب ، والبـقـرات العـجـاف هن السنون المحول الجدوب . أما الخضر فهن السنون المخـاصيب ، واما اليابسات فهن الجدوب المحول . فلما أخبر يوسف بتأويل ذلـك ، علم الملك أن الذي قـال يوسف من ذلك حق قـال : ائتـوني به ، فلما أتاه الرسـول ودعـاه إلى الملك أبى يوسف الخـروج مـعه وقال : ﴿ ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم﴾ .

قـال السـدي : فلما رجع الرسـول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسـوة فـقـال لهن : ﴿ مـا خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفـسـه قلن حـاش الله ما علمنا عليـه من بسـوء ﴾ ولكن امـرأة العـزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفـسـه ، ودخل مـعـها البيت فقالت امرأة العزيز : ﴿ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه من الصـادقين ﴾ قـال يوسف : ﴿ ذلك ليـعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كـيـد الخـائنين ﴾ ثم قـال : ﴿ وما ابرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ يقصد أنه هم بها .

فلما تبين للملك عـذر يوسف وأمـانتـه قـال : ﴿ ائتوني به استخلصه لنفسي﴾

فلما اتى به ﴿ كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ فقال يوسف : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض ﴾ على حفظ الطعام ﴿ إني حفيظ عليم﴾ فولاه الملك ذلك .
قال ابن إسحاق: فذكر لي أن اطفير هلك في تلك الليالي ، وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل ، وأنها حين دخلت عليه قال : أليس هذا خيراً مما كنت تريدين! قالت : لا تلمني ، فإني كنت امرأة ـ كما ترى ـ حسناء جميلة ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي على ما رأيت . فيزعمون أنه وجدها عذرا ، وأصابها فولدت له رجلين : افراييم ومنشا .

فلما ولي يوسف للملك خزائن مصر واستقر به القرار في عمله ، ومضت السنون السبع المخصبة التي كان يوسف آمر بترك ما في سنبل ما حصدوا من الزرع فيها فيه ، ودخلت السنون المجدبة وقحط الناس ، أجدبت بلاد فلسطين ولحق مكروه ذلك آل يعقوب في موضعهم . قال السدي : فبعث يعقوب بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، فقال لهم : ما أمركم ؟ قالوا : نحن قوم من أرض الشام جئنا نمتار طعاماً قال : كذبتم ، أنتم عيون ! قالوا : إنا إخوة بنو رجل صديق ، وإنا كنا اثني عشر ، وكان أبونا يحب أخاً لنا ، وإنه ذهب معنا إلى البرية فهلك فيها . قال : فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه . قال : ائتوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه : ﴿ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون . قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون ﴾ قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا شمعون. قال ابن إسحاق : كان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد أسى بينهم، فكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمل الواحد بعيرين ، ثم أمر يوسف بأن يوقر لكل رجل من إخوته بعيره ، فقال لهم : ائتوني بأخيكم من أبيكم لأحمل لكم بعيراً آخر ، فتزدادوا به حمل بعير : ﴿ ألا ترون إني أوف الكيل ﴾ فلا أبخسه أحداً ﴿ وأنا خير المنزلين ﴾ وأنا خير من أنزل ضيفاً على نفسه بهذه البلدة ، ﴿ فإن لم تأتوني ﴾ بأخيكم فلا طعام لكم عندي . وقال لفتيانه الذين يكيلون الطعام لهم : ﴿ اجعلوا بضاعتهم ﴾ ـ وهي ثمن الطعام الذي اشتروه به ـ في (رحالهم) وهم لا يعلمون .

قال السدي : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملك مصر أكرمنا كرامة ، لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتهن شمعون وقال: ائتوني بأخيكم هذا الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم الذي هلك ، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي . قال يعقوب : ﴿ هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾ . قال ابن جريج : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا: أرسل معنا أخانا ﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ فقال يعقوب: ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم﴾ إلا أن تهلكوا جميعاً فيكون ذلك عذراً عندي ، فلما وثقوا له بالأيمان قال يعقوب : ﴿ والله على ما نقول وكيل ﴾ ثم أوصاهم ألا تدخلوا من باب واحد خوفاً عليهم من العين ﴿ وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ قال قتادة : كانوا قد أوتوا صورة وجمالا، فخشي عليهم الحسد . قال السدي : ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ﴾ قال : عرف أخاه ، وأنزلهم منزلاً وأجرى عليهم الطعام والشراب ، فلما كان الليل قال لهم : لينم كل أخوين منكم على فراش ، فلما بقي الغلام وحده ؛ قال يوسف : هذا ينام معي ، فبات معه ، فلما خلا به قال له : ﴿ إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ﴾ .

فلما حمل يوسف إبل إخوته وقضى حاجتهم ، جعل الاناء الذي يكيل به الطعام ـ وهو الصواع ـ في رحل أخيه بنيامين ، والأخ لا يشعر ، فلما ارتحلوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير : ﴿ إنكم لسارقون ﴾ فقالوا : ﴿ تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ﴾ . قال السدي : ﴿ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين . قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه ﴾ تأخذونه ، فهو لكم . فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين ففتشها ثم استخرجها من وعاء أخيه لأنه آخر تفتيشه . قال تعالى : ﴿ ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾ يعني في حكم الملك ، ملك مصر ، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترق السارق بما سرق ، ولكنه أخذه بكيد الله حتى أسلمه رفقاؤه وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم . قال مجاهد : فقال إخوة يوسف حينئذ : ﴿ إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴾ يعنون بذلك يوسف ، وقد قيل أن يوسف كان قد سرق صنماً لجده أبي أمه ، فكسره ،

فعيروه بذلك . فأسر في نفسه يوسف حين سمع ذلك منهم فقال : ﴿ أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون ﴾ به أخا بنيامين من الكذب ، ولم يبد ذلك لهم قولاً .

ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين ، فصار بحكم إخوته أولى به منهم ، ورأوا أنه لا سبيل لهم إلى تخليصه ، قالوا : ﴿ يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين ﴾ فقال لهم يوسف : ﴿ معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون ﴾ أن نأخذ بريئاً بسقيم ! . فلما يئس إخوة يوسف من اجابة يوسف إياهم الى ما سألوا من اطلاق أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه ، قال كبيرهم : ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله أن نأتيه بأخينا بنيامين إلا أن يحاط بنا أجمعين! ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف ﴿ فلن أبرح الأرض ﴾ التي أنا بها ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ في الخروج منها ﴿ أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ﴾ ﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق ﴾ فأسلمناه بجريرته ، ﴿ وما شهدنا إلا بما علمنا ﴾ لأن صواع الملك لم يوجد إلا في رحله ، ﴿ وما كنا للغيب حافظين ﴾ يعنون بذلك أنا إنما ضمنا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه سبيل ، ولم نكن نعلم أنه يسرق فيسترق بسرقته . واسأل أهل القرية التي كنا فيها ، والقافلة التي كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك ، فإنك تخبر بحقيقة ذلك .

فلما رجعوا إلى أبيهم فاخبروه بذلك ، قال لهم : بل سولت لكم أنفسكم أمراً أردتموه ، فصبر جميل ، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً ، ثم أعرض عنهم وقال : ﴿ يا أسفا على يوسف ﴾ قال تعالى : ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ مملوء من الحزن والغيظ . فقال له بنوه : تالله لا تزال تذكر يوسف ، حتى تكون مخبول العقل هرماً بالياً أو تموت ، فقال لهم يعقوب : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لا إليكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف ، إن تأويلها كائن، وإني وأنتم سنسجد له ، ثم أمرهم بالرجوع إلى مصر وتحسس الخبر عن يوسف وأخيه ، فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له : ﴿ أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ﴾ فقال لهم يوسف : ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ﴾ ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ، ولكن التفريق بينه

وبين أخيه . فلما قال لهم يوسف ذلك ، قالوا له : ها أنت يوسف ! قال : ﴿ أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ﴾ بأن جمع بيننا بعد تفريقكم بيننا ، ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ قالوا : ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾ قال لهم يوسف : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ . ثم سألهم عن أبيه فقالوا : لما فاته بنيامين عمي من الحزن فقال: ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً واتوني بأهلكم أجمعين. ولما فصلت العير ﴾ قال يعقوب : ﴿ إني لأجد ريح يوسف ﴾ قال ابن عباس : هاجت ريح فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال . قال ابن جريج : كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخاً ، وقد كان فارقه قبل ذلك سبعاً وسبعين سنة . ثم إنه قال (يعقوب) : ﴿ لولا أن تفندون ﴾ لولا أن تسفهوني فتنسبوني إلى الهرم وذهاب العقل . فقال من حضره من ولده: تالله إنك من ذكر يوسف وحبه ﴿ لفي ضلالك القديم﴾ يعنون في خطئك القديم . ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ قال يعقوب لأولاده : ﴿ ألم اقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ فقالوا: ﴿ يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ﴾ فقال لهم يعقوب: ﴿ سوف أستغفر لكم ربي ﴾. قيل إنه آخر الدعاء إلى السحر ، وقيل : حتى تأتي ليلة الجمعة.

فلما القي القميص على وجه يعقوب ارتد بصيراً . قال السدي : وحملوا إليه أهليهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه فخرج هو والملك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر قال : ﴿ ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ورفعهما على السرير وأجلسهما عليه . قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وخروا له سجداً ﴾ قال : كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض ، وقال يوسف لأبيه : ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ﴾ . قال الحسن : القي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام

قال أبو جعفر : كان الخضر ممن كان في أيام الملك بن أثفيان في قول عامة

أهل الكتاب الأوّل ، وقبل موسى بن عمران عليه السلام ، وزعم بعضهم أنه من ولد من كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن ، وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها . وقال : اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ، وقال ابن إسحاق : هو اورميا بن خلقيا . وكان من سبط هارون بن عمران . قال أبو جعفر : وإنما قلنا قول من قال : كان الخضر قبل موسى بن عمران أشبه من الحق من القول الذي قاله ابن إسحاق للخبر الذي رواه أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقيل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه ، فقال: بل الخضر ، عبد لي عند مجمع البحرين ، فقال يا رب كيف به ؟ قال تأخذ حوتاً فتجعله في مكتل ، فحيث تفقده فهو هناك . فانطلقا (الخضر وفتاه) يمشيان على ساحل البحر ، حتى آتيا صخرة ، فرقد موسى فاضطرب الحوت في المكتل ، فخرج فوقع في البحر ، فأمسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق ، فصار للحوت سرباً ، وكان لهما عجباً . ثم انطلقا ، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : ﴿ آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ﴾ فقال : ﴿ أرأيت إذا آوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً ﴾ فقال : ﴿ ذلك ما كنا نبغ فارتد على آثارهما قصصاً ﴾ . قال : يقصان آثارهما . قال : فآتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم ، فسلم عليه موسى وقال: أنا موسى ، قال : موسى بن إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : يا موسى ، إني على علم من علم الله ، علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، قال : فإني أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً . ﴿ قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ . فانطلقا يمشيان على الساحل ، فإذا بملاح في سفينة ، فعرف الخضر فحمله بغير نول ، فبينما هم في السفينة لم يفجأ موسى إلا وهو يتد وتداً أو ينزع تختاً منها ، فقال له موسى : حملنا بغير نول وتخرقها لتغرق أهلها ! ﴿ لقد جئت شيئاً إمراً . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا . قال لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ . ثم خرجا فانطلقا يمشيان ، فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ برأسه فقتله ، فقال له موسى : ﴿ اقتلت نفساً زاكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكر . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي

صبرا . قـال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ﴾ . فـانطلقـا حـتى إذا أتيـا أهل قـرية اسـتطعما أهلهـا ، فلم يجدا أحـداً يطعـمـهم ولا يسـقـيـهم، فـوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه بيده ، فقال له موسى : ﴿ لو شئت لأتخذت عليـه أجـراً ﴾ ﴿ قـال هذا فراق بيني وبينك ﴾ . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا قصصهم) .

قـال ابن عباس : فكان قول موسى في الجدار لنفسه ولطلب شيء من الدنيا ، وكـان قـوله في السـفـينة وفي الغـلام لله عـز وجل ثم ذكـر بقـية القصة كما جاءت في كـتـاب الله ﴿ أمـا الـسـفـيـنـة فـكـانت لمساكين. . ﴾ ﴿ وأمـا الغـلام. . ﴾ ﴿وأمـا الجـدار. . ﴾ . قـيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان مـعه ! فقال : شرب الفتى من ماء الخلد فخلد ، فأخذه العالم فطابق به سفينة ، ثم أرسله في البـحر ، فإنها تموج به إلى يوم القيامة .

منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه

ثم ملك بعـد أفـريدون بن أثفـيـان بركـاو منوشـهـر ، وهو من ولد ايرج بن أفـريدون ، ولد بدنبـاوند ، ويقـول بعـضـهم بل كان مولده بالري . قال هشام بن محـمـد : ملك منوشـهـر مـائة وعشرين سنة ، ثم إنه وثب به ابن لابن طوج التركي عـلى رأس ثمانـين سـنـة ، فـنـفـاه عـن بلاد العـراق اثنتي عشرة سنة ، ثم أديل منه منوشـهـر ، فنفـاه عن بلاده ، وعـاد إلى ملكه وملك بعد ذلك ثمانياً وعشرين سنة . وكـان منوشـهـر يوصف بالعـدل والإحـسـان ، وهو أول من خندق الخنادق ، وجمع آلة الحـرب وأول من وضع الدهقنة فـجعل لكل قرية دهقاناً ، وجعل أهلها له حولاً وعـبـيداً وألبسهم لباس المذلة ، وأمرهم بطاعته . ويقال إن موسى عليه السلام ظهر في سنة ستين من ملكه .

ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان في عهده وعهد منوشهر بن منشخورنر الملك من الأحداث

قـال ابن إسـحـاق : إن لاوي بن يعـقـوب نكح نابتة ابنة ماري بن يشخر ، فـولدت له قـاهث ، فنكح قـاهث بن لاوي ناهي ابنة مسين بن بتويل بن إلياس ،

فـولدت له يصهر ، فنكح يصهر شميت ابنة بتاديت بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم فـولدت له عـمران وقارون ، فنكح عمران يحيب ابنة شمويل بن بركيا ، فولدت له هارون ومـوسى . قـال : ولما تقـارب زمـان مـوسى أتى منجـمو فرعون مصر ، وهو الوليـد بن مـصـعب ، إليـه فـقالوا : إنا نجد في علمنا أن مولداً من بني إسرائيل قد أظلك زمـانه الذي يولد فيه، يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ،ويخرجك من أرضك ، ويبـدل دينك ، فأمـر الفـرعـون بقـتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان ، وأمر بالنساء يستحيين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن: لا يسـقطن على أيديكن غـلام من بني إسرائيل إلا قـتلتـمـوه ،فكن يفعلن ذلك، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان ،ويأمر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن ما في بطونهن. قـال السـدي : وقـد جـعل بني إسرائيل في الأعمال القـذرة فسامهم ﴿سوء العذاب﴾ يسـتـضعف طائفة منهم يذبح أبناءهـم . فدخل رؤوس القبط على فرعون ، فقالوا : إن هؤلاء القـوم قـد وقع فـيـهم الموت ، فـيوشك أن يقع العمل القذر على غلماننا ، فلو أنك تبـقى من أولادهم ! فأمـر أن يذبحـوا سنة ويتركـوا سنة . فلما كان في السنة التي لا يذبحـون فـيها ولد هارون فترك ، وفي السنة الثانية ولد موسى ، فخافت أمه عليـه ، فأوحى الله إليـهـا : ﴿ أن أرضـعـيـه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم﴾ وهو الـنيل ﴿ ولا تخافي ولا تحـزني إنا رادوه إليك وجـاعلوه من المرسلين ﴾ .

قـال السـدي : فلما وضـعـتـه أرضعته ، ثم دعت له نجاراً فجعل له تابوتاً . وجـعل مـفـتـاح التـابوت من داخل ، وجـعلته فيه والقته في اليم ، ﴿ وقالت لأخته قـصـيـه ﴾ تعني قصي أثره ﴿ فـبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ﴾ أنها أخته . فأقـبل الموج يرفـعـه مـرة ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون فـخـرج جـواري آسـيـة امـرأة فـرعـون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه إلى آسيه ، وظننن أن فـيـه مـالاً ، فلما نظرت إليـه آسـيـه وقـعت عليـه رحمتـهـا وأحبته . فلما أخبرت به فـرعـون أراد أن يذبحـه ، فلم تزل آسـيـه تكلمـه حتى تركه لها ، فذلك قـولـه تـعـالى : ﴿ فـالـتـقـطـه آل فـرعـون لـيكون لهم عـدواً وحـزناً ﴾. فأرادوا له المرضـعـات، فلم يأخـذ من أحـد من النسـاء ، فذاك قوله تعالى : ﴿ وحرمنا عليه المـراضع من قـبل ﴾ فـقـالت أخـتـه : ﴿ هل أدلكم على بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ﴾ فأخذوها فدلتهم على بيت أهلها .

ولما جاءت أمه أخذ منها ثديها فكادت أن تقول : هو ابني ! فعصمها الله ، فذلك قول الله : ﴿ إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون منالمؤمنين﴾ . وإنما سمي موسى لأنهم وجدوه في ماء وشجر ، والماء بالقبطية (مو) والشجر (شا) فذلك قول الله : ﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ . فاتخذه فرعون ولداً فدعي ابن فرعون . وبينما آسيه ترقصه إذ ناولته فرعون ، فلما أخذه إليه ، أخذ موسى بلحيته فنتفها ، فقال فرعون : عليَّ بالذباحين ، هذا هو ! قالت آسيه: ﴿ لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ﴾ .

وكبر موسى فكان يركب مراكب فرعون ، ويلبس مثل ما يلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون . ثم إن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف ، فدخلها نصف النهار ، وقد تغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد ، وهو قول الله تعالى : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ﴾ أي من بني اسرائيل ﴿ وهذا من عدوه ﴾ أي من القبط ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين . فأصبح في المدينة خائفاً يترقب ﴾ خائفاً أن يؤخذ ﴿ فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ﴾ أي يستغيثه ﴿ قال له موسى إنك لغوي مبين ﴾ . ثم أقبل موسى لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الاسرائيلي، قال الاسرائيلي ـ وفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ الكلام ـ يا موسى ﴿ أتريد أن تقتلني كما قتلت رجلاً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ . فتركه وذهب القبطي ، فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال : خذوه فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه في بنيات الطريق ، وأخذ موسى في بنيات الطريق وجاءه الرجل وأخبره ﴿ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين . فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾. فانطلق حتى وصل إلى مدين .

قال السدي : وصل موسى إلى مدين ﴿ فلما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ أي كثرة من الناس يسقون . ﴿ ووجد من دونهم امرأتين تذودان ﴾ أي تحبسان غنمهما ، فسألهما : ﴿ ما خطبكما قالتا لا نسقي حتي يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴾ فسقى لهما موسى دلواً فأروتا غنمهما ، فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعاً ، سألهما فأخبرتاه خبر موسى ، فأرسل إحداهما إليه فأتته ﴿ تمشي على استحياء ﴾ وهي تستحي منه ﴿ قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ فقام معها ، فلما أتى الشيخ ﴿ وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين. قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ قال له الشيخ : ﴿ إني اريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ﴾ إلى ﴿ أما الأجلين قضيت﴾ إما ثمانياً وإما عشراً ، ﴿ والله على ما نقول وكيل ﴾ . قال ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سألت جبرئيل : أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملها) . قال ابن عباس : رعى له عشر سنين .

قال السدي: ﴿ فلما قضى موسى الآجل وسار بأهله ﴾ ضل الطريق. قال ابن عباس: كان في الشتاء، ورفعت له نار، فلما ظن أنها نار ـ وكانت من نور الله ـ ﴿ قال لأهله امكثوا إني أنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر ﴾ فإن لم أجد خبراً آتيتكم منها بشهاب قبس ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ قال: من البرد ـ ﴿ فلما أتاها نودي من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ﴾. ﴿ أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾. ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى. قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ﴾ يقول أضرب بها الورق، فيقع للغنم من الشجر ﴿ ولي فيها مآرب أخرى ﴾ فقال له: ﴿ القها يا موسى . فالقاها فإذا هي حية تسعى ﴾. ﴿ فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب﴾ أي لم ينتظر . فنودي : ﴿ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ﴾ . ﴿ أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴾ . ﴿ وأضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك ﴾ العصا واليد آيتان ﴿ ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ ﴿ فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ فقال ﴿ رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون . وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني ﴾ أي يبين

لهم ما اكلمهم به، ﴿ إني أخاف أن يكذبون ﴾ . ﴿ قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ . ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ﴾ .

قال السدي: فأقبل موسى إلى أخيه هارون ، فانطلقا إلى فرعون ليلاً ، فأتيا الباب فضرباه ففزع فرعون ، وقال: من هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة ؟ فأشرف عليهما البواب، فكلمهما ، فقال له موسى: ﴿ إني رسول رب العالمين ﴾ . ففزع البواب فأتى فرعون فأخبره، فقال: إن هاهنا انساناً مجنوناً يزعم أنه رسول رب العالمين ، قال: أدخله ، فدخل فقال: إني رسول رب العالمين، أن ارسل معي بني إسرائيل، فعرفه فرعون فقال: ﴿ الم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين. وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين. قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ﴾ أي خطأ لا أريد ذلك ﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً ﴾ ـ والحكم النبوة ـ ﴿ وجعلني من المرسلين . وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني اسرائيل ﴾ أي اتخذتهم عبيداً ﴿ قال فرعون وما رب العالمين ﴾ . ﴿ فمن ربكما يا موسى. قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾، قال فرعون: ﴿ إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ﴾ . ﴿ فالقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴾ ثم نزع يده وأخرجها من جيبه، فإذا هي بيضاء للناظرين، فأبى فرعون أن يؤمن به، أو يرسل معه بني اسرائيل، وقال لقومه: ﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى ﴾ فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه ، فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه ، وهي ملطخة دماً ، فقال : قد قتلت إله موسى .

قال ابن إسحاق : ثم إن فرعون قال لقومه : ﴿ إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ﴾ أقتله ؟ فقال رجل من آل فرعون ـ العبد الصالح ـ: ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ بعصاه ويده ! ثم خوفهم عقاب الله وحذرهم ما أصاب الأمم قبلهم ، وقال : ﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ ،وقال الملأ من قومه ﴿ أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين. يأتوك بكل سحار عليم ﴾. قال

فـرعـون: ﴿ أجئتنا لتـخـرجنا من أرضنا بسـحرك يا موسى . فلنأتينك بسحر مثله فـاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى ﴾ قال موسى : ﴿ موعـدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضـحى ﴾ ـ وذلك يوم عـيـد لهم ـ ﴿ فـتولى فـرعـون فجمع كيده ثم أتى ﴾ . قال السدي: وأرسل فرعون في المدائن حاشرين ، فـحشروا عليـه السـحـرة ، وحشروا الناس ينظرون ، يقـول: ﴿ هل أنتم مجتمعون . لعلنا نتـبع السـحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ فقال لهم موسى ،(للسحرة): ﴿ ويلكم لا تفتروا على الله كـذباً فـيـسـحـتكم بعـذاب وقد خاب من افترى ﴾ فتراد السحرة بينهم: ﴿ فـتنازعـوا أمـرهـم بينهم واسروا النجـوى ﴾ من دون موسى وهارون وقالوا في نجـواهم: ﴿ إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقـتكم المثلى ﴾ يقـول : يذهبا بأشراف قومكم . ثم قالوا : ﴿ يا موسى إما أن تلقي وإمـا أن نكون نحن الملقين ﴾، قـال لهم موسى : القوا فألقوا حبالهم وعصيهم ﴿ فلما القـوا سـحـروا أعين الناس واسترهبوهم ﴾ أي فرقوهم .﴿ فأوجس في نفسه مـوسى ﴾ فأوحى الله إليـه :ألا تخف ﴿ والقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا ﴾ . فألقى مـوسى عـصـاه فأكلت كل حـية لهم ، فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا : ﴿ آمنا برب العـالمين رب مـوسى وهارون ﴾ ، قال فرعون : ﴿ آمنتم له قبل أن آذن لكم إنـه لكبيركم الذي علمكم السـحـر ﴾ أي كـبير السـحـار ، ﴿ فـلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خـلاف ولأصلبنكم في جـذوع النخل ﴾ فـقـتلهم وقطعـهـم ـ كما قـال ابـن عـبـاس ـ حين قـالوا : ﴿ ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مـسلمين ﴾ . قـال : كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء .

ثـم إن الله تـعـالى ، أمـر مـوسى أن يخرج ببني إسرائيل فـقـال : ﴿ أن اسر بعـبـادي ﴾ ليـلاً ﴿ إنكم مـتـبـعون ﴾ فخرج موسى ببني إسرائيل ليلاً والقبط لا يعلمـون ، وقـد دعـوا قـبل ذلك على القـبط ، فـقـال مـوسى : ﴿ ربنا إنك أتيت فـرعـون وملأه زينة وأمـوالاً في الحـيـاة الدنيـا ﴾ إلى قوله : ﴿ حتى يروا العذاب الأليم ﴾ فـقال الله تعالى : ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ وقوله : ﴿ ربنا اطمس على أمـوالهم ﴾ فـذكـر أن طمس الأمـوال أنه جـعل دراهمهم ودنانيرهم حـجارة ، والقي على القـبط الموت ، فمات كل بكر رجل فأصـبـحـوا يدفنونهم ، فـشـغلوا عن طلبهم حـتى طلعت الشمس ، فذلك حين يقول الله : ﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾ .

وخيرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل، وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان، وذلك حين يقول الله: ﴿ فأرسل فرعون في المدائن حاشرين . إن هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لغائظون ﴾ ـ يعني بني اسرائيل ـ ﴿ وإنا حاذرون ﴾ ، يقول: قد حذرنا فآجمعنا أمرنا ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم، قالوا : ﴿ إنا لمدركون ﴾ ، البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا ،قال موسى: ﴿ كلا إن معي ربي سيهدين﴾، يقول : سيكفيني ﴿ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ وضرب موسى البحر ﴿ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ يقول : كالجبل العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل بسلام ، ثم دنا فرعون وأصحابه دخلو البحر حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم ، فقال فرعون حين أدركه الغرق : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ ، فبعث الله إليه ميكائيل يعيّره، قال: ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾. وقالت بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون،الآن يدركنا فيقتلنا ، فدعا الله موسى: فأخرج فرعون في ستمائة الف وعشرين الفاً ،عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به، وذلك قول الله لفرعون: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾. يقول: لبني اسرائيل آية.

ولما جاوز ببني إسرائيل البحر آتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، ﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ﴾ . ووعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة . قال السدي: ثم إن جبريل أتى موسى يذهب به إلى الله عز وجل ، فأقبل على فرس فرآه السامري ، فأخذ من تربة حافر الفرس ، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر ، فقال لهم هارون : يا بني إسرائيل ، إن الغنيمة (الزينة) لا تحل لكم ، فاجمعوها فاحفروا لها حفرة فادفنوها فيها ، فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة ، وجاء السامري بتلك القبضة فقذفها ، فأخرج الله من الحلي عجلاً جسداً له خوار ، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى ، فعدوا الليلة يوماً واليوم يوماً ، فلما كان العشر خرج لهم العجل ، فلما

رأوه قال لهم السامري : ﴿ هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ يقول : ترك موسى إلهه هاهنا ، وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه ، وكان يخور ويمشي ، فقال لهم هارون: ﴿ يا بني اسرائيل إنما فتنتم به ﴾ يقول : ابتليتم به ﴿ وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴾ . وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه ، فلما كلمه قال له : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على اثري وعجلت إليك رب لترضى . قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ﴾ . ثم إن موسى لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه ﴿ قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴾ فحف حول الجبل الملائكة ، وحف حول الملائكة بنار ، وحف حول النار بملائكة ، وحول الملائكة بنار ، ثم تجلى ربه للجبل. قال ابن عباس: فجعل الجبل دكاً وخر موسى صعقاً ، ثم إنه أفاق فقال : ﴿ سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ يعني من بني إسرائيل . فقال : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء ﴾ من الحلال والحرام ﴿ فخذها بقوة ﴾ يعني بجد واجتهاد ﴿ وآمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ أي بأحسن ما يجدون فيها ، فأخذ الألواح ﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبان آسفاً ﴾ أي حزيناً .

ولما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل ألقى الألواح من يده ، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول : ﴿ ما منعك إذ رأيتهم ضلوا . ألا تتبعني ﴾ إلى قوله : ﴿ ولم ترقب قولي ﴾ ، فقال هارون : ﴿ يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ فترك موسى هارون وقال : ﴿ رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ ، وأقبل على قومه فقال : ﴿ يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ﴾ إلى قوله : ﴿ عجلاً جسداً له خوار ﴾ وأقبل على السامري فقال : ﴿ فما خطبك يا سامري . قال بصرت بما لم يبصروا به ﴾ إلى قوله : ﴿ وسع كل شيء علماً ﴾ ثم أخذ الألواح ، يقول الله : ﴿ أخذ الألواح . وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ .

قال السدي : ثم إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل

يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ .فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يدعو الله ويقول: ﴿ رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا آتيتهم وقد أهلكت خيارهم. رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ! فاستجاب الله له ، فذلك قوله : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴾. ثم أمر موسى قومه بالسير إلى أريحا ،وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى إذا كانوا قريباً منه بعث موسى اثني عشر نقيباً من جميع أسباط بني إسرائيل ، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبارين ، فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عاج ، فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حجزته ، فانطلق بهم إلى امرأته فقال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا ، ألا اطحنهم برجلي ! فقالت امرأته : لا ، بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ، ففعل ذلك ، فلما خرج القوم قال بعضهم لبعض : يا قوم ، إنكم إن أخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ، ولكن اكتموهم واخبروا نبي الله ، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه ، ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد ، فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج ، وكتم رجلان منهم فأتوا على موسى وهارون فأخبروهما الخبر ، فذلك حين يقول الله : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً ﴾ فقال لهم موسى : ﴿ يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً ﴾ يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾ التي أمركم الله بها ﴿ ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين. قالوا ﴾ مما سمعوا من العشرة ﴿ إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴾ وهما اللذان كتما الخبر ـ فقالا : يا قوم ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾. ﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾. فغضب موسى، فدعا عليهم، فقال : ﴿ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ فقال الله : ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ﴾ .

فلما ضرب عليهم التيه ، ندم موسى ، فأوحى الله إليه : ألا تأس ، أي لا

تحـزن ، فـقالوا : يا موسى . فكيف لنا بماء ها هنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن والسلوى ، فـقـالوا : هذا الطعـام ، فأين الشراب ؟ فأمـر موسى فضرب بعصاه الحـجـر فـانفـجـرت منه اثنتـا عشرة عـيناً ، فـذلك قول الله : ﴿ وانزلنا عليهم المن والسلوى ﴾ . وقـوله : ﴿ وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فـانفـجـرت منه اثنتـا عشرة عـيناً قـد علم كل اناس مشربهم ﴾ ، فـاجمعوا ذلك ، فـقـالوا: ﴿ يا مـوسى لن نصبر على طعـام واحد فأدع لنا ربك أن يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلهـا وقـثـائهـا وفومها وعدسها وبصلها ﴾ وقال : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً ﴾ من الأمـصـار ﴿ فإن لكم ما سألتم ﴾ . فلما خـرجـوا من التـيـه رفع المن والسلوى ، وأكلوا البـقـول ، والتـقى مـوسى وعاج فـنـزا مـوسى في السماء عشرة أذرع ، وكـانت عـصـاه عشرة أذرع ، وكـان طوله عشرة أذرع ، فأصـاب كـعب عـاج فقتله ، قال ابن عباس : فكان (جسد عاج) جسراً لأهل النيل . وقـيل إن عاج عاش ثلاث آلاف سنة .

ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام

عن عبدالله بن مسعود ، عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قـال : ثم إن الله تعـالى أوحى إلى مـوسى ، إني مـتـوف هارون ، فأت به جبل كذا وكـذا . فـانطلق مـوسى وهارون نحـو ذلك الجـبل ، فإذا هما بشجرة لم ير مثلها ، وإذا هما ببيت مـبني ، وإذا فيه سرير عليه فرش ، وإذا فيه ريح طيبة ، فأعجب ذلـك هـارون ، فـقـال : يـا مـوسـى إني لأحب أن أنام على هذا السرير ، قـال له مـوسى: فنم عليـه فلما نام أخـذ هارون الموت ، فما وجـد حـسـه ، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس مـعـه هارون قـالوا : فإن موسى قتل هارون وحسده لحب بني إسرائيـل لـه ، وكـان هـارون أكـف عـنهم وألين لهم من مـوسى ، وكـان في مـوسى بـعض الغلظ عليـهم ، فـدعـا مـوسى الله فنزل بالسرير حـتى نظروا إليـه بين السماء والأرض فـصـدقـوه . قـال النبي صلى الله عليه وسلم : ثم إن ملك الموت كان يأتي الناس عـيـاناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه ، قال : فرجع فقال : يا رب ، إن عـبـدك مـوسى فـقأ عيني ، ولولا كرامته عليك لشققت عليه ، فقال : أئت عبدي مـوسى ، فـقل له : فليـضع كـفه على متن ثور ، فله بكل شعرة واردت يده سنة ،

وخيره بين ذلك وبين الموت الآن ، قال : فأتاه فخيره ، فقال له موسى : فما بعد ذلك ؟ قال : الموت ، قال : فالآن إذن ، قال : فشمه شمة قبض روحه . قال : فجاء (ملك الموت) بعد ذلك إلى الناس خفية .

وقال وهب : ذكر لي أن موسى مر برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسن منه ، ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والبهجة ، فقال لهم : لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا : نحفره لعبد كريم على ربه ، أتحب أن يكون لك ؟ قال : وددت ذلك ، قالوا : فانزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهل تنفس تنفسته قط . فنزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربه ثم تنفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة ، وكان موسى زاهداً في الدنيا راغباً فيما عند الله . فكان جميع مدة موسى عليه السلام كلها مائة وعشرين سنة ، عشرون من ذلك في ملك أفريدون ، ومائة منها في ملك منوشهر ، وكان ابتداء أمره من لدن بعثه الله نبياً إلى أن قبضه اليه في ملك منوشهر .

ذكر يوشع بن نون عليه السلام

هو يوشع بن نون بن إفراييم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ابتعثه الله تعالى نبياً ، وأمره بالمسير إلى أريحا لحرب من فيها من الجبارين . قال بعضهم: كان ذلك بعد موت موسى ، وهلاك من أبى المسير إليها ، وقال آخرون: إنما فتح أريحا موسى ، ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار إليهم . قال ابن إسحاق : إن موسى قدم يوشع بن نون إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها بهم، وقتل بها الجبابرة الذين كانوا فيها ،ثم دخلها موسى ببني إسرائيل، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم، ثم قبضه الله إليه ،لا يعلم بقبره أحد من الخلائق. وقال السدي: كان ذلك بعد وفاة موسى وهارون ،بعث الله يوشع نبياً بعد أن انقضت الأربعون سنة ،فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبي، وأن الله أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه ،فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالاً شديداً حتى أمسوا وغربت الشمس، ودخل السبت. فدعا الله فزيد له في النهار يومئذ ساعة حتى استأصلهم. وكان عمر يوشع مائة سنة وستاً وعشرين سنة. وتدبيره أمر بني اسرائيل. منذ توفي موسى إلى أن توفي يوشع بن نون سبعاً وعشرين سنة. وقيل أنه دفن في جبل إفراييم .

ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث

قال ابن جريج في قوله تعالى: ﴿ إن قارون كان من قوم موسى ﴾ قال : هو ابن عمه ، أخي أبيه . وقال ابن إسحاق : هو عم موسى أخو أبيه لأبيه وأمه. وقال قتادة : كان يسمى المنور من حسن صورته في التوراة ، ولكنه نافق كما نافق السامري ، فأهلكه البغي . وقال مالك بن دينار : وكان الله قد أتاه مالاً كثير كما وصفه الله تعالى: ﴿وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ يعني بقوله: (تنوء) تثقل . قال خيثمة: كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلاً ، كل مفتاح منها لباب كنز معلوم. فبغى قارون على قومه بكثرة ماله. فوعظه قومه وأمروه بالانفاق في سبيل الله : ﴿ اذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين. وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾. فقال لهم: إنما اوتيت من هذه الدنيا على علم عندي ، فقال الله تعالى : ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ﴾ للأموال. فلم يردعه عن جهله عظة من وعظه ، وذكره بالله ونصحه ، ولكنه تمادى في غيه وخسارته ، حتى خرج على قومه في زينته. قال مجاهد: خرج على براذين بيض ، عليها سروج الأرجوان، عليهم المعصفرة ، فتمنى أهل الخسار من الذين خرج عليهم في زينته مثل الذي أوتيه ، فقالوا : ﴿ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم﴾ .

فلما عتا الخبيث وتمادى في غيه ، ابتلاه الله عز وجل من الفريضة في ماله . قال ابن عباس : لما نزلت الزكاة اتي قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار ديناراً، وعلى كل ألف درهم درهماً ، ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً ، فجمع بني إسرائيل ، فقال : إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم ، فقالوا له : مرنا بما شئت ، فقال : آمركم أن تجيئوا بفلانة البغيّ فتجعلوا لها جعلاً فتقذفه بنفسها . ثم أتى موسى فقال : إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم ، فخرج إليهم ، فقال : من سرق قطعنا يده ، ومن زنا وليس له امرأة جلدناه مائة ، ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى الموت ، فقال له قارون : إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة ، فقال : ادعوها ، فلما أن جاءت قال لها موسى أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، وكذبوا ، فوثب موسى فسجد

وهـو بـيـنـهـم ، فأوحى الله إليـه : مـر الأرض بما شئت ، قـال : يا أرض خـذيهم ، فأخـذتهم إلى أقدامهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خـذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم . فذهبوا . قال أبو جعفر : فنجى الله تعالى من كل هول وبلاء نبيـه مـوسى والمؤمنين به المتـمـسكين بعـهـده من بني إسرائيل ، وفـتاه يوشع بن نون المتـبـعين له بطاعـتهم ربهم وأهلك أعدائه وأعداءهم : فرعون وهامان وقـارون والكنعـانيين بكفـرهم وتمردهم عليه وعتوهم ، وجعلهم عبراً لمن اعتبر بهم .

ذكر القائم بالملك ببابل من الفرس بعد منوشهر

لما هلك منوشـهـر الملك بن منشخورنر ، قهر فراسياب بن فشنج بن رستم بن ترك على خنيـارث ومملكة أهل فـارس وصـار إلى أرض بابل ، فـعظم جوره وظلمه ، وخـرب مـا كـان عامراً من بلاد خنيارث ، ولم يزل الناس منه في أعظم البلية إلى أن ظهـر زوبن المهماسب أو (زو) فطرد فراسياب عن مملكة أهل فارس ، إلى تركستان ، وكـان زوّ محمـوداً في ملكه محسناً إلى رعيـتـه ، فأمر باصلاح ما كان فراسياب أفسد من بلاد خنيـارث ومملكة بابل وبناء مـا كـان هدم من حـصون . فملك ثلاث سنين ثـم مـات وتـولى المـلـك بعـده كـيـقـبـاذ بن زاغ ، فـزاد في اصـلاح البـلاد وحـدها بحـدودها ، وكان ملكه مائة سنة ، والله أعلم .

ذكر أمر بني اسرائيل بعد يوشع بن نون والأحداث التي كانت في عهد زوّ وكيقباذ

قـال أبو جـعـفـر : قـام بأمـور بني إسرائيل بعد يوشع ، كالب بن يوفنا ، ثم حـزقـيل بن بوذى من بعـده . وهو الذي يقـال له ابن العجوز . قال ابن إسحاق ، سـمي بذلك لأن أمـه سألت الله الولد بعـد أن كبرت وعقمت ، فوهبه الله لها . وهو الذي دعـا للقوم الذين ذكر الله في الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ألم تر إلى الذين خـرجـوا من ديارهد وهم ألوف حـذر الموت﴾ . قـال ابن مـسعود ، عن ناس من أصـحـاب النبي صلى الله عليه وسلم :كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط ، فـوقع بها الطاعـون ، فـهـرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها ، فناداهم ملك الموت : أن مـوتوا ، فماتوا حـتى هلكوا ، وبليت أجسادهم ، فمر بهم نبي يقال له حزقيل ،

فتعجب لأمرهم ، فأوحى الله إليه : أتريد أن أريك كيف أحييهم ؟ قال : نعم ، فقيل له : ناد ، فنادى يا أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تجتمعي ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض ، حتى كانت أجساداً ، ثم نادى : إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً ودماً ، ثم نادى : يا أيتها الأجساد ، إن الله يأمرك أن تقومي ، فقاموا . قال مجاهد: فرجعوا إلى قومهم أحياء ، حتى ماتوا لأجالهم التي كتبت لهم .

قال ابن إسحاق : ثم إن الله تعالى قبض حزقيل ، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث، ونسوا ما كان من عهد الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبياً . قال تعالى : ﴿ وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون ﴾ إلى قوله : ﴿ الله ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله ، وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً . فقال إلياس: اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر بك ، والعبادة لغيرك، فغير ما بهم من نعمتك. اللهم فأمسك عنهم المطر. فحبس ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر ، وجهد الناس جهداً شديداً .

قال أبو جعفر : ثم قالوا لإلياس : إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه ، فأرسل الله المطر فأغاثهم ، فحييت بلادهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه . فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم ، دعا ربه أن يقبضه إليه فيريحه منهم ، فقبضه الله إليه . قال ابن إسحاق : ثم نبىء فيهم (في بني إسرائيل) بعد إلياس ، اليسع ، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخلوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو .

ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاف ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا عهد الله إليهم، نزل بهم عدو فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحفوا به فقوتلوا حتى استلب من أيديهم، فاتى ملكهم إيلاف، فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب، فمالت عنقه فمات كمداً عليه، فمرج أمرهم بينهم واختلف ووطئهم عدوهم ، حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ، فرد عليهم تابوت الميثاق .

ذكر خبر شمويل بن بالي وطالوت وجالوت

قال ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة جالوت ، وإنهم ظهروا على بني إسرائيل فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراتهم ، فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه ، فبعث الله فيهم سمعون (شمويل) نبياً، فلما أتاهم كذبوه وقالوا : استعجلت بالنبوة وقالوا : إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً يقاتل في سبيل الله ، آية من نبوتك ، فقال لهم نبيهم : ﴿ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴾ قال القوم : ما كنت قط أكذب منك الساعة ، ونحن من سبط المملكة ، وليس هو من سبط المملكة ، ولم يؤت أيضاً سعة من المال فنتبعه لذلك ، فقال النبي: ﴿ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ فقالوا: فإن كنت صادقاً فآتنا بآية أن هذا ملك ،قال: ﴿ إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾. قال ابن عباس: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض،وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت .

قال السدي : فخرجوا معه وهم ثمانون ألفاً ، وكان جالوت من أعظم الناس وأشدهم بأساً ، فلما خرجوا قال لهم طالوت : ﴿ إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني ﴾ وهو نهر فلسطين ، فشربوا منه هيبة من جالوت ، فعبر معه منهم أربعة آلاف ورجع ستة وسبعون ،ـ،اً ، فمن شرب منه عطش ، ومن لم يشرب منه إلا غرفة روي ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه، فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضاً وقالوا : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وستمائة وبضعة وثمانون ، وخلص في ثلاثمائة وتسعة عشر عدة أهل بدر . ﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً ﴾ . فعبر يومئذ أبو داود فيمن عبر في ثلاثة عشر ابناً له ، وكان داود عليه السلام أصغر بنيه وإنه أتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ، ما أرمي بقذافتي شيئاً إلا صرعته ، ويذكر أنه مر في الطريق بثلاثة أحجار فكلمنه وقلن له : خذنا يا داود تقتل بنا جالوت ، فأخذهن وجعلهن في مخلاته ، وكان طالوت قد قال : من

قتل جالوت زوجته ابنتي ، وأجريت خاتمه في ملكي . قال السدي : فاخرج داود الحجارة فوضعها في القذافة ، ثم أدار القذافة فعادت الأحجار حجراً واحداً ، ثم أرسله فصك به عيني جالوت فنقبت رأسه ، ثم قتله ، فلم تزل تقتل كل إنسان تصيبه تنفذ فيه ، حتى لم يكن بحيالها أحد ، فهزموهم عند ذلك ، وقتل داود جالوت ، ورجع طالوت فأنكح داود ابنته ، وأجرى خاتمه في ملكه ، فمال الناس إلى داود وأحبوه . فذلك قول الله تعالى : ﴿ وآتاه الله الملك والحكمة ﴾ قيل : هي النبوة ، أتاه نبوة شمعون وملك طالوت . وقد زعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت من أولها إلى أن قتل في الحرب مع ولده كانت أربعين سنة ، وأن اسم طالوت بالسريانية شأول بن قيس بن أبيال بن ضرار بن بحرث بن افيح بن أيش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

ذكر خبر داود عليه السلام

هو داود بن ايشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن بخشون بن عمي نادب ابن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . قال وهب : كان قصيراً أزرق قليل الشعر ، طاهر القلب نقيه . قال ابن إسحاق : لما اجتمعت بنو اسرائيل على داود أنزل الله عليه الزبور ، وعلمه صنعة الحديد ، وآلانه له ، وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح ، ولم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور ترنو له الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها ، وكان شديد الاجتهاد ، دائب العبادة ، كثير البكاء ، وكان كما وصفه الله تعالى لنبيه محمد عليه السلام فقال : ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الآيد إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ﴾ قال قتادة : أعطي قوة في العبادة وفقهاً في الإسلام ، وقال السدي في قوله تعالى : ﴿ وشددنا ملكه ﴾ قال : كان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف من الجند .

وقال السدي : كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوماً يقضي فيه بين الناس ، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوماً يخلو فيه لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، ثم إن الشيطان قد جاءه في صورة حمامة من ذهب ، حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلي ، قال : فمد يده ليأخذه فتنحى فتبعه ، فنظر : أين يقع فيبعث في أثره ، قال : فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من

أجمل النساء خلقاً ، فحانت منها التفاتة فأبصرته ، فألقت شعرها فاستترت به ، فزاده ذلك فيها رغبة ، فسأل عنها فأخبر أن لها زوجاً ، وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا ، قال : فبعث إلى صاحب المسلحة يأمره أن يبعث أهريا (زوج المرأة) إلى عدو كذا وكذا من أجل أن يقتل ، فبعثه ، فقتل ، قال : وتزوج داود امرأته ، فلما دخلت عليه لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين ، فما شعر وهو يصلي إذا هو بهما بين يديه جالسين ، ففزع منهما ، فقالا : لا تخف ، إنما نحن ﴿ خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ﴾ يقول : لا تخف ، ﴿ واهدنا إلى سواء الصراط ﴾ إلى عدل القضاء . قال : ما قصتكما ؟ فقال أحدهما : ﴿ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ﴾ فهو يريد أن يأخذ نعجتي ، فيكمل بها نعاجه مائة ، فقال للآخر ؟ ما تقول ؟ فقال : إن لي تسعاً وتسعين نعجة ، ولأخي هذا نعجة واحدة ، فأنا اريد أن آخذها منه ، فأكمل بها نعاجي مائة ، قال داود : لا ندعك وذلك ، فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد ذلك ، ضربنا منك هذا وهذا ـ وأشار إلى الأنف والجبهة ، فقال : يا داود ، أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا ، حيث لك تسع وتسعون امرأة ، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة ، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتل ، وتزوجت امرأته . قال : فنظر داود فلم ير شيئاً ، فعرف ما وقع فيه وما ابتلي به ، فخر ساجداً ، ومكث يبكي ساجداً أربعين عاماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بد منها ، ثم يقع ساجداً حتى نبت العشب من دموع عينيه ، قال : فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ، فقال : يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت عدل لا تحيف في القضاء ، إذا جاء أهريا يوم القيامة آخذاً رأسه بيمينه او بشماله تشخب اوداجه دماً في قبل عرشك : يقول : يا رب سل هذا فيما قتلني ! قال : فأوحى الله إليه : إذا كان ذلك دعوت أهريا فأستوهبك منه ، فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة . قال : رب الآن علمت أنك قد غفرت لي . وكان عمر داود عليه السلام فيما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة سنة .

ذكر خبر سليمان بن داود عليهما السلام

ثم ملك سليمان بن داود بعد أبيه أمر بني إسرائيل ، وسخر الله له الجن والإنس والطير والريح ، وأتاه مع ذلك النبوة ، وسأل ربه أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب الله له . قال ابن إسحاق : كان إذا خرج من بيته إلى

مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الإنس والجن ، حتى يجلس على سريره ، وكان من شأنه وشأن أبيه داود الحكم في الغنم التي نفشت حرث القوم ، الذين قص الله في كتابه خبرهم . فقال : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً ﴾ . قال ابن مسعود في ذلك : كرم قد أنبتت عناقيده فافسدته الغنم ، فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم الى صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها . فذلك قوله تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ . وكان سليمان رجلاً غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو . قال ابن إسحاق : كان إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ، ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى إذا حمل معه ما يريد ، أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته. حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فمر به شهراً في روحته ،وشهراً في غدوته إلى حيث أراد. يقول الله تعالى: ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾ أي حيث أراد. وقال الله : ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ﴾. قال كعب القرظي: بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ،وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة وسبعمائة سرية . قال ابن عباس: وكان يوضع له ستمائة كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم يجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس ،قال: ثم يدعو الطير فتظلهم، ثم يدعو الريح فتحملهم .

ذكر ما انتهى إلينا من مغازي سليمان عليه السلام

فمن ذلك غزوته التي راسل فيها بلقيس ، ثم صارت إليه سلماً بغير حرب ولا قتال . قال ابن عباس : بينما سليمان يسير إذ نزل مفازة فسأل عن بعد الماء ها هنا ، فقال الإنس : لا ندري ، فسأل الجن فقالوا : لا ندري ، فقال : علي بالهدهد ، فلم يوجد ، فغضب سليمان فقال : (مالي لا أرى الهدهد أم كان من

الغـائبين . لأعـذبنه عـذاباً شـديداً او لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مـبين ﴾ أي بعذر مـبين. قـال : فلما أتى الهدهد سليمان قـال له : ﴿ أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين ﴾ حتى بلغ ﴿ فانظر ماذا يرجعون ﴾ ، فقال له سليمان: قد اعتللت، ﴿ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. اذهب بكتابي هذا فالقه إليهم ﴾ ، قال : فـوافقها في قصرها ، فألقى إليها الكتاب فسقط في حجرها إنه كتاب كريم ، ونادت في قـومـهـا، فـقالت لهم : ﴿ يا أيها الملأ إني ألقي الي كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا علي وأتوني مـسلمين ﴾ ولم أكن لأقطع أمراً حـتى تشـهـدون، ﴿ قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تـأمـرين ﴾ إلى ﴿ وإني مـرسلة إليـهم بهدية ﴾ ، فإن قـبلهـا فـهـذا ملك من ملوك الدنيا، وإن لم يقبلها فهذا شيء من الله .

فلما جاء سليمان الهدية قال لهم : ﴿ أتمدونن بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم ﴾ إلى قـوله : ﴿ وهم صـاغـرون ﴾ ، قـال ابن عـباس : فأقبلت بلقيس ومعها ثلثمائة واثنا عشر قـائداً ، مع كل قـائد عشرة آلاف. وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبتدأ بشيء حـتى يكون هو الذي يسأل عنه ، فـخـرج يومئذ فرأى رهجاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قـالوا : بلقـيس يا رسـول الله ، وقد نزلت منا بهذا المكان ، فأقبل على جنوده فـقـال: ﴿ أيكم يأتيني بعـرشـها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قـبل أن تقـوم من مقامك ﴾ قال سليمان : من يأتيني به قبل ذلك ؟ ﴿ قال الـذي عـنده علم من الكتـاب أنا آتيك به قـبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ ، فلما قطع كـلامـه رد سليمان بصره على العرش، فرأى سريرها قد خرج ونبغ من تحت كرسيه، ﴿ فلما رآه مـستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ﴾ فلما جاءت بـلـقـيس ، قـيل لها ، ﴿ أهكذا عـرشك ﴾ فنظرت إليـه فـقـالـت : ﴿ كأنه هو ﴾ وتعـجـبت من ذلك . قال : وقال سليمان للشياطين : ابنوا لي صرحاً تدخل علي فيه بلقـيس، فرجع الشياطين بعضهم إلى بعض، فقالوا: سليمان رسول الله قد سخر الله له ما سخر، وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد له غلاماً ، فلا ننفك من العبودية أبداً.

قـال : وكانت بلقيس امرأة شعراء الساقين ، فقالت الشياطين : ابنوا له بنياناً ليرى ذلك منهـا ، فـلا يتـزوجـهـا ، فـبنوا له صرحاً من قوارير أخضر ، وجعلوا له طـوابـيـق مـن قـوارير كـأنـه المـاء ، وجـعـلوا في باطن الطوابيق كل شيء يكون من

الدواب في البحر من السمك وغيره ، فلما دخلت بلقيس حسبته ماء ، وكشفت عن ساقيها لتدخل ، وكان شعر ساقيها ملتوياً على ساقيها ، فلما رآها سليمان ، ناداها وصرف بصره عنها فقال : إنه صرح ممرد من قوارير ، فالقت ثوبها فقالت : ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ فاستنكحها سليمان. قال ابن إسحاق : فلما حال الحول وتبينت الجن موت سليمان أقبل رجل منهم ، فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته : يا معشر الجن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم . قال : فعمدت الشياطين إلى حجرين عظيمين ، فكتبوا فيهما كتاباً بالمسند : نحن بنينا سلحين ، سبعة وسبعين خريفاً دائبين ، وبنينا صرواح ومرواح وبينون برحاضة آيدين ، وهندة وهنيدة ، وسبعة أمجلة بقاعة ، وتلثوم بريدة ، ولولا صارخ بتهامة ، لتركنا بالبون إمارة . وهذه حصون كانت باليمن ، عملتها الشياطين .

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه

قال ابن إسحاق : سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر ، يقال لها صيدون ، بها ملك عظيم السلطان لم يكن للناس إليه سبيل ، لمكانه في البحر ، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء ، حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها واستفاء ما فيها ، وأصاب فيما أصاب ابنة لذلك الملك لم ير مثلها حسناً وجمالاً ، فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها ، وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نسائه ، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها ، فقال لها : ويحك : ما هذا الحزن الذي لا يذهب ، والدمع الذي لا يرقأ ، قالت : أذكر أبي وما أصابه فيحزنني ذلك ، فلو أنك أمرت الشياطين ، فصوروا لي صورته في داري عسى أن يذهب حزني ، فأمر سليمان الشياطين فمثلوه لها كأنه هو ، إلا أنه لا روح فيه ، فعمدت إليه فالبسته ما كان يلبس ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائدها حتى تسجد له ويسجدن له ، كما كانت تصنع في ملكه ، وتروح كل عشية بمثل ذلك ، لا يعلم سليمان بشيأ من ذلك أربعين صباحاً ، ثم إن أصف بن برخيا ـ صديق سليمان ـ قال له : إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة ،

فعرف سليمان ذلك ، فرجع إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ، ثم أقبل تائباً إلى الله ، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره .

قال : وكانت أم ولد له يقال لها : الأمينة ، كان إذا دخل مذهبه ، أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر ، وكان ملكه في خاتمه ، فوضعه يوماً عندها ، فأتاها الشيطان صاحب البحر ـ وكان اسمه صخراً ـ في صورة سليمان ، فقال : خاتمي يا أمينة ! فناولته إياه ، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، وخرج سليمان فأتى الأمينة ، وقد غيرت حالته وهيئته ، فقال : خاتمي يا أمينة ! فقالت : من أنت ؟ قال : أنا سليمان ، فقالت : كذبت ، جاء سليمان فأخذ خاتمه ، وهو ذاك جالس على سرير ملكه ، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته ، فخرج ، فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل ، فيقول : أنا سليمان بن داود ، فيحثون عليه التراب ويسبونه ، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر ، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق ، فيعطونه كل يوم سمكتين ، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ، ثم مر بالبحر ، فقذف الخاتم فيه ، فبلعته سمكة ، وبصر بعض الصيادين فأخذها فكانت من نصيب سليمان ، فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها ، فاخذه فجعله في يده ووقع ساجداً لله ، وعكف عليه الطير والجن والإنس ، فرجع إلى ملكه ، وأظهر التوبة من ذنبه ، وأمر الشياطين بذلك الشيطان فوضعه في صخرة ثم أوثقها بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف في البحر .

قال أبو جعفر : ثم لبث سليمان في ملكه بعد أن رده الله إليه ، حتى إذا أراد الله قبضه إليه ، كان من أمره ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيسألها ما اسمك ولأي شيء أنت ؟ فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت الخروب ، قال : لأي شيء أنت ؟ قالت لخراب هذا البيت ، فقال سليمان : اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصا ، فتوكأ عليها حولاً ميتاً ، والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة فسقط ، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴿ ما دلهم على موته إلا دابة الأرض ﴾ ـ إلى قوله ﴿ في العذاب المهين ﴾ . وكان جميع عمر سليمان بن داود نيفاً وخمسين سنة وفي سنة أربع من ملكه ابتداء عليه السلام ببناء بيت المقدس .

ذكر من ملك اقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباذ

قال أبو جعفر : وملك بعد كيقباذ ، كيقاوس بن كيبيه بن كيقباذ ، فحمى بلاده ورعيته من الأعداء ، وذكر أنه ولد له ابن لم ير مثله في عصره في جماله وكماله، فسماه سياوخش ، وضمه إلى رستم الشديد ، فمضى به معه إلى موضع عمله سجستان ، فرباه رستم ، وعلمه الفروسية وفنون الآداب ، ثم قدم به على والده ، وكان والده كيقاوس قد تزوج ابنة فراسياب ملك الترك ، فهويت سياوخش ، ودعته إلى نفسها ، فأمتنع عليها ، فأفسدت زوجها عليه ، فأرسله والده إلى بلاد الترك للقاء فراسياب ، فلما صار إليه سياوخش ، جرى بينهما الصلح ، فغضب والده كيقاوس وأمره بمحاسبة فراسياب ، فرفض سياوخش أن ينقض الصلح ، ورأى في نفسه أنه يؤتى في كل ذلك من زوجة أبيه التي دعته إلى نفسها فامتنع عليها ، ومال إلى الهرب من أبيه ، فراسل فراسياب وأخذ الأمان لنفسه منه ، فصار معه ، فأكرمه فراسياب وزوجه ابنته ، ثم حسده على عقله وكماله ، وزاده فساداً عليه سعي ابنين له وأخ يقال له : كندر بن فشنجان ، فتآمرا عليه فقتلوه ، وكانت امرأته تحمل في بطنها ابنه كيخسرونه ،فأرادوا اسقاط ما في بطنها فلم يسقط ،وإن فيران الذي سعى في عقد الصلح بين فراسياب وسياوخش، سأل فراسياب دفع ابنته إليه لتكون عنده إلى أن تضع ما في بطنها ثم يقتله .

قال أبو جعفر : فلما وضعت رق فيران لها وللمولود ، فترك قتله وستر أمره، حتى بلغ المولود ، فوجه كيقاوس إلى بلاد الترك بي بن جوذرز ، وأمره بالبحث عن المولود الذي ولدته زوجة ابنه سياوخش ، فلم يزل هذا يبحث عن المولود حتى وقف على خبره ، فاحتال فيه وفي أمه حتى أخرجهما من أرض الترك إلى كيقاوس ، فملكه كيقاوس وقام بالملك من بعده ، وعقد التاج على رأسه ، وذكر أنه جمع رعيته وأعلمهم أنه على الطلب بدم أبيه سياوخش ، وكتب إلى عماله في الآفاق يعلمهم ذلك ، فخرج كيخسرو مع عسكره ، فقتل من قتل في طريقه من الترك ، وبلغ الخبر فراسياب ، فاقبل بجميع طراخنته ، فلما التقى الجمعان ، نشبت بينهما حرب شديدة انهزم فيها فراسياب وجنوده ، فجد كيخسرو في طلبه حتى ظفر به ، فأمر بقتله . فلما فرغ كيخسرو من المطالبة بوتره ، واستقر في مملكته زهد في الملك وتخلى عن الأمر وأوصى إلى لهراسف . وفقد كيخسرو فلا يدرى أين

مات ، وكيف كانت ميتته ، وكان قد ولد له : جاماس ، وأسبهر ، ورمي ، ورمين ، وكان ملكه ستين سنة .

أمر إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام

قال أبو جعفر : ثم ملك بعد سليمان على جميع بني إسرائيل ، ابنه رحبعم ، وكان ملكه سبع عشرة سنة . ثم افترقت ممالك بني إسرائيل بعد رحبعم ، فكان أبيا بن رحبعم ملك سبط يهوذا وبنيامين ، دون سائر الأسباط ، وذلك أن سائر الأسباط ملكوا عليهم يوربعم بن نابط ، عبد سليمان ، لسبب القربان الذي كانت زوجة سليمان قربته في داره ، وكانت قربت فيها جرادة لصنم ، فتوعده الله بازالة بعض الملك عن ولده ، فكان ملك رحبعم إلى أن توفي ، ثلاث سنين . ثم ملك آسا بن أبيا أمر السبطين اللذين كان أبوه يملك أمرهما ، وهما سبط يهوذا وسبط بنيامين ، إلى أن توفي ، إحدى وأربعين سنة .

ذكر خبر آسا بن آبيا وزرح الهندي

قال وهب بن منبه : إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل يقال له آسا بن آبيا ، كان رجلاً صالحاً وكان أعرجاً ، وكان ملك من ملوك الهند يقال له زرح ، وكان ملكاً جباراً فاسقاً يدعو الناس إلى عبادته ، وكان آبيا عابد أصنام ، يدعو الناس إلى عبادتها حتى توفي ، وقد أضل عامة بني إسرائيل ، ثم ملك ابنه أسا من بعده ، فلما ملكهم دعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام ، فلما سمع ذلك قومه ضجوا وكرهوا ، فأتوا أم آسا الملك فشكوا إليها فعل ابنها بهم وبآلهتهم، ثم إنها (أم آسا) دخلت على ابنها الملك ونهته عن دعوة القوم إلى عبادة الله وترك ما كان عليه آباؤهم ، فطردها من مملكته ومنعها من الوصول إليه ، فلما رأى القوم ما فعل الملك بأمه ، وقعت في قلوبهم المهابة ، فاذعنوا له بالطاعة . ثم إن فريقاً من قومه ائتمروا بأن يهربوا من بلاده ، فخرجوا إلى زرح ملك الهند يطلبون أن يستحملوه على آسا ومن اتبعه ، فقالوا له : إنا كنا نعتز بملكك حتى ظهر فينا ملك صبي حديث السن سفيه ، فغير ديننا وسفه رأينا ، وكفر آباءنا ، فآتيناك لنعلمك ذلك ، فتكون أنت أولى بملكنا ، ونحن رؤوسهم ، وهي أرض كثير

مـالها ، ضـعـيف أهلهـا ، وهم دافعون أيديهم إليك بغير قتال ، بأموالهم وأنفسهم مسـالمة . فـقال لهم زرح : لا اجيبكم حتى أبعث إليهم من قومي امناء ، فإن وقع الأمـر على مـا ذكـرتم ، جـعلتكم عليـها ملوكاً ، وإن كان كلامكم كذباً فإني منزل بكم العقوبة .

قـال وهب : واختـار من قـومـه أمناء ليبـعـثهم جواسيس ، وقال لهم : إني مـرسـلكم لتطالعـوا لي أرضـاً من أرضي ، وتبـحـثـوا لي عن شأنها ، وتعلمـوني علم أهلهـا وملكهـا وجنودها وعـددها ، حتى كأني شاهد ذلك وعالمه ، فساروا كالتجار، حـتى دخلوا البـلاد ، فـاظهـروا أمتعتهم وبضاعتهـم ، فجعلوا يعطون بالشيء القليل الـشيء الكثير ، حـتى يعلمـوا أخبـار البـلاد ، ثم إنهم سألوا أهل القـرية عن خبر الملك، فـقـالوا لهم : إن له من الغنى والخـزائن وفنون المتـاع مـا لم يقـدر على مثله . قـال الأمناء (الجـواسيس) : فما قتاله ؟ وبأي شيء عظمته ؟ فأجابهم القوم : إن آسا الملك قليلة عـدته ، ضـعـيـفـة قـوته ، غير أن له صديقاً لودعاه واستعان به على أن يزيل الجـبـال أزالها ، فإذا كـان معه صديقه فليس شيء عن الخلق يطيقه . فقال لهم الأمناء : ومن صـديقـه ؟ فأجابهم القوم : أما مسكنه ففوق السموات العلا ، مستو على عـرشـه ، لا يحصى عـدد جنوده ، وكل شيء عن الخلق له عـبد ، لا يرى ولا يعـرف قـراره ،وهو صـديق آسا وناصره. فجعل الأمناء يكتبون كل شيء أخبروا به. ثـم إن بعض الأمناء دخلوا على الملك فـقـالوا : إن مـعنا هدية نريد أن نهديها لك ، او تشتري منا فنرخصه عليك ، فلما نظر إلى ما معهم قال لهم: هل يبقى هذا لأهله ويبـقون له ؟ قالوا: بل يفنى هذا ويفنى أهله قال لهم آسا: لا حاجة لي فيه. فخرجوا من عنده ، ورد عليـهم هديتـهم ، فـساروا إلى زرح الهندي ملكهم ، فلما أتوه نشروا له كـتـاب خبرهم وانبئوه بما انتهى إليهم من أمر ملكهم ، وأخبروه بصديق آسا .

قـال : ثم عـمـد زرح فكتب إلى كل من في طاعـته أن يجهزوا من كل مخلاف جنداً بعـدتهم ، فـاجـتـمـعـوا إليـه من كل ناحية ، وأمدوه بالخيل والفرسان ، فبلغ عـددهم ألف ألف ومـائة ألف سـوى أهل بلادهم ، وسـار فـيـهم وهو يقول : أين صـديق آسـا ؟ هل يستطيع أن يعـصـمه مني ؟ فبلغ آسا صنيع زرح وجمعه عليه ، فـدعـا ربه فـقـال : اللهم أنت الذي بقـوتك خلقت السـموات والأرض ومن فيهن حـتى صـار جميع ذلك في قـبضتك ، تذكرنا برحمتك التي جعلتها للخلائق ، فانظر

إلى ضعفنا وقوة عدونا ، فغرّق زرحاً وجنوده في اليم بالقدرة التي غرقت بها فرعون وجنوده ، فآري آسا في المنام ، أني إن غرقت زرحاً الهندي وقومه ، لم يعلم بنو إسرائيل كيف صنعت بهم ، ولكن سأظهر في زرح وقومه لك ولمن اتبعك قدرة من قدرتي ، حتى أكفيك مؤنتهم ، فخرج آسا فأخبر قومه بما قيل له ، فخرج اثنا عشر رجلاً من رؤسائهم ، مع كل رجل منهم رهط من قومه ، فلما اصطف قوم زرح وأخذوا مراتبهم ، أمر زرح الرماة من قومه أن يرموهم بنشابهم . فبعث الله ملائكة ردت نشابهم إلى صدورهم ، فقتل رماة زرح بنشابهم ، وآسا وقومه يحمدون الله ويعجون إليه بالتسبيح . ثم إنهم حملوا على قوم آسا بسيوفهم ، فقتلتهم الملائكة فلم يبق منهم غير زرح ونسائه ورقيقه . فلما رأى ذلك زرح ولى مدبراً هو ومن معه ، وهو يقول : إن أسا ظهر علانية ، وأهلكني صديقه سراً ، وإني كنت أنظر إلى آسا ومن معه واقفين لا يقاتلون والحرب واقعة في قومي .

قال وهب : فسار زرح حتى آتى البحر يريد بذلك الهرب ، ومعه مائة الف، فهيأوا سفنهم ثم ركبوا فيها ، فلما ساروا في البحر ، بعث الله الرياح من أطراف الأرضين والبحار إلى ذلك البحر واضطربت من كل ناحية أمواجه ، فغرق زرح ومن كان معه . فأوحى الله إلى آسا بالخبر : أن اهبط أنت وقومك ، فخذوا ما غنمكم الله بقوة وكونوا من الشاكرين . فهبطوا يحمدون الله ويقدسونه .

قال أبو جعفر : ثم ملك بعد آسا يهوشافاظ بن آسا إلى أن هلك خمساً وعشرين سنة ، ثم ملكت عتليا وتسمى غزليا ابنه عمرم أم أخزيا ، وكانت قتلت أولاد ملوك بني إسرائيل ، فلم يبق منهم إلا يواش بن أخزيا ، فإنه ستر عنها ، ثم قتلها يواش وأصحابه ، وكان ملكها سبع سنين ، ثم ملك يواش إلى أن قتله أصحابه ، فكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك أموصيا بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعاً وعشرين سنة ، ثم ملك عوزيا بن آموصيا إلى أن توفي اثنتين وخمسين سنة ، ثم ملك يوتام بن عوزيا إلى أن توفي ، ست عشرة سنة ، ثم ملك أحاز بن يوتام إلى أن توفي ، ست عشرة سنة ، ثم ملك حزقيا بن أحاز إلى أن توفي . وقيل إنه صاحب شعيا الذي أعلمه شعيا انقضاء عمره ، فتضرع إلى ربه فزاده وأمهله ، وأمر شعيا باعلامه ذلك .

ذكر صاحب قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل ، وسنحاريب

قال ابن إسحاق : ثم إن ملكاً من بني إسرائيل تولى الملك عليهم وكان يدعى صديقة ، وبعث الله معه شعيا بن أمصيا نبياً ، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً ، فلما انقضى ملكه ، وعظمت فيهم الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستمائة الف راية ، فأوصى الله إلى شعيا النبي : أن ائت ملك بني إسرائيل فأمره أن يوصي بوصيته ، ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته ، فإنه ميت . فلما قال ذلك شعيا إلى صديقه : أقبل على القبلة ، فصلى وسبح ، ودعا الله أن اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل ، فاستجاب الله له ، وكان عبداً صالحاً ، فأوحى الله إلى شعيا ، فأمره أن يخبر صديقه الملك أن ربه قد أخر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوه سنحاريب . وقال الملك لشعيا النبي : سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا . فأوحى الله إلى شعيا : إنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه . فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة: يا ملك بني إسرائيل ، إن الله قد كفاك عدوك فاخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا . فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى ، فبعث في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر . فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبي : أن قل للملك يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، فبلغ النبي شعيا الملك بذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ، فجمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده . ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات ، فملك بعده منشا بن حزقيا إلى أن توفي ، خمساً وخمسين سنة ، ثم ملك بعده آمون بن منشا إلى أن قتله أصحابه ، اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك بعده يوشيا بن آمون إلى أن قتله فرعون الأجدع ملك مصر ، إحدى وثلاثين سنة ، ثم ياهواحاز بن يوشيا ، وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأسره ، وملّك فرعون الأجدع يوبا قيم بن ياهواحاز على ما كان عليه أبوه ، ووظف عليه خراجاً يؤديه إليه ، اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك أمرهم يوياحين بن يوياقيم ، فغزاه بختنصر ، فأسره وأشخصه إلى بابل ، بعد ثلاثة أشهر من ملكه . وملك مكانه متنيا عمه وسماه صديقياً فخالفه ، فغزاه فظفر به ، فأوثقه

وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده بين يديه وسل عينيه وخرب المدينة والهيكل وسبى بني إسرائيل وحملهم إلى بابل ، فمكثوا بها إلى أن ردهم إلى بيت المقدس كيرش بن جاماسب بن آسب ، فكان جميع ما ملك صديقياً مع الثلاثة الأشهر التي ملك فيها يوياحين ، إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ، ثم صار ملك بيت المقدس والشام لاشتاسب بن لهراسب ، وعامله على ذلك كله بختنصر .

ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بني إسرائيل وتخريبه بيت المقدس

ثم ملك بعد كيخسرو من الفرس لهراسب بن كيوجي بن كيمنوش بن كيفاشين . قال هشام بن محمد : بنى لهراسب مدينة بلخ ، وكان بختنصر في زمانه، وهو الذي أتى بيت المقدس ، فأخذ المدينة عنوة ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرية . قال هشام : وبلغنا أنه (بختنصر) وجد في سجن بني إسرائيل إرميا النبي فخلى سبيله وأحسن إليه . قال : وفي ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل ، ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادي القرى وغيرها .

ثم إنه هلك بختنصر والملك الذي فوقه ، وهو لهراسب الملك الأعظم ، وكان ملك لهراسب مائة وعشرين سنة ، وملك بعده بشتاسب ابنه ، فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب ، فنادى في أرض بابل في بني إسرائيل : إن من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع . وملك عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها ، فرجعوا فعمروها ، وأقام بنو إسرائيل ببيت المقدس ورد إليهم أمرهم ، وكثروا بها حتى غلبت عليهم الروم في زمان ملوك الطوائف ، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة . قال هشام : وفي زمان بشتاسب ظهر زرادشت الذي شرع دين المجوسية .

وقال ابن إسحاق : استخلف الله عز وجل على بني إسرائيل بعد شعيا رجلاً منهم يقال له ياشية بن أحوص ، فبعث الله لهم الخضر نبياً ، واسم الخضر - فيما كان وهب يزعم عن بني إسرائيل - إرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون ، فأوصى الله إليه إني مهلك بني إسرائيل ، فبعث إليهم بختنصر وجنوده ، فوطىء الشام ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وخرب بيت المقدس ، ثم انصرف راجعاً

إلى أرض بابل ، واحتمل معه سبايا بني إسرائيل ، وجعلهم بختنصر ثلاث فرق، فثلثاً أقر بالشام ، وثلثاً سبى ، وثلثاً قتل . فلما ولى بختنصر عنهم راجعاً إلى بابل بمن معه من سبايا بني إسرائيل أقبل إرميا على حمار له ، حتى غشي إيلياء فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخله شك ، فقال : أنى يحيي هذه الله بعدموتها ! فأماته الله مائة عام ،وأمات حماره معه ، ثم بعثه الله فقال له : ﴿كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ ـ لم يتغير ـ ﴿ وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ﴾ ، فنظر إلى حماره يتصل بعض إلى بعض بالعروق والعصب ، ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق . ثم نظر إلى طعامه ، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير ، فلما عاين من قدرة الله ما عاين ، قال : ﴿ أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ .

ثم إن الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصر ، انبعث فقال لمن كان في يديه من بني إسرائيل : اخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا ، لعلي أطلع إليها فاقتل من فيها واتخذها ملكاً ، فإني قد فرغت من الأرض ومن فيها ، فبعث الله بقدرته بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت في دماغه ، فما كان يقر ولا يسكن، فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله : إذا مت فشقوا رأسي ، فانظروا ما هذا الذي قتلني ؟ فلما مات شقوا رأسه ، فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليري الله العباد قدرته وسلطانه ، ونجى الله من كان بقي في يديه من بني إسرائيل وردهم إلى الشام وإلى المسجد المقدس ، فكانوا على أحسن ما كانوا عليه ، غير أنهم دخلوا الشام وليس معهم عهد من الله ، لأن التوراة قد استبيت منهم فحرقت وهلكت ، وكان عزيز من السبايا الذين كانوا ببابل ، فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره، فبعث الله إليه ملكاً ، فاتاه ذلك الملك باناء فيه ماء ، فسقاه من ذلك الاناء ، فمثلت التوراة في صدره ، فرجع إلى بني إسرائيل ، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها وحدودها ، فأحبوه حتى قالوا : هو ابن الله . ثم قبضه الله إليه ، وبعث فيهم نبياً كما كان يصنع بهم ليسدد أمرهم ، ويعلمهم ويأمرهم بإقامة التوراة وما فيها .

ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

قال هشام بن محمد : أراد بختنصر ـ وهو (نبوخذ نصر) عربته العرب ـ أن يغزو بلاد العرب في زمان معد بن عدنان ، فوثب على من كان في بلاده من تجار العرب ، فجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حيراً على النجف وحصنه ، ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب ، فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين، فقبل ذلك منهم وأنزلهم السواد على شاطىء الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد ، فسموه الأنبار . قال : وخلى عن أهل الحير ، فأتخذوه منزلاً حياة بختنصر ، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار ، وبقي ذلك الحير خراباً . وقال آخرون إن بختنصر وجنوده دخلوا بلاد العرب فالتقوا بعدنان وجنوده ، فهزم بختنصر عدنان ، فاستعرضوا كل ذي روح آتوا عليه وقدروا عليه . قال أهل العلم: وسبب ذلك أن بني إسرائيل قتلوا أنبيائهم ، فكان آخر من قتلوا يحيي بن زكريا ، فسلط الله عليهم بختنصر ، وإياهم عنى الله بقوله : ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ﴾ أي كافرة الأهل ، فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم في آخر وقعة ذهبوا ليهربوا فلم يطيقوا الهرب ، ﴿ فلما أحسوا بأسنا ﴾ انتقامنا ﴿ إذا هم منها يركضون ﴾ يهربون ،قد اخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم ﴿ لا تركضوا ﴾ لا تهربوا ﴿ وارجعوا إلى ما اترفتم به ﴾ إلى العيشة المكفورة ﴿ومساكنكم﴾ مصيركم ﴿ لعلكم تسألون ﴾ فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب فقالوا : ﴿ يا ويلنا إنا كنا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴾ أي موتى وقتلى بالسيف . فرجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا فألقاهم بالأنبار ، فقيل أنبار العرب ، وبذلك سميت الأنبار .

رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ملكه
والحوادث التي كانت في أيام ملكه

ذكر العلماء أن زرادشت بن أسفيمان ، ظهر بعد ثلاثين سنة من ملك بشتاسب بن كي لهراسب ، فأدعى النبوة ، فصدقه الملك بشتاسب ، وقبل ما دعاه إليه ، وكان بشتاسب في أيامه تلك مهادناً لخرزاسف بن كي سواسف ، أخي

فراسياب ملك الترك على ضرب من الصلح ، فأشار زرادشت على بشتاسب بمفاسدة ملك الترك ومحاربته ، فوقعت الحرب ، واستطاع اسفنديار بن بشتاسب أن يهزم الترك شر هزيمة ، ومضى خرزاسف هارباً ، ورجع بشتاسب إلى بلدته بلخ ، فلما مضت لتلك الحروب سنون ، جمع خرزاسف جنوده ، وشخص من بلاده نحو بلخ ، فسفك الدماء ، وأحرق الدواوين ، واستولى على الأموال والكنوز ، وسبى ابنتين لبشتاسب ، وهرب منه بشتاسب حتى تحصن في تلك الناحية مما يلي فارس في الجبل الذي يعرف بطميذر . ثم إن اسفنديار ، عاد وجمع الجنود وسار بهم نحو عسكر الترك ، فالتحمت الحرب بينهم ، فانهزم الترك ، وتبعهم اسفنديار حتى قتل الملك واستباح أمواله وسبى نساءه ، واستنقذ أختيه ، ثم قطع البلاد وصير كل ناحية منها إلى رجل من وجوه الترك بعد أن آمنهم ، ووظف على كل واحد منهم خراجاً يحمله إلى بشتاسب في كل سنة ، ثم انصرف إلى بلخ . قالوا : ثم إن بشتاسب حسد ابنه اسفنديار لما ظهر منه ، فوجهه إلى محاربة رستم فقاتله ، فقتله رستم . ومات بشتاسب ، وكان ملكه مائة سنة واثنتي عشرة سنة .

ذكر الخبر عن ملوك اليمن في أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن اسفنديار

قال هشام الكلبي : إن الملك باليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له ياسر أنعم ، وإنما سموه بذلك لانعامه عليهم بما قوى من ملكهم . قال : ثم ملك من بعده تبع ، وهو تبان أسعد ، وهو أبو كرب من ملكي كرب بن زيد بن عمرو بن تبع ، وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ . قال : وكان يقال له الرائد . فكان تبع هذا في أيام بشتاسب وأردشير بن اسفنديار بن بشتاسب ، وإنه (تبع) سار يريد الأنبار ، فلما انتهى إلى الحيرة - وذلك ليلاً - تحير ، فأقام مكانه وسمي ذلك الموضع الحيرة، ثم توجه إلى الموصل ، ثم إلى أذربيجان ، فلقي الترك بها فهزمهم . فقدم عليه رسول ملك الهند بالهدايا والتحف ، فرأى ما لم ير مثله . فقال : ويحك ! أكل هذا في بلادكم ؟ فقال : وأكثرة في بلاد الصين ، ووصف له بلاد الصين ،

فوجه رجلاً من أصحابه ، يقال له ثابت نحو الصين في جمع عظيم فأصيب ، فسار تبع حتى دخلها ، واكتسح ما وجد فيها . قال : ويزعمون أن مسيره إليها ورجعته منها ، كان في سبع سنين ، وإنه خلف بالتبت اثني عشر ألف فارس من حمير ، فهم أهل التبت وهم اليوم يزعمون أنهم عرب ، وخلقهم وألوانهم خلق العرب وألوانها .

ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه أردشير بهمن ، فابتنى المدن وقوى الجنود ، وسار إلى سجستان طالباً بثأر أبيه فقتل رستم وأباه دستان واجتبى الناس لأرزاق الجند ، وكان - فيما ذكروا - متواضعاً مرضياً فيهم . قال هشام الكلبي : هلك بهمن ، فملكوا ابنته خماني شكراً لأبيها بهمن ، وكان ملكه ثمانين سنة . قال : وكانت خماني تلقب بشهرزاد لكمال عقلها وبهائها ، وإنها قمعت الأعداء ، وشغلتهم عن تطرف شيء من بلادها ، ونال رعيتها في ملكها رفاهة وخفضاً ، وإنها أجهدت نفسها في طلب مرضاة الله عز وجل ، فاوتيت الظفر والنصر ، وكان ملكها ثلاثين سنة .

خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر مع خبر ذي القرنين

وملك دارا بن بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب ، وكان ينبه بجهرازاد - يعني كريم الطبع ، فذكروا أنه كان ضابطاً لملكه ، قاهراً لمن حوله من الملوك ، وإنه كان معجباً بابنه دارا ، وإنه من حبه إياه سماه بأسم نفسه ، وكان ملكه اثنتي عشرة سنة، فملك من بعده دارا بن دارا بن بهمن ، وكان شاباً غراً حمياً حقوداً جباراً . قال هشام : ثم إن رجالاً من أصحاب دارا وثبوا به فقتلوه ، وتقربوا برأسه إلى الإسكندر ، فأمر بقتلهم ، وقال : هذا جزاء من اجترأ على ملكه . وتزوج ابنته روشنك بنت دارا ،وغزا الهند ومشارق الأرض، ثم انصرف وهو يريد الإسكندرية ، فهلك بناحية السواد ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، واجتمع ملك الروم وكان متفرقاً ، وتفرق ملك فارس وكان مجتمعاً .

وقال آخرون : كانت ملوك الروم تؤدي الخراج إلى دارا الأكبر في كل سنة ،

فـهـلـك ملك الروم جـد الإسكندر لأمـه ، فلما صـار الملك لابن ابنتـه ، بعث دارا الأصـغـر إليه : أنك أبطأت علينا بالخراج الذي كنت تؤديه ويؤديه من كان قبلك ، فـابعث إلينا بخـراج بلادك وإلا حـاربناك ، فـقـبل الإسكندر المحاربة ، فلما التقوا للحـرب ، طعن حـاجـبا دارا دارا في الوقعة ، فلحقه الإسكندر صريعاً ، فنزل إليه وهو بآخـر رمق ، فأوصـاه أن يتـزوج ابنتـه روشنك وأن يقـتـل من طعنه وغـدر به .
قـالـوا : فـجـمـع الإسكندر بعـد مـهلك دارا ملك دارا إلى ملكه ، فـملك العـراق والروم والشـام ومصر . ويزعـمون أن ملكه دام أربع عشرة سنة .

ولما مـات الإسكندر ، تحـول الملك إلى بطليـمـوس بن لوغـوس ، وكان ملكه ثمانيـاً وثلاثين سنة ، ثم صـار الملك لبطليـمـوس دينايوس ، أربعين سنة ، ثم بعده لبطليـمـوس أورغاطس أربعاً وعشرين سنة ، ثم لبطليموس فيلافطر إحدى وعشرين سنة ، ثم لبطليـمـوس افـيـفـانس اثنتين وعشرين سنة ، ثم لبطليـمـوس أورغـاطس تـسـعـاً وعـشرين سنة ، ثم لبطليـمـوس سـاطر سبع عشرة سنة ، ثم لبطليـمـوس الاحـسندر إحـدى عشرة سنة ، ثم لبطليـموس الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين ، ثم لبطليـمـوس دونسـيـوس ست عشرة سنة ، ثم لبطليـموس قالو بطري سبع عشرة سـنـة ، فـكـل هـؤلاء كـانوا يونانيين ، فكل ملك منهم بعـد الإسكندر كـان يدعى بطليـمـوس ، كما كـانت ملك الفـرس يدعـون أكـاسرة ، ثم ملك الشـام بعد قالوا بطري ، جـايوس يوليـوس ، وكـان أول ملك الروم - المصاص - خمس سنين ، ثم مـلـك الـشـام بـعـده اغـوسطوس سـتـاً وخمسين سنة ، فلما مـضى من ملكه اثنتـان وأربعـون سنة ولد عـيـسى بن مـريم عليـه السـلام ، وبين مـولده وقـيـام الإسكندر ثلاثمائة سنة وثلاث سنين .

ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف

قـال هشـام : ملك بعـد الإسكندر يلاقس سلقيس ، ثم أنطيحس : فخرج رجـل يـقـال لـه أشـك ، وهـو ابـن دارا الأكـبر ، فـجـمع جمعـاً كـثيراً وسـار يريد أنطيـحس ، فـقتله وغلب أشك على السواد فصار في يده الموصل إلى الري وأصبهان ، ثم ملك بعـده جـوذرز بن أشكان ، وهو الذي غـزا بني إسرائيل المرة الثانية ، سلطه الله عليـهم لقـتلهم يحيى بن زكـريا . قال : وكانت الروم غزت بلاد فارس ، يقودها

ملكها الأعظم ليثأر لقتل أنطيحس ، وملك بابل يومئذ بلاش أبو أردوان ، فكتب بلاش إلى ملوك الطوائف يعلمهم ما اجتمعت عليه الروم من غزو بلادهم ، فوجه كل ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش الرجال والسلاح ، فوقعت الحرب ، وقتل ملك الروم ، وذلك هيج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية إليها ، فكان الذي ولى انشاءها الملك قسطنطين ، الذي أجلى من بقي من بني إسرائيل عن فلسطين والأردن لقتلهم - بزعمه - عيسى بن مريم - قال أبو جعفر : ويقال إن عيسى بن مريم عليه السلام ولد بأورشليم بعد إحدى وخمسين سنة من ملوك الطوائف ، فكانت سنو ملكهم من لدن الإسكندر إلى وثوب أردشير بن بابك وقتله أردوان واستواء الأمر له ، مائتين وستين سنة ، وكان ملك الإسكندر وملك سائر ملوك الطوائف خمسمائة وثلاث وعشرين سنة .

ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف

قالت الفرس : ولد عيسى بن مريم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل ، وقالت النصارى : بل لمضي ثلاثمائة وثلاث سنين من ذلك ، وزعموا أن مولد يحيى بن زكريا كان قبل مولد عيسى بن مريم بستة أشهر، وإن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وإن عيسى عاش إلى أن رفع اثنين وثلاثين سنة وأياماً ، وإن مريم بقيت بعد رفعه ست سنين ، وكان جميع عمرها نيفاً وخمسين سنة . قال ابن إسحاق : يحيى بن زكريا ، هو ابن خالة عيسى بن مريم ، وإن زكريا كفل مريم بعد موت أمها ، لأن خالتها أخت أمها كانت عنده.

قال ابن عباس : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا ، في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس ، فكان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ . قال : وكان لملكهم ابنة أخ تعجبه ، يريد أن يتزوجها ، فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا دخلت على الملك فقولي له أن يذبح يحيى بن زكريا ، فدعا الملك بطست فذبحه ، فندرت قطرة من دمه على الأرض ، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم ، فقتل سبعين ألفاً منهم حتى سكن الدم . قال أبو جعفر : وهذا القول ، من أن بختنصر ، هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا ، غلط بأجماع أهل السير والأخبار ، فإن بختنصر غزا بني إسرائيل لقتلهم نبيهم شعيا .

قال ابن إسحاق : فلما رفع الله عيسى بن مريم من بني إسرائيل ، وقتلوا يحيى بن زكريا ، ابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم ، وأمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى نبوزرادان ، فقال له : اقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ، فدخل نبوزرادان بيت المقدس ، فوجد فيها دماً يغلي ، فقتل منهم على ذلك الدم أكثر من عشرين ألفاً فلم يهدأ ، ثم قال : يا يحيى ابن زكريا ، قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك ، فأهدأ باذن الله قبل أن لا أبقي من قومك أحداً ، فهدأ دم يحيى بأذن الله ، ورفع نبوزرادان عنهم القتل . قال : وهذه الوقعة هي الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل ، يقول تعالى: ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ إلى قوله : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ فكانت الواقعة الأولى ، ثم رد الله لهم الكرة عليهم ، ثم كانت الوقعة الأخيرة خردوس وجنوده ، وكانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبي نسائهم . قال تعالى : ﴿ وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ . قال ابن إسحاق : وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها يليان خدمة الكنيسة ، فكانت مريم إذا نفد ماؤها ، وماء يوسف أخذ كل واحد منهم قلته فانطلق إلى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبانه . فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرئيل ، نفد ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا نستقي ! قال : إن عندي لفضلاً من ماء أكتفي به إلى غد، فانطلقت وحدها ، حتى دخلت المغارة ، فوجدت عندها جبرئيل قد مثله الله لها بشراً سوياً ، فقال لها: يا مريم، إن الله قد بعثني لأهب لك غلاماً زكياً ،قالت: ﴿ إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ﴾ وهي تحسبه رجلاً من بني آدم ، فقال : إنما أنا رسول ربك ، قالت : ﴿ أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ﴾ فنفخ في جيبها ، ثم انصرف عنها ، وملأت قلتها .

قال وهب : وكان أول من أنكر حملها صاحبها يوسف ، فلما رأى الذي بها استعظمه ، وفظع به ، ولم يدر على ماذا يضع أمرها ! فإذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وبراءتها ، وإنها لم تغب عنه ساعة قط ، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها . ثم إنه كلمها فقال : هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت : نعم ، قال : هل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم . ألم تعلم إن الله ينبت الزرع من غير

بذر ، وخلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فوقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله عز وجل ، وإنه لا يسعه أن يسألها عنه . ثم تولى خدمة المسجد ، وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه . قال : فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ، فإنهم إن ظفروا بك عيروك وقتلوا ولدك . فأفضت عند ذلك إلى أختها - وأختها حينئذ حبلى ، وقد بشرت بيحيى ، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له، حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر ، اشتد على مريم المخاض ، فالتجأت إلى النخلة . فلما وضعت قيل لها : ﴿ ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ﴾ إلى قوله ﴿ إني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم إنسيا ﴾ ، فكان الرطب يتساقط عليها ، وذلك في الشتاء .

قال : واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف ، حتى وردا أرض مصر ، فهي الربوة التي قال الله : ﴿ وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ ، فمكثت مريم اثنتي عشرة سنة تكتمه عن الناس . فأوحى الله عز وجل إلى مريم أن اطلعي به إلى الشام ، ففعلت ، فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، فجاءه الوحي، وكانت نبوته ثلاث سنين .

وأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه قال : خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها ، فاتخذت من دونهم حجاباً من الجدران ، وهو قوله تعالى : ﴿ فانتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجابا ﴾ في شرق المحراب ، فلما طهرت ، حصل ما ذكر الله تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ إلى قوله: ﴿ وكان أمراً مقضيا ﴾ . فخرجت عليها جلبابها ، فنفخ جبرئيل في جيب درعها ، فحملت ، فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها ، فقالت لها : يا مريم أشعرت أني حبلى ، قالت مريم : أشعرت أني ايضاً حبلى . قالت امرأة زكريا : فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك ، فذلك قوله : ﴿ مصدقاً بكلمة من الله ﴾ فولدت امرأة زكريا يحيى ، ولما بلغ أن تضع مريم ، الجأها المخاض إلى جذع النخلة ، قالت استحياء من الناس : ﴿ يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا ﴾ فناداها جبرئيل : ﴿ ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ﴾ والسري هو النهر ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة ﴾ فتساقطت النخلة رطباً جنياً ، فقال لها : كلي واشربي وقري عيناً ، ﴿ فأما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً

فلن اكلم اليوم إنسيا ﴾ ، فلما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني اسرائيل بذلك ، فدعوها ، ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾ فأشارت إلى عيسى ، فغضبوا ﴿ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ﴾ فتكلم عيسى فقال : ﴿ إني عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبيا ﴾ فقالت بنو إسرائيل : ما أحبلها أحد غير زكريا ، فطلبوه ففر منهم ، فتشبه له الشيطان في صورة راع ، فقال : يا زكريا ، قد أدركوك ، فادع الله حتى تنفتح لك هذه الشجرة فتدخل فيها ، فدعا الله فانفتحت له الشجرة ، فدخل فيها وبقي من ردائه هدب ، فمرت بنو إسرائيل بالشيطان ، فقالوا : يا راعي ، هل رأيت رجلاً مر من ها هنا ، قال : نعم سحر هذه الشجرة ودخل فيها ، وهذا هدب ردائه ، فعمدوا فقطعوا الشجرة وهو فيها بالمناشير .

ثم إن اليهود أخذت تطلب عيسى لتقتله ، فشبه عليهم بقدرة الله ، برجل إسرائيلي يقال له : ايشوع بن فنديرا ، فأخذوه ، فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، حتى أتوا بالخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلبوا ما شبه لهم ، فمكث سبعاً . قال ابن إسحاق : توفي عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه الله إليه .

نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف

قال هشام بن محمد : لما مات بختنصر انضم الذين أسكنهم الحيرة من العرب إلى أهل الأنبار ، وبالأنبار أهلها ومن انضم إليهم من قبائل العرب من بني إسماعيل وبني معد بن عدنان ، فلما كثروا وملأوا بلادهم ، خرجوا يطلبون المتسع، وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا وتعاقدوا ، وكان ذلك في أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر وفرق البلدان بينهم عند قتله دارا بن دارا ملك فارس إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف ، وقهرهم ودان له الناس ، وضبط له الملك . قال هشام : وإنما سموا ملوك الطوائف ، لأن كل ملك منهم كان ملكه قليلاً من الأرض ، وإنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق وعدوه قريب منه ، يغير أحدهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة .

فتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق ، وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه ، فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فهم ، وكان منزله مما يلي الأنبار ، ثم مات مالك ، فملك بعده أخوه عمرو بن فهم ، فملك بعده جذيمة الأبرش بن مالك ابن فهم الأزدي . قال ابن الكلبي : كان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً ، وأظهرهم حزماً ، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق ، وضم إليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به برص ، فكنت العرب عنه اعظاماً له ، فقيل : جذيمة الوضاح ، وجذيمة الأبرش ، وكانت منازله فيما بين الحيرة والأنبار وبقة وهيت وناحيتها ، وعين التمر ، وكانت تجبى إليه الأموال ، وتفد إليه الوفود ، وذكر أنه قد تنبأ وتكهن ، واتخذ صنمين ، يقال لهما : الضيزنان ، وكان يستسقي بهما ويستنصر بهما على العدو .

قال : ثم إنه ذكر لجذيمة غلام من لخم في أخواله من إياد يقال له عدي بن نصر بن ربيعة ، له جمال وظرف ، فغزاهم جذيمة وضم عدياً إلى نفسه وولاه شرابه ، فأبصرته رقاش ابنة مالك أخت جذيمة ، فعشقته وقالت له : اخطبني إلى الملك ، فقال : لا أجترىء على كلامه ، قالت : إذا جلس على شرابه ، وحضر ندماؤه ، فاسقه صرفاً ، واسق القوم مراجاً ، فإذا أخذت الخمرة مأخذها ، اخطبني إليه ، ففعل الفتى ما أمرته به ، فأملكه جذيمة إياها ، فخرج ذات يوم مع فتية متصيدين ، فرمى به فتى منهم من لهب فيما بين جبلين ، فتنكس فمات ، واشتملت رقاش على حبل ، فولدت غلاماً فسمته عمراً ، فضمه جذيمة إليه ، فبينما هو على أحسن حال ، إذا استطارته الجن فاستهوته ، فضرب له جذيمة في البلدان فلم يعثر عليه .

قال : وأقبل رجلان إخوان من بلقين - يقال لهما : مالك وعقيل ، من الشام يريدان جذيمة قد أهديا له طرفاً ومتاعاً ، فلما كانا ببعض الطريق ، ومعهما قينة لهما يقال لها : أم عمرو ، فقدمت إليهما طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى عريان شاحب ، ساءت حاله ، فمد يده يريد الطعام ، فناولته القينة كراعاً ، فأكلها ثم مد يده إليها ، فقالت : (تعطي العبد كراعاً فيطمع في الذراع) فذهبت مثلاً ، ثم إن الفتى عرفها بحاله ، فقال : أنا عمر بن عدي ، فنهضا إليه فضماه

وغسلا رأسه وقالا : ما كنا لنهدي لجذيمة هدية أنفس عنده ، ولا أحب اليه من ابن أخته ، فخرجا به إلى جذيمة ، فسر بذلك سروراً شديداً ، وقال لمالك وعقيل، حكمكما ، قالا : حكمنا منادمتك ما بقينا وبقيت ، فجعل ذلك لهما .

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب بن حسان العملقي ، فجمع جذيمة جموعاً من العرب ، فسار إليه يريد غزاته ، وأقبل عمرو بن ظرب بجموعه من الشام ، فالتقوا ، فاقتتلوا ، فقتل عمرو بن ظرب ، وانفضت جموعه ، وانصرف جذيمة بمن معه سالمين غانمين ، فملكت من بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة ، وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصراً حصيناً على شاطىء الفرات الغربي ، فلما أن استجمع لها أمرها ، واستحكم لها ملكها ، أجمعت لغزو جذيمة تطلب بثأر أبيها ، فقالت لها أختها زبيبة - وكانت ذات رأي ودهاء - : يا زباء ، إنك إن غزوت جذيمة ، فإنما هو يوم له ما بعده ، ولا تدرين لمن تكون العاقبة ، فانصرفت الزباء عما كانت أجمعت عليه من غزو جذيمة ، وأتت أمرها من وجوه الختل والخدع والمكر ، فكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها ، وأن يصل بلاده ببلادها ، فلما انتهى كتاب الزباء إلى جذيمة ، جمع إليه أهل الحجى والنهى ، واستشارهم في أمره ، فأجمع رأيهم على أن يسير إليها . وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد ، وكان أثيراً عند جذيمة ، ناصحاً، فخالفهم وقال : (رأي فاتر، وعذر حاضر) فذهبت مثلاً . وقال لجذيمة: اكتب إليها ، فإن كانت صادقة فلتقبل إليك ، وإلا لم تمكنها من نفسك ، ولم تقع في حبالها ، وقد وترتها وقتلت أباها . فلم يوافق جذيمة ما أشار به عليه قصير .

فسار جذيمة إلى الزباء ، واستخلف عمرو بن عدي على ملكه ، وجعل عمرو بن عبد الجن الجرحي معه على خيوله ، وسار في وجوه أصحابه ، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي ، فلما نزل الفرضة ، واستقبلته رسل الزباء بالهدايا ، دعا قصيراً ، فقال : يا قصير ، كيف ترى ؟ قال : (خطر يسير في ركب كبير) فذهبت مثلاً ، وستلقاك الخيول ، فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة ، وإن أخذت جنبيك وأحاطت بك من خلفك ، فإن القوم غادرون . فلقيته الخيول والكتائب وأحاطت به حتى قادته إلى الزباء ، فلما دخل عليها قالت : إني انبئت أن دماء الملوك شفاء من الكلب ، ثم أجلسته على نطع ، وأمرت بطست من ذهب فأعدته

له وسقته من الخمر حتى أخذت مأخذها منه ، وأمرت بضرب عنقه ووضع دمه في الطست ، وقد قيل لها : إن قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه ، فقطر من دمه في غير الطست ، فقالت : لا تضيعوا دم الملك ، فقال جذيمة : (دعوا دماً ضيعه أهله) فذهبت مثلاً . فهلك جذيمة .

قالوا : وخرج قصير حتى قدم على عمرو بن عدي ، فقال له : تهيأ واستعد، ولا تطل دم خالك . وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن أمرها وملكها ، فقالت : أرى هلاكك بسبب عمرو بن عدي ، فحذرت الزباء عمراً ، واتخذت نفقاً من مجلسها الذي كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها . ثم إن قصيراً قال لعمرو بن عدي : اجدع أنفي واضرب ظهري ، ودعني وإياها ، فرفض عمرو ذلك وقال له : أنت أبصر ، فجدع قصير أنفه ، وأثر بظهره ، فقالت العرب : لمكر ما جدع أنفه قصير . فذهبت مثلاً .

وخرج قصير كأنه هارب ، فسار حتى قدم على الزباء ، فقيل لها : إن قصيراً بالباب ، فأمرت به فادخل عليها ، فقالت : ما الذي أرى بك يا قصير ؟ فقال : زعم عمرو بن عدي إني غررت بخاله وزينت له السير إليك ففعل بي ما ترين ! فأقبلت إليك ، فألطفته وأكرمته ، وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأي والتجربة والمعرفة بأمور الملوك ، فلما وثقت به ، قال لها : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة ، وبهاطرائف وثياب وعطر ، فابعثيني إلى العراق لأحمل مالي وأحمل إليك من طرائف العراق ! فبعثته ودفعت معه عيراً ، فقالت : انطلق إلى العراق ، فبع ما جهزناك به ، وابتع لنا من طرائف ما يكون بها من الثياب وغيرها . فسار قصير متنكراً حتى دخل على عمرو بن عدي فأخبره بالخبر ، وقال : اجمع لي ثقات أصحابك وجندك ، وهيىء لهم الغرائر والمسوح ، واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين ، واجعل معقد رؤوس الغرائر من باطنها ، فإذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قتلوه ، وإن أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف ، ففعل عمرو بن عدي ، وحمل الرجال في الغرائر على ما وصف له قصير ، ثم وجه الإبل إلى الزباء، فلما كانوا قريباً من مدينتها ، تقدم قصير إليها ، فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب والطرائف ، فلما توسطت الإبل المدينة انيخت ، ودل قصير

عمراً على باب النفق ، وأراه إياه ، وخرجت الرجال من الغرائر ، وصاحوا بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو بن عدي على باب النفق ، وأقبلت الزباء مولية مبادرة تريد النفق لتدخله ، وأبصرت عمراً قائماً ، فمصت خاتمها ، وكان فيها سم – وقالت ـ بيدي لا بيدك يا عمر) فذهبت مثلاً ، وتلقاها عمرو بن عدي ، فجللها بالسيف فقتلها ، وأصاب ما أصاب من أهل المدينة ، وانكفأ راجعاً إلى العراق .

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر طسم وجديس إذ كان أمرهم أيضاً في أيام ملوك الطوائف . قال ابن إسحاق : إن طمساً وجديساً كانوا من ساكني اليمامة ، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها ، وكان عليهم ملك من طسم ظلوم غشوم ، لا ينهاه شيء عن هواه ، يقال له عملوق ، مضراً بجديس ، مستذلاً لهم. وكان مما لقوا من ظلمه ، أنه أمر بالا تهدى بكر من جديس إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها ، فقال رجل من جديس ، يقال له الأسود بن غفار لرؤساء قومه : قد ترون ما نحن فيه من العار والذل ، فأطيعوني فإني أدعوكم إلى عز الدهر . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إني صانع للملك ولقومه طعاماً ، فإذا جاؤوا نهضنا إليهم بأسيافنا وانفردت به فقتلته ، وأجهز كل رجل منكم على جليسه ، فأجابوه إلى ذلك ، وحضر الملك فقتل وقتل الرؤساء ، فشدوا على العامة منهم فأفنوهم ، فهرب رجل من طسم يقال له رياح بن مرة ، حتى أتى حسان بن تبع ، فاستغاث به ، فخرج حسان في حمير ، فلما كان من اليمامة على ثلاث ، قال له رياح : إن لي أختاً متزوجة في جديس ، يقال لها اليمامة ، وانها لتبصر الراكب من مسيرة ثلاث ، وإني أخاف أن تنذر القوم بك ، فمر أصحابك ، فليقطع كل منهم شجرة فليجعلها أمامه ويسير وهي في يده ، فأمرهم حسان بذلك ، ففعلوا ، فنظرت اليمامة ، فأبصرتهم ، فقالت لجديس : لقد سارت حمير . فقالوا : وما الذي ترين ؟ قالت : أرى رجلاً في شجرة ، ومعه كتف يتعرقها ، أو نعل يخصفها. فكذبوها ، وكان ذلك كما قالت ، وصبحهم حسان فأبادهم وأخرب بلادهم . قالوا : وكانت اليمامة تسمى إذ ذاك جوّ أو القرية ، وأتى حسان باليمامة ابنة مرة ، فأمر بها ففقئت عيناها ، فإذا فيها عروق سود ، فقال لها : ما هذا السواد في عروق عينيك ؟ قالت : حجير أسود يقال له الأثمد ، كنت أكتحل به .

وكـانت فيها ذكروا أول من اكتحل بالأثمد ، فأمر حسان بأن تسمى جو اليمامة .

ذكر الخبر عن أصحاب أهل الكهف

وكـان أصـحاب الكهف فتية آمنوا بربهم كما وصفهم الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليـه وسلم: ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾. والرقـيم هو الكتـاب الذي كـان قوم الفتية قد كتبوه في لوح بذكر خبرهم وقصصهم، ثم جـعلوه على باب الكهف الذي آووا إليـه . قـال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ما يعلمـهم إلا قليل ﴾ قـال : أنا من القليل ، كـانوا سبـعـة وثامنهم كلبـهم . وقـال مجاهد: كـانوا من قـوم يعـبدون الأصنام من الروم ، فهداهم الله إلى الإسلام . قال عكرمـة : كـان أصـحاب الكهف أبناء ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، فتفردوا بدينهم ، واعـتـزلوا قـومهم ، حتى انتهوا إلى الكهـف ، فضرب الله على سمخانهم ، فلبـثـوا دهراً طويلاً ، حـتى هلكت أمـتـهم ، وجـاءت أمـة مسلمة ، وكان ملكهم مـسلماً ، فـبـعـثـوا أحدهم يشتري لهم طعاماً ، فدخل السوق ، فجعل ينكر الوجوه ويـعـرف الـطـرق ، فـأتـى رجـلاً يشتري منه طعـامـاً ، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها، فـقـال له الفـتى : أليس ملككم فـلان ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حـتى رفـعـه إلى الملك ، فسأله فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك في الناس ، فـسـاروا حتى انتـهـوا إلى الكهف ، فـقـال الفـتى : دعـوني أدخل إلى أصـحـابي ، فـلما أبـصرهـم ضرب الله عـلى اذنه وعلى آذانهم ، فلما اسـتـبطؤوه دخل الملك ودخل الناس مـعه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها. فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم .

يونس بن متىّ

فكان فـيما ذكـر - من أهل قـرية من قـرى الموصل يقـال لها : نينوى ، وكان قـومه يعبدون الأصنام . قال ابن إسحاق : فبعثه الله إلى أهل قريته ، فردوا عليه ما جـاءهـم به ، وامتنعـوا منه ، فلما فـعلوا ذلك أوحى الله إليـه : إني مـرسل عليـهم العـذاب في يوم كـذا وكـذا ، فـاخـرج من بين أظهـرهـم ، فأعلم قـومـه أنه يأتيـهم العـذاب إلى ثلاثة أيام ، فـفرقوا بين كل والدة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله،

واستغفروه ، فكف الله عنهم العذاب . قال تعالى : ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة ومتعناهم إلى حين ﴾ ، وغدا يونس ينتظر العذاب فلم ير شيئاً ، فقال عند ذلك وغضب : والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً ، وانطلق مغاضباً ، حتى ركب سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح . فقالوا : هذه بخطيئة أحدكم . قال يونس : هذه بخطيئتي ، فالقوني في البحر ، فأبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ، ﴿ فساهم فكان من المدحضين ﴾ . فلما رأى ذلك ألقى نفسه في البحر ، فابتلعه الحوت ﴿ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فسبح وهو في بطن الحوت ، فأنزل الله فيه : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾. ثم إن الحوت قذفه في الساحل كما قال الله : ﴿ وهو سقيم ﴾. قال ابن عباس: فطرحه مثل الصبي المنفوس ، فأنبت الله عليه شجرة يقطينة – شجرة القرع – يتقطر عليه من اللبن ، حتى رجعت إليه قوته ، فرجع يونس إلى قومه بعد ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون . فآمنوا فمتعناهم إلى حين ﴾ .

إرسال الله رسله الثلاثة

قال تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ﴾ . قال ابن إسحاق : أنه كان رجلاً من أهل انطاكية ، وكان اسمه حبيباً وكان يعمل الحرير ، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام ، وكان مؤمناً ذا صدقة ، وكان بالمدينة التي هو بها ، مدينة انطاكية ، فرعون من الفراعنة يقال له أنطيخس ، يعبد الأصنام ، فقدم الله إليه والى أهل مدينته اثنين من رسله ، فكذبوهما ، ثم عزز الله بثالث . فلما دعته الرسل ، قال أصحاب القرية لهم : ﴿ إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم ﴾ . قالت لهم الرسل : ﴿طائركم معكم﴾ أي أعمالكم ﴿ أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون ﴾ . فلما أجمع هو وقومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيباً، فجاء يسعى ويقول : ﴿ يا قوم اتبعوا المرسلين واتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ ، ثم أظهر لهم دينه وعبادة ربه ، فقال : ﴿ ومالي

لا اعبد الذي فطرني وإليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة ﴾ إلى قوله : ﴿ اني آمنت بربكم فاسمعون ﴾. فلما قال لهم ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه . فقال الله له: ﴿ ادخل الجنة ،فدخلها حياً يرزق فيها ، فلما قضى إلى رحمة الله وجنته ﴾، قال : ﴿ يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ وغضب الله لاستضعافهم إياه ، فعجل لهم النقمة ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴾ . فأهلك الله ذلك الملك وأهل انطاكية ، فلم يبق منهم باقية .

ذكر خبر شمشون

وكان من أهل قرية من قرى الروم . قال ابن إسحاق : إن شمشون كان فيهم رجلاً مسلماً ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، وكان منزله منهم على أميال غير كثيرة ، وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله ، فيصيب منهم وفيهم حاجته ، وكان قد أعطي قوة في البطش ، فلا يوثقه حديد ولا غيره ، ولا يقدرون منه على شيء، حتى قالوا: لن تأتوه إلا من قبل امرأته،فجعلوا لها جعلاً على أن توثقه لهم، فحاولت أن توثقه بالحبل وهو نائم فقطعه ،فحأولت بالحديد فقطعه أيضاً ،وفي كل مرة تدعي أنها تريد أن تجرب قوته. ثم إنها قالت له: ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمشون! أما في الأرض شيء يغلبك.قال: إلا شيء واحد،فلم تزل به حتى أخبرها إنه لاشيء يغلبه إلا شعره ،وكان ذا شعر كثير، فلما نام ،أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه ، فأوثقه ذلك ،وبعثت إلى القوم ، فجاؤوا فأخذوه ، فجدعوا أنفه واذنيه ، وفقأوا عينيه ، ووقفوه للناس بين ظهراني المئذنة ، وكان ملكهم قد أشرف عليها بالناس لينظروا إلى شمشون . قال : فدعا الله شمشون حين مثلوا به ، أن يسلطه عليهم، فأمر أن يأخذ بعمودين من عمد المئذنة التي عليها الملك والناس الذين معه فيجذبهما ، فجذبهما فرد الله عليه بصره وما أصابوا من جسده ، ووقعت المئذنة بالملك والناس ، فهلكوا .

ذكر خبر جرجيس

قال ابن إسحاق : كان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين ، وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس ، فجهز مرة إلى ملك بالموصل يقال

له داذانه ، وكـان جـبـاراً عـاتيـاً ، فـدخل عليه فوجده قد أوقد ناراً ، وقرب أصنافاً من العـذاب الذي كـان يعـذب به من خـالفـه ، وقـد أمـر بصنم يقـال له (أفلون) فـالناس يعـرضـون عليه ، فمن لم يسجد له ألقي في تلك النار ، فلما رأى جرجيس مـا يصنع هذا الملك فظع به ، وحـدث نفـسـه بجـهاده ، ثم إنه دعاه إلى عبادة الله وحـده ، ورفض عـبـادة الأوثان ، فما كـان من الملك إلا أن دعـاه إلى عـبادة الصنم الذي يعبده ، فغضب جرجيس فقال له : اخسأ أيها النجس الملعون ! .

قـال : فلما سـمـعـه الملك يسـبه ويسب آلهته غضب من قوله غضباً شديداً ، وأمـر بخـشـبـة فنصبت له للعـذاب ، وجـعلت عليـه أمشاط الحديد ، فخدش بها جسـده ، حـتى تقطع لحـمـه وجلده وعـروقـه ، فلما رأى ذلك لم يقتله ، أمر بستة مـسامير فسمر بها رأسه حتى سال دماغه ، فلما رأى ذلك لم يقتله ، أمر بحوض من نحـاس ، فأوقـد عليـه حـتى إذا جـعله ناراً أمر به فأدخل في جوفه ، وأطبق عليه ، فلم يزل فـيـه حـتى برد حـره ، فلما رأى ذلك لم يقـتله ، أجمع رأيه على أن يخلده في السـجن ، فأمـر فـبطح في السـجن على وجهه ، ثم أوتد في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حـديد ، ثم أمـر بحـجـر من رخـام ، فـوضع على ظهـره . قـال : فلما أدركـه الليل، بعث الله ملكا فـقلع عنه الحـجـر ، ونزع الأوتاد ، فلما أصـبح أخـرجـه من السـجن وقـال له : الحق بعـدوك فجاهده في الله ، فإن الله يقول لك : ابشر واصبر ، فاني ابتليك بعدوي هذا سبع سنين ، يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات ، في كل ذلك أرد إليك روحك ، فإذا كـانت القـتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك .

قـال : فعذبوه بأصناف العذاب حتى لم يبق منها شيئاً ، إلا الجوع والعطش ، فـعـذبوه بها . فـعـمـدوا إلى بيت عـجـوز كـبيرة فـقيرة ، وكـان لها ابن أعمى أبكم مـقـعـد، فـحصروه في بيتـهـا فـلا يصل إليـه من أحد طعام ولا شراب . فلما بلغه الجـوع، قـال للعـجوز : هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذي يحلف به ، ما عهدنا بالطعام منذ كذا وكذا . فقال لها : هل تعرفين الله ؟ قالـت : نعم ، قال: فـاياه تعـبدين ؟ قالت : لا ، فدعاها إلى الله فصدقته ، وانطلقت تطلب له شيئاً ، وفي بيتـهـا دعامة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فانبتت كل فـاكـهـة تؤكل أو تعـرف ، وأقـبلت العـجوز ، فلما رأت ذلك ، قالت : آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع ، فادع هذا الرب ليشفي ابني ، ففعل فأشفاه الله .

قال : ثم إن الملك قال له : هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك ! فلولا أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لأتبعتك وآمنت بك ، ولكن اسجد لأفلون سجدة واحدة ، واذبح له شاة واحدة ، ثم أنا أفعل ما يسرك . فقال جرجيس : نعم . ففرح الملك فقال : إني أعزم عليك ألا تظل هذا اليوم ، ولا تبيت هذه الليلة إلا في بيتي ، حتى تستريح . فظل فيه جرجيس حتى إذا أدركه الليل ، قام يصلي ، ويقرأ الزبور ، فلما سمعته امرأة الملك استجابت له ، ولم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه ، فدعاها إلى الإيمان فآمنت ، وكتمت إيمانها ، فلما أصبح غدا به الملك إلى بيت الأصنام ليسجد لها أمام الناس . فوقف جانباً ودعا الأصنام إليه ، فأقبلت تدحرج ، فلما انتهت إليه ركض الأرض برجله ، فخسف بها وبمنابرها . فقال الملك : يا جرجيس خدعتني وغررتني ، وأهلكت آلهتي ، فقال له جرجيس : إنما فعلت ذلك لتعلم أنها لو كانت آلهة إذا لامتنعت مني . فقالت امرأة الملك : ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوة فتخسف بكم الأرض فتهلكوا كما هلكت أصنامكم . فقال الملك : ويحاً لك اسكندرة ! ما أسرع ما أضلك هذا الساحة . فأمر بتعذيبها ، فقالت : أدع ربك يا جرجيس يخفف عني ، فقال : انظري فوقك . فلما نظرت ضحكت ، فقال لها : ما الذي يضحكك ؟ قالت : أرى ملكين فوقي، معهما تاج من حلي الجنة ينتظران به روحي أن تخرج ، فإذا خرجت صعدا بها إلى الجنة ، فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء ، فقال : اللهم إني أسألك ألا تقبض روحي ، ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهذا القوم المتكبرين من سطوتك ونقمتك ما لا قبل لهم به ، فلما فرغ من الدعاء ، أمطر الله عليهم النار ، فلما احترقوا عمدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظاً من شدة الحريق ، فقبض الله روحه إليه . وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين الفاً ، وامرأة الملك .

ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسني ملكهم

قال أبو جعفر : لما مضى من لدن ملك الإسكندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتب خمسمائة وثلاث وعشرون سنة ، وفي قول المجوس مائتان وست وستون سنة ، وثب أردشير بن بابك بفارس طالباً بدم ابن عمه دارا بن دارا

ابن بهمن بن اسفنديار ، الذي حارب الإسكندر ، فقتله حاجباه ، وزعم أردشير أنه يريد رد الملك إلى أهله ، فسار إلى موضع يقال له جوبانان ، فقتل ملكاً كان بها يقال له فاسين ، ثم سار إلى موضع يقال له كونس ، فقتل ملكاً كان بها يقال له منوشهر ، وملّك هذه المواضيع قوماً من قبله ، ثم كتب إلى أبيه بما كان منه ، وأمره بالوثوب بجزهر وهو بالبيضاء ، ففعل ذلك ، وقتله وأخذ تاجه ، ثم سار إلى كرمان وبها ملك يقال له : بلاش ، فأسره أردشير ، واستولى على المدينة ، فملّك أردشير على كرمان ابناً له يقال له أردشير أيضاً . وظل أردشير يتنقل من ملك إلى ملك ، ولم يزل محموداً مظفراً منصوراً ، لا يقل له جمع ، ولا ترد له راية، وقهر الملوك حول مملكته وأذلهم ، وأثخن في الأرض ، ومدن المدن ، ورتب المراتب . وكان ملكه من وقت قتله أردوان ملك الأردوانيين إلى أن هلك أربع عشرة سنة .

ذكر الخبر عن القائم بملك فارس بعد أردشير بن بابك

ولما هلك أردشير بن بابك ، قام بملك فارس من بعده ابنه سابور . وكان أردشير بن بابك لما افضى إليه الملك أسرف في قتل الإشكانية ، فذكر أنه لم يبق منهم أحد ، غير أن جارية كان وجدها أردشير في دار المملكة ، فأعجبه جمالها ، فسألها – وكانت ابنة الملك المقتول – عن نسبها ، فذكرت أنها كانت خادماً لبعض نساء الملك ، فواقعها واتخذها لنفسه ، فعلقت منه ، فلما أمنته على نفسها لاستمكانها منه بالحبل ، أخبرته أنها من نسل أشك ، فنفر منها ودعا هرجبذا أبرسام – وكان شيخاً مسناً – وأمره أن ينطلق بها فيقتلها ، فمضى الشيخ لذلك ، فأخبرته أنها حبلى ، فأودعها سرباً في الأرض ، ثم قطع مذاكيره فوضعها في حق، ثم ختم عليه ، ورجع إلى الملك ، وقال : قد استودعتها بطن الأرض ودفع الحق إليه ، فأقامت الجارية عند الشيخ حتى وضعت غلاماً ، فكره الشيخ أن يسمى ابن الملك دونه ، وكره أن يعلمه به صبياً حتى يدرك . وقد كان الشيخ أخذ قياس الصبي ساعة ولد ، فسماه اسماً جامعاً (شاه بور) اي ابن الملك . فغبر أردشير دهراً لا يولد له ، فدخل عليه الشيخ فوجده محزوناً ، فسأله عن سبب حزنه ، فقال له أردشير : وكيف لا أحزن وقد صفا لي الملك ملك آبائي ، ثم أهلك لا يعقبني فيه

عقب . فقال له الشيخ : لك عندي ولد طيب نفيس ، فادع بالحق الذي استودعتك إياه ، فدعا أردشير به ، فوجد فيه مذاكير الشيخ ، وكتاباً فيه : إنا لما اختبرنا ابنة أشك التي علقت من ملك الملوك أردشير حين أمرنا بقتلها حين حملها ، لم نستحل اتواء زرع الملك الطيب ، فأودعناها بطن الأرض كما أمرنا ملكنا ، وقمنا بتقوية الحق المنزوع حتى لحق بأهله ، وذلك في ساعة كذا من عام كذا ، فطلب أردشير ابنه وعقد له التاج من بعده .

وكان سابور لما أفضى الملك إليه ، أمر بما كان في الخزائن من الأموال ، فوسع بها على الناس ، حتى إنه فاق جميع الملوك بجوده وكرمه . وقيل إنه سار إلى مدينة نصيبين لأحدى عشرة سنة مضت من ملكه ، فقتل المقاتلة وسبى وأخذ أموالاً عظيمة لقيصر، ثم تجاوزها إلى الشام وبلاد الروم ، فافتتح من مدائنها مدناً كثيرة ،وقيل إنه افتتح قالوقية وقذوقية ،وإنه حاصر ملك الروم الريانوس بانطاكية، واختلف في سني ملكه، فقال بعضهم: كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً . وقال آخرون : كان إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوماً.

ثم قام بالملك بعد سابور بن أردشير ابنه هرمز . وكان يلقب بالجريء ، وكان يشبه في جسمه وخلقه وصورته بأردشير ، وذكر أنه عدل في رعيته وسلك سبيل آبائه وكان ملكه سنة وعشرة أيام . ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام ، وكان فيما ذكر ، رجلاً ذا حلم وتؤدة ، أحسن السيرة في رعيته ، واتبع سياسة آبائه ، وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام . ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام بن بهرام، وكان ملكه ثماني عشرة سنة ، وقيل سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده بهرام الملقب بشاهنشاه بن بهرام بن بهرام ، وكان ملكه أربع سنين . ثم ملك بعده ، نرسي بن بهرام وهو آخو بهرام الثالث ، وكان ملكه تسع سنين ، ثم ملك بعده ، هرمز بن نرسي ، وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر ، ثم ملك بعده ولده سابور ذو الأكتاف بن هرمز ، الذي عقد له التاج وهو في بطن امه ، وفي ذلك الوقت ، كانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس ، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء من معايشهم وبلادهم ، لسوء أحوالهم وشظف عيشهم ، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين حتى أناخوا على سواحل أردشير وبلاد فارس ، وغلبوا أهلها على مواشيهم ، وأكثروا الفساد في تلك البلاد ،

فـمكثـوا على ذلك من أمـرهـم حـيناً ، لا يغـزوهـم أحـد من الفرس ، لعقدهـم تاج الملك على طفل، حـتى تحـرك سـابور ، واشـتد عظمه ، فسار بجنوده ، فاوقع بمن انـتـجـع بـلاد فـارس مـن العـرب ، وقـتل منهم أبرح القـتل ، ثم قطع البـحـر ، واسـتـقـرى بلاد البـحـرين ، يقتل أهلها ولا يقبل فداء ، ثم مضى يبحث في قبائل العرب ، فافشى فيهم القتل وأباد معظمهم .

وذكـر بعض أهل الأخـبـار أن سـابور بعـد أن أثخن في العرب وأجلاهم عن النواحي مما قـرب من بلاد فـارس ، هبط إلى الشام ، ثم غزا الروم فقتل من أهلها، وسـبى سـبـياً كثيراً ، وأسكن من سبي مدينة بناها بناحية السوس ، وسماها ايرانشهر سـابور ، ثم اسـتـصلح العـرب ، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كـرمـان وتوج والأهواز . وأوصى بالملك من بعـده لأخـيه أردشير ، وكان ملك سابور اثنتين وسبعين سنة .

ثم قـام بالملك بعد سابور ذي الأكتاف أخوه أردشير بن هرمز ، فلما استقر به الملك عطف على العظماء وذوي الرياسـة ، فـقـتل منهم خلقـاً كثيراً ، فخلعه الناس بعـد أربع سنين من ملكه . ثم ملك بعـده سابور بن سابور ذي الأكتاف ، ولم يزل عـادلاً على رعيـتـه حتى انتهى ملكه بعد خمس سنين . ثم ملك بعده أخوه بهرام ، وكـان حـسن السـيـاسة لرعيته ، وكان ملكه إحدى عشرة سنة . ثم قام بالملك بعده يزدجـرد الملقب بالأثيم ، بن بهرام ، وكـان فظاً غليظاً ذا عـيوب كثيرة ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسـة أشـهـر وسـتـة عشر يوماً . ثم ملك بعده ابنه بهرام جور ابن يزدجـرد ، الذي تربى وترعـرع في بلاد العـرب في كنف المنذر بن النعمان ، وقد تسلم الملك وهو ابن عشرين سنة ، وفي آخـر ملكه ، ركب ذات يوم للصـيد ، فشد على عير ، وأمـعن في طلبـه ، فـارتطم في جب ، فـغـرق . وقـد اخـتلفـوا في مـدة ملكه، فـقـال بعـضـهـم : كـان ملكه ثماني عشرة سنة وعشرة أشـهر وعشرين يوماً . وقـال آخـرون ، كـان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أشـهر وعشرين يوماً . ثم قام بالملك بعـده ابنه يزدجـرد بن بهرام جور ، وكان ملكه ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر، ثم ملك بعـده ابنه فيروز بن يزدجـرد بن بهرام جور ، واختلف في مدة ملكه ، فقال بعـضـهـم : كانت ستاً وعشرين سنة . وقال آخرون : كانت إحدى وعشرين سنة .

ذكر ما كان من الأحداث في أيام يزدجرد بن بهرام وفيروز بين عمالها على العرب وأهل اليمن

قال هشام بن محمد : كان يخدم الملوك من حمير في زمان ملكهم أبناء الأشراف من حمير وغيرهم من القبائل ، فكان يخدم حسان بن تبع عمرو بن حجر الكندي ، وكان سيد كندة في زمانه ، فلما سار حسان إلى جديس خلفه على بعض أموره ، فلما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان ، وملك مكانه ، اصطنع عمرو بن حجر الكندي ، وزوجه ابنة حسان فولدت له الحارث بن عمرو ، وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب ، ثم ملك تبع بن حسان بن تبع ، فهابته حمير والعرب هيبة شديدة ، فبعث بأبن أخته الحارث بن عمرو في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها . فسار إلى النعمان بن امرىء القيس بن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان ، وهزم أصحابه وافلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء ، فذهب ملك آل النعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون . قال هشام : ملك بعد النعمان ابنه المنذر بن النعمان أربعاً وأربعين سنة .

ثم قام بالملك بعد فيروز بن يزدجرد ابنه بلاش بن فيروز ، وكان أخوه قباذ قد نازعه الملك ، فغلب بلاش وكان ملكه أربع سنين ، فملك بعده قباذ بن فيروز، وكان ملكه ثلاثاً وأربعين سنة ، ملك أخوه جاماسب منها ست سنين، حين ثار جاماسب على أخيه قباذ وسجنه ست سنين، وبعدها خرج قباذ واستعاد ملكه.

ذكر ما كان من الحوادث في أيام قباذ بين العرب وبين عماله

قال هشام بن محمد : بعث قباذ بن فيروز ملك فارس إلى الحارث بن عمرو الكندي : إنه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد ، وإني أحب أن ألقاك. وكان قباذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء ، وكثرت الأهواء في زمانه واستضعفه الناس ، فخرج إليه الحارث في عدد وعدة حتى التقوا بقنطرة الفيوم ، فاصطلحا على أن يورد الحارث بن عمرو ومن أحب من أصحابه خيولهم الفرات إلى الباها ، ولا يجاوزوا أكثر من ذلك . فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف طمع في السواد ، فأمر أصحاب مسالحه أن يقطعوا الفرات فيغيروا في السواد ، ثم أرسل الحارث بن عمرو إلى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، فاجمع

الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شيء ، فجمع تبع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة وقرب من الفرات ، فأمره الحارث بالتوجه إلى النجف ففعل ، ووجه ابن أخيه شمراً ذا الجناح إلى قباذ ، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالري ، ثم أدركه بها فقتله ، وأمضى تبع شمراً ذا الجناح إلى خراسان ، ووجه تبع ابنه حسان إلى الصغد، وبعث ابن أخيه يعفر إلى الروم ، وقال: أيكم سبق إلى الصين فهو عليها. وكان كل واحد منهم في جيش عظيم .

قال : فسار يعفر حتى أتى القسطنطينية ، فأعطوه الطاعة والأتاوة ، ثم مضى إلى رومية وبينها مسيرة أربعة أشهر ، فحاصرها وأصاب من معه جوع ، ووقع فيهم طاعون فرقوا ، فأبصرهم الروم وما لقوا ، فوثبوا عليهم فقتلوهم . وسار شمر ذو الجناح حتى أتى سمرقند ، فدخل المدينة بالحيلة على أهلها ، ثم سار إلى الصين ، فلقي زحوف الترك فهزمهم ، ومضى إلى الصين ، فوجد حسان ابن تبع قد سبقه إليها بثلاث سنين ، فأقاما بها حتى ماتا . وكان مقامهما إحدى وعشرين سنة . قال : وأما الحديث المجتمع عليه فإن شمراً وحسان انصرفا في الطريق الذي كانا أخذا فيه حيث بدأ ، حتى قدما على تبع بما حاز من الأموال بالصين ، ثم انصرفوا جميعاً إلى بلادهم ، وسار تبع حتى قدم مكة ، فنزل بالشعب من المطابخ ، وكانت وفاته باليمن ، فلم يخرج أحد من ملوك اليمن بعده عنها غازياً ، وكان ملكه مائة وإحدى وعشرين سنة .

ثم ملك كسرى آنو شروان بن قباذ بن فيروز ، فلما استحكم له الملك أبطل ملة رجل منافق يقال له (زرادشت بن خركان) ابتدعها في المجوسية ، وكان ممن دعا العامة إليها رجل من أهل مذرية يقال له : (مزدق بن بامداذ) فأبطل كسرى بدعتها ، وقتل بشراً كثيراً ثبتوا عليها ، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه منها ، وثبت للمجوس ملتهم التي لم يزالوا عليها . ثم أمر برؤوس المزدكية فضربت أعناقهم ، وقسمت أموالهم في أهل الحاجة ، فلما استوثق له الملك ، ودانت له البلاد سار نحو انطاكية بعد سنين من ملكه ، وكان فيها عظماء جنود قيصر ، فافتتحها ، ثم قصد لمدينة هرقل فافتتحها ، ثم الاسكندرية وما دونها ، ثم انصرف إلى المدائن ، وقد استقام له ما دون هرقلة من بلاد الروم وارمينية ، وما بينه وبين البحرين من ناحية عدن . قال هشام : وكان ملك كسرى آنو شروان سبعاً وأربعين سنة ، وكان مولد

النبي صلى الله عليه وسلم في آخر ملكه . قال : وإن كسرى بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر ، فملكه الحيرة وما كان يلي الحارث بن عمر ، فلم يزل على ذلك حتى هلك ، ثم ملك العرب من قبل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان ، ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر أربع سنين ، ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي ، ثلاث سنين ، ثم ملك المنذر ابن امرىء القيس البدء - وهو ذو القرنين ، فكان جميع ملكه تسعاً وأربعين سنة ، ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر ، ست عشرة سنة . قال : ولثماني سنين وثمانية أشهر من ملك عمرو بن المنذر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر بقية خبر تبع أيام قباذ وزمن آنو شروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة

قال ابن إسحاق : كان تبع الآخر وهو تبان أسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق ، جعل طريقه على المدينة ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقتل غيلة ، فقدمها وهو مجمع لاخرابها ، فجاءه حبران من أحبار يهود بني قريظة ، فقالا له لا تفعل ، فهي مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش في آخر الزمان ، تكون داره وقراره ، فتناهى عند ذلك من قولها عما كان يريد بالمدينة ، فانصرف عن المدينة ، وخرج بهما معه إلى اليمن واتبعهما على دينهما ، وكان اسم الحبرين كعباً وأسداً . قال : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فوجه إلى مكة - وهي طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، أتاه نفر من هذيل ، فقالوا له: أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مال داثر ، فيه اللؤلؤ والذهب ؟ قال : بلى . قالوا: بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلون عنده . وإنما يريد الهذليون بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده . فأرسل الملك إلى الحبرين فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، اذهب إلى البيت فاصنع ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه. فمضى حتى قدم مكة ، وأرى في المنام أن يكسو البيت، فكساه وجعل له باباً ومفتاحاً ،ثم خرج متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده ، وبالحبرين، فدعاهم إلى دينه ، فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق : ملك بعد تبع الآخر ، ربيعة بن نصر اللخمي ، فلما هلك

واجتمع ملك اليمن إلى حسان بن تبان أسعد أبي كرب ، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض العجم ، كما كانت التبابعة قبله تفعل ، حتى إذا كان ببعض أرض العراق ، كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه ، فكلموا أخاً له، كان معه في جيشه ، يقال له عمرو ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان نملكك علينا مكانه ، فقتله ثم رجع بمن معه من الجند إلى اليمن . قال : فلما نزل عمرو ابن تبان اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر ، فسأل الأطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما به . فقال له قائل منهم : والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رحم بغياً على مثل ما قتلت عليه أخاك إلا ذهب نومه ، وسلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك ، جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه ، فحرج أمر حمير عند ذلك ، وتفرقوا، فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة منهم ، يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر ، فملكهم فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، وكان أمرأ فاسقاً يعمل عمل قوم لوط مع أبناء الملوك لئلا يملك الغلام بعد ذلك أبداً ، حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زرعة ذو نواس بن تبان أسعد أبي كرب ، وزرعة كان صبياً صغيراً حين أصيب أخوه ، فبعث إليه لخنيعة ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبله ، فلما أتاه رسوله ، أخذ سكيناً فجعله بين نعله وقدمه ، فلما خلا به ، وثب عليه ذو النوس بالسكين فطعنه به حتى قتله ؛ فقالت له حمير : ما ينبغي لنا أن يملكنا إلا أنت ، إذ أرحتنا من هذا الخبيث . فملكوه ، فكان آخر ملوك حمير ، وتهود وتهودت معه حمير . قال هشام : زرعة ذو نواس ، فلما تهود سمى يوسف ، وهو الذي خد الأخدود بنجران وقتل النصارى . قال ابن إسحاق : سار إليهم ذو نواس بجنده من حمير وقبائل اليمن ، فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية ، فخيرهم بين القتل والدخول فيها ، فاختاروا القتل ، فخذلهم الأخدود. فحرق بالنار ، وقتل بالسيف ومثل بهم كل مثلة ، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ، وأفلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان . قال ابن إسحاق : ففي ذي نواس وجنوده أنزل الله تعالى : ﴿ قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ﴾ إلى قوله: ﴿ بالله العزيز الحميد ﴾ .

وخرج دوس ذو ثعلبان حتى قدم على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ذي نواس وجنوده ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ، فلا نقدر على أن

نتناولها بالجنود ، ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة ، فإنه على هذا الدين ، فكتب معه قيصر إلى ملك الحبشة يأمره بنصره . فلما قدم دوس بكتاب قيصر على النجاشي ، بعث معه سبعين الفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم ، يقال له أرياط ، فخرج أرياط ومعه جنوده ، وفيهم أبرهة الأشرم ، فركب البحر حتى نزلوا بساحل اليمن ، وسمع بهم ذو نواس ، فجمع إليه حمير ، فلما التقى الجمعان، انهزم ذو نواس وجنوده ، فدخل أرياط اليمن ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه إلى البحر ، فخاض به ، فكان آخر العهد به . ووطىء أرياط اليمن ، فقتل ثلث رجالها ، وأخرب ثلث بلادها ، وبعث إلى النجاشي بثلث سباياها ثم أقام بها .

وأقام أبرهة ملكاً على صنعاء ومخاليفها ، ولم يبعث إلى النجاشي بشيء ، فوجه إليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرياط ، فلما حل بساحته ، بعث إليه أبرهة : إنك تريد أن تقتل الحبشة بعضها ببعض ، فابرز لي وأبرز لك ، فإينا ظفر بصاحبه كان الملك له ، فرضي بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكر به ، فأكمن لأرياط عبداً له يقال له أرنجده ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحربته، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه فسمي الأشرم ، ونهض أرنجدة من الحفرة فقتل أرياط ، فقال أبرهة لأرنجدة : احتكم ، فقال : لا تدخل عروس من أهل اليمن على زوجها منهم حتى اصيبها قبله ، فقال : ذلك لك ، فغبر بذلك زماناً ، ثم إن أهل اليمن عدوا عليه فقتلوه . قال : وبلغ النجاشي قتل أرياط ، فأقسم أن يهريق دم أبرهة ويطأ بلاده ، فكتب إليه أبرهة : أيها الملك ، إنما كان أرياط يريد توهين ملكك وقتل جندك ، فسألته أن يكف عن قتالي إلى أن أوجه إليك رسولاً ، فإن أمرته بالكف عني ، وإلا سلمت إليه جميع ما أنا فيه ، فأبى إلا محاربتي ، وقد بعثت إليك بقارورة من دمي ، وجراب من تراب أرضي لتبر في قسمك ، فرضي عنه النجاشي وثبته على ملكه .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبرهة أجمع السير إلى البيت الذي بمكة (الكعبة) ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف ، فقال له : إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد ، إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك ،

فبعثوا معه أبا رغال ، فلما نزل المغمس مات أبو رغال هنالك ، فرجمت العرب قبره. ثم بعث أبرهة رجلاً من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب منها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال له : سل عن سيد هذا البلد ، ثم قل له : إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يرد حربي فاتني به . قال : فجاء حناطة إلى عبد المطلب بن هاشم ، فقال له ما أمره به الملك ، فقال عبدالمطلب : والله ما نريد حربه ، هذا بيت الله الحرام ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه . فقال له حناطة : فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتيه بك ، فانطلق معه عبدالمطلب ، وكان رجلاً عظيماً وسيماً ، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، فقال له : قل حاجتك يا عبد المطلب . فقال : حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي ، فقال أبرهة : قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ! قال له عبدالمطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه .

وكان أبرهة قد رد على عبدالمطلب الإبل التي أصاب له ، فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبدالمطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شغف الجبال ، فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله ، وعبى جيشه ، فلما هم بذلك ، أرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر في منقاره ، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم حتى قدموا صنعاء فمات فيها .

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبرهة ملك اليمن ابنه يكسوم بن أبرهة ، ولما رد الله الحبشة عن مكة ، فأصابهم ما أصابهم من النقمة ، عظمت العرب قريشاً ،

وقـالوا : أهل الله ، قـاتل الله عنهم ، فكفـاهم مـؤونة عـدوهم . ولما هلك يكسـوم ابـن أبرهة ، ملك اليـمن في الحـبـشـة أخـوه مسروق بن أبرهة ، وفي زمنه ، خـرج سـيف بن ذي يزن الحـميري ، وكـان يكنى بأبي مـرة ، حـتى قـدم على قيصر ملك الروم ، فـشكا إليـه مـا هم فـيـه ، فلم ينصره ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان ابن المنذر ، وهو عـامل كسرى على الحيرة ومـا يليها من أرض العرب من العراق ، فـشكا إليـه مـا هم فـيه من البلاء والذل ، فخرج به النعمان إلى كسرى ، فشكا إليه حـالهم ، فـقـال له كسرى : بعـدت أرضك من أرضنا ، فلم أكن لأورط جـيشاً من فـارس بـأرض العـرب ، ثم أمـر فأجـيـز بعشرة آلاف درهم واف ، فلما قـبض ذلك سـيف بن ذي يزن ، خـرج فجعل ينثر الدراهم للناس ، فبلغ ذلك كسرى ، فقال ائتـوني به ، فلما دخل عليه ، سأله عن ذلك ، فقال سيف بن ذي يزن : إنما جئت الملك ليمنعني من الظلم ، ويدفع عني الذل ، فقال له كسرى : أقم عندي أنظر في أمـرك . قـال : وجمع كسرى مـرازبته وأهل الرأي ممن كان يستشيره في أمره ، فقال قـائل منهم : أيها الملك ، إن في سـجـونك رجـالاً قـد حـبستهم للقتل ، فلو أنك بعـثـتـهم مـعـه ، فإن هلكوا كان الذي أردت بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان ملكاً ازددته إلى ملكك . فـقال : إن هذا الرأي ! احصوا لي كم في سجوني من الرجال ، فـوجـدوا فـيـهـا ثمانمائة رجل ، فـقـال : انظروا إلى افضل رجل منهم حسباً واجعلوه عليـهم ، فـوجـدوا أفضلهم وهرز ، فبعثه مع سيف وأمره على أصحابه ، ثم حملهم في ثماني سـفـائن ، فـخـرجـوا حتى إذا لججوا في البحر ، غرقت سفينتان بما فيهما ، فـخلص إلى أرض عـدن ست سـفـائن ، فيهن ستمائة رجل ، فقال وهرز لسيف : مـا عندك ؟ قـال : مـا شئت من رجل عـربي ، وفـرس عـربي ، فـجمع سيف من اسـتـطاع من قـومـه ، وسـمع بهم مسروق بن أبرهة فـجـمع إليـه جنده ، ثم سـار إليـهم، فلما التقى العسكران ، قال وهرز : أروني ملكهم ، فدلوه عليه ، فوضع في قـوسـه نشـابة ، فأصـابه في رأسـه حـتى خـرجت من قـفـاه ، واستدارت الحبشة ، ولاثت به ، وحملت عليـهم الفـرس وانهزمت الحـبـشة ، فلما ملك اليمن ، كتب إلى كـسرى بذلك ، فكتب إليـه كسرى يأمـره أن يملك سـيف بن ذي يزن على اليـمن وأرضـها ، فكان ذلك .

قـال ابن إسـحـاق : فلما انصرف وهرز إلى كسرى ، وملك سيفاً بن ذي يزن

على اليـمن ، عـدا على الحبـشـة فجعل يقتلها ويبقر النساء عما في بطونها ، فمكث بذلك حـيناً غير كـثير . ثم خـرج يوماً والحبشة تسعى بين يديه بحرابهم ، حتى إذا كـان في وسط منهم وجئوه بالحـراب حـتى قـتلوه ، ووثب بهم رجل من الحـبـشـة ، فـقـتل باليـمن وأوعث ، فأفـسـد ، فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهرز في أربعة آلاف من الفـرس ، فـاقبل وهرز حتى دخل اليمن ، فلم يترك بها حبشياً إلا قتله ، ثم كـتب إلى كسرى ، فأمـره عليـهـا ، فكان عليها حتى هلك ، وأمر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهرز ، فكان عليـهـا حـتى هلك ، فأمـر كسرى بعـده البينجان بن المـزربـان بن وهرز حـتى هلك ، ثم أمـر كسرى بعـده خر خسرة بن البـينجـان بن المرزبان ، فكان عليـها ، ثم إن كسرى غضب عليه وبعث مكانه باذان إلى اليمن . وكـان - فـيما ذكـر - بـين كسرى آنو شروان وبين يخطيـانوس ملك الروم ، مـوادعـة وهدنة ، فـاغـار رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب المنذر بن النعمان ، فـقـتل من أصـحـابه مـقتلة عظيمة ، فشكا ذلك المنذر إلى كسرى فاستعد فغزا بلاد يخطيـانوس في بضـعـة وتسـعين ألف مـقـاتل ، فأخـذ مـدن دارا والرهاء ، ومنبج ، وقنسري وحلب ، وانطاكـيـة وفـاميـة وحمص ، واحـتـوى مـا كـان فيها من الأموال والعـروض ، وسـبى أهل مـدينة انطاكـيـة ، ونقلهـم إلى أرض السواد ، وولى القيام بـأمـورهـم رجـلاً مـن نـصـارى أهـل الأهـواز يـقـال له : براز . وأمـا سـائر المدن الأخـرى، فإن يخطيـانوس ابتـاعـهـا من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه ، وضمن له فـدية يحملهـا إليـه في كل سنة . ثم إن كسرى وجه مع رجل من أهل اليمن يقال له سيـفـان بن مـعد يكرب ، جيشاً إلى اليمن ، فقتلوا من بها من السودان ، واستولوا عليـهـا ، فلما دانت لكسرى بلاد اليـمن ، وجـه إلى سرنديب من بلاد الهند ، قـائداً من قـواده في جند كـثيف، فـقـتل ملكهـا ، واسـتـولى عليها .قال : وكان لكسرى أولاد مـتأدبون ، فـجـعــل الملك من بعـده لهرمـز ابنه ، وكان مولد رسول الله صلى الله عليـه وسـلـم في عـهـد كسرى ، عـام قـدم أبـرهة الأشرم إلى مكة ، وساق فيه إليـهـا الفيل ، يريد هــدم بيت الله الحرام ، وذلك لمضي اثنتـين وأربعـين سنة من ملك كسرى .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين عام الفيل لاثنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول . قال : ويزعمون أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت تحدث أنها أتيت لما حملت برسول الله ، فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع بالأرض فقولي : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من أرض الشام . قال عثمان بن أبي العاص : حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب ، قالت : فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور ، واني لأنظر إلى النجوم تدنو ، حتى إني لأقول : لتقعن علي .

قال : ثم إن عبدالمطلب التمس له الرضعاء ، فاسترضع له حليمة ابنة أبي ذؤيب السعدية ، فكانت تحدث أنها خرجت من بلدها معها زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك في سنة شهباء لم تبق شيئاً ، حتى قدمنا مكة ، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، فما بقيت امرأة معي إلا أخذت رضيعاً غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : إني لأكره أن أرجع ولم آخذ رضيعاً، والله لاذهبن إلى ذلك اليتيم فلأخذنه . قالت : فذهبت إليه فأخذته ورجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب معه أخوه حتى روي ، ثم ناما . قالت : وقام زوجي إلى مشارفنا تلك ، فنظر إليها فإذا إنها حافل ، فحلب منها حتى شرب وشربت ، حتى انتهينا رياً وشبعاً ، فبتنا بخير ليلة . قالت : ثم خرجنا وركبت أتاني تلك ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بنا الركب ما يقدم عليها شيء من حمرهم ، ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لبّنا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة ولا يجدها في ضرع، فلم نزل نتعرف من الله زيادة الخير به ، حتى مضت سنتان وفصلته ، فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمه فلم نزل بها حتى رددناه معنا . قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال:

ذاك أخي القرشي قد جاء رجلان عليهما ثياب بياض ، فاضجعاه وشقا بطنه وهما يسوطانه . قالت : فخرجت أنا وأبوه نشتد ، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه ، فقص علينا ما حدث له ، فرجعنا إلى خبائنا فقال لي أبوه : والله يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فالحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فقصصت عليها ما حدث لأبنها، فقالت لي : إن لبني لشاناً ، أفلا أخبرك خبره ؟ قلت : بلى ، قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء في قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر منه ، ثم وقع حين ولدته، وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء .

قال ابن إسحاق : هلك عبدالله بن عبدالمطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم رسول الله آمنة بنت وهب حامل به . قال محمد بن عمر الواقدي : إن عبدالله بن عبدالمطلب أقبل في عير لقريش ، فنزل بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى توفي ، ودفن في دار النابغة ، في الدار الصغرى إذا دخلت الدار على يسارك في البيت . قال ابن إسحاق : ثم إن آمنة أم رسول الله ، توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين ، بالابواء بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من بني عدي بن النجار ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة . قال عثمان بن صفوان : إن قبرها (آمنة) في شعب أبي ذر بمكة . قال ابن إسحاق : ثم إن عبدالمطلب توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين .

رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباذ آنو شروان

قال مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه : لما كانت ليلة ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبذان إبلاً صعاباً ، تقود خيلاً عرابا ، وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها . فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى ، ثم رأى ألا يكتم ذلك عن وزرائه ومرازبته ، فجمعهم إليه وأخبرهم بما رأى ، فقال الموبذان : وأنا أصلح الله الملك ! قد رأيت

هذه الليلة . . . وقص عليه الرؤيا في الإبل . فقال : أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ فقال : حادث يكون عند العرب ، فكتب كسرى عند ذلك إلى النعمان بن المنذر ، أن وجه إلّي رجلاً عالماً بما اريد أن أسأله عنه . فوجه إليه عبدالمسيح بن عمرو بن حيان ، فأخبره الملك بما رأى ، فقال عبدالمسيح : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح ، قال : فأته فأسأله عما سألتك ، فركب عبدالمسيح حتى قدم على سطيح – وقد أشفى على الموت ، فقال سطيح : بعثك ملك بني ساسان لأرتجاس الإيوان ! وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة ، وبعث صاحب الهراوة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليست الشام لسطيح شأما ، يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت . فرجع عبدالمسيح فأخبر كسرى ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور. فملك منهم عشرة أربع سنين ، وملك الباقون إلى ملك عثمان بن عفان .

قال : ثم هلك كسرى آنو شروان ، وكان ملكه ثمانياً وأربعين سنة ، ثم ملك من بعده هرمز بن كسرى . قال هشام بن محمد : كان هرمز كثير الأدب ، وكان مقصياً للأشراف ، وإنه قتل من العلماء وأهل الشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل ، وإنه حبس ناساً كثيراً من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم ودرجاتهم ، حتى ثاروا عليه ، وكان جميع مدة ملكه اثنتي عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه أبرويز ، وكان من أشد ملوكهم بطشاً ، وأبعدهم غوراً ، وبلغ من البأس والنجدة والنصر ما لم يتهيأ لملك أكثر منه ، ولذلك سمي أبرويز ومعناه بالعربية (المظفر) ، وفي زمنه ثارت الروم على قوفا الملك الذي كانوا ملّكوه عليهم لما ظهر لهم من فجوره وجرأته على الله وسوء تدبيره ، وملكوا عليهم رجلاً يقال له هرقل.

قال : فلما رأى هرقل عظيم ما فيه بلاد الروم من تخريب جنود فارس ، استعد هرقل لغزوى بلاد فارس فسار حتى أوغل في بلاد ارمينية ، ونزل نصيبين بعد سنة ، فبلغ كسرى خبر هرقل ، فوجه لمحاربته رجلاً يقال له : راهزار في اثني عشر ألف مقاتل ، فأقام بنينوى من مدينة الموصل على شاطىء دجلة ، وبعث العيون على هرقل ، فانصرفوا إليه وأخبروه أنه في سبعين ألف مقاتل ، فلما التقى

العسكران ، قتلت الروم راهزار وستة آلاف رجل ، وانهزم بقيتهم ، وبلغ كسرى ذلك ، فكتب إلى شهربراز يأمره بملاقاة الروم ، فالتقيا بأذرعات وبصرى ، وهي أدنى الشام ، فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ، ففرح بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون ، فأنزل الله تعالى : ﴿ آلم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ . قال عكرمة : لما ظهرت فارس على الروم ، جلس فرخان يشرب ، فقال لأصحابه : لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى ، فبلغت كسرى ، فكتب إلى شهربزار ، إذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان . فكتب إليه: أيها الملك ، إنك لن تجد مثل فرخان ، إن له نكاية وصوتاً في العدو فلا تفعل. فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفاً منه ، فعجل علي برأسه ، فراجعه ، فغضب كسرى ، وبعث بريداً إلى أهل فارس : إني قد نزعت عنكم شهربراز ، واستعملت عليكم فرخان ، ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة ، وقال : إذا ولي فرخان الملك ، فأعطه هذه الصحيفة ، فلما قرأ شهربراز الكتاب ، قال : سمعاً وطاعة ، ونزل عن سريره وجلس فرخان ، ودفع الصحيفة إليه فقال : ائتوني بشهربراز ، فقدمه ليضرب عنقه ، فقال : لا تعجل حتى أكتب وصيتي ، قال : نعم ، فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف ، وقال : كل هذا راجعت فيك كسرى ، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد ! فرد الملك إلى أخيه ، وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم : إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف ، فالقني ، ولا تلقني إلا في خمسين رومياً، فإني ألقاك في خمسين فارساً، فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي ، وجعل يضع العيون ، فأخبروه أنه ليس معه إلا خمسون رجلاً ، ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما ،مع كل واحد منهما سكين، فدعوا ترجماناً بينهما، فقال شهربراز: إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا ، وإن كسرى حسدنا فأراد أن أقتل أخي، فأبيت،ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعاً فنحن نقاتله معك. قال: قد أصبتما ،فأهلك الله كسرى ، وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، ففرح ومن معه .

ذكر الخبر عن ازالة ملك فارس عن أهل فارس
ووطائتها العرب في أيام كسرى أبرويز

قال ابن إسحاق: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، ما حجة الله على كسرى فيك ! قال : بعث إليه ملكاً فأخرج يده من سور جدار بيته الذي هو فيه يتلألأ نوراً ، فلما رآها فزع ، فقال لم ترع يا كسرى ، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك ، قال : سأنظر . قال : فلم يلبث أن وثب عليه ابنه فقتله .

ومن ذلك ايضاً ما حدث به أبو عبيدة معمر بن المثنى في الذي جرى يوم ذي قار ، حيث قتل النعمان بن المنذر عدي بن زيد العبادي وكان من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز . قال هشام بن محمد : ولد زيد بن تميم ثلاثة : عدياً الشاعر ، وعماراً ، وعمراً ، ولهم أخ من أمهم يقال له عدي بن حنظلة . وكان عمار عند كسرى ، فكان أحدهما يشتهي هلاك عدي وكان الآخر يتدين في نصرانيته ، وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدي ، وكان للمنذر ابن آخر اسمه الأسود ، أمه مارية بنت الحارث ، ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم : بنو مرينا . وكان له سوى هذين من الولد عشرة ، فلما مات المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر ، ملك كسرى من بعده ولده النعمان . ثم إن النعمان بن المنذر قتل عدي بن زيد بعد أن سجنه مدة من الزمن ، فندم على ذلك . قال : فخرج النعمان في بعض صيده ذات يوم ، فلقي ابنا لعدي ، يقال له زيد ، ففرح به فرحاً شديداً، واعتذر إليه من أمر أبيه ، ثم إنه بعثه إلى كسرى ليجعله مكان أبيه ، فقبله كسرى ، فمكث سنوات بمنزلة أبيه ، وكانت للملوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم ، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة . فبدأ الملك في طلب النساء فكتب بتلك الصفة . قال : فدخل عليه زيد فقال له : قد كنت بآل المنذر عالماً ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ، فأرسله كسرى وبعث معه رجلاً جليداً ، فخرج زيد ، فجعل يكرم ذلك الرجل حتى بلغ الحيرة .

قـال : فلما قـرأ زيد الصـفة على النعمان ، قال له – والرسول يسمع : أما في عين السـواد وفـارس مـا تبلغـون حـاجتكم ! فقال الرسول زيد : ما العين ؟ قال : البـقـر . فقال زيد للنعمان : إنما أراد كسرى كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به ، فـقـال النعمان : اعـذرني عنده ، فرجع زيد والرسول الذي معه إلى كسرى فأخبره بالذي كـان ، فـغـضب غضباً شديداً ، وشاع هذا الكلام ، فبلغ النعمان ، وسكت كسرى على ذلك أشـهـراً ، وجـعل النعمان يستعد ويتوقع ، حتى أتاه كـتـابه : أن أقـبل فإن للملك إليك حـاجـة ، فـانطلق حين أتاه كـتـابه فحمل سـلاحـه وما قوي عليه ، ثم لحق بجبلي طيىء ، ثم أقبل حتى نزل بذي قار في بني شـيـبـان سراً ، فلقي هاني بن مـسعود ، وكان سيداً منيعاً ، وعلم أن هانئاً مانعه مما يمنع منه نفـسـه ، وتوجه النعمان إلى كسرى ، فلقي زيد على قنطرة ساباط ، فأخذه زيـد إلى كـسرى ، فـقـيـده وبعث به إلى خـانقين ، فلم يزل في السـجن حـتى وقع الطاعـون فمات فيه . قال أبو عبيدة : وكان النعمان لما خاف كسرى استودع هاني بن مسعود تركته كلها ، وذاك أن النعمان كان بنّاه ابنتين له .

فلما قـتل كسرى النعمان ، استـعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة . قال أبو عـبيدة : فبعث كسرى إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحرزها في بكر ابن وائل ، فأمـر كسرى أن يضـمـهـا إليـه ويبـعـث بها ، فـبعث إياس إلى هاني بن مـسـعـود بذلك ، فمنعها هاني ، فغضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل ، وعـنـده يـومئذ الـنـعمان بن زرعـة الـتـغلبي ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل ، فـقـال لكسرى : أمـهل بكر حـتى تقـيظ ، فإنهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قـال ، تسـاقط الفـراش في النار ، فـتأخـذهـم كـيف شئت ، وأنا أكـفـيكهم . فأقرهـم كسرى حـتى قـاظوا ، فأرسل إليـهم النعمان بن زرعـة . فلما دنت جـيـوش الفـرس بمن مـعـهـم انسل قـيس بن مسعود ليلاً فاتى هانئاً ، فقال له : أعط قومك سـلاح النعمان فـيـقـووا ، فـفـعل وقسم الدروع والسلاح في ذوي القوى والجلد من قـومـه ، فـقـاتلوهم بالحنو ، فـجزعت العجم من العطش ، فهربت إلى الجبايات ، فـتـبعـتهم بكر ، فقاتلوهم بالجبايات يوماً ، فانهزمت الفرس . فقال النبي صلى الله عليـه وسلم في هذه الوقعة : (اليوم انتصفت العرب من المعجم) .

ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند

قال أبو جعفر : ولي للعرب بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر ، فولي ذلك أربع سنين ، ثم ولي بعده السهرب ، ثم ولي بعده المنذر أبو النعمان أربع سنين ، ثم ولي بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة ، ثم ولي إياس بن قبيصة الطائي تسع سنين . ولسنة وثمانية أشهر من ولايته بعث النبي صلى الله عليه وسلم . ثم استخلف آزاذبه بن ماهان الهمذاني سبع عشرة سنة ، ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة - ثمانية أشهر . فكان آخر من بقي من آل نصر بن ربيعة ، فانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس ، فجميع ملوك آل النصر ، ومن استخلف من العباد والفرس عشرون ملكاً . وعدة ما ملكوا خمسمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية اشهر .

قال هشام بن محمد : استعمل كسرى على اليمن المروزان ، فأقام بها حتى ولد له وبلغ ولده ، ثم إن أهل جبل من جبال اليمن يقال له المصانع خالفوه وامتنعوا من حمل الخراج إليه ، فسار المروزان إلى المصانع ، وهو جبل طويل ممتنع ، فأستنزل أهله من حصنهم ، وقتل طائفة منهم وسبى بعضهم ، وكتب بالذي كان إلى كسرى ، فتعجب من صنيعه ، وكتب إليه : أن استخلف من شئت ، وأقبل إلي . قال : وكان للمروزان ابنان : أحدهما تعجبه العربية ويروي الشعر ، يقال له خرخسرة ، والآخر أسوار يتكلم بالفارسية ، فاستخلف المروزان ابنه خرخسرة على اليمن ، وسار حتى إذا كان في بعض بلاد العرب هلك . ثم بلغ كسرى تعرب خرخسرة وتأدبه بأدب العرب ، فعزله وولى باذان ، وهو آخر من قدم اليمن من ولاة العجم .

وكان كسرى قد طغى لكثر ما قد جمع من الأموال وأنواع الجوهر والأمتعة والكراع ، وإنه احتقر الناس ، واستخف بهم ، فكسب عداوة أهل مملكته ، فمن ذلك أنه أمر بقتل من كان في سجونه ، فاحصوا فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً ، فمضى ناس من العظماء إلى عقر بابل ، وفيه شيري بن أبرويز مع إخوته بها ، فأخبروه

الخبر ، فأقبلوا به ، ودخل مدينة بهرسير ليلاً ، فخلى عمن كان في سجونها ، وخرج من كان فيها ، وصاروا حتى أصبحوا إلى رحبة كسرى ، فهرب من كان في قصره ، وانحاز كسرى بنفسه فاراً مرعوباً ، وطلب وحبس في دار المملكة ، ودخل شيرويه دار الملك ، واجتمع إليه الوجوه ، فملكوه عليهم . ثم إن عظماء الفرس عادوا فقالوا لشيرويه : إنه لا يستقيم أن يكون لنا ملكان ، فأما أن تأمر بقتل كسرى ، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة . فأمر بقتل كسرى . فكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ، ولمضي اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً من ملكه هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة .

قال : وبلغ شيرويه قتل كسرى فندم وبكى منتحباً ، وأمر فقتل قاتل كسرى، وقتل سبعة عشر أخاً له ذوي أدب وشجاعة ومروءة ، فلما فعل ذلك جزع جزعاً شديداً ، ورمى بالتاج عن رأسه ، ولم يزل أيامه كلها مهموماً مدنفا ، ويقال إن الطاعون فشا في أيامه حتى هلك الفرس إلا قليلاً منهم . وكان ملكه ثمانية أشهر . فملك بعده ابنه أردشير وقيل إنه كان ابن سبع سنين ، فاحتج على ذلك شهربراز وكان بثغر الروم ، فاقبل في جنده ، فقتل أردشير وملك بعده ، وكان ملك أردشير سنة وستة أشهر . قال : وأنكر الفرس على شهربراز قتل أردشير ، فتحالف بعض حرسه على قتله ، فقتلوه ، فكان جميع ما ملك أربعين يوماً . قال : ثم ملكت بوران بنت كسرى ، وكان ملكها سنة وأربعة أشهر ، ثم ملك بعدها رجل يقال له : جشنسده ، وكان ملكه أقل من شهر . ثم ملكت آزرميدخت بنت كسرى ، ويقال : إنه كان عظيم فارس يومئذ فرخهرمز أصبهذ خراسان ، فأرسل إليها يسألها أن تزوجه نفسها ، فأرسلت إليه : أن سر إلي ليلة كذا وكذا . ففعل ، وأمرت آزرميدخت صاحب حرسها فقتله ، وكان رستم بن فرخهرمز خليفة أبيه بخراسان ، فلما بلغه الخبر أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن ، وقتل آزرميدخت. وكان ملكها ستة أشهر . ثم أتي برجل من عقب أردشير بن بابك ، يقال له كسرى بن مهرجشنس ، فملكه العظماء ، وقتل بعد أن ملك أيام ، فطلب عظماء فارس من يملكونه من أهل بيت المملكة ، فأتوا برجل يقال له فيروز بن مهرابخشنس ، فملكوه كرهاً ، فلما توج قال : ما أضيق هذا التاج ! فتطير العظماء

من كـلامـه ، فـقـتلوه ، ثم جـاءوا برجل يقال له فرخزاذ خسروا ، فانقاد له الناس زمناً يسيراً ، ثم اسـتـعـصوا عليه وخالفوه ، فقال بعضهم : قتلوه ، وكان ملكه ستة أشهر .

قـال : ثم أتوا بيـزدجـرد بن شـهـريار بن كسرى ، فـملكوه ، وكـان حدثاً ، وكـانـت العظماء والوزراء يدبرون ملكه لحـداثة سنه ، فـضـعـف أمـر مملكة فـارس ، واجترأ عليـه أعـداؤه من كل وجـه ، وغـزت العـرب بلاده بعد أن مضت سنتان من ملكه . وقـيل بعـد أن مضى أربع سنين ، وكان عمره كله إلى أن قتل ثمانياً وعشرين سنة . قـال أبو جعفر: فجميع ما مضى من السنين من لدن أهبط آدم إلى الأرض ، إلى وقت هجـرة النبي صلى الله عليـه وسلم على مـا يقـوله أهل الكتاب من اليهود ، أربعـة آلاف وسـتمائة واثنتـان وأربعـون سنة وأشـهر ، وأما على قول النصارى ، فإن ذلك خمسـة آلاف وتسـعمائة واثنتـان وتسـعون سنة وأشهر ، وأما على قول المجوس ، فإن ذلك أربعـة آلاف ومـائة واثنتـان وثمانون سنة وعشرة أشـهـر وتسـعة عشر يوماً . وأمـا عـلماء الإسـلام ، فإنهم قـالوا : كـان بين آدم ونوح عشرة قـرون ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قـرون ، وبين إبراهيم ومـوسى عشرة قـرون ، والقرن مائة سنة . قـال ابن عـبـاس : كـان بين مـوسى وعـيـسى ألف سنة وتسعمائة سنة ، وإنه أرسل بـيـنـهما ألف نبي من بني إسرائيل ، وكـان بين مـيـلاد عـيـسى والنبي خمسمائة وتسع وستون سنة .

ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده

هو محـمـد بن عـبـدالله بن عـبدالمطلب ، وكان عبدالله أصغر ولد أبيه ، وكان عـبـدالله والزبير وعـبـدمناف ـ وهو أبو طالب ـ بنو عـبـدالمطلب لأم واحدة ، وأمهم جميـعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وكان عبدالمطلب قد نذر إن تـوافى له عشرة رهط ، أن ينحـر أحـدهم ، فلما توافى له عشرة ، أقـرع بينهم . أيهم ينحـر ؟ فطارت القرعة على عبدالله ، وكان أحب الناس إليه ، فقال : اللهم هو أو

مـائة من الإبل ، ثم أقـرع بينه وبين الإبل ، فطارت القـرعـة على الإبل فنحـرها . وأمـا ابن إسـحـاق ، فـيقول : كان عبدالمطلب قد نذر حين لقي من قريش في حفر زمـزم مـا لقي : لئن ولد له عشرة نفـر ثم بلغـوا مـعه حتى يمنعوه ، لينحرن أحدهـم لله عـنـد الكعـبـة ، فلما توافى له بنوه العشرة ، جمعـهم وأخبرهم بنذره ، فأطاعـوه ، وقـالوا : كـيف نصنع ؟ قال : يأخذ كل رجل منكم قدحاً ، ثم ليكتب فيه اسمه ، ثم ائتـوني به ، ففعلوا ، فدخل على هبل في جوف الكعبة ، فقال لصاحب القداح : اضرب على بني هؤلاء بقـداحـهم هذه ، فـاعطى كل رجل منهم قـدحـه الذي فـيـه اسـمـه ، ثم ضرب صاحب القداح ، فخرج القدح على عبدالله ، فاخذ عبدالمطلب بـيـده وأقـبـل إلى أسـاف ونـائلة ـ وهما وثنا قـريش اللذان تنحـر عندهما ذبائحـهـا ـ ليـذبحـه ، فـقـالت قـريش : والله لا تذبحـه أبداً حـتى تعـذر فـيه ، وانطلق به إلى الحـجـاز، فإن به عـرافـة لها تابع فـسلهـا ، فـانطلقـوا حـتى قـدموا المدينة . فسألوا العـرافـة ، وقص عليـهـا عـبـدالمطلب خبره وخبر ابنه ، فـقالت : كم الدية فيكم ؟ قـالوا : عشرة من الإبل ، قـالت : فـارجـعـوا إلى بلادكم ، ثم قـربوا صـاحـبكم ، وقـربـوا عـشرة مـن الإبـل ، ثم اضربوا عليـهـا وعليـه بالقـدح ، فإن خـرجت على صـاحبكم ، فزيدوا الإبل حتى يرضى ربكم ، فخرجوا حتى قدموا مكة ، ثم قربوا عـبـدالله وعشراً من الإبل ، فـخـرج القـدح على عـبـدالله ، فـزادوا عشراً ، فـخرج السـهم على عـبدالله ، حتى ضربوا عشر مرات ، وبلغت الإبل مائة ، خرج القدح على الإبل فنحرت .

ثم انصرف عـبـدالمطلب آخذاً بيد ابنه عبدالله ، فمر على امرأة من بني أسد ، أخت ورقـة بن نوفل ، فقالت له : أين تذهب يا عبدالله ؟ قال : مع أبي ، قالت : لك عندي مـثل الإبل التي نحـرت عنك ، وقع عليَّ الآن ، قـال : إن معي أبي ولا أسـتطيع خـلافه ولا فراقه . فخرج به عبدالمطلب حتى أتى به وهب بن عبد ناف ، فـزوجـه آمنة بنت وهب . فـزعـمـوا إنه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها ، فـحـملت بمـحـمـد صلى الله عليه وسلم . ثم خرج من عندها حتى آتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت علي بالأمس ؟ فـقـالت له : فـارقك النور الذي كـان معك بالأمس ، فليس لي بك

اليـوم حـاجـة . قـال الواقدي : ثم إن عبدالله بن عبدالمطلب أقبل منْ الشام في عير لقريش ، فنزل بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى توفي .

ابن عبدالمطلب

وعـبـدالمطلب اسـمـه شـيـبة ، سمي بذلك لأنه كان في رأسه شيبة . وقيل له عـبـدالمطلب ، وذلك أن أباه هاشماً كـان شـخص في تجـارة له إلى الشام ، فنزل على عـمـرو بن زيد الخـزرجي ، فـخطب ابنته سلمى ، فانكحه إياها ، وشرط عليه ألا تلد إلا في أهلهـا ، ثم مـضى هاشم لوجـهـتـه قبل أن يبني بها ، ثم انصرف راجعاً الى الشـام ، فـبنى بها في أهلهـا بيـثـرب ، فحملت منه . ثم ارتحل إلى مكة وحملها مـعـه، فلما أثقلت ردها إلى أهلها ، ومضى إلى الشام فمات بغزة . فولدت له سلمى عـبدالمطلب ، فمكث بيثرب سبع سنين . ثم إن رجلاً من بني الحارث مر بيثرب ، فإذا غلمان ينتـضلون ، فجعل شيبة يقول : أنا ابن هاشـم ، أنا ابن سيد البطحاء ، فـلما أتـى الحـارثي مكة ، قـال للمطلب : يا أبا الحـارث ، تعلم إني وجـدت غلماناً ينتـضلون بيـثـرب ، وفـيـهم غـلام إذا خـسق قـال : أنا ابن هاشـم ، أنا ابن سـيد البطحـاء . فقال المطلب : والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به ، فورد يثرب عشاء ، فـعـرف ابن أخـيـه فقال للقوم : أهذا ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، هذا ابن أخيك ، خـذه قبل أن تعلم به أمه ، فدعاه ، فانطلق به ، وقدم به المطلب ضحوة ، والناس في مجالسـهم ، فـجعلوا يقولون : من هذا وراءك ؟ فيقول : عبد لي ، فجعل الناس يقـولون : هذا عبدالمطلب ، لقوله : (هذا عبدي) .

قـالوا: فلما قدم مكة وقفه على ملك أبيه، وسلمه إليه،فعرض له نوفل بن عبد مناف في ركح له، فـاغـتصبه إياه، فمشى عبدالمطلب إلى رجالات قومه، فسألهم النصرة على عـمـه، فلم ينصـفـوه، فكتب إلى أخـواله، فـقـدم عليه منهم ثمانون راكبا، فاناخوا بفناء الكعـبـة، فلما رآهم نوفل بن عـبـدمناف، قـال لهم: أنعموا صباحاً !فقالوا له: لا نعم صـبـاحك أيها الرجل! أنصف ابن أختنا من ظلامـتـه. قـال: أفعل بالحب لكم والكرامـة، فرد عليه الأركاح وأنصفه. وكان إلى عبدالمطلب بعد مهلك عمه المطلب، ما

كان إلى من قبله من بني عبد مناف من أمر السقاية والرفادة، وشرف في قومه، وعظم فيهم خطره، فلم يكن يعدل به منهم احد، وهو الذي كشف عن زمزم، بئر إسماعيل ابن إبراهيم، واستخرج ما كان فيها مدفوناً. وكانت كنيته أبا الحارث.

ابن هاشم

واسمه هاشم عمرو، وإنما قيل له هاشم، لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه. وذكر أنه أول من سن الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف. قال هشام بن محمد: كان هاشم، وعبد شمس ـ وهو أكبر ولد عبد مناف، والمطلب ـ وكان أصغرهم ـ أمهم عاتكة بنت مرة السلمية، ونوفل ـ وأمه واقدة ـ بني عبد مناف، فسادوا بعد أبيهم جميعاً، وكان يقال لهم المجبّرون . وقيل : إن عبد شمس وهاشماً توأمان ، وإن أحدهما ولد قبل صاحبه. وذكر أن أول من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزة من أرض الشام ، ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجياد ، ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ، ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن .

ابن عبد مناف

واسمه المغيرة ، وكان يقال له القمر من جماله وحسنه ، وكانت أمه حبلى دفعته إلى مناف ـ وكان أعظم أصنام مكة ـ تديناً بذلك ، فغلب عليه عبد مناف .

ابن قصيّ

وقصي اسمه زيد ، وإنما قيل له قصي ، لأن أباه كلاب بن مرة تزوج أم قصي فاطمة بنت سعد ، فولدت له زهرة وزيداً ، فهلك كلاب وزيد صغير ، وقد شب زهرة وكبر ، فقدم ربيعة بن حرام فتزوج فاطمة بنت سعد أم قصي ، فاحتملها إلى بلاده من أرض بني عذرة من أشراف الشام ، فاحتملت معها قصياً لصغره ، وتخلف زهرة في قومه ، فسمي زيد قصياً لبعد داره عن دار قومه . قال هشام : قدم قصي على أخيه زهرة وقومه ، فلم يلبث أن ساد ، فولي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملك على قومه ، فكان قصي أول ولد كعب بن لؤي

أصـاب ملكاً أطاع له به قـومـه ، فكانت إليـه الحـجـابة والسـقـاية والرفـادة والندوة واللواء . ثم إن قـصياً هلك ، فأقام أمره في قومه بنوه .

ابن كلاب

وأم كـلاب ، هند بنت سرير بن ثعلبـة بن الحارث بن نهر بن مالك بن النضر ابن كنانة .

ابن مرة

وأم مـرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

ابن كعب

وأم كـعب مـاوية بنت كـعب بن القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة ابن قضاعة .

ابن لؤي

وأم لؤي ، عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة .

ابن غالب

وأم غـالب ، ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة .

ابن فهر

وأم فـهر ، جندلة بنت عامر بن الحارث بن فضاض الجرهمي .

ابن مالك

وأم مـالـك ، عكرشـة بنت عـدوان ، وهو الحـارث بن عـمـرو بن قـيس بن عـيـلان . وقيل : كان لمالك أخوان : يقال لأحدهما : يخلد ، فدخلت يخلد في بني عـمـرو بن الحـارث بن مـالك بن كنانة ، فـخـرجوا من جماع قريش . والآخر منهما

يقال له : الصلت ، لم يبق من ذريته أحد . وقيل سميت قريش قريشاً بقريش بن بدر بن يخلد هذا ، لأن عير بني النضر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عير قريش . وقال الكلبي : إنما قريش جماع نسب ، ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة . وقيل : إنما سميت قريش قريشاً بدابة تكون في البحر تأكل دواب البحر ، تدعى القرش ، فشبه بنو النضر بن كنانة بها ، لأنها أعظم دواب البحر قوة . وقيل غير ذلك .

ابن النضر

واسم النضر قيس ، وأمه برة بنت مر بن آدبن طابخة .

ابن كنانة

وأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان .

ابن خزيمة

وأم خزيمة سلمى بنت سليم بن الحاف بن قضاعة .

ابن مدركة

واسمه عمرو ، وأمه خندف ، وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة .

ابن إلياس

وأمه الرباب بنت حيدة بن معد .

ابن مضر

وأمه سودة بنت عك .

ابن نزار

وأمه معانة بنت جوشم بن جهلمة بن عمرو .

ابن معد

وأمه مهدد بنت اللهّم بن جلجب بن جديس .

ابن عدنان

فنسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلف فيه النسابون إلى معد بن عدنان. قال ابن إسحاق : معد بن عدنان بن أدد بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم . قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله يقول : معد بن عدنان بن أدد بن زند بن يرى بن أعراق الثرى . قالت : فزند هو الهميسع ، ويرى وهو نبت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل ابن إبراهيم .

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه

فتوفي عبدالمطلب بعد الفيل بثماني سنين ، قال ابن إسحاق وكان عبدالمطلب يوصي برسول الله عمه أبا طالب ، فكان أبو طالب هو الذي يلي أمره بعد جده ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج إلى الشام تاجراً ، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرى ، أشرفوا على الراهب فصنع لهم طعاماً ، فلما رأى بحيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا، سأل بحيرى رسول الله عن أشياء في حاله ، فجعل رسول الله يخبره فيجدها بحيرى موافقة لما عنده من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم قال بحيرى لأبي طالب : ارجع بهذا الغلام إلى بلدك واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ، ليبغنه شراً ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده . فخرج به عمه سريعاً حتى أقدمه مكة .

ذكر تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها

قال ابن إسحاق : كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى أمرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستتجر الرجال في مالها ، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مالها ، حتى قدما الشام ، فباع سلعته واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، ومعه ميسرة ، فباعت خديجة ما جاء به فأضعفت . ثم أنها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : يا بن عم ، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب ، حتى دخل على خويلد بن أسد ، فخطبها إليه فتزوجها ، فولدت له ولده كلهم إلا إبراهيم : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم ، والطاهر ، والطيب، فأما القاسنم والطاهر والطيب ، فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه . قال هشام نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة .

ذكر باقي الأخبار من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينبأ

وبعد السنة التي نكح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها ، هدمت قريش الكعبة بعشر سنين ثم بنتها . قال ابن إسحاق : وكان سبب هدمهم إياها ، أن نفراً من قريش وغيرهم سرقوا كنز الكعبة ، وكان الكنز في بئر في جوف الكعبة . قال : وكان الذي وجد عنده الكنز دويكاً مولى لبني مليح بن عمرو ، من خزاعة فقطعت قريش يده . قال : وإن الذي شجعهم على هدمها وإعادة بنائها ، أن حية كانت تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم ، فتشرف على جدار الكعبة ، فكانوا يهابونها ، فبينما هي يوماً تشرف على جدار الكعبة ، بعث الله عليها طائراً ، فاختطفها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا .

قال : ثم إن قريشاً هدمت الكعبة ، وشرعت في إعادة بنائها ، فجعلت كل قبيلة تجمع وتبني الحجارة على حدتها ، ثم بنوا حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن اختصموا به ، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى ، حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال ، فمكثت قريش خمس ليال على ذلك . ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ، فقال أبو أمية بن المغيرة ، وكان عامئذ آسن قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه ، فكان أول من دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رضينا به ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال : هلم لي ثوباً ، فأتي به ، فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثم بنى عليه ، قال أبو جعفر : وكان بناء قريش الكعبة بعد الفجار بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة . واختلف السلف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نبىء كم كانت ؟. قال ابن عباس: بعث النبي لأربعين سنة ، وقال سعيد بن المسيب: أنزل على رسول الله الوحي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

ذكر اليوم الذي نبىء فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو قتادة الأنصاري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سئل عن صوم الاثنين ، فقال : ذلك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت ، أو أنزل علي فيه . قال ابن عباس: ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، واستنبىء يوم الإثنين. وقال ابن إسحاق ، عن أبي قلابة عبدالله بن زيد الجرمي : أنزل الفرقان على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان . وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلت منه . وقال آخرون : بل أنزل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، واستشهدوا لتحقيق ذلك بقول الله تعالى : ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر ، وكان ذلك صبيحة سبع عشرة من رمضان .

ذكر الخبر عما كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم عندما جاءه جبريل عليه السلام

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان أول ما أبتدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة ، ثم حبب إليه الخلاء ، فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي، حتى جاءه الحق (جبريل) فقال : يا محمد ، أنت رسول الله ، قال رسول الله فجثوت لركبتي وأنا قائم ، ثم زحفت ترجف بوادري ، ثم دخلت على خديجة ، فقلت : زملوني ، زملوني ! حتى ذهب عني الروع ، ثم أتاني فقال : يا محمد أنا جبريل ، وأنت رسول الله . ثم قال : اقرأ ، قلت ما أقرأ ؟ قال : فغتني ثلاث مرات ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ، فقرأت، فأتيت خديجة ، فأخبرتها خبري، فقالت: ابشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتحمل الكل وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل، قالت: اسمع من ابن أخيك ، فسألني فاخبرته خبري ، فقال : هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ! قلت : أمخرجيّ هم؟ قال : نعم ، إنه لم يجيء رجل قط بما جئت به إلا عودي ، ولئن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً .

قال أبو الجوزاء : ثم أبطأ عليه جبريل ، فقالت له خديجة ما أرى ربك إلا قد قلاك ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى ﴾ . قال ابن إسحاق : ثم إنها (خديجة) قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن عم ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال: نعم ، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يأتيه ، فقال رسول الله لخديجة : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني ، فقالت : نعم ، فقم يا ابن عم ، فأجلس على فخذي اليسرى ، فقام رسول الله فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم، قالت : فتحول فاقعد على فخذي اليمنى ، فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحولت فاجلس في حجري ، فتحول فجلس في حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحسرت ، فالقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقالت يا ابن عم ، اثبت وابشر،

فوالله إنه لملك وما هو بشيطان .

قـال الزهري : فتر الوحي عن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فترة ، فـحـزن حـزناً شـديداً ، جـعل يغدو إلى رؤوس شواهق الجبال ليتردى بها ، فكلما أوفى بذروة جبـل تبـدى له جبريل ، فيـقـول : إنك نبي الله ، فكان النبي يحدث عن ذلك ، قـال: فبينما أنا أمشي يوماً ، إذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء ، على كرسي بين السماء والأرض ، فـجئثت منه رعبـاً ، فـرجـعت إلى خـديجة ، فـقلت : زملوني ، فأنزل الله ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ، قـال الزهري : فكان أول شيء أنزل عليـه : ﴿ إقـرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ حتى بلغ ﴿ ما لم يعلم ﴾ . قال : ثم تتابع الوحي .

قـال أبو جـعـفر : فلما أمر الله نبيه محمداً أن يقوم بأنذار قومه ، أنزل عليه : ﴿ وأمـا بنعـمة ربك فحدث ﴾ . قال ابن إسحاق : أي ما جاءك من الله من نعمته وكـرامـتـه من النبوة فحدث ، أذكرها وادع إليها . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليـه وسلم يذكـر سراً إلى من يطمئن إليـه من أهله ، فكان أول من صدقه واتبعه ، زوجـتـه خـديجة رحمهـا الله . قـال : وكـان أول شيء فـرض الله عزّ وجل من شرائع الإسـلام عليـه ، الصـلاة ، إذ أتاه جبريل فـتـوضأ ورسول الله ينظر إليه ، ثم توضأ رسـول الله كما رأى جـبريـل تـوضأ ، ثم قـام جبريل فـصلى به وصلى النبي صلى الله عليـه وسلم بصـلاته . ثم انصرف جبريل عليـه السلام ، فجاء رسول الله خديجة ، فـتـوضأ لها يريها كيف الطهور للصلاة ، فتوضأت كما توضأ ، ثم صلى بها ، فصلت بصلاته .

قـال أبو جعفر : ثم اختلف السلف فيمن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصـدقـه وآمن به ، وصلى مـعـه ، بعـد زوجـتـه خديجة. قال ابن عباس : أول من صلى علي، وقـال جـابر: بعث النبي يوم الإثنين ، وصلى علي يوم الثلاثاء. وقال زيد بـن أرقم : أول من أسلم علي بن أبي طالب ، وهو أول من صلى مع النبي صلى الله عليـه وسلم . قـال الكلبي : أسلم علي وهو ابن تسع سنين . قـال ابن إسـحاق : كـان عـلي أول ذكـر آمـن بـرسـول الله صـلى الله عليـه وسلم ، وهو يومئذ ابن عشر سنين، وكـان مما أنعم الله به عليه (علي) ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

وقـال ابن إسـحـاق : ذكـر بعض أهل العلم ، أن رسـول الله صلى الله عليـه

وسلم ، كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم ، بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه ، وأعانني عليه ، فقال أبو طالب : يا بن أخي ، إني لا أستطيع أن افارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما حييت . وزعموا أنه قال لعلي : أما إنه لا يدعوك إلا إلى الخير ، فالزمه .

وقال آخرون : أول من أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه . قال الشعبي : قلت لابن عباس : من أول الناس إسلاماً ؟ قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
الثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

وقال إبراهيم النخعي : أبو بكر أول من أسلم . وقال آخرون : أسلم قبل أبي بكر جماعة. قال محمد بن سعد: قلت لأبي أكان أبو بكر أولكم إسلاماً ؟ فقال: لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، ولكن كان أفضلنا إسلاماً . وقال سليمان ابن يسار: أول من أسلم زيد بن حارثة. وقال عروة مثل ذلك. وأما ابن إسحاق فقال : ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى بعد علي بن أبي طالب ، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به ، فأسلم على يديه ، عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فكان هؤلاء الثمانية ، النفر الذين سبقوا إلى الإسلام ، فصلوا وصدقوا وآمنوا بما جاء به الرسول من عند الله .

ثم إن الله عزّ وجل أمر نبيه محمداً، بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، فقال له: ﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ﴾ وأنزل عليه ﴿ وانذر

عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا إلي الشعاب فاستخفوا من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب النبي ، في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلوهم ، فاقتتلوا ، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي جمل فشجه ، فكان أول دم اهريق في الإسلام . قال ابن عباس : فلما أنزل الله ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ صعد رسول الله الصفا ، فقال : يا صباحاه ! فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال: أرأيت إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم ، أما كنتم تصدقونني ؟ قالوا : بلى ، قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ! ألهذا دعوتنا ! فأنزل الله تعالى ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ إلى آخر السورة .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبدالمطلب ، فصنع لهم مدّاً من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا ، وشربوا حتى رووا ثم قال : يا بني عبدالمطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به ، إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم ؟ قال فأحجم القوم عنها جميعاً . وقلت : وإني لأحدثهم سناً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً ، أنا يا نبي الله ، أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخي ووصّي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

قال ابن إسحاق : فصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، وبادى قومه بالإسلام ، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ، حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فمشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه . قال : ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا : يا أبا

طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين . ثم انصرفوا. قال : فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه ، فبعث إليه ، فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره خبر أشراف قريش ، فقال النبي : يا عماه ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل ابن أخي ، فاقبل عليه ، فقال : اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

قال : ثم إن قريشاً لما عرفت أن أبا طالب أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تذامروا على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وماهو فيه من العافية بمكانه من الله وعمه أبي طالب ، قال لهم (لأصحابه) : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ! فإن بها ملكاً لا يظلم أحد عنده ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، فكانت أول هجرة في الإسلام ، فكان أول من خرج من المسلمين ، عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل ابن عمرو ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن مظعون الجمعي ، وعامر بن ربيعة ، فكان هؤلاء أول من خرج إلى أرض الحبشة ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، ثم عد بعد ذلك تمام إثنين وثمانين رجلاً .

قال أبو جعفر : ولما خرج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مهاجراً إليها ، ورسول الله مقيم بمكة ، يدعو إلى الله سراً وجهراً ، قد منعه الله بعمه أبي طالب وبمن استجاب لنصرته من عشيرته ، ورأت قريش أنهم لا سبيل لهم إليه ، رموه بالسحر والكهانة والجنون والشعر . قال ابن إسحاق : فكان أشد ما بلغوا منه حينئذ ، أنهم اجتمعوا في الحجر ، فطلع عليهم

رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، فـوثبـوا إليـه وثبـة رجل واحـد وأحـاطوا به يقولون له : أنت الذي تقـول كـذا وكذا لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، قال : نعم أنا الذي أقـولِ ذلك ، قـال : فأخـذ أحـدهـم بجمع ردائه ، وقام أبو بكر دونه ، يقول وهو يبكي : أتقـتلون رجـلاً أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه .

قـال ابن إسـحـاق : وحـدثني رجل من أسلم كـان واعـية ، أن أبا جهل مر برسـول الله صلى الله عليـه وسلم وهو جـالس عند الصـفـا ، فـآذاه وشـتـمه ، فلم يكلمـه رسـول الله ، ومـولاة لعبـدالله بن جـدعـان في مـسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، فلما مـر بها حمزة بن عـبدالمطلب ، قالت : يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخـيك محمـد آنفـاً قـبل أن تأتي من أبي الحكم بن هشـام ! وجده هاهنا جالساً فسبه وآذاه ، وبلغ منه مـا يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمـه محمـد قـال : فـاحتمل حمزة الغضب ، فخرج سريعاً معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليـه جـالساً في القوم ، فرفع القوس فضربه بها ضربة فشجه بها شجة منكرة ، وقال : أتشـتـمـه وأنا على دينه أقول ما يقول ! فرد علي إن استطعت ، وقامت رجال بني مخزوم إلى حمـزة لـيـنـصروا أبا جـهل منه ، فـقـال : دعـو أبا عمارة ، فإني والله لقـد سـببت ابن أخـيه سباً قبيحاً . وتم حمزة على إسلامه ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قـد عز ، وإن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن الرسول بعض ما كانوا ينالون منه .

قـال أبو جـعـفـر : ولما أسلم عـمـر بن الخطاب ، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم في أنفـسـهم قـوة ، وجـعل الإسـلام يفـشو في القبائل ، وحمى النجـاشي من ضـوى إلى بلده منهم ، اجتمعت قريش ، فائتمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كـتـاباً يتـعـاقـدون فـيـه ، على ألا ينكحـوا إلى بني هاشم وبني المطلب ، ولا ينكحـوهم ولا يبيـعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وعلقوها في جـوف الكعـبـة ، فأقـامـوا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثاً ! حتى جهدوا ألا يصل إلى أحـد منهم شيء إلا سراً . قـال : ثم إن نفراً من قريش ، أرادوا أن يشقوا الصـحيفة خوفاً من أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، فاجتمعوا لشق الصحيفة ، فـوجـدوا الأرضـة قـد أكلتـها ، إلا ما كان من (باسمك اللهم) وهي فاتحة ما كانت تكتب قريش كتبها .

ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قريش بمكة يدعوهم إلى الله سراً وجهراً ، صابراً على أذاهم ، حتى إن كان بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي . قال عروة بن الزبير : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رمي به في داره على العود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ! ثم يلقيه بالطريق . قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا في عام واحد ، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ، وذلك أن قريشاً وصلوا من آذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه ، حتى نثر بعضهم على رأسه التراب . قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكي ، وهو يقول لها : لا تبكي ، فإن الله مانع أباك ! قال ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالت مني قريشاً شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه ، وذكر أنه خرج إليهم وحده . قال ابن إسحاق : فلم يسمعوا قوله ، واغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى ألجؤوه إلى الحائط ، فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه ، ثم قال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك علي غضب فلا ابالي !، ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك . قال : ثم إنه انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوف الليل يصلي ، فمر به نفر من الجن الذين ذكر الله عزّ وجل ، فاستمعوا له ﴿ قل اوحي إلي أنه استمع نفر من الجن . . . . ﴾ . إلى آخر السورة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ، وكان يأتي القبائل في منازلهم . قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى كندة في منازلهم ، وفيهم

سيد لهم ، يقال له مليح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه . فكان رسول الله على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، لا يسمع بقادم يقدم من العرب ، له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه نفسه . قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجل اظهار دينه واعزاز نبيه ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة إذ لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزوج ، قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجل وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والش ما بينهم ، وعسى الله أن يجمعهم بك ، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك . م انصرفوا إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا . قال : فلما قدموا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كان العام المقبل، فوافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله على بيعة النساء . قال عبادة بن الصامت : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض الحرب ، على ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصنيه في معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم شيئاً من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا ، فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة ، فأمركم إلى الله ، إن شاء عذبكم ، وإن شاء غفر لكم .

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، فكان يسمى مصعب بالمدينة

المقرىء . قال : ثم إن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير ، يريد به دار بني عبدالأشهل ، ودار بني ظفر ، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ ، ابن خالة أسعد بن زرارة ، وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني الأشهل ، وكلاهما مشرك ، فلما سمعا به ، قال سعد بن معاذ لأسيد بن خضير : انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانههما أن يأتيا داراً ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت ، كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدماً . فأخذ أسيد بن خضير حربته ، فأقبل عليهما ، فقال : ما جاء بكما إلينا ، تسفهان ضعفاءنا ! فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ، ثم ركز حربته ، وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن ، فقال : ما أحسن هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل ، فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال : ففعل ذلك ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً ، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته، وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس في ناديهم ، فلما وقف على النادي ، قال له سعد : ما فعلت ؟ قال كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة ، قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك إنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك ، قال : فقام سعد مغضباً وخرج إليهما ، فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتماً ، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ، ما رمت هذا مني . تغشانا في دارنا بما نكره ! فقال له مصعب : أوتقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ، فجلس فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهر ثوبيك . ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين ، ففعل كل ذلك، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامداً إلى نادي قومه ، ومعه أسيد بن خضير ، فلما وقف عليهم ، قال : يا بني عبدالأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا :

سيدنا وأفضلنا رأياً قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا أمرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

قال : ثم إن مصعب بن عمير ، رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق . قال كعب ابن مالك : خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل مستخفين تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم أمرأتان من نسائهم ، حتى جاءنا رسول الله ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فبايعوه ، وأعطوه عهودهم ، على إنا منك وأنتَ منا ، وعلى إنه من جاء من أصحابك أو جئتنا فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا ، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى المدينة ، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها الرسول أصحابه وخرج ، وهي التي أنزل الله تعالى فيها ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ .

قال أبو جعفر : فلما أذن الله عزّ وجل لرسوله في القتال ، وبايعه الأنصار على بيعة الحرب ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا أرسالاً ، وأقام رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن الله له بالخروج من مكة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا أخذ فحبس أو فتن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق ، فلما رأت قريش أن رسول الله قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير بلدهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمره . قال ابن إسحاق : فاتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً ، نسيباً وسيطاً فيهم . قال أبو جهل بن هشام ـ وكان الرأي له ـ : ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدون إليه ، ثم يضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها ، فلم

يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ورضوا منا بالعقل فعقلناه لهم . فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . قال : فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت عليه ! .

قال : فلما كان العتمة من الليل ، اجتمعوا على بابه فترصدوه متى ينام ، فيثبون عليه . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب : نم على فراشي ، واتشح ببردي الأخضر ، فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم . قال : فاجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح ، ثم بعثتم بعد موتكم ، فجعلت لكم نار تحرقون فيها . قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب ، ثم قال : نعم ، أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم . وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ يٰس . والقرآن الحكيم ﴾ إلى قوله ﴿ فهم لا يبصرون ﴾ ، ثم انصرف عنهم .

قال : فأتاهم آت ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟! قالوا : محمداً، قال : خيبكم الله ! قد والله حرج عليكم محمداً ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كل رجلٍ منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يطلعون ، فيرون علياً على الفراش ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائم ، عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي عن الفراش ، فقالوا : والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا ، فكان مما نزل من القرآن في ذلك اليوم ،وما كانوا أجمعوا له : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ .

قال أبو جعفر : وأذن الله عزّ وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة . قالت عائشة رضي الله عنها : فقال : أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ، قال : الصحبة . قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح . ثم قال : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتاي ، كنت أعددتها لهذا . فأستأجرا عبدالله بن أرقد ، وكان مشركاً ،

يدلهما على الطريق ، قال ابن إسحاق : ولم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر ، فأما علي ، فإن رسول الله أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعد بمكة حتى يؤدي عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عند رسول الله لما يعرف من صدقه وأمانته .

قال : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج أتى أبا بكر ، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بثور جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبدالله أن يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحهما عليهما إذا أمسى بالغار . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما ، فأقاما في الغار ثلاثاً ، وجعلت قريش حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم ، فكان عبدالله بن أبي بكر يكون في قريش ومعهم ، ويستمع ما يأتمرون به ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر ابن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبدالله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر أثره بالغنم ، حتى يعفي عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجرا ببعيريهما ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاماً ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فإذا ليس فيها عصام فحلت نطاقها ، فجعلته لها عصاماً ، ثم علقتها به ، فكان يقال لها ذات النطاقين . قال : فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه يخدمهما بالطريق .

قال ابن إسحاق : قال عبدالرحمن بن عويم بن ساعدة : حدثني رجال قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمخرج رسول الله من مكة ، وتوكفنا قدومه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ، ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا بيوتنا ، وذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان في اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلسنا كما كنا نجلس ،

حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء . قال : فخرجنا إليه وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر وأكثرنا من لم يكن رأى رسول الله قبل ذلك ، قال : وركبه الناس ، وما نعرفه من أبي بكر، حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك فأقام صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ، وأسس مسجدهم.

قال أبو جعفر : واختلف السلف من أهل العلم في مدة مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعدما استنبىء ، فقال بعضهم : كانت مدة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين ، قال ذلك ، أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب ، وعمرو بن دينار . وقال آخرون : بل أقام بعدما استنبىء بمكة ثلاث عشرة سنة ، قال ذلك ابن عباس . وقال بعضهم : كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة ، قال أبو جعفر : فلعل الذين قالوا كان مقامه بمكة بعد الوحي عشراً عدوا مقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحي ، وأظهر الدعاء الى توحيد الله . وعد الذين قالوا : كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي استنبىء فيه . والله أعلم ! .

ذكر الوقت الذي عمل فيه التاريخ

قال أبو جعفر: ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أمر بالتاريخ فيما قيل، فذكر أنهم كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمة إلى أن تمت السنة، وقد قيل إن أول من أمر بالتاريخ في الإسلام عمر بن الخطاب، قال الشعبي: كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر أنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ. قال: فجمع عمر الناس للمشورة، فقال بعضهم أرخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: بل نؤرخ لمهاجره، فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل، فكتب التاريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: ولم يؤرخ التاريخ من وقت قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، بل من أول تلك السنة في الشهر المحرم. وكان النبي قد قدم إلى المدينة يوم الإثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.

ذكر ما كان من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة

فمن ذلك تجميعه صلى الله عليه وسلم بأصحابه الجمعة ، في اليوم الذي ارتحل فيه من قباء ، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف ، ببطن واد لهم ، وكانت هذه الجمعة أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، فخطب في هذه الجمعة ، أول خطبة له بالمدينة ، حيث حمد الله واستغفره ، وحث الناس على طاعته .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب ناقته ، وأرخى لها الزمام ، فجعلت لا تمر بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم ، فكان رسول الله يقول لهم خلوا زمامها فإنها مأمورة ، حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب مسجده . قال ابن مالك : كان موضع مسجد النبي لبني النجار ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثامنوني به ، فقالوا : لا نبتغي به ثمناً إلا ما عند الله . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطع ، وبالحرث فأفسد ، وبالقبور فنبشت . قال أبو جعفر : وتولى بناء مسجده هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار . وفي هذه السنة بني مسجد قباء ، وفيها بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد مقدمه المدينة بسبعة أو ثمانية أشهر . وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين وقيل : ابنة سبع . قالت عائشة : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين ، وأهديت إليه لتسع سنين . قالت : وتزوجني في شوال وبنى بي في شوال .

قال ابن إسحاق : وفي هذه السنة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر غازياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة ، يريد قريشاً وبني ضمرة ابن بكر ، وهي غزوة الأبواء ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، ورجع إلى المدينة . ولم يلق كيداً . قال : وبعث في مقامه ذلك عبدالله بن الحارث بن المطلب في ثمانين أو ستين راكباً ، حتى بلغ أحياء ، (ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة) فلقي بها جمعاً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي به في الإسلام . قال : فكانت راية عبيدة ، أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين . قال : ثم غزا رسول الله صلى

الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر ، يريد قريشاً ، حتى إذا بلغ بواط من ناحية رضوي رجع ولم يلق كيداً ، ثم غزا في ربيع الأول في طلب كرز بن جابر الفهري، وكان قد أغار على سرح المدينة ، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ بدراً فلم يلحقه ، وهي غزوة بدر الأولى ، وكان يحمل لواءه علي بن أبي طالب . قال : ثم غزا غزوة ذات العشيرة حتى بلغ ينبع ، يريد أن يعترض لعيرات قريش حين ابدأت إلى الشام فرجع ولم يلق كيداً .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

قال ابن إسحاق : وفي هذه السنة ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن جحش ، معه ثمانية رهط من المهاجرين ليرصد له قريشاً ويأتيه منهم بخبر ، فمرت به عيرٌ لقريش تحمل زبيباً وادماً وتجارة من تجارة قريش فيها ، منهم عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان ، فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبدالله ، وأقبل عبدالله بن جحش بالعير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، قال: وبعثت قريش في فداء عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا ـ يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ـ فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم ـ وكان سعد وعتبة قد أضلا بعيراً لهما كانا يتعقبانه ـ فقدم سعد وعتبة ، ففاداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا .

وفي هذه السنة صرفت قبلة المسلمين من الشام إلى الكعبة . قال ابن عباس : كان الناس يصلون قبل بيت المقدس ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره ، كان إذا صلى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر ، وكان يحب أن يصلي قبل الكعبة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء . . . ﴾ الآية . قال الواقدي : صرفت القبلة إلى الكعبة في الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فرض صوم رمضان ، وفيها أمر الناس باخراج زكاة الفطر ، وفيها خرج رسول الله إلى المصلى فصلى بهم صلاة العيد ، وفيها كانت وقعة بدر الكبرى . قال ابن مسعود : كانت بدر صبيحة تسع عشرة من رمضان . وقال علي بن أبي طالب : كانت لسبع عشرة من رمضان ، وكان الذي هاج وقعة بدر وسائر الحروب التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش ـ فيما قال عروة بن الزبير ـ ما كان من قتل واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي .

ذكر وقعة بدر الكبرى

قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها أموال وتجارة من تجارتهم ، وفيها ثلاثون راكباً من قريش ، فندب المسلمين إليهم ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ، أصاب خبراً من بعض الركبان ، أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فحذر عند ذلك ، فأستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة ، فوصلها فأخذ يصرخ ويقول: يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ! .

قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، في ليال مضت من شهر رمضان ، فسار حتى إذا كان قريباً من الصفراء ، بعث بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان وعيره ، فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فأستشار النبي أصحابه فقام أبو بكر رضي الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ـ يعني مدينة الحبشة ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا على أيها الناس ـ وإنما يريد الأنصار ـ فقد تخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته ، إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ـ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق ، إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ! إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وابشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من بدر ، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر. قال ابن إسحاق: فأصابوا راوية لريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بني العاص ، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألهما : أين قريش ؟ قالا : هم وراء هذا الكثيب ، فقال لهما : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندري ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف .

وأقبل أبو سفيان ، فضرب وجه عيره عن الطريق ، فساحل بها ، وترك بدراً يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع، ولما رأى أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليه ثلاثاً ، وننحر الجزر ،

ونطعم الطعـام ، ونسـقي الخـمـور ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فـامـضـوا . ومـضت قـريش حـتى نزلوا بالعـدوة القـصوى من الوادي ، فـخـرج رسـول الله صلى الله عليـه وسلم يبـادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى مـاء من بدر نزل به . قـال ابن إسـحـاق : فقال الحباب بن المنذر : يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتـقـدمـه ولا نتأخـره ، أم هو الرأي والحـرب والمكيـدة ؟ قـال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله ، فـإن هـذا لـيس لك بمنزل ، فـانهض بالناس حـتى نأتي أدنى مـاء من القـوم فـتنزله، ثم نعـور مـا سـواه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملؤه ماء ، ثم نقاتل الـقـوم فـنـشرب ولا يـشربـون فـقـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : لقـد أشرت بالرأي . فنهض هو ومن مـعـه من الناس ، فـسـار حتى أتى أدنى ماء من القوم ، فنزل عليـه . ثم أمـر بالقلب فـعـورت ، وبنى حـوضـاً على القليب الذي نزل عليه فـملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية . ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش ، فكان فـيـه ، وقـد ارتحلت قـريش حين أصـبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليـه وسلم قـال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسـولك، اللهم فنصرك الذي وعـدتني ، اللهم فاحنهم الغداة ! .

قـال ابن إسـحـاق : ثم تزاحف الناس ، ودنا بعـضـهـم من بعض ، وقد أمر رسـول الله صـلى الله عـليـه وسـلم أصـحـابه ألا يحملوا حـتى يأمـرهم ، ثم عـدل الصـفـوف ورجع إلى العـريش ، ودخله ، ومـعـه فـيـه أبو بكر ، فـجعل رسول الله صلى الله عليـه وسلم يناشـد ربه ما وعده من النصر ، ويقول : اللهم إنك إن تهلك هذه العـصـابة اليـوم ـ يعني المسلمين ـ لا تعـبـد في الأرض . قال ابن عباس : فلم يـزل كـذلـك حـتـى سـقـط رداؤه ، فأخـذ أبو بكر رداؤه وهو يقـول : يا نبي الله ، بعض مناشـدتك ربك! فإن الله منجـز لك ما وعدك ، فخرج وهو يقول: ﴿ سيهزم الجـمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ .

قـال ابن إسـحـاق : وقـد رمي مـهـجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، فكان أول قـتـيل من المسلمين ، ثم رمي حـارثة بن سراقـة ، وهو يشرب من الحوض فـقـتل . ثم خـرج رسـول الله صلى الله عليـه وسلم إلى الناس فـحـرضـهـم وقال : والذي نفس محـمـد بيـده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ،

إلا أدخله الله الجنة . ثم إنه أخذ حفنة من الحصباء ، فاستقبل بها قريشاً ، ثم قال: شاهت الوجوه ! ثم نفخهم بها ، وقال لأصحابه : شدوا ، فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر منهم . قال ابن عباس : حدثني رجل من بني غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة . قال : فبينما نحن في الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم . قال : فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت. قال أبو داود المازني ـ وكان شهد بدراً ـ قال: إني لاتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أن قد قتله غيري . قال ابن عباس : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراً ، ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون .

قال : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه، ثم وقف فقال: يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ! فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً . فقال له أصحابه : يا رسول الله ! أتكلم قوماً موتى ! قال : لقد علموا أن ما وعدتهم حق . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر مما جمع الناس فجمع ، فاختلف المسلمون فيه ، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين على السواء ، فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

وقتل في هذه الوقعة ، عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ، وأمية بن خلف ، قتله بلال ، وكان هو الذي يعذب بلالاً في مكة على أن يترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحد أحد . فقال بلال حين رآه في وقعة بدر : رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا ، فقتله . قال ابن إسحاق : ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان

بالروحاء ، لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، وأقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأساري ، ففرقهم في أصحابه ، وقال استوصوا بالأساري خيراً .

قال : وكان من بين الأساري العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله قد قال لأصحابه يومئذ : من لقي العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مستكرهاً . قال ابن عباس : لما أمسى القوم من يوم بدر ، والأساري محبوسون في الوثاق ، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أول ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت تضور العباس في وثاقه ، قال : فقاموا إلى العباس فأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه ، فيشمت بكم ، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم، لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه في الغداء . قال : وكان في الأساري أبو وداعة بن ضبيرة السهمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له ابناً تاجراً كيساً ذا مال ، وكأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه ! قال : فلما قالت قريش لا تعجلوا في فداء أسرائكم لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة ـ وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى ـ : صدقتم ، لا تعجلوا بفداء أسرائكم ، ثم انسل من الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعثت قريش في فداء الأسارى .

فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عزّ وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها . قال ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر التقوا ، فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر سبعون رجلاً ، فلما كان يومئذ شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والأخوان ، فاني أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى الله أن يهديهم ، فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا بن الخطاب ؟ قال : قلت : لا والله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكنني من فلان فأضرب عنقه ، وتمكن حمزة

من أخ له فيضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للكفار ، هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم . قال : فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، فأخذ منهم الفداء . فلما كان الغد قال عمر : غدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قاعد وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، قال : قلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للذي عرض علي أصحابك من الفداء ، وأنزل الله عزّ وجل : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ إلى قوله : ﴿ فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ ثم أحل لهم الغنائم .

قال أبو جعفر : وكان جميع من شهد بدراً من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ثلاثة وثمانين رجلاً ، وجميع من شهد من الأوس معه واحد وستون رجلاً ، وجميع من شهد معه من الخزرج مائة وسبعون رجلاً ، وجميع من استشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وكان المشركون تسعمائة وخمسين مقاتلاً وكانت خيلهم مائة فرس ، وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة في ثلاثمائة رجل وخمسة . وكانت الإبل سبعين بعيراً ، والخيل فرسين .

غزوة بني قينقاع

قال ابن إسحاق : كان من أمر بني قينقاع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احذروا من الله عزّ وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم ، وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا كقومك ! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربتنا تعلمن أنا نحن الناس .

قال الزهري عن عروة : نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية : ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ﴾ ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أخاف من بني قينقاع ، قال عروة : فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية

. قال الواقدي : فحاصرهم خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد . ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكتفوا وهو يريد قتلهم ، فكلمه فيهم عبدالله بن أبي . قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك . ثم أمر باجلائهم ، وغنّم الله عزّ وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال وسلاح ، وكان الذي ولي اخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت ، فمضى بهم حتى بلغ رباب . قال أبو جعفر : وفيها كان أول خمس خمسة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، وفض أربعة أخماس على أصحابه . قال الواقدي عن جابر بن عبدالله : لما رجعنا من بني قنيقاع ضحينا في ذي الحجة صبيحة عشر ، وكان أول أضحى رآه المسلمون .

غزوة السّويق

قال ابن إسحاق : كان أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكة ، ورجع فل قريش إلى مكة من بدر ، نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابه حتى يغزو محمداً ، فخرج في مائتي راكب من قريش ، ليبر بيمينه ، فمروا بالعريض ، فحرقوا أصوار من نخل لها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ، وجاء الصريخ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستنفر الناس ، فخرجوا في طلبهم فأعجزوهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب الدقيق ويتخففون ، وكان ذلك عامة زادهم ، فلذلك سميت غزوة السويق .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

خبر كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق كان من حديث ابن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب بدر من المشركين ، وجاء الخبر إلى أهل المدينة ، جعل كعب بن الأشرف يقول ويلكم أحق هذا ! أترون أن محمداً قتل هؤلاء ، أشرف العرب وملوك الناس ؟ والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لنا من ظهرها . فلما تيقن عدو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أسيد ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويبكي على أصحاب القليب الذين اصيبوا ببدر من قريش . ثم رجع إلى المدينة ، فشبب بأم الفضل بنت الحارث ، وبعدد من نساء المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من لي من ابن الأشرف ! قال محمد ابن مسلمة: أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال: فافعل إن قدرت على ذلك، فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ قال : يا رسول الله، قلت قولاً لا أدري أفي به أم لا ! قال : إنما عليك الجهد ، فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسلكان بن سلامة بن وقش ، وعباد بن بشر بن وقش ، والحارث بن أوس ، وأبو عبس بن جبر ، ثم قدموا إلى ابن الأشرف في بيته ، فقالوا له بعد أن اطمأن إليهم : هل لك يا ابن الأشرف ، أن نتماشى إلى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إن شئتم ! فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، فقتلوه .

غزوة القردة

قال الواقدي : وفي جمادي الآخرة من هذه السنة ، كانت غزوة القردة وكان أميرهم زيد بن حارثة ، قال : وهي أول سرية خرج فيها زيداً أميراً . قال ابن إسحاق : وكان من أمرها أن قريشاً قد كانت خافت طريقها التي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب . ومعه فضة كثيرة وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر ابن وائل يقال له فرات بن حيان ، يدلهم على ذلك الطريق ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فلقيهم على القردة (ماء من مياه نجد) فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الواقدي : فكان الخمس عشرين ألفاً ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسم الأربعة الأخماس على السرية ، وأتي بفرات بن حيان ، فلما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم ، فأرسله .

مقتل أبي رافع اليهودي

وهو سلاّم بن أبي الحقيق ، وكان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : فوجه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الأنصار ، فيهم عبدالله بن عتيك ، وعبدالله بن أنيس ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدالله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة . فخرجوا حتى قدموا خيبر ، فآتوا دار بن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه من خلفهم على أهله ، وكان في عُليّة له إليها عجلة رومية ، فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ فقالوا: نفر من العرب نلتمس الميرة ، قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه، قال ابن عتيك : فلما دخلنا أغلقنا عليها وعلينا وعليه باب الحجرة ، وتخوفنا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه. قال: فصاحت امرأته، ونوهت بنا، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قبطية ملقاة . قال: ولما صاحت بنا امرأته، جعل الرجل منا يرفع عليها السيف ثم يتذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكف يده، ولولا ذاك فرغنا منها بليل، فلما ضربناه بأسيافنا، تحامل عليه عبدالله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه. قال: فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا في قتله، وكلنا يدعيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هاتوا أسيافكم، فجئنا بها فنظر إليها، فقال : لسيف عبدالله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر طعام.

غزوة أُحُد

قال ابن إسحاق : لما أصيبت قريش ، يوم بدر ، فرجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بعيره ، مشى عبدالله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ، ففعلوا ، فأجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت بحدها وجدها وأحابيشها ، ومن معها من بني كنانة

وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة ، ولئلا يفروا . فخرج أبو سفيان وهو قائد الناس ، ومعه هند بنت عتبة ، ومعها معظم نساء رجال قريش . فأقبلوا حتى نزلوا بعينين لجبل ببطن السبخة ، من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إني قد رأيت بقراً فأولتها خيراً ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، فقال رجال من المسلمين : يا رسول الله ، اخرج بنا الى أعدائنا ، لا يرون أناجبنا عنهم وضعفنا ، فقال عبدالله بن أبي سلول ، وكان يرى رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس درعه ، ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا . قال السدي : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد في ألف رجل ، وقد وعدهم الفتح إن صبروا . قال ابن إسحاق : فلما كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنه عبدالله بن أبي بثلث الناس، فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق ، واتبعهم عبدالله ابن عمرو بن حرام ، يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر عدوهم ! قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه ، وأبو الانصراف عنه ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ! فسيغني الله عنكم ! . قال السدي : قال الله عزّ وجل : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ قال : هم بنو سلمة وبنو حارثة ، هموا بالرجوع حين رجع عبدالله بن أبي ، فعصمهم الله ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، والخيل مائتي فرس ، والظعن خمس عشرة امرأة .

قال ابن إسحاق : ومضى رسول الله صلى الله علية وسلم ، حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال ، وتعبأ رسول الله للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبدالله بن جبير ، والرماة خمسون رجلاً ، وقال : انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، فأثبت مكانك لا تؤتين من قبلك ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين . قال : فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وافق

واقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة ، حتى أمعن في الناس ، وحمزة بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين ، فأنزل الله عزّ وجل نصره ، وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لاشك فيها .

قال ابن الزبير عن أبيه ، قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، ما دون أخذهن قليل كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب ، وخلوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من أدبارنا وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ! فانكفأنا وانكفأ علينا القوم، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم . قال طلحة بن عثمان : فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر ، فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ، وحمل على أصحاب النبي ، فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل، تنادوا فشدوا على المسلمين، فهزموهم وقتلوهم، قال أنس بن مالك :

وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج ، فجعل الدم يسيل على وجهه .

قال أبو جعفر : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤه حتى قتل ، فأخذ اللواء علي بن أبي طالب ، وقاتل حمزة حتى قتل ، قتله وحشي غلام جبير بن مطعم ، رماه بحربة دفعها عليه حتى وقعت في لبته وخرجت من بين رجليه ، قال : وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فنادى كعب بن مالك يا معشر المسلمين ابشروا ! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما عرف المسلمون ذلك اجتمعوا عنده وقد ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزّ وجل للذين قالوا : ﴿ إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم ﴾ ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم.ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

فاقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فقال يومئذ : أعل هبل،حنظلة بحنظلة، ويوم بيوم بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جنباً فغسلته الملائكة ، وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل في يوم بدر، وقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل الله مولانا ولا مولى لكم. فذكر الله تعالى اشراف أبي سفيان عليهم ، فقال: ﴿ فأثابكم غمّاً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾ والغم الأول ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والغم الثاني اشراف العدو عليهم ﴿ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ﴾ من الغنيمة ﴿ ولا ما أصابكم ﴾ من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان .

قال ابن إسحاق : وقد وقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدعن الآذان والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر :

وفرغ الناس لقتلاهم ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي

طالب ، فقال : اخرج في أثار القوم فانظروا ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ، فهم يريدون المدينة . قال علي : فخرجت في آثارهم ، فلما اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة . قال : فأقبلت أصيح من الفرح ، إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفن القتلى حيث صرعوا. قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، وكان رجوعه إليها يوم السبت للنصف من شوال من هذه السنة .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة

وفي هذه السنة حدثت غزوة الرجيع في صفر . قال ابن إسحاق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا له : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً وخيراً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين . فبعث معهم ستة من أصحابه مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ، وخبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، وعبدالله بن طارق . فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز) غدروا بهم ، فاستصرخوا هذيلاً ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف ، قد غشوهم . فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم . فأما مرثد وخالد وعاصم بن ثابت ، فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً .

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبدالله بن طارق ، فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظهران ، انتزع عبدالله بن طارق يده من القيد ، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، وأما زيد وخبيب فقدموا بهما مكة ، فباعوهما فابتاع خبيباً حجير بن أبي إهاب ليقتله بأبيه ، وأما زيد فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، فقتلوهما . قال ابن إسحاق : وكانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يومَ أحد : لئن

قـدرت على رأس عـاصم لتشربن في قـحفه الخمر ، فمنعته الدبر ، فلما حالت بينهم وبينه ، قـالوا : دعـوه حـتى يمسي فتذهب عنه فتأخذه فبعث الله الوادي . فاحتمل عاصماً فذهب به .

ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري
إذ وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بن حرب

ولما قـتـل من وجـهـه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عـضل والقـارة من أهل الـرجـيـع ، وبـلـغ خـبرهم رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بعث عـمـرو بن أمـيـة الضـمـري إلى مكة مع رجل من الأنصـار ، وأمـرهما بقـتل أبي سـفـيـان . قال ابن إسـحـاق : قـال عمرو بن أمية : فخرجت أنا وصاحبي ومعي بعير لي ، وليس مع صـاحـبـي بعير ، وبرجله علة . حـتى آتينا البـيت ، فطفنا به اسبـوعـاً ، وصلينا ركـعـتين ، ثم خـرجنا فـمـمـرنا بمجلس من مجالس قريش ، فعرفني رجل منهم ، فصرخ بأعلى صـوته : هذا عـمـرو بن أمـيـة ! فـقـامـوا في طلبي وطلب صاحبي ، فـقلت له : النجـاء ! هذا والله الذي كنت أحـذر ، أمـا الرجل فليس إليه سبيل . فـانج بنفـسك ، فـخرجنا نشتد حتى أصعدنا في الجبل ، فدخلنا في غار ، فبتنا فيه ليلتنا ، وأعـجـزناهم ، فـقلت لصـاحبي : أمهلني حتى يسكن الطلب عنا ، فإنهم والله ليطلبنا ليلتـهم هذه ويومـهم هذا حـتى يمـسـوا . قال : فوالله إني لفيه إذ أقبل عـثمان بـن مـالك التـيـمي ، فلم يزل يدنوا حـتى قـام علينا ببـاب الغـار . فـقلت لـصـاحـبي : والله لئن رآنا ليـعلمن بنا أهل مكة . قـال : فـخـرجت إليـه فـوجأته بالخنجـر تحت الثـدي ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مـكـاني ، وقـلت لصـاحـبي : مكانك ! قـال : واتبع أهل مكة الصـوت يشـتـدون ، فـوجـدوه وبه رمق ، فقالوا : ويلك من ضربك ! قال عمرو بن أمية : ثم مات قبل أن يخبرهم بمكاننا ، وشـغلهم صـاحـبـهم عن طلبنا ، فـاحتملوه ، ومكثنا في الغار يومين حـتى سكن عنا الطلب . ثم خرجنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر خبر بئر معونة

قـال ابن إسـحـاق : قـدم أبو براء عامر بن مالك ، وكان سيد بني عامر بن

صعصعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية فأبى رسول الله أن يقبلها وقال : يا أبا براء ، لا أقبل هدية مشرك ، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك . فقال : إن أمرك هذا الذي تدعو إليه حسن جميل ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ! فقال أبو براء : أنا لهم جار . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو في أربعين رجلاً وقيل في سبعين رجلاً من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فبعثوا حرام ابن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا السيوف ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم ، فلما جاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر إياه .

ذكر خبر جلاء بني النضير

كان عمرو بن أمية الضمري في سرح القوم الذين أرسلوا إلى بئر معونة ، وقد أخذوه أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه ، فخرج عمرو بن أمية الضمري حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظل هو فيه ، وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بني عامر ، بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قدم عمرو ابن أمية على رسول الله وأخبره الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين لأدينهما . وقيل إن عامر بن طفيل كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ديتهما . قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير ، يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ، فخلا بعضهم ببعض ـ ورسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم ، قاعد - فقالوا : من رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن حجاش بن كعب أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه الصخرة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم، وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث أصحابه، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلاً المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود قد أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

ثم سار بالناس إليهم، حتى نزل بهم، فتحصنوا منه في الحصون، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوماً حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم ، قال ابن عباس : فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم ، ويسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء . قال الزهري : صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشام ، على أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة (السلاح) .

ذكر الخبر عن غزوة السويق وهي غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدراً الثانية لميعاد أبي سفيان

قال ابن إسحاق : كان أبو سفيان قد نادى في وقعة أحد : إن موعدكم بدر للعام المقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل نعم هي بيننا وبينك موعد . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله ، فأقام عليه ثماني ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة ، حتى نزل مجنة من ناحية الظهران ، ثم بدا له الرجوع ، فقال: يا معشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإني راجع فارجعوا . فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السويق. يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فمر به معبد

بن أبي معبد الخزاعي فأخبره خبر رجوع قريش ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ولم يلقوا عدواً .

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

وفي هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش . قال ابن زيد : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته ، فخرج رسول الله يوماً يريده ، وعلى الباب ستر من شعر ، فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة ، فوقع اعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر ، قال : فجاء زيد فقال : يا رسول الله ، إني اريد أن افارقَ صاحبتي ، فقال : مالك ! أرابك منها شيء ! فقال : لا والله ما رابني منها شيء ، ولا رأيت منها إلا الخير ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك زوجك واتق الله ، فذلك قول الله عزّ وجل : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ **تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها** .

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفي هذه السنة كانت غزوة الخندق . قال ابن إسحاق : إن نفراً من يهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ديارهم ، قدموا على قريش بمكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف في بني مرة ، ومسعود بن رخيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع ، فتحزبوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالخندق سلمان الفارسي ، إذ قال : يا رسول الله ، إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خدقنا علينا . قال ابن إسحاق : فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون . فدأب فيه ودأبوا حتى أحكموه قال : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة ، في عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين . وخرج عدو الله حيي بن أخطب ، حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، كان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ، فلم يزل حيي بن أخطب بكعب بن أسد حتى نقض كعب عهده وبرىء مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعظم عند ذلك البلاء على المسلمين ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من الشهر ، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم ، إن رأوا غنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم . ثم خرج حتى أتى قريشاً وغطفان ، فقال لهم : بلغني أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوه فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على فعلنا، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم؟ فأرسل إليهم أن نعم ، فإن طلبت منكم يهود ذلك فلا تفعلوا .

قال : فلما كانت ليلة السبت ، أرسل أبو سفيان إلى بني قريظة أن اغدو للقتال حتى نناجز محمداً ، فأرسلوا إليه ، إن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال ، أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا به . فلما رجعت الرسل إلى قريش وغطفان ، قالوا : إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً ، فلما وصلت الرسل إلى بني قريظة ، قالوا : إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، فخذل الله بينهم ، وبعث عليهم ريح في ليال شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش : إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، فارتحلوا فإني مرتحل . قال ابن إسحاق : فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون وضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة

قال ابن إسحاق : بعد أن رجع المسلمون عن الخندق ووضعوا السلاح ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم : قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، وإن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة ، وأنا عامد إلى بني قريظة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ، فأذن في الناس ، إن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة ، وكان الوقت ظهراً .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة، قال ابن إسحاق : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود ، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم ! قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فتآمنوا على

دمـائكم وأمـوالكم وأبنائكم ونسـائكم ، قـالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً . قال : فـهلم فلنقـتل ابناءنا ونسـاءنا ، ثم نخـرج إلى محمـد فنناجـزه ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شـيئاً نخـشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقـتل هؤلاء المسـاكين ، فما خير العـيش بعدهم ! قال : فإذا أبيتم هذه ايضاً ، فإن الليلة ليلة السـبت ، وإنه عـسى أن يكون محمـد وأصـحـابه قـد آمنوا فـيها ، فانزلوا لعلنا نصـيب منه غرة . قالوا : نفسد سبتنا ، ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كـان قـبلنا ، إلا من قـد علمت ، فأصـابه من المسخ ما لم يخف عليك . قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمـه ليلة واحـدة من الدهر حازماً .

قـال ابن إسـحـاق : فلما أصـبـحـوا نزلوا على حكم رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فـتـواثبت الأوس ، فـقـالوا يا رسـول الله ، فإنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فـعلت في مـوالي الخـزرج بالأمس مـا قـد علمت ـ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـبل بني قـريظة حـاصر بني قـينقـاع ، وكـانوا حلفـاء الخـزرج ، فنزلوا على حكمـه ، فـسأله إياهم عـبـدالله بن أبي بن سلول ، فـوهبـهم له . فلما كلمه الأوس قـال صلى الله عليـه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم! قـالوا : بلى ، قـال : فذاك إلى سعد بن معاذ ـ وكان سعد قد أصيب بسهم في غزوة الخندق فـجـعله رسـول الله صلى الله عليـه وسلم في خـيـمـة امرأة من أسلم يقال لها رفـيـدة ، كانت تداوي الجرحى ، فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قـريظة ، أتاه قـومـه ، فـاحـتـملوه على حمار ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وهم يقـولون : يا أبا عـمـرو ، أحـسن في مـواليك ، فإن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم إنما ولاك لتـحسن فيهم. فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم .

قـال : فلما انتـهى سـعـد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال رسـول الله : قـومـوا إلى سـيـدكم ، فـقـاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله قـد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فـيـهم مـا حكمت ! قـالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا ؟ ـ في الناحية التي فـيـها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سـعـد : فـإني أحكم فـيـهم بأن تقـتل الرجـال وتقـسم الأمـوال ، وتسـبى الذراري

والنساء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله ورسوله . قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار ابنة الحارثة ، امرأة من بني النجار ، ثم خرج إلى سوق المدينة ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، وهم ستمائة أو سبعمائة وامرأة كانت قد قتلت خلاد بن سويد بأن طرحت عليه رحى فشدخته شدخاً شديداً .

قال : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري بسبايا بني قريظة إلى نجد ، فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً ، ولم يقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ، وقتل من المشركين ثلاثة نفر ، وقتل يوم بني قريظة خلاد بن سويد ، ومات أبو سنان بن محصن أثناء الحصار . فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ . قالت عائشة : فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، فوالذي نفس محمد بيده، إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وإني لفي حجرتي . قالت : وكانوا كما قال الله عزّ وجل: ﴿ رحماء بينهم ﴾ . قال علقمة : أي أمه ! كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنه كان إذا اشتد وجده أخذ بلحيته .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة

غزوة بني لحيان

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان ، يطلب بأصحاب الرجيع ، خبيب بن عدي وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال فراح قافلاً .

غزوة ذي قرد

قال ابن إسحاق : أغار عيينه بن حصن بن حذيفة بن بدر الفازري في خيل لغطفان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح . قال : وكان أول من نذر

بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبدالله ، فلما نظر إلى بعض خيولهم ، صرخ : وا صباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : (خذها مني وأنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع) . فإذا وجهت الخيل نحوه ، انطلق هارباً ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمي رمى . قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع ! فتنامت الخيول إليه ، فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن معرو ، فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد . ثم قال : اخرج في طلب القوم حتى الحقك في الناس . فكان أول من لحق بالقوم محرز بن نضلة ، فحمل عليه رجل منهم فقتله .

قال : ولما تلاحقت الخيول قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي ، حبيب بن حصن ، ثم لحق بالناس ، وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار على بعير واحد ، فانتظمها بالرمح فقتلها جميعاً ، واستنفذوا بعض اللقاح . وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس ، وأقام عليه يوماً وليلة وقسم في أصحابه في كل مائة جزوراً ، فأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً حتى قدم المدينة .

ذكر غزوة بني المصطلق

قال ابن إسحاق : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بلمصطلق يجتمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم ، يقال له : المريسيع ، فتزاحف الناس واقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم الله عليه . قال : فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد ، يقود له فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، فغضب عبدالله بن أبي بن

سلول، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن ، فقال : أقد فعلوها ! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ! فسمع ذلك زيد فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مر به عباد بن بشر بن وقشى فليقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس : أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل ، وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف بالله : ما قلت ما قال زيد ، ولا تكلمت به .

قال : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبدالله بن أبي ومن كان معه : ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ فلما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : إن الله صدّقك يا زيد . قال ابن إسحاق : ولم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عبدالله بن أبي ، بل قال : نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا . وجعل الناس إذا أحدث الحدث ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ويتوعدونه .

وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس كثير ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبياً كثيراً ، ففشا قسمه في المسلمين ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار وكانت من بين سبايا بني المصطلق . وكانت هذه الغزوة في شعبان سنة ست من الهجرة .

حديث الإفك

قال ابن إسحاق : قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق ، خرج سهمي عليهن ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وكنت إذا رحل بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون هودجي في بعيري ، ويحملوني فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلاً ، حتى إذا كان

قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات فيه بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت التمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل . قالت : فرجعت إلى المكان الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلافي القوم ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع .

قالت : ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتقدوني قد رجعوا لي . قالت : فمر بي صفوان بن المعطل السلمي ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلما رآني قال : ما خلفك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرب البعير فقال : اركبي رحمك الله ! واستأخر عني . قالت : فركبت ، فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا . فارتج العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك . ثم قدمنا المدينة ، فلم أمكث أن اشتكيت شكوى شديدة ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبويّ ، ولا يذكران لي من ذلك قليلاً ولا كثيراً ، إلا إني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي ، حتى وجدت في نفسي مما رأيت من جفائه عني ، فقلت له : يا رسول الله ، لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني ! قال: لا عليك ! قالت : فانتقلت إلى أمي ، ولا أعلم بشيء مما كان ، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة. قالت : فخرجت ليلة لبعض حاجتي ، ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب ، فوالله إنها لتمشي معي ، إذ عثرت في مرطها ، فقالت : تعس مسطح ! قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ! قالت : أو ما بلغك الخبر ! قلت وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ، فوالله ما قدرت أن أقضي حاجتي ورجعت فما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهن

غير الحق ! والله ما علمت منهن إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ! وما دخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي ، فقال أسيد بن خضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، فقام سعد بن عبادة فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! قال أسيد : كذبت لعمر الله! ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ! قالت : وتثاوره الناس حتى كاد أن يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل علي ، قالت : فدعا علي وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيراً ، وأما علي فإنه قال : يا رسول الله ، إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية فإنها تصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة يسألها . قالت : فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً ، وهو يقول : أصدقي رسول الله ، قالت : فتقول والله ما أعلم إلا خيراً . ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي ، وأنا أبكي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتقي الله ، وإن كنت قارفت سوءاً فتوبي إلى الله ، قالت : وانتظرت أبويّ أن يجيبا فلم يتكلما ، وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل الله عزّ وجل فيّ قرآناً ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله في نومه شيئاً يكذب الله به عني، لما يعلم من براءتي. قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان ، قلت : ألا تجيبان رسول الله ! فقالا لي : والله ما ندري بماذا نجيبه ! قالت : فلما استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ، والله لئن أقررت بما يقول الناس لتصدقني ، ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدقوني ، ولكني أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغشاه الله ما كان يتغشاه ، فجلس وإنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : ابشري يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت : بحمد الله وذمكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عزّ وجل

من القرآن فيّ . ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم . وكان مما أنزل الله عزّ وجل في حديث الإفك ، قوله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم . . . ﴾ ﴿ إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم . . . . ﴾ وجميع هذه الآيات في سورة النور .

ذكر الخبر عن عمرة النبي صلى الله عليه وسلم التي صده المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحديبية

قال ابن إسحاق : خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمراً في ذي القعدة لا يريد حرباً ، وقد استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب أن يخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له الحرب ، أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظماً له . قال الزهري : فبلغه أن قريشاً قد سمعوا بمسيره ، فخرجوا وقد نزلوا بذي طوي ، يحلفون بالله لا يدخلها عليهم أبداً . قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم على طريق وعر ، وقد شق ذلك على المسلمين ، وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، في طريق على مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك في ثنية المرار ، بركت ناقته ، فقال للناس : انزلوا ، فقيل : يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه ! فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه ، فجاش الماء بالري . قال الزهري : فبينما هم كذلك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه فقال

لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد نزلوا أعداد مياه الحديبية ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نأت لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين . قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هن أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظن قريش! فوالله لا أزال اجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة . فقال بديل : سنبلغهم ما تقول .

فانطلق بديل حتى أتى قريشاً فبلغهم ما كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : فبعثت قريش أربعين رجلاً منهم وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه ، فأسرهم المسلمون ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل. قال : ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظماً لحرمته . فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالته : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، قال : ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل . فقال صلى الله عليه وسلم : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ . ثم أتى أن الذي كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا . فوالله لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً . قال : فأقبل سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجرى بينهما

الصلح. قال علي رضي الله عنه: ثم دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: (باسمك اللهم)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب (باسمك اللهم)، فكتبتها. ثم قال: اكتب (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو) فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب: (هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على إنه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم ترده عليه. وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال ولا أغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم، دخل فيه) ـ فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد رسول الله وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدها ـ (وأنك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قادم خرجنا عنك، فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، وأن معك سلاح الراكب، السيوف في القرب لا تدخلها بغير هذا). فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين.

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. قال ابن إسحاق: يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس ـ فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً فالتقوا، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك واكثر.

وفي هذه السنة، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بكتبه إلى ملوك عصره، يدعوهم إلى الإسلام، فبعث إلى صاحب اليمامة، والبحرين، وعُمان، والإسكندرية، وهرقل ملك الروم، وكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

أسلم تسلم . وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن تتول فإن أثم الأكارين عليك ـ يعني تحمالة . قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر ابن الحارث الغساني صاحب دمشق ، وكتب إليه : سلام على من اتبع الهدى ، وأمن به ، إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك . فلما قدم الكتاب عليه ، قال : من ينزع مني ملكي ! أنا سائر إليه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : باد ملكه ! .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي وكتب معه كتاباً : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وإن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فاني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين ، فإذا جاءك فأقرهم ، ودع التجبر ، فإني أدعوك وجنودك إلى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحي ، والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أجبر ، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، من الله الذي لا إله إلا هو ، الذي هداني إلى الإسلام . أما بعد ، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله ، وإني رسول الله ، إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ، أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك أثم المجوس . قال ابن إسحاق : فلما قرأه كسرى مزقه ، فقال رسول الله : مزق الله ملكه . وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط ، يدعوه إلى الإسلام فلم يسلم .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر

وفي هذه السنة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، فمضى حتى نزل بجيشه بواد يقال له الرجيع ، فنزل بين أهل خيبر وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : إن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا قليلاً سمعوا خلفهم في أموالهم وأهاليهم حسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، وخلوا بين رسول الله وبين خيبر ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأموال يأخذها مالاً مالاً ، ويفتحها حصناً حصناً ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، ثم القموص . وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والأموال ، حتى فتح الله عليهم أعظم حصون خيبر ، وهو حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر كان حصن أكثر طعاماً وودكاً منه .

قال : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلالم ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة . قال بريدة الأسلمي : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء عمر بن الخطاب ، ونهض من نهض معه من الناس ، فلقوا أهل خيبر ، فانكشف عمر وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . فلما كان من الغد تطاول أبو بكر وعمر ، فدعا عليا عليه السلام . قال ابن إسحاق : قال أبو رافع: خرجنا مع علي بن أبي طالب برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم فضربه رجل من اليهود ، فطرح ترسه من يده ، فتناول علي باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل ، حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه .

قال : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنيهم ،

الـوطـيح والسـلالم ، حـتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن لهم دمـاءهم ، فـفـعل . فلما سـمع بهم أهل فدك ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألوه أن يسيرهم ويحقن دمـاءهم لهم ، ويخلوا له الأمـوال ، فـفـعل ، فلما نزلوا أهل خـيبر على ذلك ، سألوه أن يعـاملهم بالأمـوال على النصف ، فـصـالحـهم رسول الله صلى الله عـليـه وسلم على النصف ، على إنا إذا شئنا أن نخـرجكم أخـرجناكم ، فكانت خـيبر فـيئاً للمـسلمين ، فلما اطمأن رسـول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحـارث امـرأة سلام بن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ؟ فـقـيل لها : الذراع ، فأكـثـرت فـيـهـا السم، فـسـمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليـه وسلم تناول الذراع ، فأخـذها فـلاك منهـا مـضغة فلم يسغها ، ومعه بشر ابن البراء ، وقـد أخـذ منها ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليـخبرني أنه مـسـمـوم، ثم دعـا بها فـاعترفت. فـقال: ما حملك على ذلك؟ قـالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان نبياً فسيخبر ، وإن كـان ملكاً استرحت منه ، فـتـجـاوز عنهـا النبي صلى الله عليـه وسلم . ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل .

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

وفـيـهـا أسلم عـمـرو بن العـاص وخالد بن الوليد . قال ابن إسحاق : قال عـمـرو بن العـاص : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كـانوا يرون رأيي ، ويسـمـعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمـور علواً منكراً . وإني قـد رأيت رأياً فما ترون فـيـه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قـلت : رأيت أن نلحق بالنجـاشي ، فنكون عنده ، فإن ظهـر محـمـد على قـومنا كنا عـند النجـاشي ، فـلأن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محـمـد ، وإن يـظهـر قـومنا ، فـلا يأتينا منهم إلا الخير : فـقـالوا : إن هذا الرأي . قلت : فـاجمعـوا له مـا نهدي إليـه ـ وكـان أحب مـا يهدى إليه من أرضنا الأدم ـ فجمعوا له أدمـاً كـثيراً . ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنا لعنده ، إذ جاءه عمرو بن أمية الضـمري ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه بكتابه ـ قال : فدخل عليه

ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه ، فأعطانيه فضربت عنقه ! فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد اجزأت عنها حين قتلت رسول محمد .

فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ! أهديت لي شيئاً من بلادك ؟ قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدماً كثيراً ، ثم قربته إليه ، فاعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فاعطينيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره - يعني النجاشي - ثم قلت : والله أيها الملك لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، لتقتله ! فقلت أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو ! أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قال : قلت : فتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ، وكتمت عنهم إسلامي ، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسم ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله أسلم ، فحتى متى ! فقلت : والله ما جئت إلا لأسلم ، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعناه وأسلمنا .

ذكر الخبر عن غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحه . قال : فتجهز الناس ، ثم تهيؤوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضمت إليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي في مائة ألف منهم، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين، ينظرون في أمرهم، وقالوا:

نكتب إلى رسول الله ونخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له ، فشجع الناس عبدالله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور ، وإما شهادة ، فقال الناس قد والله صدق أبو رواحة.

قال : ثم مضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف . ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبأ المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم عباية بن مالك ، ثم التقى الناس ، فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فقاتل بها حتى قتل ، فأخذ الراية عبدالله ابن رواحة ، فقاتل حتى قتل ، فأخذ الراية ثابت بن أقرم ، فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى بهم ، ثم انحاز وتحيز حتى انصرف بالناس ، فأقبل بهم قافلاً .

قال : فلما دنوا من دخول المدينة ، تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ،ولقيهم الصبيان يشتدون ،ورسول الله مقبل مع القوم على دابة ،قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون : يا فرار في سبيل الله ، فيقول رسول الله : ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار ، إن شاء الله !.

ذكر الخبر عن فتح مكة

قال ابن إسحاق : لما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا بينهم ، أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه ، فدخلت بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فتظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منها ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

من العـهد والميثاق ، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فأخبره أن قـريشـاً نقـضـوا العـهـد والميثـاق وأنهم أصابوا من بني خـزاعة ما أصابوا ، فكان ذلك مما هاج فتح مكة .

ثم إن قـريشـاً بعـثت بأبي سفـيـان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشدد العـقـد ويزيد في المدة ، وقـد رهبـوا الذي صنعوا ، فخرج أبو سفيان حتى قدم على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه فلم يردد عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمـه أن يكلم رسـول الله ، فـقـال : مـا أنا بفـاعل . ثم أتى عـمـر بن الخطاب فكلمـه، فـقـال عـمـر : أنا أشـفع لكم إلى رسـول الله ! فـوالله لو لم أجـد إلا الذر لجـاهدتكم به . ثم خرج إلى علي بن أبي طالب . فقال علي : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقـد عـزم رسـول الله على أمـر مـا نسـتطيع أن نكلمـه فيه فانطلق إلى قومه ، فأخبرهم بالذي كان .

قـال ابن إسـحـاق : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وكتم نيته بالخـروج إلى مكة حـتى لا يصل الخبر إلى قـريش . قال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلى مكة ، فـقـائل يقـول : يريد قـريشاً ، وقائل يقول : يريد هوازان ، وقـائل يقـول : يريد ثقـيفاً . قال ابن إسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم من المدينة لعشر مـضين من شـهـر رمضان ، فصام وصام الناس معه ، ومـضى حـتى نزل مـرّ الظهـران في عشرة آلاف من المسلمين ، وقـد عـميت الأخبار عن قـريش فـلا يأتيـهم خبر عن رسـول الله ، ولا يدرون مـاهو فـاعل ، فخرج في تلك الليلة أبو سـفـيـان وحكيم بن حـزام ، وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم .

قـال : وقـد كـان العباس بن عبدالمطلب تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببـعض الطريق ، وكـان أبو سـفـيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد لقوا رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فـالتـمـسوا الدخول عليه ، فأذن لهم فأسلموا . قال ابن عـبـاس : فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً يكون في قـومه ، فقال نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

قـال الواقـدي : وبعث رسـول الله صلى الله عليـه وسلم الزبير بن العوام وأقره

على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر خالد بن الوليد ـ فيمن كان أسلم من قضاعة وبني سليم واناس ـ أن يدخل من أسفل مكة ، وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش . قال : فلما قدم خالد على بني بكر والأحابيش بأسفل مكة ، قاتلهم فهزمهم الله عزّ وجل ، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ، ومن ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة ، فقال : يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ ، يا معشر قريش ، ويا أهل مكة ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم . ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، فجلس لهم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه يأخذ على الناس . فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة لله ولرسوله ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بايع النساء، فلما دنون منه ليبايعنه، قال : تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً ! ولا تسرقن ، ولا تزنين ، ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصينني في معروف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بايعهن واستغفر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعهن عمر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأصنام فحطمت وهدمت بيوتها .

ذكر الخبر عن غزوة حنين

قال ابن إسحاق: لما سمعت هوزان برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصري واجتمعت إليه مع هوزان ثقيف كلها، فلما أجمع مالك المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، ليجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، ثم

نـزل بهـم بأوطاس . قـال ابن إسـحـاق : ولما سـمع بهم رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، بعث إليـهم عـبـدالله بن أبي حـدرد الأسلمي ليأتيه بخبر منهم ، ويعلم من علمـهم . فـانطلق ابن أبي حدرد ، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد جمعوا له من حـرب رسـول الله صلى الله عليـه وسلم . ثم أتى رسول الله ، فأخبره الخبر . قال : ثـم خـرج رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم ، ومـعـه ألفـان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، يريد لقاء هوزان .

قـال ابن إسـحـاق ، عن عبدالرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما استقبلنا وادي حنين ، وفي عماية الصبح ، وكـان القـوم قـد سـبـقوا إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شـعـابه ومـضـايقه ، قد أجمعوا وتهيؤوا وأعدوا ـ فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتـائب قـد شـدت علينا شـدة رجل واحـد ، وانهزم الناس أجمعـون ، فانشمروا لا يلوي أحـد على أحـد ، وانحـاز رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ذات اليـمين ، ثم قـال: ايها الناس ! هلم إلي ! أنا رسـول الله ، أنا محـمـد بن عـبـدالله ! قـال : فـلا شيء، احـتملت الإبل بعضها بعضا ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم نفـر من المهـاجرين وأهل بيته ، وكان ممن ثبت معه ، أبو بكر وعـمـر وعلي والعـبـاس وابنه الفـضل وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة بن الحارث . قـال العـبـاس بن عـبـدالمطلب : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : يا عـبـاس، اصرخ : يا مـعشر الأنصـار ! يا أصـحـاب السـمـرة ! فناديت . قال : فـاجـابوا أن لبـيك لبـيك ، فـاجـتـمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل اسـتـقـبلوا الناس ، فاقتتلوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن حمي الوطيس ! . قـال ابن إسـحـاق : قـال جبير بن مطعم : لقد رأيت والناس يقتتلون مـثل البجاد الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت فإذا نمل أسـود مـبـثوث قد ملأ الوادي ، فلم أشك أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم .

قـال ابن إسـحـاق : فلما انهزم المشركـون أتوا الطائف ، وعـسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجـه بعـضـهم نحو نخلة ، فتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة ، ولم تتبع من سلك الثنايا ، وخـرج مـالك بن عـوف عند الهزيمة، فوقف في فـوارس من قـومـه على ثنيـة الطريق، وقـال قـفـوا حـتى تمضي ضـعفاؤكم وتلحق آخـراكم، فوقف حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة القوم .

قال ابن إسحاق : لما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال ، فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين من فوره حتى نزل الطائف ، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، فاستشهد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً ، سبعة من قريش ، ورجل من بني ليث ، وأربعة من الأنصار . قال : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أنه لم يؤذن له في ثقيف ، فانصرف من الطائف حتى نزل الجعرانة بمن معه من المسلمين ، وكان قدّم سبي هوزان حين سار إلى الطائف إلى الجعرانة ، فحبس بها ، ثم أتته وفود هوزان بالجعرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوزان من النساء والذراري عدد كبير، ومن الإبل ستة آلاف بعير، ومن الشاء ما لا يحصى. قال : فلما اتى وفود هوزان، أسلموا ، فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان لهم من النساء والأبناء والأموال ، وسألهم عن مالك بن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأتي مالك بذلك ، فخرج من الطائف متخفياً ، فلحق برسول الله فأدركه بالجعرانة ، فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم فحسن إسلامه ، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل حول الطائف ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً حتى ضيق عليهم .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ، قسم الغنائم بين المسلمين . قال الواقدي : أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة . ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لليال بقين من ذي الحجة من سفرته هذه .

ثم دخلت سنة تسع من الهجرة

وفي هذه السنة ، قدم وفد من أسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : قدمنا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولاً ، فأنزل الله عزّ وجل في قولهم : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم . . . ﴾ ، وفيها قدم وفد بلي ، ووفد الداريين ووفد أهل الطائف من ثقيف . قال ابن إسحاق : ائتمروا

بينهم ألا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا ، فلما أسلموا ورجعوا إلى بلادهم ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية (الأصنام) .

غزوة تبوك

وفي هذه السنة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك . قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمن عسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار وأحببت الظلال ، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، وأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

قال : فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه ، مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم، فقال بعض المنافقين: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ إلى قوله : ﴿ جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جد في سفره ، فأمر الناس بالجهاز ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم من نفقته . ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار ، فاستحملوا رسول الله ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : ﴿ لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ . قال : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تخلف عنه عبدالله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين ، وكانوا ممن يكيد الإسلام وأهله ، فأنزل الله عزّ وجل : ﴿ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور . . . ﴾ .

ثم مـضى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل فـيـقـولون : يا رسـول الله ، تخلف فـلان ، فـيـقـول : دعـوه ، فإن يك فـيـه خير فـسـيلحـقـه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فـقـد أراحكم الله منه ، وكـان رهط من المنـافـقين، منهم وديعـة بن ثابت ، يسيرون مع رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، فـقـال بعـضـهم لبعض : أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ! والله لكأني بكم غـداً مـقـرنين في الحبـال ، أرجافاً وترهيباً للمؤمنين . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عـلـيـه وسلم، فأتوا يعـتـذرون إليـه ، فـقـال وديعـة: يا رسـول الله ، كنا نخـوض ونلعب، فأنزل الله تعـالى فـيهم: ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾.

وأقـام رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ، ثم انصرف قـافـلاً إلى المدينة ، وكـان تخلف عنه رهط من المنفـاقين ، فجعلوا يحلفون له ويـعـتـذرون ، فـصـفـح عـنـهـم رسـول الله ولم يعـذرهم الله ولا رسـوله ، واعـتـزل المسلمـون كـلام هؤلاء ، حـتىٰ أنزل الله عـزّ وجل قوله : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهـاجـرين والأنصـار ﴾ إلى قوله : ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ ، فتاب الله عليهم .

وفي هـذه الـسنة ، قـدم على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وفـد بني تميم . قـال ابن إسـحـاق : فلما دخل وفـد تميم المسـاجـد ، نادوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحـجـرات : أن أخـرج إلينا يا محـمـد . فأذى ذلك من صـيـاحـهم رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، فـخـرج إليـهم . فأنزل الله فـيـهم : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحـجـرات أكـثـرهم لا يعـقلون ﴾ قـال : فـتـفـاخـر بنو تميم مع أصـحـاب رسـول الله صـلى الله عـليـه وسلم في الشـعـر والخطابة ، فلما فـرغ القـوم أسـلـمـوا ، وجـوزهم رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فأحـسن جـوائزهم . قـال : وفـيـهـا قـدم على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم كـتاب ملوك حمير في شهر رمضان مـقـرين بالإسـلام ، وفـيـهـا قـدم وفد بهراء ، ووفد بني البكاء ، ووفد بني فزارة ، وفـيـها نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين موت النجاشي .

قال: وفيها حج أبو بكر بالناس ثم خرج من المدينة في ثلاثمائة من المسلمين، وبـعـث رسـول الله صلى الله عليـه وسلم علي بن أبي طالب على أثر أبي بكر، فأدركـه بالعـرج، فقرأ علي عليه براءة يوم النحر عند العقبة. قال السدي: نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربـعـين ـ يـعـني من سـورة براءة ـ فـبـعـث بهن رسـول الله مع أبي بكر،

وأمره على الحج ، فلما سار فبلغ الشجرة ، فاتبعه بعلي ، فأخذها منه ، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بأبي أنت وأمي ! أنزل في شأني شيء ؟ قال : لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني . أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار ، وأنك صاحبي على الحوض ! قال : بلى يا رسول الله . فسار أبو بكر على الحج ، وسار علي يؤذن ، فقام يوم الأضحى فأذن فقال : لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فله عهده إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً . قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فرضت الصدقات، وفيها نزل قوله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ﴾ . قال الواقدي : وفيها (هذه السنة) ماتت أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ ، ووفد سعد هذيم .

ثم دخلت سنة عشر

قال ابن إسحاق : وفي هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد في جمادى الأولى إلى بلحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا لك فاقبل منهم ، وأقم فيهم ، وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ، فإن لم يفعلوا فقاتلهم . قال : فخرج خالد حتى قدم عليهم . فبعث الركبان يدعون الناس إلى الإسلام ، فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم إليه ، فأقام خالد فيهم يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، ثم كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أقبل وليقبل معك وفدهم ، فأقبل خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بلحارث ، فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى وفدهم عمرو بن حزم الأنصاري ، ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام . ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمره فيه بأمره . قال الواقدي : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن حزم عامله بنجران .

قال الواقدي : وفي هذه السنة قدم وفد سلامان في شوال على رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وهم سبعة نفر ، رأسهم حبيب السلاماني ، وفيها قدم وفد غسان وغامد في رمضان ، وفيها قدم وفد الأزد ، رأسهم صرد بن عبدالله الأزدي، فأسلم فحسن إسلامه ، فأمره رسول الله على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن . قال البراء بن عازب : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فأقام عليهم ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، فلما هم بقتالهم أسلمت همدان كلها في يوم واحد ، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام .

قال ابن إسحاق : وفي هذه السنة ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في اناس من بني زبيد فأسلموا ، وفيها قدم وفد عبدالقيس ووفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب . قال : زعموا أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا له مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وركبانا يحفظها لنا . قال : فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكاناً ، يحفظ ضيعة أصحابه ، وذلك الذي يريد رسول الله . قال : ثم انصرفوا عن رسول الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ، فلما انتهى إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتموني : (أما إنه ليس بشركم مكاناً) ما ذلك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت معه ، ثم جعل يسجع السجعات ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : (لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى) ووضع عنهم الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا . قال ابن إسحاق : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس في ستين راكباً من كندة قال الواقدي : وفيها قدم وفد محارب ، ووفد الرهاويين ، ووفد العاقب والسيد من نجران ، ووفد عبس ، ووفد صدف ، ووفد خولان .

وفد بني عامر بن صعصعة

قال ابن إسحاق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر ،

فيهم عامر بن طفيل ، واربد بن قيس بن مالك بن جعفر ، وجبار بن سلمى ابن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم ، فقدم عامر بن طفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدر به ، فقال لأربد : إذا قدمت على الرجل فإني شاغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فأعله بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل عامر بن طفيل يكلمه فينتظر من اربد ما كان أمره به ، فجعل اربد لا يحير شيئاً ، فخرج عامر من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : والله لأملانها عليك حمراً ورجالاً ، فلما ولى قال رسول الله : اللهم اكفني عامر بن طفيل . فلما كانوا ببعض الطريق ، بعث الله عزّ وجل على عامر بن طفيل الطاعون في عنقه فقتله ، فخرج أصحابه حتى قدموا أرض بني عامر ، فقالوا : ما وراءك يا اربد ؟ قال : لاشيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بنبلي هذه حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين ، معه جمل له يبيعه ، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما .

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم . وفي هذه السنة كتب مسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . . . سلام عليك ، فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون . فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . وكان ذلك آخر سنة عشر .

فلما دخل ذو القعده من هذه السنة، تجهز النبي إلى الحج. قال ابن إسحاق: خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بين للناس فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا . أيها الناس ، إن دمائكم وأموالكم عليكم

حرام ، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وحرمة شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن كل رباً موضوع ، ولكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا . أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم . أيها الناس : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ﴾ ، ويحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، و ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ﴾ ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي ، فإني قد بلغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس ، اسمعوا قولي فإني قد بلغت ، واعقلوه . تعلمن أن كل مسلم أخو مسلم ، وإن المسلمين إخوة، فلا يحل لأمرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس ، فلا تظلموا أنفسكم . اللهم هل بلغت ! قال : فذكر أنهم قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله : اللهم اشهد .

قال ابن إسحاق : إن رسول الله حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر ، قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وعلمهم ما افترض عليهم في حجهم في المواقف ورمي الجمار والطواف بالبيت ، وما احل لهم

في حـجـهم ومـا حرم عليهم ، فكانت حجة الوداع وحجة البلاغ ، وذلك أن رسول الله لم يحج بعدها .

قـال أبو جـعـفـر : وكـانت غـزوات النبي صلى الله عليـه وسلم بنفسـه سـتاً وعشرين غـزوة ، ويقـول بعـضـهم : هن سـبع وعشرون غـزوة ، فـمن قال : هن ست وعشرون ، جـعل غـزوته خـيبر ووادي القـرى غزوة واحدة ، لأنه لم يرجع من خـيبر حين فـرغ من أمرها ، ولكنه مضى منها إلى وادي القرى ، فجعل ذلك غزوة واحـدة . ومن قـال هي سـبع وعشرون غـزوة ، جـعل غـزوة خـيبر غـزوة ، وغزوة وادي القـرى غـزوة أخـرى . واخـتلف في عـدد سراياه صلى الله عليـه وسلم . وقال ابـن إسـحـاق : كـانـت سرايا رسـول الله صلى الله عليـه وسلم خمسـاً وثلاثين بعـثـاً وسرية. وقـال ابن عـمر : كانت سراياه ثمانياً وأربعين سرية .

ذكر الخبر عن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قـال ابن جـابر : إن النبي صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجـر ، وحـجـة بعدما هاجر . وقال ابن عمر : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عـمـرتين قـبل أن يحج ، فـبلغ ذلك عائشة ، فقالت : اعتمر رسول الله أربع عمر ، منهن عمرة مع حجته .

ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قـال هشـام بن محمد عن أبيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج خمس عـشر امـرأة ، دخـل بـثـلاث عـشرة ، وجمع بين إحـدى عشرة ، وتوفي عن تسع . تزوج في الجـاهليـة ، خـديجة بنت خويلد ، فولدت له ثمانية : القاسم ، والطيب ، والطاهر ، وعـبـدالله ، وزينب ، ورقـيـة ، وأم كلثـوم ، وفـاطمة . ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر وهي ابنة تسع سنين ، ولم يتـزوج بكراً غيرها . ثم تزوج حـفـصة بنت عـمـر بن الخطاب ، ثم تزوج أم سلمـة ، واسـمـهـا هند بنت أبي أمية . ثم تزوج جـويرية بنت الحـارث ، ثم تزوج أم حـبـيـبـة بنت أبي سفيان بن حرب ، ثم تزوج زينب بنت جـحش ، ثم تزوج صـفية بنت حيي بن أخطب ، ثم تزوج ميمونة بنت الحـارث ، ثم تزوج امـرأة من بني كـلاب ، يقـال لها النشأة بنت رفـاعة ، ثم تزوج

الشنباء بنت عمرو الغفارية ، ثم تزوج غزية بنت جابر من بني بكر بن كلاب ، ثم تزوج أسماء بنت النعمان بن الأسود ، وأفاء الله عزّ وجل على رسوله ريحانة بنت زيد من بني قريظة ، وأهدي له مارية القبطية ، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية ، فولدت له إبراهيم بن رسول الله .

قال أبو جعفر : وممن لم يذكر هشام في خبره هذا ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تزوجه من النساء : زينب بنت خزيمة ، وشراف بنت خليفة ، والعالية بنت ظبيان . وقيل أنه تزوج خولة بنت الهذيل ، وقيل أنه تزوج عمرة بنت يزيد ، امرأة من بني رؤاس بن كلاب .

ذكر من خطب النبي صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهن

منهن أم هانىء بنت أبي طالب ، واسمها هند ، خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوجها ، لأنها ذكرت أنها ذات ولد . ومنهن ضباعة بنت عامر خطبها ولم يتزوجها لأنه أخبر أنها قد كبرت ، ومنهن صفية بنت شامة ، وكان أصابها سباء ، فخيرها ، فقالت : إن شئت أنا وإن شئت زوجك ، قالت : بل زوجي ، فأرسلها ، ومنهن أم حبيب بنت العباس بن عبدالمطلب ، فوجد العباس أخاه في الرضاعة ، ومنهن جمرة بنت الحارث ، فقال أبوها ـ فيما ذكر : بها شيء ولم يكن بها شيء فرجع فوجدها قد برصت .

ذكر سراري رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواليه

وهي مارية بنت شمعون القبطية ، وريحانة بنت زيد القرظية . ومن مواليه زيد بن حارثة وابنه اسامة بن زيد . وشقران ـ وكان من الحبشة ـ واسمه صالح بن عدي ، ورويقع وهو أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه أسلم، وابنه البهي واسمه رافع ، وأخو البهي عبيد الله بن أبي رافع ، وسلمان الفارسي وكنيته أبو عبدالله من أهل قرية أصبهان ، وأبو كبشة واسمه سليم وأبو مويهبة ، ورباح الأسود ، وفضالة ، ومدعم ، وأبو ضميرة ، ويسار ، ومهران ، وكان له خصي يقال له مابور ـ كان المقوقس أهداه إليه مع الجاريتين ، مارية وسيرين التي وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت .

ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحياناً ، وأحياناً علي بن أبي طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعلاء بن الحضرمي . وقيل أن أول من كتب له أبي بن كعب ، وكان إذا غاب كتب له زيد بن ثابت . وكتب له ايضاً عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ثم ارتد عن الإسلام ، ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة . وكتب له معاوية بن أبي سفيان ، وحنظلة الأسيدي .

أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أن أول فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة بعشر أوراق ، وكان اسمه عند الأعرابي الضرس ، فسماه رسول الله السّكب ، وذكر أنه كان له ثلاثة أفراس : لزاز ، والظرب ، واللخيف، فاما لزاز فأهداه له المقوقس ، وأما اللخيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء ، وأما الظرب ، فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي . وأهدى تميم الداري لرسول الله فرساً يقال له : الورد ، وزعم بعضهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس يقال له اليعسوب .

ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أن دُلدُل بغلة النبي صلى الله عليه وسلم كانت أول بغلة رئيت في الإسلام ، أهداها له المقوقس وأهدى له معها حماراً يقال له عفير ، وقيل أن فروة ابن عمرو أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها فضة .

ذكر أسماء إبله

ذكر أن القصواء كانت من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت عنده حتى نفقت ، وهي التي هاجر عليها ، وكانت حين قدم رسول الله المدينة رباعية، وكان اسمها القصواء والجدعاء والعضباء . قال ابن المسيب : كان اسمها العضباء ، وكان في طرف اذنها جدع .

ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو رافع : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح ، وهي التي أغار عليها القوم بالغابة ، وهي عشرون لقحة ، وكانت التي يعيش بها أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم يراح إليه كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن فيها لقاح عزار: الحناء ، والسمراء ، والعريس ، والسعدية ، والبغوم ، واليسيرة ، والريّا، وذكر ابن جبير إضافة إلى هذه اللقائح : مهرة ، والشقراء ، وبردة .

ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعاً : عجوة ، وزمزم ، وسقيا ، وبركة ، وورسة ، وأطلال ، وأطراف . قال ابن عباس : كانت منائح رسول الله سبع أعنز منائح ، يرعاهن ابن أم أيمن .

ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن المعلى : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف : سيفاً قلعياً ، وسيفاً يدعى بتاراً ، وسيفاً يدعى الحتف ، وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب . وقيل أنه قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومعه سيفان ، يقال لأحدهما : القضيب ، وسيفه ذو الفقار غنمه يوم بدر .

ذكر أسماء قسيه ورماحه صلى الله عليه وسلم

قال ابن المعلى : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أرماح وثلاث قسي : قوس الروحاء، وقوس شوحط، وقوس صفراء تدعى الصفراء .

ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم

قال ابن المعلى : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع درعين ، درع يقال له السعدية ، ودرع يقال لها فضة . قال ابن مسلمة : رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعين : درعه ذات الفضول ودرعه فضة ، ورأيت عليه يوم خيبر درعين : ذات الفضول والسعدية .

ذكر ترسه صلى الله عليه وسلم

قال ابن جابر : سمعت مكحولاً يقول : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ترس فيه تمثال رأس كبش ، فكره رسول الله مكانه ، فأصبح يوماً وقد أذهبه الله عزّ وجل .

ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو موسى: سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء، منها ما حفظنا: قال أنا محمد، وأحمد، والمقفي ، والحاشر ، ونبي التوبة والملحمة . قال جبير بن مطعم عن أبيه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي أسماء، أنا محمد، وأحمد ، والعاقب، والماحي. قال الزهري : العاقب الذي ليس بعده أحد ، والماحي : الذي يمحو الله به الكفر .

ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم

قال علي بن أبي طالب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضخم الرأس واللحية ، شثن الكفين والقدمين ، ضخم الكراديس، مشرباً وجهه الحمرة ، طويل المسربة إذا مشى تكفأ تكفؤاً كأنما ينحط من صبب ، لم أر قبله ولا بعده مثله . وفي رواية أخرى لعلي : كان رسول الله أبيض اللون مشرباً حمرة ، أدعج سبط الشعر ، دقيق المسربة ، سهل الخدين ، كث اللحية ، ذا وفرة ، كأن عنقه ابريق فضة ، كان له شعر من لبته إلى سرته يجري كالقضيب ، لم يكن في ابطه ولا صدره شعر غيره ، شثن الكف والقدم ، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب ، وإذا مشى كإنما ينقلع من صخر ، وإذا التفت التفت جميعاً، ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا العاجز ولا اللئيم . كأن العرق في وجهه اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من المسك . وقال أنس بن مالك : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا القصير ، ولم يكن بالأبيض الأمهق ولا الأدم ، ولم يكن بالجعد القطط ولا البسط ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء . قال أبو الطفيل : كان أبيضاً مليحاً مقصداً .

ذكر خاتم النبوة التي كانت به صلى الله عليه وسلم

قال أبو زيد : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا زيد ، ادن مني امسح ظهري ـ وكشف عن ظهره ـ قال : فمسست ظهره ، ثم وضعت اصبعي على الخاتم فغمزتها ، قيل : وما الخاتم ؟ قال : شعر مجمع كان على كتفيه قال أبو سعيد الخدري عن الخاتم : كانت بضعة ناشزة .

ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم

قال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس ، وأجود الناس ، لقد كان فزع بالمدينة ، فانطلق أهل المدينة نحو الصوت ، فإذا هم تلقوا رسول الله على فرس عري لأبي طلحة ، وما عليه سرج ، وعليه السيف . قال : وقد كان سبقهم إلى الصوت ، فجعل يقول : يا أيها الناس لم تراعوا ، لم تراعوا ! مرتين ، ثم قال : يا أبا طلحة ، وجدناه بحراً ، وقد كان الفرس يبطأ ، فما سبقه فرس بعد ذلك .

ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يخضب أم لا

قال عبدالله بن بسر : كان في عنفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراً أبيض . وقال أنس بن مالك : لم يشتد برسول الله الشيب ، ولم يكن الشيب الذي به عشرين شعرة . وقال جابر بن سمرة : ما كان فيه من الشيب إلا شعرات في مفرق رأسه ، وكان إذا دهنه غطاهن . وقال ابن موهب دخلت زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجت إلينا شعراً من شعر رسول الله مخضوباً بالحناء والكتم .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة

ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذي توفي فيه

قال ابن إسحاق : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم من سنة إحدى عشرة على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، فبينما هم على ذلك ، ابتدىء صلى الله عليه وسلم شكواه في ليال بقين من صفر ،

أو في أول شهر ربيع الأول . قال أبو مويهبة مولى رسول الله : فطارت الأخبار أن النبي قد اشتكى ، فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة . ثم وثب طليحة في بلاد أسد . قال ابن عباس : وقد أكثر المنافقون في تأمير اسامة ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس عاصباً رأسه من الصداع لذلك الشأن وانتشاره ، لرؤيا رآها في بيت عائشة قال : إني رأيت البارحة ـ فيما يرى النائم ـ ان في عضدي سوارين من ذهب ، فكرهتهما فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين ـ صاحب اليمامة وصاحب اليمن ـ وقد بلغني أن أقواماً يقولون في أمارة اسامة ! ولعمري لئن قالوا في أمارته ، لقد قالوا في أمارة أبيه من قبله ! وإن كان أبوه لخليقاً للأمارة ، وإنه لخليق لها ، فانفذوا بعث اسامة .

فخرج اسامة فضرب بالجرف ، وأنشأ الناس في العسكر ، ونجم طليحة وتمهل الناس وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستتم الأمر . قال ابن عامر الأسدي : وقع بنا الخبر بوجع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بلغنا أن مسيلمة قد غلب على اليمامة ، وأن الأسود قد غلب على اليمن ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادعى طليحة النبوة ، وعسكر بسميراء ، قال هشام بن عروة عن أبيه : فحاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسل ، ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله عزّ وجل والذب عن دينه ، حتى انقطعت سبل المرتدة ، وطعنوا في نقصان وأغلقهم ، وأشتغلوا في أنفسهم ، فأصيب الأسود في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل وفاته بيوم أو بليلة ، ولظ طليحة ومسيلمة وأشباههم بالرسل ، واشتغلوا فيهم .

قال أبو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال لي : إني قد أمرت أن استغفر لأهل البقيع ، فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم أهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى . ثم أقبل علي فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد اوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، خيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ، فاخترت لقاء ربي والجنة . قال : ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدىء بوجعه الذي قبض فيه . قالت عائشة : رجع رسول

الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وا رأساه ! قال : بل أنا والله يا عائشة وا رأساه ! ثم قال : ما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ، ودفنتك ! فقلت : والله لكأني بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك ، قالت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعز به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فأستأذنهن أن يمرض في بيتي ، فأذن له . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه الأرض ، عاصباً رأسه حتى دخل بيتي .

ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به الوجع ، فقال : اهريقوا علي من سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ، قالت : فاقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم ! قال الفضل بن عباس : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه ، فقال : خذ بيدي يا فضل ، فأخذت بيده ، حتى جلس على المنبر ، ثم قال : ناد في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال : أما بعد أيها الناس ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وإنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم ، فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه ، ألا وإن الشحناء ليست من طبعي ولا من شأني ، ألا وإن أحبكم إلي من أخذ مني حقاً إن كان له ، او حللني فلقيت الله وأنا أطيب النفس ، وقد أرى أن هذا غير مغن عني حتى أقوم فيكم مراراً . قال الزهري عن أيوب بن بشير : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله. قال : ففهمها أبو بكر ، وعلم أن نفسه يريد ، فبكى . قال أبو سعيد الخدري : ثم إنه قال : إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً .

قال عبدالله بن مسعود : نعى إلينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر ، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة ، وقال : أوصيكم بتقوى الله ، واوصي الله بكم ، فإنه قال لي ولكم : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في

الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾. فقلنا: متى أجلك ؟ قال : قد دنا الفراق، والمنقلب إلى الله . قلنا : فمن يغسلك يا نبي الله ؟ قال : أهلي الأدنى فالأدنى ، قلنا : ففيم نكفنك يا نبي الله ؟ قال: في ثيابي هذه إن شئتم ، أو في بياض مصر ، أو حلة يمانية ، قلنا : فمن يصلي عليك يا نبي الله ؟ قال : مهلاً غفر الله لكم ! إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا ، ثم اخرجوا عني ساعة ، فإن أول من يصلي علي جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم اسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها ، ثم ادخلوا علي فوجاً فوجاً ، فصلوا علي وسلموا تسليما ، ولا تؤذوني بتزكية ولا برنة ولا صيحة ، وليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتي ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم بعد . قلنا : فمن يدخلك في قبرك يا نبي الله ؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم .

قالت عائشة : لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المرض الذي مات فيه ، أذن بالصلاة ، فقال : مروا أبا بكر أن يصلي بالناس ، فقلت : إن أبا بكر رجل رقيق ، وإنه متى يقوم مقامك لا يطيق ! قال : مروا أبا بكر يصلي بالناس ، فقلت مثل ذلك ، فغضب ، وقال : إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر يصلي بالناس ، قالت : فخرج يهادي بين رجلين وقدماه تخطان في الأرض ، فلما دنا من أبي بكر ، تأخر أبو بكر ، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قم في مقامك فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى إلى جنب أبي بكر جالساً . قالت: فكان أبو بكر يصلي بالناس بصلاة النبي ، وكان الناس يصلون بصلاة أبي بكر . قال عكرمة : صلى بهم أبو بكر ثلاثة أيام . قال أنس بن مالك : فلما كان يوم الإثنين اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج الناس وهم يصلون الصبح ، فكاد المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم برسول الله حين رأوه ، فرحاً به ، فأشار بيده : أن اثبتوا على صلاتكم ، ثم رجع وانصرف الناس ، وهم يظنون أنه قد أفاق من وجعه . قالت عائشة : فلما رجع اضطجع في حجري ، ووجدته يثقل فيه ، فذهبت أنظر في وجهه ، فإذا نظره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة . ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله قبض وهو في حجري ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت التدم مع النساء وأضرب وجهي .

ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته

قال أبو جعفر : أما اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنه كان يوم الإثنين من شهر ربيع الأول ، غير أنه اختلف في أي الاثانين كان موته ؟ فقال فقهاء أهل الحجاز : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف النهار يوم الإثنين ، لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول ، وبويع أبو بكر في ذلك اليوم . وقال الواقدي : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، ودفن من الغد نصف النهار حين زاغت الشمس وذلك يوم الثلاثاء .

قال ابن إسحاق : قال أبو هريرة : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي وإن رسول الله والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات . قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ، ورسول الله مسجى في ناحية البيت ، عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ! ما أطيبك حياً وميتاً ، ثم رد الثوب على وجهه ، وخرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ! فأنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾. قال حميد الحميري : فجاء رجل يسعى فقال : هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلة بني ساعدة ، يبايعون رجلاً منهم يقولون : منا أمير ومن قريش أمير ، قال : فانطلق أبو بكر وعمر حتى أتياهم ، فأراد عمر أن يتكلم ، فنهاه

أبـو بـكر ، فـتكلم أبو بكر ، فلم يترك شيئاً نزل في الأنصـار ولا ذكـره رسـول الله صلى الله عليـه وسلم من شأنهم إلا وذكـره . وقال : لقد علمتم أن رسول الله قال : لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصـار وادياً سلكت وادي الأنصـار ، ولقـد علمت يا سـعـد أن رسـول الله قـال وأنت قـاعـد : قـريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفـاجـرهم تبع لفـاجـرهم . قـال : فقال سعد : صدقت ، فنحن الوزراء وأنتم الأمـراء ، فـقـال عـمـر : ابسط يدك يا أبا بكر ابايعك ، فقال أبو بكر : بل أنت يا عـمـر فأنت أقـوى لها مني ، ففتح عمر يد أبي بكر وقال : إن لك قوتي مع قـوتك . قـال : فـبـايع الناس وتخلف علي والزبير ، واخترط الزبير سـيفه ، وقال : لا أغـمـده حـتى يبـايع علي ، فـبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فقال عمر : خذوا سيف الزبير ، فأضربوا به الحـجـر . قال : فانطلق إليهم عمر ، فجاء بهما تعباً ، وقال : لتبايعان وأنتما طائعان ، أو تبايعان وأنتما كارهان ! فبايعا .

حديث السقيفة

قـال ابن عـبـاس : كنت أقـرىء عـبدالرحمن بن عوف القرآن ، قال : فحج عـمـر وحـجـجنا معه ، قال : فإني لفي منزل بمنى إذ جاءني عبدالرحمن بن عوف ، فـقـال : شـهـدت أمير المؤمنين اليـوم ، وقـام إليـه رجل فـقـال : إني سمعت فلاناً يقـول: لو قـد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلاناً . قال : فلما قدمنا المدينة ، وجاء يوم الجـمـعـة ، جلس عـمر على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ، بلغني أن قـائلاً منكم يقـول : لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً ! فلا يغرن أمرأ أن يقـول : إن بيـعـة أبي بكر كـانت فلتـة ، فـقـد كـانت كذلك ، غير أن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع إليـه الأعناق مـثل أبي بكر ! وإنه كـان من خبرنا حين تـوفي الله نبيـه صلى الله عليـه وسلم أن علياً والزبير ومن مـعـهما تخلفـوا عنا في بيت فـاطمـة ، وتخلفت عنا الأنصـار بأسرها ، واجـتـمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بـكر : انطلق بنا إلى إخـواننا هؤلاء من الأنصـار ، فأتيناهم وهم مجـتـمـعـون في سـقيفة بني ساعدة . قال: وإذا بين أظهرهم رجل مزّمّل ، قلت: من هذا ؟ قالوا: سـعد بن عبادة ، فقلت: ما شأنه ؟ قالوا : وجع ، فقام رجل منهم ، فحمد الله ، وقـال: أمـا بعد ، فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام ،وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا ،

وقد دفّت إلينا من قومكم دافة قال: فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر، أردت أن أتكلم، فقال أبو بكر على رسلك! فكرهت أن أعصيه ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد يا معشر الأنصار ، فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا وأنتم له أهل ، وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، وهم أوسط العرب داراً ونسباً، ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح. فلما قضى أبو بكر كلامه، قام منهم رجل، فقال: منا أمير ومنكم أمير. قال: فارتفعت الأصوات، وكثر اللغط، فلما اشفقت الأختلاف، قلت لأبي بكر : ابسط يدك ابايعك ، فبسط يده فبايعته ، وبايعه المهاجرون ، وبايعه الأنصار .

قال الزهري: قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد: أشهدت وفاة رسول الله ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة . قال حبيب بن أبي ثابت : كان علي في بيته إذ أتي فقيل له : قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج في قميصه ما عليه ازار ولا رداء، عجلاً، كراهية أن يبطىء عنها ، حتى بايعه. قال ابن إسحاق: فلما بويع أبو بكر في السقيفة ،وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى اريح عليه حقه إن شاء الله ،والقوي منكم الضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ،ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ! .

قال أبو جعفر : فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: إن علي بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس واسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين ولوا غسله. قالت عائشة: ولما أرادوا غسله اختلفوا فيه ، فقالوا : والله لا ندري أنجرد رسول الله من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه

ثيابه ! فلما اختلفوا القي عليهم السنة حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره ، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت لا يدري من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ، قالت : فغسلوه وعليه قميصه يصبون عليه الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم . قال أبو إسحاق : ثم كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة ، وحفر له في المكان الذي قبض فيه ، ودخل الناس يصلون عليه أرسالاً ، الرجال ، فالنساء ، فالصبيان ، فالعبيد ، ولم يؤم الناس أحد ، ثم دفن في قبره . واختلف في مبلغ سنه يوم توفي صلى الله عليه وسلم . قال ابن عباس: مات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقالت عائشة وابن المسيب مثل ذلك . وقال ابن حنظلة : إن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس وستين سنة . وقال عروة بن الزبير : مات وهو ابن ستين سنة .

ذكر الخبر عن اليوم والشهر اللذين توفي فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع ، فأراهم مناسكهم ، فلما كان العام المقبل حج رسول الله حجة الوداع سنة عشر ، وصدر إلى المدينة ، وقبض في ربيع الأول . قال ابن عباس : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين واستنبىء يوم الإثنين ، ورفع الحجر يوم الإثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين ، وقبض يوم الإثنين . قال ابن حزم عن أبيه : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الإثنين ودفن ليلة الأربعاء . قالت عائشة : دفن نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء ، وما علمنا به حتى سمعنا صوت المساحي .

ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الأمارة في سقيفة بني ساعدة

قال هشام بن محمد : لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : نولي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن

عـبـادة ، وأخرجوا سعداً وهو مريض ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، يا معشر الأنصـار ، إن محمـداً عليـه السـلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الـرحمن ، فما آمن به من قـومـه إلا رجـال قليل ، وكـان مـا كـانوا يقـدرون على أن يمنعـوا رسـول الله ،ولا أن يعـزوا دينه ، ولا أن يدفـعوا عن أنفسهم ضيماً عموا به ، حـتى إذا أراد الله بكم الفـضيلة ، سـاق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان بـه وبـرسـولـه ، والمنع له ولأصـحـابه ، والاعـزاز له ولدينه ، والجـهـاد لأعـدائه ، فـكـنـتم أشـد الناس على عـدوه منكم ، وأثقله على عـدوه من غيركم ، حـتى اسـتقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ،وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً ، حـتـى أثـخن الله عـزّ وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسـيـافكم له العـرب ، وتوفـاه الله وهو عنكم راض ، وبكم قـرير عين . اسـتـبدوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس . فأجابوه بأجمعهم : أن قد وفقت الرأي .

وأتى عـمـر الخبر ، فأرسل إلى أبي بكر ، فـمـضـيـا مسرعين نحـو الأنصار ، فلقـيـا أبا عـبـيدة بن الجراح ، فتماشوا إليهم ثلاثتهم . قال عبدالله بن عبدالرحمن : فـبـدأ أبو بكر ، فـحـمـد الله وأثنى عليـه ، ثم قال : إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقـه ، وشـهيداً على أمته ، ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، يتـقـربون بها إلى الله زلفى ، فـعظم على العـرب أن يتركـوا دين آبائهم ، فـخص الله المهـاجـرين الأولين . من قـومـه بتصديقه ، والإيمان به ، والصبر معه على شدة أذى قـومـهم لهم ، فلم يستـوحـشوا لقلة عددهم ، واجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عـبـد الله في الأرض وآمـن بـالله وبـالرسـول ، وهم أوليـاؤه وعـشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمـر من بعـده ، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ، وأنتم يا معشر الأنصار ، من لا ينكر فـضلهم في الدين ، رضـيكم الله أنصـاراً لدينه ورسوله ،وجعل إليكم هجرته ، فليس بعـد المهـاجـرين الأولين عندنا أحـد بمنزلتكم ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء . قـال : فقام الحباب بن المنذر ، فقال : يا معشر الأنصار : أنتم أهل العز والثروة ، وأولـو الـعـدد والمنعـة والتـجـربة ، ذوو البأس والنجـدة ، وإنما ينظر الناس إلى مـا تصنعـون ، ولا تختلفـوا فـيـفـسد عليكم رأيكم ، وينتقض عليكم أمركم ، فإن أبى هؤلاء إلا مـا سمعتم ، فمنا أمير ومنهم أمير .

فـقـال عـمـر بن الخطاب : هيـهـات لا يجتمع إثنان في قرن ! والله لا ترضى

العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من آبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وأمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم ، ومتورط في هلكه ! فقام الحباب فقال : يا معشر الأنصار ، املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتموه ، فأجلوهم عن هذه البلاد ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب! أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة ، فقال عمر : إذ يقتلك الله ! قال : بل إياك يقتل ! .

فقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار ، إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدل وغير . وقال بشير بن سعد : إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ألا إن محمداً من قريش، وقومه أحق به وأولى ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم ! . فقال أبو بكر: هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا . فقالا : لا والله لا يتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل المهاجرين وثاني إثنين إذ هما في الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، ابسط يدك نبايعك . فبايعاه ، ثم بايعه بشير بن سعد ، فلما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش ، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض ، والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً ، فقوموا فبايعوا أبا بكر ، فقاموا إليه فبايعوه . قال : فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر ، إلا ما كان من سعد بن عبادة فإنه رفض أن يبايعهم ، وقال : وأيم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم، حتى أعرض على ربي ، وأعلم ما حسابي . قال : فتركوه ، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم ، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله .

قال الضحاك بن خليفة : وتتابع القوم على البيعة وبايع سعد ، وقال جابر : قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر : إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على

الأمـارة ، وإنك وقـومي أجبرتموني على البـيـعـة ، فقالوا : إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعـة كنت في سـعـة ، ولكنا أجبرنا على الجماعة ، فلا إقالة فيها ، لئن نزعت يداً من طاعة ، أو فرقت جماعة ، لنضربن الذي فيه عيناك .

قـال عاصم بن عدي : نادى منادي أبي بكر ، من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ليتم بعث أسامة ، ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند اسامة إلا خـرج إلى عـسكره بالجـرف . قـال ابن عباس : ثم اجتمع من حول المدينة من القـبـائل التي غـابت في عام الحديبية ، وخرجوا وخرج أهل المدينة في جند اسامة ، ثم خـرج أبو بكر حـتى أتاهم ، فقال : أيها الناس ، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عـنـي : لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تغـدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقـتلوا طفـلاً صـغيراً ، ولا شـيـخـاً كـبيراً ولا امـرأة ، ولا تعـقـروا نخـلاً ولا تحـرقـوه ، ولا تقطعوا شجرة مـثـمـرة ، ولا تذبحـوا شـاة ولا بقـرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسـوف تمرون بأقوام قد فـرغـوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قـوم يأتونكم بآنيـة فـيـها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عـليـهـا . وتلقـون أقـوامـاً قـد فـحـصـوا أوسـاط رؤوسـهـم وتركـوا حـولها مـثل العـصـائب، فـاخفقوهم بالسيف خفقاً . اندفعوا باسم الله . قال هشام بن عروة ، عن أبيه : فـمضى أسامة على ذي المروة والوادي ، وانتهى إلى ما أمره به النبي صلى الله عليـه وسلم من بث الخـيـول في قـبـائل قضاعة والغارة على آبل ، فسلم وغنم ، وكـان فـراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومنقلبه راجعاً .

بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي

كـان رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم جمع لبـاذام حين أسلم وأسلمت اليـمن عـمل اليـمن كلهـا ، وأمـره على جميع مخاليفها ، فلم يزل كذلك حتى مات باذام ، فلما مات فرق عملها بين جماعة من أصحابه ، فأستعمل عامر بن شهر الهمداني على همدان ، واسـتـعـمل شـهر بن باذام على صنعاء ، فسار الأسود العنسي إلى شهر بن باذام فـقـتله ، فـغلب على صنعاء ثم على مفازة حضرموت ، وطابقت عليه اليمن . وثبت ملكه واسـتـغلظ أمـره ، ودانت له سـواحل من السواحل ، حاز عثر والشرجة والحـردة وغـلافـقـة وعـدن ، والجند ، ثم صنعـاء إلى عـمل الطائف ، إلى الأحسية

وعليب ، وعامله المسلمون بالبقية ، وعامله أهل الردة بالكفر والرجوع عن الإسلام . وكان خليفته في مذحج عمرو بن معد يكرب ، وأسند أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز وداذوية .

قال السري : فلما أثخن في الأرض استخف بقيس وبفيروز وداذوية ، وتزوج امرأة شهر ، وهي ابنة عم فيروز ، فلما كان كذلك ، قدم وبر بن يحنس بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم يأمر عماله فيه بالقيام على دينهم ، والنهوض في الحرب ، والعمل في الأسود : إما غيلة وإما مصادقة . قال جشيش بن الديلمي : فدخلت على آذاد ، وهي امرأته ، فقلت : يا ابنة عم ، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ، قتل زوجك ، وطأطأ في قومك القتل ، وفضح النساء ، فهل عندك من ممالأة عليه ! فقالت: على أي أمره ؟ قلت: اخراجه ، قالت: أو قتله ، قلت: أو قتله ،قالت: نعم والله ما خلق الله شخصاً أبغض إلي منه،ما يقوم لله على حق ، ولا ينتهي له عن حرمة ، فإذا عزمتم فاعلموني أخبركم بمأتى هذا الأمر . قال : فلما أجمعنا على قتله ، أتيت المرأة وقلت: ما عندك ؟ قالت: هو متحرز متحرس ، وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت ، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق ، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه ، فإنكم من دون الحرس ، وليس دون قتله شيء . وقالت : إنكم ستجدون فيه سراجاً وسلاحاً . قال : فدخلنا البيت وفيه سراج تحت جفنه ، واتقينا بفيروز وكان أنجدنا وأشدنا ، فقلنا : انظر ماذا ترى ! فخرج ونحن بينه وبين الحرس معه في مقصورة ، فلما دنا من باب البيت سمع غطيطاً شديداً وإذا المرأة جالسة ، فلما قام على الباب أجلسه الشيطان فكلمه على لسان فيروز ـ وإنه ليغط جالساً . وقال ايضاً : مالي ولك يا فيروز ! فخشى إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة ، فعاجله فخالطه وهو مثل الجمل ، فأخذ برأسه فقتله ، وأمر الشفرة على حلقه فخار كأشد خوار ثور سمعته قط ، فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة ، فقالوا : ما هذا ، ما هذا ! فقالت المرأة : النبي يوصى إليه ! فخمد . قال : فلما طلع الفجر ، نادى داذوية في الناس ، ففزع المسلمون والكافرون ، وتجمع الحرس فأحاطوا بنا . ثم ناديت بالأذان : أشهد أن محمداً رسول الله ، وإن عبهلة كذاب ! وألقينا إليهم رأسه ، فأقام وبر الصلاة ، وشنها القوم غارة ، وونادينا : يا أهل صنعاء ، من دخل عليه داخل من

القوم فتعلقوا به ، ونادينا بمن في الطريق : تعلقوا بمن استطعتم ! فاختطفوا صبياناً كثيرين ، وانتهبوا ما انتهبوا ، ثم مضوا خارجين ، فلما برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركباناً ، وإذا أهل الدور والطرق قد وافونا بهم ، وفقدنا سبعمائة عيل فراسلونا وراسلناهم أن يتركوا لنا ما في أيديهم ، ونترك لهم ما في أيدينا ، ففعلوا فخرجوا لم يظفروا منا بشيء ، فترددوا فيما بين صنعاء ونجران ، وخلصت صنعاء والجند ، وأعز الله الإسلام وأهله ، وتنافسنا الأمارة ، وتراجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمالهم ، فاصطلحنا على معاذ بن جبل ، فكان يصلي بنا ، وكتبنا إلى رسول الله بالخبر ، وذلك في حياته ، فأتاه الخبر من ليلته ، وقدمت رسلنا ، وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة تلك الليلة ، فأجابنا أبو بكر رحمه الله . قال السري : قال عبيد بن صخر : كان أول أمر الأسود الكذاب إلى آخره ثلاثة أشهر . وقال الضحاك بن فيروز : كان ما بين خروجه بكهف خبان ومقتله نحواً من أربعة أشهر ، وقد كان قبل ذلك مستسراً بأمره حتى بادى بعد . قال أهل العلم : أتى مقتل العنسي في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ، وكان ذلك أول فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة .

قال الواقدي : وفي هذه السنة ، قدم وفد النجع في النصف من المحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأسهم زرارة بن عمرو ، وهم آخر من قدم من الوفود . وفيها (هذه السنة) ماتت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو جعفر : توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر . وفيها توفي عبدالله ابن أبي بكر ، وفيها ملك أهل فارس عليهم يزدجرد .

قال أبو جعفر : وكانت أول حرب في الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حرب العنسي باليمن ، ثم حرب خارجة بن حصن ومنظور بن زبان بن سيار في غطفان . قال هشام بن عروة ، عن أبيه : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفصل أسامة ارتدت العرب عوام أو خواص وتوحى مسيلمة وطليحة ، فاستغلظ أمرهما ، واجتمع على طليحة عوام طيىء وأسد ، وارتدت غطفان إلى ما كان من أشجع وخواص من الأفناء فبايعوه ، وقدمت هوزان رجلاً وأخرت رجلاً أمسكوا الصدقة إلا ما كان من ثقيف ولفها ، وارتدت خواص من بني سليم ، وكذلك سائر الناس بكل مكان . قال : وكان أبو بكر ينتظر

بمصادمتهم قدوم أسامة ، وكان أول من صادم عبس وذبيان ، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة .

قال السري : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماله على قضاعة ، وعلى كلب أمرؤ القيس بن الاصبع الكلبي ، وعلى القين عمرو بن الحكم ، وعلى سعد هذيم معاوية الوائلي . قال : فارتد وديعة الكلبي فيمن أزره من كلب ، وبقي أمرؤ القيس على دينه ، وارتد زميل بن قطبة القيني فيمن آزره من بني القين وبقي عمرو ، وارتد معاوية فيمن آزره من سعد هذيم . فكتب أبو بكر إلى أمرؤ القيس فسار إلى وديعة ، وإلى عمرو فأقام لزميل ، وإلى معاوية العذري . فلما توسط أسامة بلاد قضاعة ، بث الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الإسلام إلى من رجع عنه ، فخرجوا هراباً حتى اجتمعوا إلى وديعة ، ورجعت خيول أسامة إليه ، فمضى فيها أسامة حتى أغار على الحمقتين ، فأصاب في بني الضبيب من جذام ، وفي بني خيليل من لخم ، وحازهم من آبل وانكفأ سالماً .

قال السري : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمعت أسد بسميراء، وفزارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة، وطيء على حدود أرضهم ، واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق ، وتأشب إليهم ناس من بني كنانة ،فلم تحملهم البلاد ، فافترقوا فرقتين ، فأقامت فرقة منهم بالأبرق ، وسارت الأخرى إلى ذي القصة ، وأمدهم طليحة بحبال فكان حبال على أهل ذي القصة من بني أسد من ليث والديل ومدلج . وكان على مرة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان ، وعلى ثعلبة وعبس الحارث أحد بني سبيع ، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة على أبي بكر ، على أن يقيموا الصلاة وعلى ألا يؤتوا الزكاة ، فقال أبو بكر : لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه ، فردهم ، فرجع الوفد فأخبروا عشائرهم بقلة من أهل المدينة ، وأطعموهم فيها ، فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل ، وكان المسلمون قد كمنوا لهم ، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف وولوهم الأدبار ، واتبعهم أبو بكر ، حتى نزل بذي القصة ، وكان أول الفتح ، ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ، ورجع المدينة فذل بها المشركون ، فلما رجع أسامة استخلفه أبو بكر على المدينة ، وخرج إلى الذين خرجوا إلى ذي القصة ، حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق ، فأقتتلوا ،

فهزم الله الحارث وعوفاً ،ففرت عبس وبنو بكر ، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً ، وقد غلب بني ذبيان على البلاد، فقاتلهم وأجلاهم عنها ،وبذلك غلب أهل الردة، وجاءت صدقات كثيرة إلى المسلمين في المدينة ، فقطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية ، ولحق بكل أمير جنده ، وقد عهد إليهم عهده ، وكتب إلى من بعث إليهم من جميع المرتدة ، فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود ، وخرجت الأمراء ومعهم العهود .

ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انْضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة

قال السري : لما أرزت عبس وذبيان ولفها إلى البزاخة ، أرسل طليحة إلى جديلة والغوث أن ينضموا إليه ، فتعجل إليه اناس من الحيين ، وأمروا قومهم باللحاق بهم ، فقدموا على طليحة ، وبعث أبو بكر عدياً قبل توجيه خاله من ذي القصة إلى قومه، فخرج إليهم فقتلهم في الذروة والغارب ، وخرج خالد في أثره ، فجنح إلى أجأ ، فقعد ذلك طيئاً وبطأهم عن طليحة ، وقدم عليهم عدي ، فدعاهم فقالوا : انتظر حتى نستخرج من لحق بالبزاخة منا ، فإنا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم وارتهنهم . فاستقبل عدي خالد ، فقال له : امسك عني ثلاثاً يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك ،وذلك خير من أن تعجلهم إلى النار، ففعل . فعاد عدي إليهم وقد أرسلوا إخوانهم ، فأتوهم من بزاخة كالمدد لهم ، فعاد عدي بإسلامهم إلى خالد ، وارتحل خالد يريد جديلة ، فقال له عدي : إن طيئاً كالطائر ، وإن جديلة أحد جناحي طيء ، فأجلني أياماً لعل الله أن ينقذ جديلة كما أنتقذ الغوث ففعل ، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى بايعوه ، فجاء بإسلامهم ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب .

وأما هشام بن الكلبي ، فقال : إن أبا بكر بعث خالد بن الوليد على الناس، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار ، وأمره أن يصمد لطليحة وعيينه بن حصن ، وهما على بزاخة (ماء من مياه بني أسد) فسار خالد حتى دنا من القوم فبعث عكاشة ابن محصن ، وثابت بن أقرم - طليعة ، حتى إذا دنوا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة فقتلاهما ، فكبر ذلك على المسلمين . قال ابن إسحاق : لما نزل خالد

بالجيش على بزاخة ، قاتل عيينة مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة قتالاً شديداً ، وطليحة متلفف في كساء له بفناء بيت له من الشعر ، يتنبأ لهم والناس يقتتلون ، فلما هزت عيينة الحرب ، كر على طليحة ، فقال : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : لا ، فرجع فقاتل ، ثم فعل مثل ذلك ثلاث مرات ، وفي كل مرة يقول له طليحة لا ، فقال عيينة : يا بني فزارة ، هذا والله كذاب . فانصرفوا وانهزم بالناس ، فوثب طليحة على فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها . فجاء القوم من بعده يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالداً أوثق عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة ، فبعث بهما إلى أبي بكر ، فقال مرة : إني قد كنت مسلماً ، ولي من ذلك على إسلامي عند عمرو بن العاص شهادة ، قد مر بي فأكرمته ومنعته ، فسأل أبو بكر عمرو بن العاص ، فقص عليه الخبر ، فتجاوز عنه أبو بكر ، وحقن دمه . ثم إنه تجاوز عن عيينة بن حصن ، وحقن له دمه . أما طليحة فإنه نزل كلب على النقع ، فأسلم ، ثم أتى عمر حين استخلف ، فبايعه .

ذكر ردة هوازن وسليم وعامر

قال السري : وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بزاخة يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، فبايعهم خالد بن الوليد على ما بايع عليه أهل البزاخة من أسد وغطفان وطيىء قبلهم ، وأعطوه بأيديهم على الإسلام ، ولم يقبل من أحد من أسد ولا غطفان ولا هوازن ولا سليم ولا طيىء إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على أهل الإسلام في حال ردتهم . فأتوه بهم ، فقبل منهم إلا قرة بن هبيرة ونفراً معه أوثقهم ، وقتل الذين عدوا على الإسلام ، وبعث بقرة وبالأسارى ، وكتب إلى أبي بكر : إن بني عامر أقبلت بعد اعراض ، ودخلت الإسلام بعد تربص ، وإني لم أقبل من أحد قاتلني أو سالمني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين ، فقتلتهم كل قتلة وبعثت إليك بقرة وأصحابه .

قال ابن إسحاق : قدم على أبي بكر رجل من بني سليم يقال له الفجاءة ، وهو إياس بن عبدالله بن عبد ياليل ، فقال لأبي بكر : إني مسلم ، وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار ، فأحملني وأعني ، فحمله أبو بكر على ظهر ، وأعطاه

سلاحاً ، فخرج يستعرض الناس : المسلم والمرتد ، يأخذ أموالهم ، ويصيب من امتنع منهم ، ومعه رجل من بني الشريد ، يقال له : نجبة بن أبي الميثاء ، فلما بلغ أبا بكر خبره ، كتب إلى طريفة بن حاجز : أن سر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله ، أو تأخذه فتأتيني به . فسار طريفة إليه ، فلما التقى الناس كانت بينهم الرميا بالنبل ، فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رمي به . فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجد قال لطريفة : والله ما أنت بأولى بالأمر مني ، أنت أمير لأبي بكر وأنا أميره . فقال له طريفة : إن كنت صادقاً فضع السلاح ، وانطلق معي إلى أبي بكر ، فخرج معه ، فلما قدما عليه أمر أبو بكر أن يوقد له ناراً في مصلى المدينة على حطب كثير ، فقذف طليحة فيها .

ذكر خبر بني تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد

قال السري : كان من أمر تميم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وقد فرق فيهم عماله ، فكان الزبرقان بن بدر على الرباب وعوف والأبناء وسهم بن منجاب وقيس بن عاصم على مقاعس والبطون ، وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو على بني عمرو ، هذا على بهدى وهذا على خضم - قبيلتين من بني تميم - ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة على بني حنظلة . هذا على بني مالك ، وهذا على بني يربوع . فضرب صفوان إلى أبي بكر بصدقات بني عمرو ، وأقام سبرة في قومه لحدث إن ناب القوم ، وقد أطرق قيس ينظر ما الزبرقان صانع ، فعزم قيس على قسمها (الصدقات) في المقاعس والبطون ، وعزم الزبرقان على الوفاء ، فاتبع صفوان بصدقات الرباب وعوف والأبناء حتى قدم بها المدينة .

فتشاغلت في تلك الحال عوف والأبناء بالبطون ، والرباب بمقاعس ، وتشاغلت خضم بمالك وبهدى بيربوع ، فبينما الناس في بلاد تميم على ذلك ، قد شغل بعضهم بعضاً بالصدقات ومصيرها ، فجئتهم سجاح بنت الحارث قد أقبلت من الجزيرة ، وكانت ورهطها في بني تغلب تقود أفناء ربيعة ، فأتاهم أمر دهي ، هو أعظم مما فيه الناس ، لهجوم سجاح عليهم ، ولما هم فيه من اختلاف الكلمة . وكانت سجاح هذه في بني تغلب ، فتنبت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستجاب لها الهذيل بن عمران ، وترك التنصر ، واستجاب لها رؤساء القبائل

الأخرى الذين قدموا معها لتغزو بهم أبا بكر . فلما انتهت إلى الحزن راسلت مالك ابن نويرة ودعته إلى الموادعة ، فأجابها ، وراسلت بني مالك فأجابها وكيع إلى الموادعة ، فاجتمع وكيع ومالك وسجاح ، وقد وادع بعضهم بعضاً ، واجتمعوا على قتال الناس . . وقالوا : بمن نبدأ ؟ فقالت : (عليكم باليمامة ، ودفوا دفيف الحمامة ، فإنها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة) فبلغ ذلك مسيلمة فهابها ، فأرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها ، فجاءها في أربعين من بني حنيفة فوادعها . وقال بعضهم : إن سجاح نزلت بمسيلمة، فقالت له : ما أوحى إليك ؟ قال : (ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى). قالت وماذا أيضاً ؟ قال: أوحي إلي (إن الله خلق النساء أفراجاً ، وجعل الرجال لهن أزواجاً ، فنولج فيهن قعساً إيلاجاً ، ثم نخرجها إذ نشاء اخراجاً ، فينتجن لنا سخالا انتاجا) . قالت : أشهد أنك نبي ، قال : هل لك أن أتزوجك فأكل بقومي وقومك العرب ! قالت : نعم ، فتزوجها ، فأقامت عنده ثلاثاً ثم رجعت إلى قومها ، فلم يفاجأهم إلا دنو خالد بن الوليد ، فارفضوا فلم تزل سجاح في بني تغلب ، حتى نقلهم معاوية عام الجماعة في زمانه ، فجاءت معهم وحسن إسلامها ، وخرج الزبرقان والأقرع إلى أبي بكر ، وقالا : اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك ألا يرجع من قومنا أحد ، ففعل وكتب الكتاب .

ذكر البُطاح وخبره

قال السري : سار خالد بن الوليد يريد البطاح ، وعليها مالك بن نويرة ، وقد تردد عليه أمره ، فقال لقومه يا بني يربوع ، إنا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين ، وبطأنا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح ، وإني قد نظرت في هذا الأمر ، فوجدت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ، فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم ، فتفرقوا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر . فتفرقوا على ذلك إلى أموالهم ، وخرج مالك حتى رجع إلى منزله . ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام أن يأتوه بكل من لم يجب . فجاءته الخيل بمالك ابن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ، فاختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة ، فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا . فلما اختلفوا فيهم أمر بهم

فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد منادياً فنادى: (ادفئوا أسراكم)، وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فأدفئوه، دفئه قتله وفي لغة غيرهم: أدفه فاقتله، فظن القوم ـ وهي في لغتهم القتل ـ أنه أراد القتل فقتلوهم. فقتل ضرار بن الأزور مالكاً، وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه.

وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهال، وتركها لينقضي طهرها، فقال عمر لأبي بكر: إن سيف خالد رهقاً، فإن لم يكن هذا حقاً، حق عليه أن تقيده، فقال أبو بكر: هيه يا عمر! تأول فأخطأ. وأقبل خالد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة له، قد غرز في عمامته أسهماً، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها، ثم قال أرئاء! قتلت أمرأ مسلماً، ثم نزوت على امرأته! والله لأرجمنك باحجارك، فلما دخل على أبي بكر أخبره الخبر، واعتذر إليه فعذره أبو بكر، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك.

ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

قال السري: ولما قدم خالد على أبي بكر من البُطاح، أمره بالخروج إلى مسيلمة الكذاب باليمامة. فلما بلغ مسيلمة دنو خالد، ضرب عسكره بعقرباء، واستنفر الناس، فجعل الناس يخرجون إليه، وخرج فجاعة بن مرارة في سرية يطلب ثأراً له في بني عامر وبني تميم. واستقبل خالد شرحبيل بن حسنة، وكان قد أقام بالطريق حين بلغه خبر خروج خالد بن الوليد، فسار خالد ومعه شرحبيل، حتى إذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة، صادفوا مجاعة بن مرارة وأصحابه، وكانوا راجعين من بلاد بني عامر، فأوثقوهم، وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد، فأمر بهم أن يقتلوا، فجادوا كلهم بأنفسهم دون مجاعة بن مرارة، وقالوا: إن كنت تريد بأهل اليمامة خيراً أو شراً فاستبق هذا ولا تقتله، فقتلهم خالد وحبس مجاعة عنده كالرهينة.

قال ابن إسحاق: ثم مضى خالد حتى نزل اليمامة على كثيب مشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة وقد قدم في مقدمته الرّجّال بن عنفوة بن نهشل، وكان الرّجّال رجلاً من حنيف قد كان أسلم، وقرأ

سورة البقرة ، فلما قدم اليمامة شهد لمسيلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أشركه في الأمر ، فكان أعظم على أهل اليمامة فتنة من مسيلمة . فلما التقى المسلمون كان أول من لقيهم الرجّال بن عنفوة ، فقتله الله . ثم التقى الناس فأقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الله مسيلمة عدو الله ، واشترك في قتله وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار ، كلاهما قد أصابه ، أما وحشي فدفع عليه حربته ، وأما الأنصاري فضربه بسيفه .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ المسلمون من مسيلمة ، خرج خالد بمجاعة ، فجعل يكشف له القتلى ، فقال له مجاعة : إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس ، وإن الحصون لمملوءة رجالاً ، فهلم لأصالحك على قومي . قال السري : فصالحه على كل شيء دون النفوس . ثم قال : أنطلق إليهم فأشاورهم ثم أرجع إليك . فدخل مجاعة على الحصون ، وليس فيها إلا النساء والصبيان ، ورجال ضعفى ، فظاهر الحديد على النساء وأمرهن أن ينشرن شعورهن وأن يشرفن على رؤوس الحصون حتى يرجع إليهن . فنظر خالد إلى رؤوس الحصون وقد اسودت ، وقد نهكت المسلمين الحرب ، وطال اللقاء ، وقد قتل من المهاجرين والأنصار يومئذ ثلاثمائة وستون . قال سهل : بل ستمائة أو يزيدون . قال ابن إسحاق : فصالحه خالد ، فلما فرغا فتحت الحصون ، فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان ، فقال خالد لمجاعة : ويحك خدعتني ! قال : قومي : ولم أستطع إلا ما صنعت . فكتب خالد له كتاب الصلح .

ذكر خبر أهل البحرين وردة الحطم ومن تجمع معه بالبحرين

قال ابن إسحاق : لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة ، بعث أبو بكر رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، وكانت ربيعة بالبحرين قد ارتدت فيمن ارتد من العرب بعد وفاة المنذر بن ساوى ، فملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان يسمى الغرور ، وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس وغلبهم السيف لست بالغرور ، ولكني المغرور .

قال السري : وتجمع المسلمون كلهم إلى العلاء بن الحضرمي ، وخندق المسلمون والمشركون ، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم ، فكانوا

كـذلك شـهـراً ، فـبـينما الناس ليلة إذ سـمع المسلمـون في عسكر المشركين ضوضاء شـديدة ، كأنها ضـوضـاء هزيمـة أو قـتـال ، فقال العلاء : من يأتينا بخبر القوم ؟ فـقال عبدالله بن حذف: أنا أتيكم بخبرهم ، فخرج حتى دنا من خندقهم أخذوه ، فـقـالوا له : من أنت ؟ فأنتـسب لهم ، فـبـقي فـيـهم إلى أن تمكن من الدخول إلى عـسكر المسلمين ، فأخبرهم أن القـوم سكارى ، فـخرج المسلمون عليهم ، فوضعوا السـيـوف فـيـهم حـيث شـاؤوا ، واقـتـحموا الخندق ، واستولى المسلمون على ما في العـسكر ، وأسر الغـرور ، فـقال له العلاء : أنت غررت هؤلاء قال : أيها الملك ، إني لسـت بـالغـرور ، ولكنني المغـرور ، قـال : أسلم ، فأسلم . قـال : وأصـبح العـلاء فـقسم الأنفال بين الناس ، ولم يزل مقيماً في عسكر المشركين حتى رجعت إليه الكتب من عند من كـان كتب إليه من بكر بن وائل ، وبلغه عنهم القيام بأمر الله ، فأقـفل العـلاء بن الحضرمي الناس ، فـرجع الناس إلا من أحب المقـام ، ثم كـتـب العـلاء بن الحضرمي إلى أبي بكر بها فـتح الله على المسلمين ، فـعـز الإسلام وأهله ، وذل الـشرك وأهله .

ذكر الخبر عن ردة أهل عمان ومهرة واليمن

قـال السري : نبغ بعمان ذو التـاج لقـيط بن مـالك الأزدي ، وادعى النبوة ، وغلب على عُمان مـرتداً ، وألجأ جـيفراً وعباداً إلى الأجبال والبحر ، فبعث جيفر إلى أبي بكر يخبره بذلك ويسـتجيشه عليه ، فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير ، وعـرفـجـة البـارقي من الأزد ، حـذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة . فخرجا متساندين وأمرهما أن يجدا السير حتى يقدمان عُمان ، فإذا كانا منها قريباً كاتبا جيفرا وعـبـاداً ، وعـمـلا برأييهما . فمضيا لما أمرا به ، وقد كان أبو بكر بعث عكرمة إلى مـسيلمة باليمامة ، فنكبه مسيلمة ، فأحجم عنه ، فكتب إليه أبو بكر أن الحق بعُمان حـتى تقاتل أهلها ، وتعين حذيفة وعرفجة ، فمضى عكرمة في أثر عرفجة وحذيفة ، فلما تلاحـقـوا ، وكـانوا قـريبـاً من عُـمـان ، راسلوا جـيفراً وعباداً . وبلغ لقيط مجيء الجـيش ، فـجمع جموعه وعسكر بدبا ، وخرج المسلمون إليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فبينما هم كذلك ، جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية ، وعبد القيس ، وشـواذب عُمان ، فـقـوى الله بهم أهل الإسـلام ، ووهن الله بهم أهل الشرك ، فولى

المشركون الأدبار ، فقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف ، وسبوا الذراري ، وقسموا الأموال على المسلمين ، وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة ، ورأى عكرمة وحذيفة ، أن يقيم حذيفة بعمان حتى يوطىء الأمور ، ومضى عكرمة في الناس ، وبدأ بمهرة .

ذكر خبر مهرة بالنجد

وخرج عكرمة في جنده نحو مهرة ، واستنصر من حول عُمان وأهل عُمان ، وسار ومعه ممن استنصره من ناجية والأزد وعبد القيس وراسب ، حتى اقتحم على مهرة بلادها ، فوافق بها جمعين من مهرة : أما أحدهما فبمكان يقال له : جيروت ، عليهم شخريت ، رجل من شخراة ، وأما الآخر فبالنجد ، وقد انقادت مهرة جميعاً لصاحب هذا الجمع ، عليهم المصبح ، أحدبني محارب والناس كلهم معه ، فكانا مختلفين ، كل واحد من الرئيسين يدعو الآخر إلى نفسه ، فلما رأى عكرمة قلة من مع شخريت دعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ، فأجابه ووهن الله بذلك المصبح . ثم أرسل إلى المصبح يدعوه إلى الإسلام والرجوع عن الكفر، فاغتر بكثر من معه ، فسار إليه عكرمة ، وسار معه شخريت ، فالتقوا هم والمصبح بالنجد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم إن الله كشف جنود المرتدين ، وقتل رئيسهم ، فولى المشركون الأدبار ، فخمس عكرمة الفيىء ، فبعث بالأخماس مع شخريت إلى أبي بكر ، وقسم الأربعة الأخماس على المسلمين ، وأقام عكرمة حتى جمع الناس على الذي يحب ، فبايعوا على الإسلام .

ذكر خبر الأخابث من عك

قال أبو جعفر : وكان أول منتقض بعد النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة عكّ والأشعرون ، وذلك أنهم حين بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم تجمع منهم طخارير ، فأقبل إليهم طخارير من الأشعرين وخضم فانضموا إليهم ، فأقاموا على الأعلاب طريق الساحل ،فكتب بذلك الطاهر بن أبي هالة إلى أبي بكر، وسار إليهم ، ومعه مسروق العكي ، فالتقوا فأقتتلوا ، فهزمهم الله ، وقتلهم كل قتلة ، وكان مقتلهم فتحاً عظيماً ، وعسكر طاهر على طريق الأخابث ومعه مسروق العكي ليأمن طريق الأخابث .

ردة أهل اليمن ثانية

قال أبو جعفر : فممن ارتد ثانية منهم ، قيس بن عبد يغوث المكشوح . قال السري كان من حديث قيس في ردته الثانية ، أنه حين وقع إليهم الخبر بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتكث وعمل في قتل فيروز وداذوية وجشيش ، وهم قبل ذلك متساندون . قال : فكتب أبو بكر إلى وجوه من وجوه أهل اليمن ، أن أعينوا الأبناء على من ناوأهم ، وأسمعوا من فيروز . فإني قد وليته . فلما سمع بذلك قيس ، استعد لقتل رؤسائهم وتسيير عامتهم ، فكاتب قيس تلك الفالة السيارة اللحجية وهم يصعدون في البلاد ويصوبون محاربين لجميع من خالفهم ، فكاتبهم قيس في السر وأمرهم أن يتعجلوا إليه ، ليجتمعوا على نفي الأبناء من بلاد اليمن . فكتبوا إليه بالاستجابة له ، فلم يفجأ أهل صنعاء إلا الخبر بدنوهم منها ، فأتى قيس فيروز وداذوية ، فاستشارهما ليلبس عليهما ، ولئلا يتهماه في ذلك واطمأنوا إليه .

قال : ثم إن قيساً دعاهم من الغد إلى طعام ، فبدأ بداذوية ، وثنى بفيروز ، وثلث بجشيش ، فخرج داذوية حتى دخل عليه ، فلما دخل عليه عاجله فقتله ، وخرج فيروز يسير حتى إذا دنا سمع أمرأتين على سطحين تتحدثا ، فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قتل داذوية ،فرجع مسرعاً ، وأخبر قيس برجوع فيروز ، فخرجوا يركضون ، وركض فيروز ، وتلقاه جشيش ، فخرج معه متوجهاً نحو جبل خولان ـ وهم أخوال فيروز ، فأمتنع فيروز بأخواله ، ورجعت الخيول إلى قيس ، فثار بصنعاء ، فأخذها . قال : وقام فيروز في حربه وتجرد لها ، وأرسل إلى بني عقيل بن ربيعة بن عامر ، يستمدهم ويستنصرهم ، وأرسل إلى علّك بذلك، فأمدت عقيل وعك فيروز بالرجال ، فخرج فيمن معه ، فناهد قيساً فالتقوا دون صنعاء ، فأقتتلوا فهزم الله قيساً في قومه ، فخرج هارباً في جنده .

ذكر خبر طاهر حين شخص مدداً لفيروز

قال أبو جعفر : كان أبو بكر رحمه الله كتب إلى طاهر بن أبي هالة بالنزول إلى صنعاء واعانة الأبناء ، وإلى مسروق ، فخرجا حتى أتيا صنعاء ، وكتب إلى عبدالله ابن ثور بن أصغر ، بأن يجمع إليه العرب ومن استجاب له من أهل تهامة ، ثم

يقـيم بمكانه حـتى يأتيـه أمـره . وكـان أول ردة عـمـرو بن معد يكرب أنه كان مع خـالد بن سـعـيـد فـخـالفـه ، واستجاب للأسود ، فسار إليه خالد حتى لقيه فهزمه وولى عمرو هارباً . قال السري : ولما خـرج المهاجر بن أبي أمية من عند أبي بكر ، اتخذ مكة طريقـاً ، فـمـر بها فاتبعه خالد بن أسيد ، ومر بالطائف فاتبعه عبدالرحمن بن أبي العاص ، ثم مضى حتى إذا حاذى جرير بن عبدالله ضمه إليه ، ثم قدم على أهل نجران ، فانضم إليه فروة بن مسيك ، وأقبل عمرو بن معد يكرب مستجيباً ، وكـذلك فـعل قـيس بن عـبـد يغـوث ، دخلا على المهاجر على غير أمان ، فأوثقهما وبعث بهما إلى أبي بكر ، فـخلى سـبـيلهما وردهما إلى عـشـائرهما . قال وسار المهاجر حـتى نزل صنعـاء ، وأمـر أن يتـبـعـوا شـذاذ القبائل الذين هربوا ، فقتلوا من قدروا عليه منهم كل قتلة ، ولم يعف متمرداً ، وكتب بذلك الفتح إلى أبي بكر .

ذكر خبر حضرموت في ردتهم

قـال الـسري : مـات رسـول الله صـلى الله عـلـيـه وسـلـم وعمالـه عـلى بـلاد حضرمـوت: زيـاد بـن لـبـيـد البـيـاضي على حضرمـوت ، وعكاشـة بن محصن على السكاسك والسكون ، والمهـاجـر على كندة ـ وكـان بالمدينة لم يكن خـرج حتى توفي رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، فـبعثه أبو بكر إلى قتال من باليمن والمضي بعد إلى عـمله ، ولذلك أبطأ زياد وعكاشـة عن مناجـزة كندة انتظاراً له . قال : وكان سبب ردة كندة اجـابتـهم الأسـود العنسي ومنعـهم الصـدقات ، فلما قدم المهاجر صنعاء ، كـتب إليه أبو بكر وإلى عكرمة ، أن يسيرا حتى يقدما حضرموت، فسار المهاجر من صنعـاء يريد حضرمـوت، وسـار عكرمـة من أبين يريد حضرمـوت، فالتقيا بمأرب، حـتى اقـتـحما حضرمـوت، فـاستخلف المهاجر عكرمة على الجيش، وسار حتى قدم على زياد، فنهـد إلى كندة وعليـهم الأشعث، فـالتـقـوا بمـجـر الزرقان، فاقتتلوا به فـهزمت كندة وخرجوا هرّاباً .

قـال : وسار المهاجر بالناس حتى نزل على النجير ، وقد اجتمعت إليه كندة، فـتـحـصنوا فيه على ثلاثة سبل ، فنزل زياد على إحداها ، ونزل المهاجر على الآخر، وقـدم عكرمـة في الجيش فنزل على الثالث، فلما أصبحوا خرجوا على الناس، فأقتتلوا بأفنيـة النجير حـتى كثرت القتلى بحيال كل طريق من الطرق الثلاثة، فهزمت كندة،

وقد أكثروا فيهم القتل . قال أبو جعفر : ولما رأى أهل النجير ذلك ، خشعت أنفسهم وخافوا القتل ، فعجل الأشعث ، فخرج إلى عكرمة بأمان ؛ واستأمنه على نفسه ونفر معه تسعة ، على أن يؤمنهم وأهليهم وأن يفتحوا لهم الباب ، فأجابه إلى ذلك . قال أبو إسحاق : فلما فتح الباب اقتحمه المسلمون فلم يدعوا فيه مقاتلاً إلا قتلوه ، وأحصي ألف امرأة ممن في النجير ، ووضع على السبى والفيىء الأحراس ، وبعثوا بهم إلى أبي بكر وكتبوا إليه بالفتح ، فكتب أبو بكر إلى المهاجر يخيره اليمن أو حضرموت، فاختار اليمن، فكانت اليمن على أميرين: فيروز والمهاجر، وكانت حضرموت على أميرين: عبيدة بن سعد على كندة والسكاسك، وزياد بن لبيد على حضرموت. قال: ثم إن أبا بكر قسم في الناس الخمس من الغنائم، واقتسم الجيش الأربعة الأخماس . قال السري : فلما ولي عمر رحمه الله عمل في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام وقال : إنه ليقبح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً .

ثم كانت سنة إثنتي عشرة من الهجرة

قال أبو جعفر : ولما فرغ خالد بن الوليد من أمر اليمامة ، كتب إليه أبو بكر يأمره أن يسير إلى العراق . قال ابن إسحاق : فمضى خالد يريد العراق ، حتى نزل بقريات من السواد ، يقال لها : بأنقيا وباروسما وأليس ، فصالحه أهلها ، وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا ، فقبل منهم خالد الجزية وكتب لهم كتاباً ، ثم أقبل بمن معه حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي ـ وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ـ فقال له خالد ولأصحابه أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم ، فقد اتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقال له قبيصة : مالنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ، ونعطيك الجزية . فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق .

قال هشام بن محمد : ثم إن خالداً بعث بكتاب إلى أهل المدائن ، فيه : من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فالحمد لله الذي فض خدمتكم ، وسلب ملككم ، ورهن كيدكم ، وإنه من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، فذلك المسلم الذي له مالنا ، وعليه ما علينا . أما بعد،

فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إلي بالرهن ، واعتقدوا مني الذمة ، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة .

قال سيف : فلما قدم كتاب خالد على هرمز كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى وإلى أردشير بن شيرى وجمع جموعه ، وجعل على مجنبته أخوين يقال لهما : قباذ وأنو شجان ، واقترنوا بالسلاسل وتعبىء هرمز وأصحابه وقدم خالد عليهم . فأقتتلوا قتالاً شديداً . قال : وخرج هرمز فنادى رجل رجل : أين خالد ؟ وقد عهد إلى فرسانه عهده ، فلما نزل خالد نزل هرمز ، ودعاه إلى النزال فمشى إليه ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، واحتضنه خالد ، وحملت حامية هرمز وغدرت ، فاستحملوا خالداً ، فما شغله ذلك عن قتل هرمز ، فقتله ، فحمل المسلمون عليهم، وانهزم أهل فارس ، وجمع خالد الرثاث وفيها السلاسل ، فسميت هذه الوقعة ذات السلاسل ، وأفلت قباذ وأنو شجان .

قال السري : وكان هرمز قد كتب إلى أردشير وشيرى بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة نحوه ، فأمده بقارن بن قريانس ، فخرج قارن من المدائن ممداً لهرمز ، حتى إذا انتهى إلى المذار بلغته الهزيمة ، وانتهت إليه الغلال فتذامروا ، وقال فلال الأهواز وفارس لفلال السواد والجبل : إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبداً، فأجتمعوا مرة أخرى وعسكروا بالمذار ، فبعث المثنى بن حارثة ـ وكان على الكوفة ـ بالخبر إلى خالد بن الوليد ، فخرج خالد إليهم ، فالتقوا فأقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل قارن والأنو شجان وقباذ فانهزمت فارس .

قال سيف : فلما وقع الخبر بأردشير بمصاب قارن وأهل المذار ، أرسل الاندرزغر ، وأرسل بهمن جاذويه في أثره في جيش ، فخرج الأندرزغر سائراً حتى أتى الولجة ، وخرج بهمن جاذوية في أثره ، فلما بلغ خالداً خبر الأندرزغر ، سار في الجنود نحو الولجة ، فالتقوا فأقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ ، وكان خالد قد وضع لهم كميناً في ناحيتين ، فخرج الكمين في وجهين ، فانهزمت صفوف الأعاجم وولوا ، فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم ، ومضى الأندرزغر في هزيمته ، فمات عطشاً . وسار خالد في الفلاحين فلم يقتلهم ، وسبى ذراري المقاتلة ومن أعانهم ، ودعا أهل الأرض إلى الجزاء والذمة ، فتراجعوا .

خبر أليس وهي على صلب الفرات

قال السري : ولما أصاب خالد يوم الولجة من أصاب من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا أهل فارس غضب لهم نصارى قومهم ، فكاتبوا الأعاجم وكاتبتهم الأعاجم ، فاجتمعوا إلى أليس ، وعليهم عبدالأسود العجلي ، وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه ، أن سر حتى تقدم أليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب ، فأرسل بهمن جاذويه وأمره بالحث ، فسار نحو أليس ، وقد كان خالد بلغه تجمع عبدالأسود فيمن تأشب إليه ، فسار إليهم ، فلما انتهى إليهم ، بدر أمام الصف ، فنادى بالمبارزة ، فنكلوا عنه جميعاً إلا مالكاً ، فبرز له، فضربه خالد فقتله ، فالتحم الجيشان ، ثم إن الله عزّ وجل كشفهم للمسلمين ، ومنحهم أكتافهم ، فأمر خالد مناديه ، فنادى في الناس : الأسر الأسر ! ، فأقبلت الخيول فيهم أفواجاً ، وقد وكل بهم خالد رجالاً يضربون أعناقهم في النهر ، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ، فسمي نهر الدم ، فبعث خالد بالخبر إلى أبي بكر ، وقد بلغت قتلى القوم من أليس سبعين ألفاً جلهم من أمغيشيا .

حديث أمغيشيا

قال سيف : لما فرغ خالد من وقعة أليس ، نهض فأتى امغيشيا ، وقد أعجلهم عما فيها ، وقد جلا أهلها ، وتفرقوا في السواد ، فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكل شيء كان في حيزها ، وكانت حصراً كالحيرة ، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قط ، إذ بلغ سهم الفارس ألفاً وخمسمائة سوى النفل الذي نفله أهل البلاء . قال : قال أبو بكر حين بلغه الخبر : أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد ! .

حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى

قال السري : إن الأزادبه كان مرزبان الحيرة ، فلما أخرب خالد أمغيشيا ، علم الأزاذبه أنه غير متروك ، فتهيأ لحرب خالد ، فعسكر خارجاً من الحيرة ، وأمر ابنه بسد الفرات ، ولما استقل خالد من أمغيشيا وحمل الرجال في السفن مع الأنفال والأثقال ، لم يفجأ خالد إلا والسفن جوانح ، فارتاعوا لذلك ، فقال الملاحون : إن أهل فارس فجروا الأنهار ، فسلك الماء غير طريقه ، فتعجل خالد

في خيل ابن الأزاذبه ، فتلقاه على فم العتيق خيل من خيله ، فأنامهم بالمقر ، ثم سار من فوره وسبق الأخبار إلى ابن الأزاذبه حتى يلقاه وجنده على فم فرات بادقلى، فاقتتلوا فأنامهم ، وفجر الفرات وسد الأنهار وسلك الماء سبيله .

قال : ولما أصاب خالد ابن الأزاذبه على فم فرات بادقلى ، قصد للحيرة ، واستلحق أصحابه ، وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف ، فقدم خالد الخورنق، وقد قطع الأزاذبه الفرات هارباً من غير قتال ، وكان عسكره بين الغريين والقصر الأبيض ، وأهل الحيرة متحصنون ، فادخل خالد الحيرة الخيل من عسكره ، وأمر بكل قصر رجلاً من قواده يحاصر أهله ويقاتلهم ، فدعوهم جميعاً إلى إحدى ثلاث: الإسلام ، أو الجزاء ، أو المنابذة ، فاختاروا المنابذة ، فرشقهم المسلمون بالنبل ، ثم بثوا غاراتهم فيهم ، فنادى أهل القصور ، قد قبلنا واحدة من ثلاث ، فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً ، فأرسلوهم إليه ، فصالحوه على تسعين ومائة ألف درهم ، تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا ، فكتب خالد لهم الكتاب بذلك ودفعه إليهم .

خبر ما بعد الحيرة

قال السري : لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم فيهن ، ثم انصرف ، وقال : لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف ، وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أليس ! قال : ولما صالح أهل الحيرة خالداً خرج صلوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف ، حتى دخل على خالد عسكره ، فصالحه على بانقيا وبسما على عشرة آلاف دينار ، وكتب لهم كتاباً . ثم أتاه زاذ بن بهيش رهقان فرات سرياً فصالحه على ما بين الفلاليج إلى هرمزجرد على ألفي ألف وكتب له كتاباً ، ثم بعث خالد عماله ومسالحه على المنعة وقبض الجزية . قال : فجبي الخراج إلى خالد في خمسين ليلة ، فأعطى ذلك كله للمسلمين ، فقووا به على أمورهم . وكان أهل فارس بموت أردشير مختلفين في الملك ، لا يقدرون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه .

حديث الأنبار ـ وهي ذات العيون ـ وذكر كلواذى

قال السري : خرج خالد بن الوليد في تعبيته التي خرج فيها حتى نزل الأنبار، وقد تحصن أهلها ، وخندقوا عليهم وأشرفوا من حصنهم ، وعلى تلك الجنود شيرزاذ صاحب ساباط ، فتصايح عرب الأنبار يومئذ من السور ، وقالوا : صبح الأنبار شر ، فبينما هم كذلك قدم خالد على المقدمة ، فأطاف بالخندق ، وأنشب القتال ، وتقدم إلى رماته ، فأوصاهم وقال : إني أرى أقواماً لا علم لها بالحرب ، فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها ، فرموا رشقاً واحداً ، ففقىء ألف عين يومئذ ، فسميت تلك الوقعة ذات العيون ، وتصايح أهل الأنبار ! وراسل شيرازاذ خالداً في الصلح ، فقبل منه على أن يخليه ويلحقه بمأمنه في جريدة خيل، ليس معهم من الأموال والمتاع شيء، فخرج شيرازاذ حتى قدم على بهمن جاذويه . قال: ولما اطمأن خالد بالأنبار والمسلمون، صالح من حولهم، وبدأ بأهل البوازيج، وبعث إليه أهل كلواذى ليعقد لهم، فكاتبهم. ثم إن أهل الأنبار وما حولها نقضوا العهد حتى دعوا إلى الذمة بعدما غدروا ، فلما رضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمة .

خبر عين التمر

قال السري : ولما فرغ خالد من الأنبار ، استخلف عليها الزبرقان بن بدر ، وقصد لعين التمر ، وبها يومئذ مهران بن بهرام في جمع عظيم من العجم ، وعقة بن ابي عقة في جمع عظيم من العرب ، فلما سمعوا بخالد قال عقة لمهران : إن العرب أعلم بقتال العرب ، فدعنا وخالداً ، قال : صدقت ، دونكموهم ، وإن احتجبتم إلينا أعناكم . ونزل عقة لخالد على الطريق ، ومهران في الحصن في رابطة فارس ، وعقة على طريق الكرخ كالخفير ، فقدم عليه خالد وهو في تعبئة جنده ، فاحتضنه فأخذه أسيراً ، وانهزم صفة من غير قتال ، واتبعهم المسلمون . ولما جاء الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن ، فدخله المسلمون ، وأمر خالد فضربت أعناق أهل الحصن أجمعين . وسبى كل من حوى حصنهم ، وغنم ما فيه ، ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الأنجيل ، عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم ، وقال : ما أنتم ؟ قالوا : رهن ، فقسمهم في أهل البلاء ، منهم نصير أبو موسى ابن نصير ، وسيرين أبو محمد بن سيرين .

خبر دومة الجندل

قـالوا : ولما فرغ خالد من عين التمر خلف فيها عويم بن الكاهل الأسلمي ، وخـرج في تعـبـيتـه ، ولما بلغ أهل دومـة مـسير خالد إليهم ، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكلب وغـسـان وتنوخ والضـجـاعم، فلما بلغهم دنو خالد، وهم على رئيسين: اكـيـدر بن عـبـدالملك والجودي بن ربيعة ، اختلفوا ، فقال اكيدر : أنا اعلم الناس بخـالد ، لا يرى وجـه خـالد قـوم أبداً قلوا أو كـثـروا إلا انهزمـوا عنه ، فأطيـعـوني وصـالحـوا القـوم . فأبوا عليـه ، فـقال : لن امالئكم على حرب خالد ، فشأنكم .

قـالوا : ومـضى خـالد حـتى ينزل على أهل دومـة ، وعليـهم الجـودي بن ربيـعـة ، ووديـعـة الكلبي ، وابن رومـانسي الكلبي ، وابن الأيهم وابن الحـدرجـان ، فـجـعل خـالد دومـة بين عسكره وعسكر عياض ، فلما اطمأن خالد خرج الجودي ، فنهض بوديعـة فـزحـفـا لخـالد ، وخـرج ابن الحـدرجان وابن الأيهم إلى عياض ، فاقتتلوا ، فـهـزم الله الجـودي ووديـعـة عـلى يدي خـالد ، وهزم عـيـاض من يليـه ، وركـبـهـم المسلمـون ، فأمـا خـالد فإنه أخـذ الجودي أخذاً ، وأخذ الأقرع بن حابس وديعة ، وهرب بقـيـة الناس إلى الحصن ، فدعا خالد بالجودي فضرب عنقه ، ودعا بالأسرى فضرب أعناقـهم إلا أسـارى كلب، فإن عاصماً والأقرع وبني تميم قالوا: قد آمناهم. ثم أطاف خـالد ببـاب الحـصن ، فلم يزل عنه حـتى اقـتلعـه ، واقـتحموا عليهم ، فـقـتلوا المقـاتلة ، وسبوا الشرخ ، وأقام خالد بدومة ورد الأقرع إلى الأنبار .

قـال السري : وأقام خالد بدومة ، فظن الأعاجم به ، وكاتبهم عرب الجزيرة غـضـبـاً لعـقة ، فخرج زرمهر من بغداد ومعه روزبه يريدان الأنبار ، واتعدا حصيداً والخـنـافس ، فكتب الزبرقـان وهو على الأنبـار إلى القـعـقـاع بن عـمـرو وهو يومئذ خليـفـة خـالد على الحيرة ، فبعث القعقاع أعبد بن فدكي السعدي وأمره بالحصيد ، وبعث عـروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس . فخرجا فحالا بينهما وبين الريف ، فلما رجع خـالد وبلغـه ذلك ، كره خلاف أبي بكر في مصادقة أهل المدائن ، فعجل القـعقاع وأبو ليلى بن الفدكي إلى روزبه وزرمهر ، فسبقاه إلى عين التمر ، وقدم على خـالد كـتـاب أمرىء القـيس الكلبي ، أن الهذيل بن عـمران قد عسكر بالمصيخ ، ونزل ربيـعـة بن بجير بالثني وبالبشر في عسكر غضبا لعقة ، يريدان زرمهر وروزبه، فـخـرج خـالد وعلى مـقدمته الأقرع وأخذ طريق القعقاع وأبي ليلى إلى الخنافس حتى

قـدم عليهما بالعين ، فبعث القعقاع إلى حصيد ، وأمره على الناس ، وبعث أبا ليلى إلى الخنافس .

خبر حصيد

فلما رأى القـعـقـاع أن زرمـهر وروزبه لا يتحركان سار نحو حصيد ، ولما رأى روزبه أن القـعـقـاع قـد قـصـد له اسـتـمـد زرمهر فأمده بنفسه ، فالتقوا بحصيد ، فـاقـتـتلوا ، فـقـتل الله العجم مقتلة عظيمة ، وقتل القعقاع زرمهر ، وقتل روزبه ، وغنم المسلمـون يوم حـصـيد غنائم كثيرة ، وانهزم فلال حصيد إلى الخنافس فاجتمعوا بها .

الخنافس

وسـار أبـو لـيلى بن فـدكي نحـو الخنافس ، فلما أحس المهـبـوذان (قـائدهم) بقـدومـهم هرب ومن مـعـه إلى المصيخ ، وبه الهذيل بن عمران ، ولم يلق بالخنافس كيداً ، وبعثوا إلى خالد بالخبر .

مصيّخ بني البرشاء

قـالوا : ولما انتـهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد وهرب أهل الخنافس كـتب إليـهم ، وواعـد القـعـقـاع وأبا ليلى وأعبد وعروة ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيخ ، وخـرج خـالد إليـهم ، فلما كـان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمصـيخ ، فأغـاروا على الهذيل ومن مـعـه وهم نائمـون من ثلاثة أوجـه فـقتلوهـم . وأفلت الهذيل في اناس قليل .

الثنيّ والزّميل

وقـد نزل ربيـعـة بن بجير التـغلبي الثني والبشر غـضـبـاً لعقة ، وواعد روزبه وزرمـهر والهذيل . فلما أصاب خالد أهل المصيخ ، تقدم إلى القعقاع وإلى أبي ليلى ، بأن يرتحـلا أمـامـه ، وواعدهما الليلة ليفترقوا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه ، كما فـعل بأهل المصـيخ . ثم خـرج خالد ، فنزل حوران ، ثم الرونق ، ثم الحماة ، ثم

الزميل ، وهو البشر والثني معه ، فبدأ بالثني واجتمع هو وأصحابه ، فبيته من ثلاثة أوجه بياتاً ، فجردوا فيهم السيوف ، فلم يفلت من ذلك الجيش مخبر ، وكان الهذيل حين نجا أوى إلى الزميل ، إلى عتّاب بن فلان ، وهو بالبشر في عسكر ضخم ، فبيتهم بمثلها غارة شعواء من ثلاثة أوجه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم عطف خالد إلى الرضاب ، وبها هلال بن عقه ، وقد أرفض عنه أصحابه حين سمعوا بدنو خالد ، وانقشع عنها هلال فلم يلق كيداً بها .

حديث الفراض

ثم قصد خالد بعد الرضاب إلى الفراض ـ وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة ـ قال السري : فلما اجتمع المسلمون بالفراض ، حميت الروم واغتاظت واستعانوا بمن يليهم من مسالح أهل فارس ، وقد حموا واغتاظوا واستمدوا تغلب وإياد والنمر ، فأمدوهم ، ثم ناهدوا خالداً ، حتى إذا صار الفرات بينهم ، قالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم . قال خالد: بل اعبروا إلينا ، قالوا: فتنحوا حتى نعبر ، فقال خالد : لا نفعل ، ولكن اعبروا أسفل منا ، فعبروا أسفل من خالد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً طويلاً . ثم إن الله عزّ وجل هزمهم ، فقتل يوم الفراض في المعركة والطلب مائة ألف ، وأقام خالد على الفراض بعد الوقعة عشراً ، ثم أذن في القفل إلى الحيرة ، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم ، وأمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم ، وأظهر خالد أنه في الساقة .

حجة خالد

قال أبو جعفر: وخرج خالد حاجاً من الفراض لخمس بقين من ذي القعدة، ومعه عدة من أصحابه ، حتى أتى مكة ، فكانت غيبته عن الجند يسيره ، فما توافى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة الذي وضعه ، فقدما معاً ، وخالد وأصحابه محلقون ، لم يعلم بحجه إلا من أفضى إليه بذلك من الساقة ، ولم يعلم أبو بكر إلا بعد ذلك ، فعتب عليه . وكانت عقوبته إياه أن صرفه إلى الشام. قال أبو جعفر : فوافى خالداً كتاب أبي بكر بالحيرة : أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك ، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت ، فاتمم تمم الله لك ،

ولا يدخلنك عـجـب فـتخسـر وتخـذل ، وإياك أن تُـدلّ بعمل ، فإن الله له المـن ، وهو ولي الجـزاء .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

قـال ابن إسـحـاق : لما قـفل أبو بكر من الحج سنة اثنتي عشرة جهز الجيوش إلى الشـام ، فـبعث عمرو بن العاص قبل فلسطين ، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عـبـيـدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة على البلقاء من علياء الشام . قال السري : وأمـر أبو بكر خـالداً بن سـعـيـد بأن ينزل تيماء حتى يأتيه أمره . فأقام فاجتمع إليه جمـوع كـثيرة ، وبـلـغ الروم عظم ذلك العـسكر . فضربوا على العـرب الضـاحـيـة البعـوث بالشـام إليـهم ، فكتب خـالد بن سـعيد إلى أبي بكر بذلك ، وبنزول من استنفـرت الروم ، ونفـر إليـهم من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان، فكتب إليـه أبو بكر ، أن أقـدم ولا تحـجم واسـتنصر الله ، فـسـار خـالد فيمن كان خـرج مـعـه من تيماء حتى نزلوا فيما بين أبل وزيزاء والقسطل ، فسار إليه بطريق من بـطـارقـة الـروم ، يـدعى باهان ، فـهـزمـه وقـتل جنده ، وكـتب بذلك إلى أبي بكر واسـتـمـده . وقد قدم على أبي بكر أوائل مستنفري اليمن ومن بين مكة ، وفيهم ذو الكلاع ، وقـدم عليـه عكرمـة قافلاً وغازياً فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو ، فكتب لهم أبو بكر إلى أمـراء الصـدقـات أن يبـدلوا من استبدل ، فكلهم اسـتـبـدل فـسـمي ذلك الجـيش جيش البدال . فقدموا على خالد بن سعيد ، وعند ذلك اهتاج أبو بكر للشام ، وعناه أمره .

قـال السري : فكتب أبو بكر إلى عـمـرو بن العاص ، وأمره على فلسطين ، وكـتب إلى الوليـد بن عـقـبـة وأمـره بالأردن ، ودعا يزيد بن أبي سفيان ، فأمره على جند عظيم ، هم جمهـور من انتـدب له ، واسـتـعـمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتـمع إليـه ، وأمـره على حمص . قـال : وبلغ الروم ذلك ، فكتـبوا إلى هرقل ، وخـرج هرقل حتى نزل بحمص ، فأرسل إلى عمر بن العاص أخاه تذارق ، فخرج نحـوهم في تسـعين ألفـاً ، وبعث جـرجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان ، وبعث الدراقص فـاسـتـقـبل شرحـبـيل بن حسنة ، وبعث الفيقار بن نسطوس في ستين ألفاً نحـو أبي عـبيدة ، فهابهم المسلمون وجميع فرقهم واحد وعشرون ألفاً ، سوى عكرمة

ستة آلاف ، ففزعوا جميعاً بالكتب وبالرسل إلى عمرو : أن ما الرأي ؟ فكاتبهم : إن الرأي الاجتماع ، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به ، وقد كتبوا إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عمراً ، فطلع عليهم كتابه بمثل رأي عمر ، قال : وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا لهم ، ففعلوا فنزلوا الواقوصة وهي على ضفة اليرموك ، وانتقل المسلمون عن عسكرهم الذي اجتمعوا به ، وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن ، فكتب إلى خالد بن الوليد ليلحق بهم ، وأمره أن يخلف على العراق المثنى ، فوافاهم في ربيع ، ووافق قدوم خالد قدوم باهان مدداً للروم ، فخرج بهم باهان كالمقتدر ، فولى خالد قتاله ، فهزم باهان ، وتتابع الروم على الهزيمة ، وفرح المسلمون بخالد ، وحرب المشركون وهم أربعون ومائتا ألف ، منهم ثمانون ألف مقيد ، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت ، وأربعون ألفاً مربطون بالعمائم ، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفاً إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف ، فصاروا ستة وثلاثين ألفاً . ومرض أبو بكر رحمه الله في جمادى الأولى ، وتوفي للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشر ليال .

خبر اليرموك

قال السري : ولزم الروم خندقهم عامة شهر ، يحضضهم القسيسون والرهبان وينعون لهم النصرانية حتى استبصروا . فخرجوا للقتال ، فلما أحس المسلمون خروجهم ، وأرادوا الخروج متساندين ، سار فيهم خالد بن الوليد ، وقد أمّروه عليهم ، فخرجت الروم في تعبية لم ير الراؤون مثلها قط ، وخرج خالد في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك . فجعل القلب كراديس ، وأقام فيه أبا عبيدة ، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان . وكان على كل كردوس من كراديس أهل العراق القعقاع بن عمرو . قال : وقال رجل لخالد : ما أكثر الروم وما أقل المسلمين ! فقال خالد : ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان . قال : فأمر خالد عكرمة والقعقاع ، وكانا على مجنبتي القلب ، فأنشبا القتال ، والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ، فإنهم على ذلك إذ قدم البريد

من المدينة بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة ، فأخذ خالد الكتاب وجعله في كنانته ، وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند .

قال : وتضعضع الروم ، ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم، فلما وجدت خيلهم مذهباً ذهبت وتركوا رجلهم في مصافهم ، وخرجت خيلهم تشتد بهم في الصحراء ، ولما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب ، أفرجوا لها ، فذهبت فتفرقت في البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرّجل ففضوهم ، فاقتحموا في خندقهم ، فعمدوا إلى الواقوصة ، فتهافت في الواقوصة عشرون ومائة ألف ، سوى من قتل في المعركة من الخيل والرّجل ، فكان سهم الفارس يومئذ ألفا وخمسمائة . قال عبادة بن الصامت : إن النساء قاتلن يوم اليرموك في جولة ، فخرجت جويرية ابنة أبي سفيان في جولة ، وكانت مع زوجها ، وأصيبت بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان ، فأخرج السهم من عينه أبو حشمة . قال السري ، وأصيب من المسلمين ثلاثة آلاف ، منهم عكرمة ، وعمرو بن عكرمة ، وعمرو بن سعيد ، وخالد بن سعيد ، وضرار بن الأزور وغيرهم .

قال السري : لما كان اليوم الذي تأمر فيه خالد ، هزم الله الروم مع الليل ، وصعد المسلمون القصبة ، وأصابوا ما في العسكر ، وقتل الله صناديدهم ورؤوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هرقل ، وأخذ التذارق ، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون مدينة حمص ، فارتحل فجعل حمص بينه وبينهم ، واتبع المسلمون الروم حين هزموهم خيولاً يثفنونهم . ولما صار إلى أبي عبيدة الأمر بعد الهزيمة ، نادى بالرحيل ، وارتحل المسلمون بزحفهم حتى وضعوا عساكرهم بمرج الصفر .

قال ابن إسحاق : وأثناء قدوم خالد إلى الشام ، نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، فاجتمعوا عليها ، فرابطوها حتى صالحت بصرى على الجزية ، فكانت أول مدينة من مدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر . ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمر بن العاص، وسمعت الروم بهم ، فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل ، وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين ـ وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم، فاجتمعوا بأجنادين حتى عسكروا عليها . قال : وكان على الروم رجل

يقال له القبقلار وبعضهم يقول كان على الروم تذارق ، قال فاقتتلوا ، فلما رأى القبقلار ما رأى من قتال المسلمين ، قال : للروم لفوا رأسي بثوب ، قالوا له لم ؟ قال : يوم البئيس ، لا أحب أن أراه ! ما رأيت في الدنيا يوماً أشد من هذا ! قال: فاحتز المسلمون رأسه وإنه لملفف . وكانت وقعة أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى . وفيها توفي أبو بكر لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة .

قالوا : توفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة في جمادى الآخرة يوم الإثنين لثمان بقين منه . وكان سبب وفاته أن اليهود سمته في ارزة ويقال في جذيذة ، وتناول معه الحارث بن كلدة منها . وقال آخرون في سبب وفاته : أنه اغتسل يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة ، وكان يوماً باردا فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة ، وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس ، وتوفي أبو بكر مُسي ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال .

ذكر الخبر عمن غسله والكفن الذي كفن فيه أبو بكر ومن صلى عليه والوقت الذي توفي فيه

قالت عائشة : توفي أبو بكر رحمه الله بين المغرب والعشاء . قال ابن عمر : وأوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ، فإن عجزت أعانها عبدالرحمن بن أبي بكر . قال هشام : وكان موته ليلة الثلاثاء ودفن ليلاً ، وصلى عليه عمر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل قبره عمر ، وعثمان ، وطلحة ، وعبدالرحمن بن أبي بكر . قال ابن عمر : وكان رحمه الله قد أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما توفي حفر له ، وجعل رأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقوا اللحد بلحد النبي صلى الله عليه وسلم . قال : وجعل قبره مسطحاً مثل قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ورش عليه الماء ، وأقامت عليه عائشة النوح .

ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله

قال عبدالرحمن بن أبي بكر ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنها نظرت إلى رجل من العرب مر وهي في هودجها ، فقالت : ما رأيت رجلاً أشبه بأبي بكر من هذا ، فقيل لها : صفي أبا بكر ، فقالت : رجل أبيض نحيف خفيف العارضين أجنأ لا يستمسك أزاره ، يسترخي عن حقويه ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتىء الجبهة ، عاري الأشاجع . قال علي بن محمد : كان أبيض يخالطه صفره ، حسن القامة ، نحيفاً أجنأ ، رقيقاً عتيقاً ، أقنى ، معروق الوجه ، غائر العينين ، حمش الساقين ، ممحوص الفخذين ، يخضب بالحناء والكتم .

ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يعرف به

قال علي بن محمد : أنه إنما قيل له عتيق عن عتقه . قال : وقال بعضهم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أنت عتيق من النار . قال ابن إسحاق : واسم أبيه عثمان ، وكنيته أبو قحافة ، قال : فأبو بكر عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .

ذكر أسماء نساء أبي بكر رحمه الله

قال الواقدي : تزوج أبو بكر في الجاهلية قتيلة ابنة عبدالعزى ، فولدت له عبدالله وأسماء . وتزوج أيضاً في الجاهلية أم رومان بنت عامر ، فولدت له عبدالرحمن وعائشة . وتزوج في الإسلام أسماء بنت عميس فولدت له محمد بن أبي بكر . وتزوج أيضاً في الإسلام حبيبة بنت خارجة ، فولدت له أم كلثوم .

ذكر أسماء قضاته وكتابه وعماله على الصدقات

قال علي بن محمد : جعل أبو بكر عمر قاضياً في خلافته ، فمكث سنة لم يخاصم إليه أحد . قال : وكان يكتب له زيد بن ثابت ، ويكتب له الأخبار عثمان ابن عفان . قال : وقالوا : كان عامله على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى صنعاء ، المهاجر بن لمية ، وعلى حضرموت : زياد

ابن لبيد ، وعلى خولان يعلى بن أمية ، وعلى زبيد ورمع أبو موسى الأشعري ، وعلى الجند معاذ بن جبل ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي .

قال أبو جعفر : وكان رحمه الله سخياً ليناً ، عالماً بأنساب العرب . قال : وعقد أبو بكر في مرضته التي توفي فيها لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده . قال الواقدي : لما نزل بأبي بكر رحمه الله الوفاة دعا عبدالرحمن بن عوف ، فقال : أخبرني عن عمر ، فقال : هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ، ولكن فيه غلظة . فقال أبو بكر : ذلك لأنه يراني رقيقاً ، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه . ويا أبا محمد قد رمقته ، فرأيتني إذا غضبت على الرجل في الشيء أراني الرضا عنه ، وإذا لنت له أراني الشدة عليه ، لاتذكر أبا محمد مما قلت لك شيئاً ، قال : نعم . ثم دعا عثمان بن عفان ، قال : أخبرني عن عمر : قال : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله . قال أبو بكر : رحمك الله يا أبا عبدالله ، لا تذكر مما ذكرت لك شيئاً ، قال أفعل . قال ابن حميد: ثم أشرف أبو بكر على الناس وهو يقول : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فإني والله ما آلوت من جهد الرأي ، ولا وليت ذا قرابة ، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوه ، فقالوا : سمعنا وأطعنا . قال الواقدي : ودعا أبو بكر عثمان خالياً ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة إلى المسلمين ، أما بعد . قال : ثم أغمي عليه ، فكتب عثمان : أما بعد ، فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . ولم آلكم خيراً منه ، ثم أفاق أبو بكر ، فقال : اقرأ علي ، فقرأ عليه ، فكبر أبو بكر ، وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن أفلتت نفسي في غشيتي ! قال : نعم ، قال جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، وأقرها أبو بكر رضي الله عنه من هذا الموضع .

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجراً . قال الواقدي : قالت عائشة : وكان منزل أبي بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة ، فلما تحول إلى منزله بالمدينة ، أقام هنالك بالسنح بعدما بويع له ستة أشهر ، يغدو على رجليه إلى المدينة ، وربما ركب على فرس له ، وعليه ازار ورداء ممشق ، فيوافي المدينة فيصلي الصلوات بالناس ، فإذا صلى العشاء ، رجع إلى أهله بالسنح . قالت: وكان رجلاً تاجراً ، يغدو كل يوم إلى السوق ، فيبيع ويبتاع ، وكانت له

قطعة غنم تروح عليه ، وكان يحلب للحي أغنامهم ، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي : الآن لا تُحلب لنا منائح دارنا ، فسمعها أبو بكر ، فقال : بلى لعمري لاحلبنها لكم ، وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه . قالت : ثم نظر في أمره ، فقال : لا والله ، ما تصلح أمور الناس التجارة ، وما يصلحهم إلا التفرغ لهم والنظر في شأنهم ، ولابد لعيالي مما يصلحهم . فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوماً بيوم ، ويحج ويعتمر . وكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم ، فلما حضرته الوفاة. قال : ردوا ما عندنا من مال المسلمين .

قال أبو كريب : وكان أول ما نطق به عمر بن الخطاب حين استخلف أنه قال : إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقود ، وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق . قال ابن كيسان : وكان أول كتاب كتبه عمر حين ولي إلى أبي عبيدة يوليه على جند خالد . قال علي بن محمد : قدم بوفاة أبي بكر إلى الشام شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، فكتموا الخبر الناس حتى ظفر المسلمون .

قال ابن إسحاق : لما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فحل من أرض الأردن ، وقد اجتمعت فيها رافضة الروم ، والمسلمون على أمرائهم وخالد على مقدمة الناس ، فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها ، وهي أرض سبخة ، فكانت وحلاً ، فلما غشيها المسلمون ولم يعلموا بما صنعت الروم ، وحلت خيولهم ، ولقوا فيها عناء ، ثم سلمهم الله ، وسميت بيسان ذات الردغة لما لقي المسلمون فيها ، ثم نهضوا إلى الروم وهم بفحل فاقتتلوا فهزمت الروم ، ودخل المسلمون فحلاً ولحقت رافضة الروم بدمشق . قال : ثم ساروا إلى دمشق وخالد على مقدمة الناس ، وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان بدمشق ـ وقد كان عمر عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس ـ فالتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق ، فهزم الله الروم ، وأصاب منهم المسلمون ، ودخلت الروم دمشق فغلقوا أبوابها وجثم المسلمون عليها فرابطوها حتى فتحت دمشق ، وأعطوا الجزية ، وقد قدم الكتاب على أبي عبيدة بأمارته وعزل خالد ، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرىء خالداً الكتاب حتى فتحت دمشق وجرى الصلح على يدي خالد ،

وكتب الكتاب باسمه . فلما صالحت دمشق لحق باهان بهرقل ، وكان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب .

وأما سيف ـ فيما ذكر السري ـ فإنه ذكر في خبره أن البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة ، وهم باليرموك ، وقد التحم القتال بينهم وبين الروم . قال ابن إسحاق : إنما نزع عمر خالداً في كلام كان خالد تكلم به ، ولم يزل عمر عليه ساخطاً ولأمره كارهاً في زمان أبي بكر كله ، لوقعته بابن نويرة ، وما كان يعمل به في حربه ، فلما استخلف عمر كان أول ما تكلم به عزله فقال : لا يلي لي عملاً أبداً .

ذكر بيسان وطبرية

ولما فرغ شرحبيل من وقعة فحل نهد في الناس ومعه عمرو بن العاص إلى أهل بيسان ، فحصروهم أياماً . ثم إنهم خرجوا عليهم فقاتلوهم ، فأناموا من خرج إليهم ، وصالحوا بقية أهلها ، فقبل ذلك على صلح دمشق . وبلغ أهل طبرية الخبر ، فصالحوهم على صلح دمشق ، على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن ، وما أحاط بها مما يصلها ، ونزلت القواد وخيولهم فيها ، وتم صلح الأردن ، وتفرقت الأمداد في مدائن الأردن وقراها ، وكتب إلى عمر بالفتح .

ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

قال السري : أول ما عمل به عمر أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة إلى أهل فارس ، ثم أصبح فبايع الناس ، وعاد فندب الناس إلى فارس ، وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاث ، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم . قال : وتكلم المثنى بن حارثة ، فقال : يا أيها الناس ، لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فإنا قد تبحبحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها . وقام عمر رحمه الله ، فقال : اين الطراء المهاجرون عن موعود الله ! سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : ﴿ ليظهره

على الدين كله ﴾ . فأمر أبا عبيد الجيش ، وقال له : اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب لا يصلحها إلا الرجل الذي يعرف الفرصة . قال السري : فكان أول بعث بعثه عمر بعث أبي عبيد ، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن وأمره باجلاء أهل نجران .

خبر النمارق

قال السري : فخرج أبو عبيد ومعه سعد بن عبيد ، وسليط بن قيس ، والمثنى بن حارثة . وقد كانت فارس تشاغلت بموت شهربراز عن المسلمين ، فملكت شاه زنان حتى اصطلحوا على سابور بن شهربراز بن أردشير ، فثارت به آزرميدخت ، فقتلته والفرخزاذ وملكت ـ ورستم بن الفرخزاذ بخراسان ـ فبعثت بوران بالخبر إلى رستم ، فأقبل في الناس حتى نزل المدائن ، فهزم جيش آزرميدخت وفقأ عينها ، ونصب بوران ودعته إلى القيام بأمر فارس . قال : وخرج المثنى في جماعة حتى ينزل خفان ، وأقام حتى قدم عليه أبو عبيد ، وقد اجتمع إلى جابان قائد الفرس بشر كثير ، فنزلوا على جابان بالنمارق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله أهل فارس ، وقسم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عطر كثير ونفل ، وبعث بالأخماس مع القاسم .

السقاطية بكسكر

قال السري : وقد كان رستم قد كتب إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين، ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البهقباذ الأسفل ، وبعث نرسي إلى كسكر ، ووعده يوماً . قال : فلما انهزم الفرس بالنمارق ، لجؤوا إلى نرسي بكسكر ، فنادى أبو عبيد بالرحيل حتى ينزل على نرسي بكسكر ، وقد أتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان ، فبعثوا إلى الجالنوس ، وبلغ ذلك نرسي وأهل كسكر ، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة ، وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية فأقتتلوا قتالاً شديداً . ثم إن الله هزم فارس ، وهرب نرسي ، وغلب على عسكره وأرضه ، وأخذت خزائن نرسي ، وجمع أبو عبيد الغنائم ، فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً ، فاقتسموه فجعلوا

يطعـمونه الفلاحين ، وبعثوا بخمسه إلى عمر رضي الله عنه .

وأقـام أبـو عـبـيـد وسرح المثنـى إلى بـلاد باروسما ، وبعث والقـاً إلى الزوابي وعـاصماً إلى نهر جـوبر ، فـهـزمـوا من كـان تجـمع وأخربوا وسبوا ، وهرب الجند إلى الجـالنوس ، ثم أنهم جميـعـاً خـرجـوا يطلبون الذمة من أبي عبيد ، فأعطياه عن كل رأس أربعـة ، فـفـعلوا وصـاروا صلحـاً . قال : وخرج أبو عبيد حتى ينزل بباروسما فـبلغـه مـسير الجـالنوس ، فلما دنا استـقبله أبو عبيد ، فنزل الجالنوس بباقسياثا من باروسما ، فنهـد إليـه أبو عبيد في المسلمين ، وهو على تعبيته ، فالتقوا على باقسياثا، فـهـزمهم المسلمون ، وهرب الجالنوس ، وغلب أبو عبيد على تلك البلاد .

وقعة القرقس

ويقـال لها القس قس الناطف ، ويقـال لها الجسر ، ويقال لها المروحة . قال الـسري : ولـما رجع الجـالنوس إلى رستم ومن أفلت من جنوده ، قـال رستم : أي العـجم أشـد على العـرب فيما ترون ؟ قالوا : بهمن جاذوية ، فوجهه ومعه فيلة ورد الجـالنوس معه ، وأقبل أبو عبيد ، فنزل المروحة ، على شاطىء الفرات، فبعث إليه بهمن جـاذويه أمـا أن تعبروا إلينا وندعـوكم والعـبور ، وإما أن تدعونا نعبر إليكم ! فـقـال الناس : لا تعبر يا أبا عـبيد . وقالوا له : قل لهم فليعبروا ، فلج أبو عبيد ، وترك الرأي وقـال: لا يكونون أجـرأ على الموت منا، بل نعبر إليـهم، فاقتتلوا يوماً . قـال : فلما نظرت الخيـول إلى الفـيلة عليـها النخل ، رأت شيئاً منكراً لم تكن ترى مـثله ، فـجـعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ، وإذا حملوا على المسلمين بالفـيلة فـرقت بين كـراديسـهم ، لا تقـوم الخيل إلا على نفـار . وخـزقـهم الفرس بالنشـاب ، فترجل أبو عـبيد وترجل الناس ، ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف، فـجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم ، فنادى أبو عبيد : احترشوا الفيلة ، وقـطـعـوا بطنهـا واقلبـوا عنهـا أهلهـا ، وواثب هو الفـيل الأبيض ، فـتـعلق ببطانه فـقطعـه، ووقع الذين عليـه ، وفـعل القـوم مـثل ذلك ، فما تركـوا فـيلاً إلا حطوا رحله ، وقـتلوا أصـحـابه ، وأهوى الفـيل لأبي عـبـيـد ، فضرب مـشفره بالسيف ، فـاتقـاه الفـيل بيـده ، فوقع فخبطه الفيل ، وقام عليه ، وركبهم أهل فارس ، فبادر رجل من ثقـيف إلى الجسر فـقطعـه ، فـانتـهى الناس إليـه والسـيـوف تأخـذهم من

خلفهم ، فتهافتوا في الفرات ، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف ، من بين غريق وقتيل ، وحمى المثنى الناس حتى عبروا الجسر ، وهرب من الناس بشر كثير على وجوههم ، وافتضحوا في أنفسهم ، واستحيوا مما نزل بهم ، وبلغ ذلك عمر عن بعض من أوى إلى المدينة ، فقال : أنا فئة كل مسلم ، يرحم الله أبا عبيد ! لو كان عبر فاعتصم بالخيف ، أو تحيز إلينا ولم يستقتل لكنا له فئة ! . قال : وبينما أهل فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أن الناس بالمدائن قد ثاروا برستم، ونقضوا الذي بينهم وبينه فصاروا فرقتين . قال وكان بين وقعة اليرموك والجسر أربعون ليلة.

خبر أليس الصغرى

قال السري : وخرج جابان ومردانشاه حتى أخذا بالطريق ، وخرج ذو الحاجب في آثارهم ، وبلغ المثنى فعلة جابان ومردانشاه ، فخرج في جريدة خيل يريدهما ، فظنا أنه هارب ، فاعترضاه فأخذهما آسيرين ، وخرج أهل أليس على أصحابهما ، فأتوه بهم أسراء ، وعقد لهم ذمة وقدمهما ، فضرب أعناقهما ، وضرب أعناق الأسرى ، ثم رجع إلى عسكره .

البويب

قال السري : وبعث المثنى بعد وقعة الجسر فيمن يليه من المددين ، فتوافوا إليه في جمع عظيم ، وبلغ رستم والفيرزان ذلك ، فاجتمعا على أن يبعثا مهران الهمذاني ، فخرج مهران في الخيول وأمرأه بالحيرة ، وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرج السباخ بين القادسية وخفان . قال : فاجتمع عسكر المسلمين على البويب مما يلي موضع الكوفة اليوم ، وهم بازاء مهران وعسكره . قال : فقام المثنى فيهم خطيباً ، فقال : إنكم صوام ، والصوم مرقة ومضعفة ، وإني أرى من الرأي أن تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم . قالوا : نعم ، فأفطروا . قال : ولما خرج المثنى طاف في صفوفه يعهد إليهم عهده ، وهو على فرسه ، ويأمرهم بأمره. ثم قال : إني مكبر ثلاثاً فتهيؤوا ، ثم احملوا مع الرابعة فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أول تكبيرة ، وحمل المثنى على

مهران ، فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم ، واجتمع القلبان وارتفع الغبار ، وأوجع قلب المسلمين في قلب المشركين ، وقتل غلام نصراني مهران واستوى على فرسه ، وانهزم الفرس ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ، ومن الغد إلى الليل . وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة ، قتل الله مهران وجيشه، وأعز الإسلام وأهله .

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق ، فإنه قال : لما انتهت إلى عمر بن الخطاب مصيبة أصحاب الجسر ، وقدم عليه فلهم ، قدم عليه جرير بن عبدالله البجلي من اليمن ، وعرفجة بن هرثمة من الأزد ، فكلمهم عمر ، فقال لهم : إنكم قد علمتم ما كان من المصيبة في إخوانكم بالعراق ، فسيروا إليهم وأنا اخرج إليكم من كان منكم في قبائل العرب فاجمعهم إليكم . قالوا : نفعل يا أمير المؤمنين، فأخرج لهم قيس كبة وسحمة وعرينة ، وكانوا في قبائل بني عامر بن صعصعة ، فسار عرفجة إلى البصرة ، وأمّر عمر على بجيلة جرير بن عبدالله ، فسار بهم إلى الكوفة وضم إليه عمر قومه من بجيلة ، فأقبل جرير حتى إذا مر قريباً من المثنى ، كتب إليه المثنى أن أقبل إلي ، فإنما أنت مدد لي ، فكتب إليه جرير : لست فاعلاً إلا أن يأمرني أمير المؤمنين ، أنت أمير وأنا أمير . ثم سار نحو الجسر ، فلقيه مهران بن باذان عند النخيلة ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، وشد المنذر بن حسان على مهران فطعنه ، فوقع عن دابته ، فاقتحم عليه جرير فاحتز رأسه ، قال: وقد وجه عمر سعد بن أبي وقاص إلى العراق في ستة آلاف أمره عليهم ، وكتب إلى المثنى وجرير أن يجتمعا إلى سعد ، وأمر سعد عليهما ، فسار سعد حتى نزل شراف ، وسار المثنى وجرير حتى نزلا عليه ، واجتمع إليه الناس .

خبر الخنافس

قال السري : ومخر المثنى السواد ، فبدأ فنزل أليس ـ قرية من قرى الأنبار ـ وهذه الغزاة تدعى غزاة الأنبار الآخرة، وغزاة أليس الآخرة، والز رجلان بالمثنى: أحدهما أنباري ، والآخر حيري يدله كل واحد منهما على سوق ، فأما الأنباري فدله على الخنافس ، وأما الحيري فدله على بغداد ، فاغار المثنى على الخنافس يوم سوقها ، فانتسف السوق وما فيها ، ثم رجع إلى الأنبار ، فتحصنوا منه ، فلما

عـرفـوا نزلوا إليـه فأتوه بالأعـلاف والزاد ، وأتوه بالأدلاء على بغـداد ، فـصـبح القوم في أسـواقـهـم ، فـوضع فـيـهم السيف فـقـتل من قـتل وقال المثنى : لا تأخذوا إلا الذهب والفـضـة ، ولا تأخـذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل منكم حمله على دابته . وهرب أهل الأسـواق ، ومـلأ المسلمـون أيديهم من الصفراء والبيضاء والحُـرّ من كل شيء ، ثم خـرج المثنى كـاراً حـتى نزل الأنبـار ، فأمـر بالغارة على أحياء من تغلب والنمـر بصـفين ، فـفر أهل صفين وعبروا الفرات إلى الجزيرة ، ثم إن المثنى استدلى على حي من تغلب ، فـداهمهم ليـلاً ، فـقـتلوا المقـاتلة ، وسـبـوا الذرية ، واستاقوا الأمـوال ، ثم تراجع الناس ، فأنحدر بهم المثنى إلى الحيرة ، فنزل بها .

ذكر الخبر عما هيج أمر القادسية

قـال السري : قـال أهل فـارس لرستم والفيرزان ، والمسلمون يمخرون السواد مـا تـنـتـظـرون والله إلا أن ينزل بنا ونهلك ! والله مـا جـر هذا الوهن علينا غيركم يا مـعـاشر القـواد ! لقد فرقتم بين أهل فارس ، ولئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشـتـفـينا منكم . قـال : فـقـال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى : اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه ونسـاء آل كسرى وسراريهم . فـفـعلت ، فأرسلوا في طلبـهن جميعاً ، فأخـذوهن بالرجـال ووضعوا عليهن العذاب يستدلونهن على ذكر من أبناء كسرى ، فـقلن : لم يبق إلا غـلام يدعى يزدجـرد من ولد شـهـريار بن كسرى ، فأرسلوا إليه فـجـاءوا به فـملكوه وهو ابن إحـدى وعشرين سنة ، واجـتـمـعـوا عليه ، واطمأنت فـارس واسـتـوثقـوا وتبـارى الرؤسـاء في طاعـتـه ومـعـونتـه ، وبلغ ذلك من أمـرهـم واجتماعـهـم على يزدجـرد المثنى والمسلمين . فكتـبـوا إلى عـمـر بما ينتظرون ممن بين ظهـرانيـهم ، فلم يصل الكتـاب إلى عـمر حتى كفر أهل السواد ، من كان له منهم عـهـد ومن لم يكن له منهم عـهـد . فـخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذي قار ، حـتى جـاءهم كـتـاب عمر ، أن اخرجوا من بين ظهري الأعاجم ، وتفرقوا في المياه الـتـي تـلي الأعـاجم على حـدود أرضكم وأرضـهـم . قـال : وكـتب عـمـر إلى عمال العـرب على الكور والقـبـائل، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاثة عشرة مخرجة إلى الحج: لا تدعـوا أحـداً له سـلاح ، أو فـرس ، أو نجـدة ، أو رأي إلا انتـخـبـتموه ، ثم وجـهـتـمـوه إلي ، والعـجل العـجل ! فمضت الرسل إلى من أرسلهم ، ووافاه أهل

هذا الضرب من القبائل التي طرقها على مكة والمدينة ، فأما من كان من أهل المدينة على النصف ما بينه وبين العراق ، فوافاه بالمدينة ، وأما من كان أسفل من ذلك فانضموا إلى المثنى بن حارثة .

ثم دخلت سنة أربع عشرة

قال السري : كان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن ، فكتب إليه عمر فيمن كتب إليه بانتخاب ذوي الرأي والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس ، فجاءه كتاب سعد . إني قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأي ، وكان عمر يطلب من المسلمين أن يشيروا عليه برجل ، ووافق كتاب سعد مشورتهم ، فقال عبدالرحمن بن عوف : وجدته ، فقال عمر : من هو ؟ قال : الأسد في براثنه، قال : من ؟ قال : سعد بن أبي وقاص ، فأرسل إليه ، فقدم عليه ، فأمره على حرب العراق وأوصاه . ثم سرحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين . فخرج سعد من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف ، ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألف من سائر الناس . قال : وأمد عمر سعداً بعد خروجه بألفي يماني وألفي نجدي من غطفان وسائر قيس ، فقدم سعد زرود في أول الشتاء فنزلها وتفرقت الجنود فيما حولها من أمواه بني تميم وأسد ، وانتظر اجتماع الناس ، وأمر عمر ، وانتخب من بني تميم والرباب أربعة آلاف ، ومن بني أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبُسيطة ، فأقاموا هنالك بين سعد ابن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة ، وكان المثنى في ثمانية آلاف ، فبينما الناس كذلك ، سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى ، والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى من جراحته التي كان جرحها في وقعة الجسر ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية . وسعد يومئذ بزرود ، ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، فردهم مع سعد .

قال : فمن أجل ذلك اختلف الناس في عدد أهل القادسية ، فمن قال : أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة ، ومن قال : ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزرود ، ومن قال : تسعة آلاف فللحاق القيسيين ، ومن قال : اثنا عشر ألفاً فلدنوف بني أسد بثلاثة آلاف . وأمر سعد بالأقدام ، فأقدم ونهض إلى العراق

وجموع الناس بشراف ، وقدم عليه مع قدومه شراف الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن ، فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً ، وجميع من قسم عليه فيء القادسية نحو من ثلاثين ألفاً .

قال : فلما فرغ سعد من تعبيته ، وعد لكل شيء من أمره جماعاً ورأساً ، كتب بذلك إلى عمر ، وكان من أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالذي جمع عليه الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شراف إلى القادسية ، قدوم المعَنّى بن حارثة وسلمى بنت خصفة التيمية إلى سعد بوصية المثنى ، وكان قد أوصى بها ، وأمرهم أن يعجلوها على سعد ، فقدموا عليه وهو بشراف ، يذكر فيها (الوصية) أن رأيه لسعد ألا يقاتل عدوه من أهل فارس في عقر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم ، فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة ، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم ، واجرأ على أرضهم ، إلى أن يرد الله الكرة عليهم . فلما انتهى إلى سعد رأي المثنى ووصيته ترحم عليه ، وأمر المعنى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً ، وخطب سلمى فتزوجها وبنى بها ، وقدم على سعد كتاب عمر بمثل رأي المثنى ، غير أنه قال له : صف لنا منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين المدائن . فكتب إليه سعد بصفة البلدان : إن القادسية بين الخندق والعتيق ، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين ، فأما أحدهما فعلى الظهر ، وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الحضوض ، وما عن يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم . وإن الذي أعدوا لمصادمتنا رستم في أمثال له منهم . فكتب إليه عمر : أن أقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك .

ولما عسكر رستم بساباط كتب سعد بذلك إلى عمر . قال السري : وخرج رستم في عشرين ومائة ألف ، كلهم متبوع ، وكانوا باتباعهم أكثر من مائتي ألف ، وخرج من المدائن في ستين ألف متبوع . قال : ولما نزل بساباط وجمع آلة الحرب وأدتها بعث على مقدمته الجالنوس في أربعين ألفاً ، واستعمل على ميمنته الهرمزان ، وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازي ، وعلى ساقته البيرزان . قال : ولما اطمأن رستم أمر الجالنوس أن يسير من النجف ، فسار في المقدمات ، فنزل فيما بين النجف والسيلحين ، وارتحل رستم ، فنزل النجف ـ وكان بين خروج رستم من

المدائن وعسكرته بساباط وزحفه منها إلى أن لقي سعداً أربعة أشهر ، لا يقدم ولا يقاتل ـ رجاء ان يضجروا بمكانهم ، فعزف عمر أن القوم سيطأولونهم ، فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أرضهم ، وأن يطأولوهم أبداً حتى ينغضوهم، فنزلوا القادسية ، وقد وطنوا أنفسهم على الصبر والمحاولة ورأى رستم أن ينزل بين العتيق والنجف ، ثم يطأولهم مع المنازلة ، ورأى أن ذلك أمثل ما هم فاعلون ، حتى يصيبوا من الاحجام حاجتهم ، أو تدور لهم سعود .

قال السرى : فلما أصبح رستم من الغد من يوم نزل السيلحين ، ارتحل إلى العتيق ، فبات بها تلك الليلة والمسلمون ممسكون عنهم ، فلما أصبح رستم من ليلته، أصبح راكباً في خيله ، فنظر إلى المسلمين ، وأرسل إليهم رجلاً ، أن رستم يقول لكم أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فأرسل إليه سعد المغيرة بن شعبة . قال : فلما دخل على رستم ، وقام الترجمان بينهما ، تكلم رستم فقال : إني قد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم ، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم ، وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين ، وتنصرفون عنا ، فإني لست أشتهي أن اقتلكم ولا أسركم . فتكلم المغيرة بن شعبة، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً ، فصدقناه وآمنا به ، وأمرنا بالجهاد في سبيله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن آبى قاتلناه أبداً ، حتى نفضى إلى موعود الله . ثم قال : فإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبداً تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإلا فالسيف إن أبيت ! فنخر نخرة ، واستشاط غضباً ، ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصبح غداً حتى أقتلكم أجمعين . قال : ثم نادى رستم أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقال المغيرة : بل اعبروا إلينا .

يوم أرماث

قال السري : ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم ، وجلس رستم على سريره، وعبى في القلب ثمانية عشر فيلاً ، عليها الصناديق والرجال ، وفي المجنبتين

ثمانيـة وسـبـعـة ، عليـها الصناديق والرجال ، قال : وبقيت القنطرة بين خيلين من خيـول المسلمين وخيـول المشركين ، وأخذ المسلمون مصافهم ، وكان سعد يومئذ لا يستطيع أن يركب ولا يجلس ، به حبُون ، فإنما هو على وجـهه في صدره وسادة ، هو مكب عليـهـا ، مشرف على الناس من القصر ، يرمي بالرقـاع فيها أمره ونهيه ، إلى خـالد بن عـرفطة ، وهو أسفل منه ، وكـان سـعـد قـد استخلفه على الناس ، فـاخـتلفـوا عليـه ، وكـان ممن شـغب عليـه وجـوه من وجـوه الناس ، فقال سعد : احملوني ، واشرفـوا بي على الناس ، فـارتقـوا به ، فأكب طلعاً عليـهم ، فـشـتم من شغب منهم فحبسهم ـ ومنهم أبو محجن الثقفي ـ وقيدهم في القصر . قال : وكتب سـعـد إلى الرايات : إني قـد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة ، وليس يمنعني أن أكـون مكانه إلا وجـعي الذي يعـودني ومـا بي من الحبـون ، فإني مكب على وجهي وشخصي لكم باد ، فـاسـمـعـوا له وأطيـعـوا ، فإنه إنما يأمركم بأمـري ، ويعمل برأيي . فـقـرىء على الناس فـزادهـم خيراً ، وانتـهـوا إلى رأيه ، وقبلوا منه وتحاثوا على السـمع والطاعة ، وأجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع .

قـال : وتعـاهد الفـرس وتواصـوا ، واقترنوا بالسـلاسل ، فكانوا عشرين ومائة ألف ، مـعـهـم ثلاثون فيلاً ، مع كل فيل أربعة آلاف . قال : وكان صف المشركين على شـفير العتيق ، وكان صف المسلمين مع حائط قُـديْـس ، الخندق من ورائهم . قـال : وقـال سـعـد : الزمـوا مـواقـفكم ، لا تحركوا شيئاً حتى تصلوا الظهر ، فإذا صليـتم الظهـر فإني مكبر تكبيرة ، فكبروا واسـتـعـدوا ، فإذا سمعتم الثانية ، فكبروا ولتـسـتـتم عـدتكم ، فإذا كبرت الثالثة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا: لا حـول ولا قـوة إلا بالله ! . قـال : ولما صلى سـعد الظهر أمر أحد القراء أن يقرأ سـورة الجـهـاد ، فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها ، فلما فرغ من ذلك ، كبر سـعد ، فكبر الذين يلونه تكبيرة ، وكبر بعض الناس بتكبير بعض، ثم ثنى فـاسـتـتم الناس ، ثم ثلث فبرز أهل النجـدات فأنشبوا القتال ، وخرج من أهل فـارس أمـثـالهم، فاعتوروا الطعن والضرب، وخرج غالب بن عبدالله الأسدي، فـخـرج إليـه هرمـز فأسره غـالب أسراً ، فـجاء سعداً، فادخل، وانصرف غالب إلى المطاردة. قـال ولما تكتبت الكتـائب بعد الطراد حمل أصحاب الفيلة عليهم، ففرقت بين الكتـائب، فـابذعـرت الخيل، فكادت بجيلة أن تؤكل، فرت عنها خيلها نفاراً،

فأرسل سعد إلى بني أسد : ذببوا عن بجيلة ومن لافها من الناس ، فشدو عليهم فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسوا الفيلة عنهم ، فأخرت .

قال : فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة ، فزحف إليهم المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد ، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول ، فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد ، فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو ، فقال : أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ! قالوا : بلى والله ، ثم نادى عاصم في رجال من قومه رماة وآخرين ، فقال لهم : يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل ، وقال للآخرين : استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها ، وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد ، وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة ، فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها ، فقطعوا وضنها ، وارتفع عواؤهم ، فما بقي لهم يومئذ فيل إلا أعري ، وقتل أصحابها ، وتقابل الناس ونفس عن أسد ، وردوا فارس عنهم إلى مواقفهم ، فأقتتلوا حتى غربت الشمس ، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء ، وأصيب من أسد خمسمائة ، وهذا يومها الأول وهو يوم أرماث .

يوم أغواث

قال السري : وكان سعد قد تزوج سلمى أمرأة المثنى بن حارثة بشراف ، فنزل بها القادسية ، فلما كان يوم أرماث ، وجال الناس ، ورأت سلمى ما يصنع أهل فارس ، قالت : وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم ! فلطم سعد وجهها ، وقال : أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى ! فقالت : أغيرة وجبنا ! قال : والله لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بي من المرض . قال : ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية ، وقد وكل سعد رجالاً بنقل الشهداء والجرحى ، فأما الجرحى فأسلموا إلى النساء يقمن عليهم ، وأما الشهداء فدفنوهم هنالك على مشرق ـ وهو واد بين العذيب وبين عين الشمس في عدوتيه جميعاً . فلما استقلت بهم الإبل وتوجهت بهم نحو العذيب طلعت نواصي الخيل من الشام ـ وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر ـ فلما قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بصرف أهل العراق أصحاب خالد ، ولم يذكر خالداً ضن بخالد فحبسه وسرح الجيش ، وهم ستة آلاف ، وأمر عليهم هاشم بن عتبة ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ،

فانجذب القعقاع وطوى وتعجل ، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث ، فتقدم ثم نادى : من يبارز ؟ فخرج إليه ذو الحاجب ، وهو بهمن بن جاذويه ، فاجتلدا، فقتله القعقاع ، وجعلت خيله ترد قطعاً ، وتنشط الناس ، وكأن لم يكن بالأمس مصيبة ، ونادى القعقاع ثانية : من يبارز ؟ فخرج إليه رجلان : أحدهما البيرزان، والآخر البندوان ، فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان ، فبارز القعقاع البيرزان، فضربه فأذرى رأسه ، وبارز ابن ظبيان البندوان ، فضربه فأذرى رأسه ، وتوردهم فرسان المسلمين ، وتشايعوا إليهم، فاجتلدوا بها حتى المساء. فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً مما يعجبهم، وأكثر المسلمون فيهم القتل، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل، كانت توابيتها تكسرت بالأمس، فأستأنفوا علاجها حتى كان الغد.

قال : وقتل القعقاع في يوم أغواث ثلاثين في ثلاثين حملة ، فكان آخرهم بزرجمهر الهمذاني ، وبارز الأعور بن قطبة شهربرازسجستان ، فقتل كل واحد منهما صاحبه ، ولم يزل المسلمون يرون في يوم أغواث في القادسية الظفر ، وقتلوا فيه عامة أعلامهم . قال : فكانت ليلة أرماث تدعى الهدأة ، وليلة أغواث تدعى السواد ، ولما اشتد القتال بالسواد ، وكان أبو محجن قد حبس وقيد ، فهو في القصر ، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعضيه ويستقيله ، فزبره ورده ، فنزل ، فأتى سلمى بنت خصفة ، فقال : يا سلمى ، هل لك من خير ؟ قالت : وما ذاك؟ قال : تخلين عني وتعيرينني البلقاء ، فلله عليّ إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي ، فقالت : وما أنا وذاك ! فرجع يرسف في قيوده . ثم إن سلمى رجعت إليه فقالت : إني استخرت الله ورضيت بعهدك ، فاطلقته . وقالت : أما الفرس فلا أعيرها ، ورجعت إلى بيتها ، فاقتادها فأخرجها من باب القصر ، ثم دب عليها ، حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين ، فحمل على القوم وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النهار . وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس : والله لولا محبس أبي محجن لقلت : هذا أبو محجن وهذه البلقاء ! وقال بعض الناس : إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر ، وقال بعضهم : لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا ملك، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس ، وتراجع المسلمون ، وأقبل أبو محجن

حتى دخل من حيث خرج ، وأعاد رجليه في قيديه . قال : ولم تزل سلمى مغاضبة لسعد عشية أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد ، حتى إذا أصبحت أتته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبي محن ، فدعا به فاطلقه .

يوم عِماس

قال السري : فأصبحوا من اليوم الثالث ، وهم على مواقفهم ، وأصبحت الأعاجم على مواقفهم ، وقد قتل من المسلمين ألفان ، ومن المشركين عشرة آلاف. وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ، ويبلغون الجرحى إلى النساء ، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين : يوم أغواث ، ويوم أرماث ، فدفن ألفان وخمسمائة من أهل القادسية وأهل الأيام . قال : وبات القعقاع ليلته كلها يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه من الأمس ، ثم قال : إذا طلعت لكم الشمس ، فأقبلوا مائة مائة ، كلما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة ، ففعلوا ، ولا يشعر بذلك أحد ، فلما ذر قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل ، وطلعت نواصيها كبر وكبر الناس ، وقالوا : جاء المدد ، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها ، فتقدم الفرسان ومددهم متتابع حتى طلعوا في سبعمائة . قال : وقد بات المشركون في علاج توابيتهم ، حتى أعادوها ، وأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفيلة تفرق بين الكتائب وعادت لفعلها يوم أرماث، فلما رأى سعد ذلك، سأل بعض رجال الفرس الذين أسلموا: هل لها مقاتل ؟ فقالوا: نعم، المشافر والعيون لا ينتفع بعدها . فأرسل إلى القعقاع وعاصم أكفياني الأبيض ، وأرسل إلى حمال والربيل: أكفياني الفيل الأجرب، فحمل القعقاع وعاصم على الفيل الأبيض وهو متشاغل بمن حوله ، فوضعا رمحيهما معاً في عيني الفيل الأبيض، فطرح سائسه ودلى مشفره فنفحه القعقاع ، فقتلوا من كان عليه وفعل حمال والربيل فعلهما، فانهزمت الفيلة .

قال : فلما ذهبت الفيلة ، وخلص المسلمون بأهل فارس، ومال الظل تزاحف المسلمون، فلما أمسى الناس من يومهم ذلك، اشتد القتال وصبر الفريقان، فخرجا على السواء ، فسميت ليلة الهرير . قال : اجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى الصباح لا ينطقون ، كلامهم الهرير ، فسميت ليلة الهرير ، ولم يكن قتال بليل بعدها بالقادسية .

ليلة القادسية

قال السري : وأصبحوا ليلة القادسية ، وهي صبحة ليلة الهرير ، والناس حسرى ، لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع في الناس ، فقال : إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة واحملوا ، فإن النصر مع الصبر ، فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء ، وصمدوا لرستم ، حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح ، ولما رأت ذلك القبائل من المسلمين ، فعلوا فعلهم . قال : وهبت ريح عاصف ، ومال الغبار على المشركين ، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير الذي يجلس عليه رستم ، فعثروا به ، وقد قام رستم عنه إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة ، فاستظل في ظل بغل وحمله ، وضرب هلال بن علفة الحمل الذي رستم تحته ، فقطع حباله ، ووقع عليه أحد العدلين ، فمضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه ، واقتحمه هلال عليه ، فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال ، وصعد السرير ، ثم نادى : قتلت رستم ورب الكعبة ، وكبروا وتنادوا ، وانبت قلب المشركين عندها وانهزموا ، وقام الجالنوس على الردم ، ونادى أهل فارس إلى العبور ، وانسفر الغبار ، فأما المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم ، فما افلت منهم مخبر ، وهم ثلاثون ألفاً . قال : وأصيب من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة ، وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف من المسلمين فدفنوا في الخندق بحيال مشرق . قال : ولما انكشف أهل فارس تبعهم المسلمون ، فلحق سعد زهرة بالجالنوس فقتله وأخذ سلبه ، ثم رجعوا فباتوا بالقادسية . قال : فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب بالفتح وبعدة من قتلوا ومن أصيب من المسلمين .

حديث ابن إسحاق

قال : دخل أبو عبيدة في سنة أربع عشرة دمشق ، فشتا بها ، فلما أصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل انطاكية ، وبعث الصقلار فسار بمئة ألف مقاتل ، وسار إليهم المسلمون وهم أربعة وعشرون ألفاً عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم إن الله تعالى أنزل نصره ، فهزمت الروم وأصيب منهم سبعون ألفاً ، وقتل الله

الصقلار وباهان . قال : وكتب عمر إلى أبي عبيدة : أن أمد سعد بن أبي وقاص أمير العراق بألف رجل من عندك ، ففعل أبو عبيدة وأمر عليهم عياض بن غنم الفهري . قال : وسار سعد إلى رستم حين سمع به حتى نزل قادس ـ قرية إلى جانب العذيب ـ ونزل سعد في قصر العذيب ، وأقبل رستم في جموع فارس ستين ألفاً ، حتى نزل القادسية ، وسعد في منزله وجع ، قد خرج به قرح شديد ، ومعه أبو محجن الثقفي محبوس في القصر حبسه في شرب الخمر ، فلما أن نزل رستم بعث إلى المسلمين أن ابعثوا إلي رجلاً منكم اكلمه ، فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة فكلمه رستم ، فقال : أعلم أن الذي حملكم على هذا معشر العرب الجهد الذي قد أصابكم ، فارجعوا عنا عامكم هذا ونحن نوقر لكم ركائبكم قمحاً وتمراً ، ونأمر لكم بكسوة ، فارجعوا عنا عافاكم الله ! .

فقال المغيرة بن شعبة : إنا جئنا ندعك إلى أن تؤمن بالله ورسوله ، وتدخل في ديننا ، فإن فعلت كانت لك بلادك ، لا يدخل عليك فيها إلا من أحببت ، وعليك الزكاة والخمس ، وإن أبيت ذلك فالجزية ، وإن أبيت ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال رستم : لا أمسي غداً حى أفرغ منكم وأقتلكم كلكم. قال : وتعبى له المسلمون ، فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن عرفطة ، ثم زحف إليهم رستم ، وزحف إليه المسلمون ، فأقتتلوا قتالاً شديداً ، وسعد في القصر ينظر ، معه سلمى بنت خصفة ، وكانت قبله عند المثنى بن حارثة ، فجالت الخيل ، فرعبت سلمى ، فقالت : وامثنياه ولا مثنى لي اليوم ! فغار سعد فلطم وجهها . فقالت : أغيرة وجبنا ! فلما رأى أبو محجن ما تصنع الخيل ، وهو ينظر من قصر العذيب مع سعد ، كلم زبراء أم ولد سعد ، وكان عندها محبوساً ، وسعد في رأس الحصن ينظر إلى الناس ، فقال : يا زبراء أطلقيني ولك علي عهد الله وميثاقه ، لئن لم أقتل لأرجعن إليك حتى تجعلي الحديد في رجلي ، فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلقاء وخلت سبيله ، فجعل يشد على العدو وسعد ينظر ، فجعل سعد يعرف فرسه وينكرها ، فلما أن فرغوا من القتال ، وهزم الله جموع فارس ، رجع أبو محجن إلى زبراء ، فادخل رجله في قيده ، فلما نزل سعد من رأس الحصن ، رأى فرسه تعرق ، فعرف أنها ركبت ، فسأل عن ذلك زبراء ، فأخبرته خبر أبي محجن فخلى سبيله .

قـال : وقـتل الله رستم ، قتله هلال بن علفة التيمي ، وولت الفرس فاتبعهم المسلمـون ، وشـد على جـالنوس زهرة بن حوية التميمي فقتله ، وانهزمت الفرس ، فـاتبـعـهم المسلمـون حـتى انتـهـوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس ، فكانت وقعة جلولاء بها ، فـهـزم الله الفـرس ، وأصـاب المسلمون بها من ألفيء أفضل مما أصابوا بالقـادسـية ، ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين . قال : وارتحل سعد بالناس حـتى نزل مـوضع الكوفـة اليـوم ، وخط مـسـجـدها ، وخط فـيـهـا الخطط للناس. وقـد كـان عـمـر بن الخطاب خـرج في تلك السنة إلى الشام فنزل الجابية ، وفـتحت عليه ايلياء ، مدينة بيت المقدس ، وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلة ابن الطفـيل السلمي إلى حمص ، فـفـتـحـهـا الله على يديه ، واستعمل سعد بن أبي وقـاص على المدائن رجلاً من كندة ، يقال له شرحبيل بن السمط .

ذكر أحوال أهل السواد

قـال السري : فـتح الله السواد عنوة ، وكذلك كل أرض إلا الحصون ، فجلا أهلهـا ، فـدعـوا إلى الصلح والذمـة ، فأجـابوا وتراجـعـوا ، فصاروا ذمة ، وعليهم الجـزاء ، ولهـم المـنـعـة ، وذلك هو السنة ؛ كـذلك صنع رسـول الله صـ ا الله عليـه وسلم بدومـة ، وبقي مـا كـان لآل كسرى ومن خرج معهم فيئاً لمن أفاءه الله عليه . قـال : ولا يكون شيء من الفـتـوح فـيئاً حـتى يقسم ، وهو قوله تعالى ﴿ ما غنمتم من شيء ﴾ ، مما اقـتـسـمـتم . قـال الواقدي : كانت وقعة القادسية وافتتاحها سنة سـتـة عشرة ، وكـان بعض أهل الكوفة يقول كانت وقعة القادسية سنة خمس عشرة . قال أبو جعفر : والثبت عندنا أنها كانت في سنة أربع عشرة .

ذكر بناء البصرة

قـال أبـو جـعـفـر : وفي هذه السنة ـ أعني سنة أربع عشرة ـ وجـه عـمـر بن الخطاب عـتـبـة بن غـزوان إلى البصرة ، وأمـره بنزولها بمن مـعـه ، وقطع مادة أهل فـارس عن الذين بالمدائن ونواحيها . قال السري : قال عمر لعتبة : قد فتح الله عز وجل على إخـوانكم الحيرة ومـا حـولها ، ولست أن يمـدهـم إخوانهم من أهل فارس، فإني أريد أن أوجـهك إلى البصرة لتـمنع أهلك تلك الجـيـزة من أمـداد إخـوانهم على

إخـوانـكم وتقـاتلهم ، لعل الله أن يفـتح عليكم . قـال : فأقـبل عـتـبـة في ثلاثمائة وبضـعـة عشر رجـلاً ، وضـوى إليـه قوم من الأعراب وأهل البوادي ، فقدم البصرة في خمـسمائة ، فـنـزلهـا في شـهـر ربيع الأول ـ أو الآخـر ـ سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فـيـهـا حـجـارة بيض خـشـن ، فنزل الخريبة ، وليس بها إلا سبع دساكر ، فكتب إلى عمر ، ووصف له منزله ، فكتب إليه عمر ، اجمع الناس مـوضعاً واحداً ، ولا تفرقهم ، فأقام عتبة شهراً لا يغزو ولا يلقى أحداً .

قـال : وكـان إيطان أهل البصرة البصرة اليـوم وإيطان أهل الكوفة الكوفة اليوم في شـهـر واحد . فأما أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولهم المدائن الى أن وطنوها ، وأما أهل البصرة فكان مقامهم على شـاطيء دجلة . ثم أرزوا مـرات حتى استقروا وبدؤوا ، فـخنسـوا فـرسـخـاً وجروا معهم نهراً ، ثم فرسخاً ثم جروه ثم فرسخاً ، ثـم جـروه ثـم أتـوا الحـجـر ، ثـم جـروه ، واخـتـطت البصرة على نحـو من خطط الكوفة، وكان على انزال البصرة أبو الجـرباء عـاصم بن الدلف . قـال : واسـتعمل عـمـر على البصرة عقبة بن غزوان ، فكانت امارته عليها ستة أشهر ، واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شـعـبـة فـبقي سنتين ، ثم استعمل أبا موسى ، وقيل استعمل بعـد عتبة أبا موسى ، وبعده المغيرة ، وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وكان على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى اليمن يعلى بن أمية ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقـاص ، وعلى الشـام أبو عـبـيـدة بن الجـراح ، وعلى البـحـرين عـثمان بن أبي الغاص - وقيل : العلاء بن الحضرمي - وعلى عُـمان خذيفة بن محصن .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

ذكر الوقعة بمرج الروم

قال أبو جعفر : خرج أبو عبيدة بخالد بن الوليد من فحل إلى حمص ، فـنـزلوا على ذي الكـلاع ، وقـد بلـغ الخـبر هـرقـل ، فـبعـث تـوذرا البطـريـق حتى نزل بمرج دمشق وغربها ، وبعث شنس الرومي ، حتى نـزل بمـرج الروم ، وأتي خـالدا الخبر أن توذرا قـد رحل إلى دمـشق ، فـاجمع رأيه ورأي أبي عـبـيـدة أن يتـبعه خـالد ، فـاتبـعـه خـالد ، وقـد بلغ يزيد بن أبي سفيان الذي فعل توذرا ، فاستقبله فـاقـتـتلوا ، ولحق بهم خـالد وهم يقـتـتلون ، فأخـذهـم من خلفـهـم ، فأفنوهم عن

آخـرهم ، وقتل خالد توذرا ، وعاد إلى أبي عـبيدة ، وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خـالد شنـس الرومي ، فـاقـتتلوا بمرج الروم ، فقتلهم مقتلة عظيمة وقتل أبو عبيدة شنس ، وامـتلأ المرج من قتلاهم ، فأنتنت منهم الأرض ، وهرب من هرب .

ذكر فتح حمص

قـال سيـف : ولما بلغ هرقل الخبر بمـقتل أهل المرج ، أمر أمير حمص بالسير والمضي إلى حمص ، وقـال : إنه بلغني أن طعـامـهم لحـوم الإبل ، وشرابهم ألبانها ، وهـذا الشـتـاء فـلا تقـاتلوهم إلا في كل يوم بارد . وارتحل من عـسكره ذلك ، فأتى الـرهاء ، وأخـذ عامـله بحمـص ، وأقبـل أبو عبيدة حتى نزل على حمص ، وأقبل خـالـد بـعـده ، فـكـانـوا يـغـادون المـسـلـمين ويراوحـونهم في كل يوم بارد ، ولقي المسـلمـون بها بـردا شـديـدا ، والروم حـصـاراً طويلاً ، فأمـا المسلمـون فـصبروا ورابطوا، حتى اضطرب الشتاء ، وإنما تمسك القـوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء. قـال أشـيـاخ من غسان وبلقين : أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زلزل بـأهـل حمص ، وذلك أن المسلمين ناهدوهم ، فكبروا تكبيرة زلزلت مـعـهـا الروم في المدينة، فنادوا : الصلح الصلح ! ولا يشـعـر المسلمون بها حدث ، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمـون أمـوال الروم وبنيانهم ، فصالح بعضـهم على صـلح دمشـق على دينـار وطعـام ، على كـل جريـب أبـدا أيسـروا أو أعسروا، وكـذلك كـان صلح دمشق والأردن .

حديث قنسرين

قـال أبو عثمان: وبعث أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين، فلما نزل بالحـاضر زحف إليـهم الروم ، وعليـهم مـيناس ، فـالتقوا بالحاضر ، فقتل مـيناس ومن معه مقتلة لم يقتلوا مثلها ، فأما الروم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحـد ، وأما أهل الحاضر فأرسلوا إلى خـالد أنهم عرب ، وأنهم إنما حشروا ولم يكن مـن رأيهم حـربه ، فقبل منهم وتركهم ، وسار خالد حتى نزل قنسرين ، فصالحوه على صـلح حمص ، فأبى إلا على اخراب المدينة فأخربها ، فعند ذلك خنس هرقل ، وخـرج نحـو القسطـنطينـيـة .

ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية

قال عبادة وخالد : ولما توجه المسلمون نحو حمص ، عبر هرقل الماء ، فنزل الرهاء ، فلم يزل بها حتى طلع أهل الكوفة وفتحت قنسرين وقتل ميناس ، فخنس عند ذلك إلى شمشاط ، حتى إذا فصل منها نحو الروم ، نظر إلى سورية ، وقال: عليك السلام يا سورية ، سلاما لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا . قال أبو الزهراء : ومضى حتى نزل القسطنطينية ، وأخذ أهل الحصون التي بين اسكندرية وطسوس معه ، لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم ، وشعث الحصون ، فكان المسلمون لا يجدون بها أحداً ، وربما كمن عندها الروم ، فأصابوا غرة المتخلفين ، فاحتاط المسلمون لذلك .

ذكر فتح قيسارية وحصر غزة

قال أبو عثمان وغيره : لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص من فحل ، نزل عمرو وشرحبيل على بيسان فافتتحاها ، وصالحته الأردن ، واجتمع عسكر الروم بأجنادين وبيسان وغزة ، وكتبوا إلى عمر بتفرقهم ، فكتب إلى يزيد بأن يدفيء ظهورهم بالرجال ، وأن يسرح معاوية إلى قيسارية . وكتب إلى عمرو يأمره بصدم الأرطبون ، وإلى علقمة بصدم الفيقار . قالوا : وسار معاوية إلى قيسارية ، فأقتتلوا في حفيظة واستماتة ، فبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفا ، وكملها في هزيمتهم مائة ألف ، وبعث بالفتح إلى عمر بن الخطاب .

ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين

قالوا : وسار عمرو بن العاص ، فخرج حتى ينزل على الروم بأجنادين ، والروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرطبون ، وقد كان وضع بالرملة جندا عظيما ، وبايلياء جندا عظيما ، وكتب عمرو إلى عمر بالخبر ، فجعل عمر يمده بالرجال ، فكتب إلى يزيد أن يبعث معاوية إلى قيسارية ، ليشغلهم عن عمرو ، وكان عمرو قد استعمل علقمة بن حكيم ومسروق العكي على قتال أهل إيلياء ، فشغلوهم عن عمرو ، وبعث أبا أيوب المالكي إلى الرملة ، وعليها التذارق . قالوا: وصمد عمرو بن العاص إلى الأرطبون ، فالتقوا بأجنادين ، فاقتتلوا قتالا

شـديدا كـقـتـال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم ، فأنهزم أرطبون في الناس فأوى إلى إيلياء ، ونزل عمرو أجنادين .

قالوا : وكتب أرطبون إلى عـمـرو بأنك صديقي ونظيري ، والله لا تفتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين ، فارجع ولا تغر فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة. فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية ، فأرسله إلى أرطبـون ، وأمره أن يغرب ويتنكر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرني به إذا رجعت إن شاء الله . وكتب إليه : جاءني كـتـابك ، وقـد علمت أني صـاحب فـتح هذه البلاد ، واستعدي عليك فلانا وفلانا وفـلانا - لوزرائه - فأقـرئهم كتابي ، ولينظروا فيما بيني وبينك . فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرطبـون فـدفع اليه الكتاب بمشهد من النفر ، فافترأه فضحكوا وتعـجـبـوا ، وأقـبلوا على أرطبـون ، فـقـالوا : من أين علمت أنه ليس بصـاحبها ؟ قال: صاحبها رجل اسمه (عمر) ثلاثة أحرف ، فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عـمر ، فكـتب عمـرو إلى عـمـر يستمده ، ويقول : اني أعالج حربا كؤودا صدوما وبـلاداً ادخـرت لك ، فرأيـك ، فنـادى عمر في الناس ، ثم خرج فيهم حتى نزل الجابية ، وقد كتب إلى امـراء الأجناد أن يوافـوه به ، فلقوه حيث رفعت لهم الجابية، وكـان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد ، وبقي عمرو وشرحبيل بأجنادين .

ذكر فتح بيت المقدس

قـال سـالم بن عـبدالله: لما قدم عمر رحمه الله الجابية ، قال له رجل من يهود: يا أمير المؤمنين ، لا ترجع إلى بلادك حـتى يفتح الله عليك إيلياء ، فبينما عمر بها ، إذ نظر إلى كـردوس من خـيل مـقـبل ، فلما دنوا منه سلموا السيوف ، فقال عمر : هـؤلاء قـوم يستـأمنـون ، فأمنوهم ، فأقبـلوا فإذا هـم أهل إيلياء ، فصالحوه على الجـزية . قـال خـالد وعـبـادة : وكـتـب لهم فيها الصلح لكل كورة كتابا واحدة ، ما خـلا أهل إيليـاء . فقد كتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبدالله عمـر أمـير المؤمنـين أهـل إيليـاء من الأمـان ، أعطـاهم أمـانا لأنفـسهم وأموالهم ، ولكنائسـهم وصلبـانهم ، وسـقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهـدم ، ولا يـنتـقص منهـا ولا من حـيـزها ، ولا من صليـبـهم ، ولا من شيء من أمـوالهم ، ولا يكرهـون على دينـهم ولا يضـار أحد منهم، ولا يسكن بايلياء معهم

أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم والصوت ، فمن خرج منهم فإنه أمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا اعطوا الذي عليهم من الجزية ، شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان . وكتب وحضر سنة خمس عشرة .

قال سالم : ثم أن عمرا استعمل علقمة بن مجزر على إيلياء وعلقمة بن حكيم على الرملة في الجنود التي كانت مع عمرو ، وضم عمرا وشرحبيل اليه بالجابية . قال عبادة وخالد : ثم شخص عمر إلى بيت المقدس من الجابية ، وفتحت إيلياء وأرضها كلها على يديه ، ما خلا أجنادين فإنها فتحت على يدي عمرو ، وقيسارية على يدي معاوية . قال أبو مريم مولى سلامة : ثم مضى عمر حتى دخل المسجد ، فمضى نحو محراب داود ، ونحن معه ، فدخله ثم قرأ سجدة داود فسجد وسجدنا معه . وقال رجاء بن حيوة : صلى عمر بالناس ، وقرأ بهم (ص) وسجد فيها ، ثم قام ، وقرأ في الثانية صدر (بني اسرائيل) ثم ركع ثم انصرف . قالوا : ولحق أرطبون بمصر مقدم عمر الجابية ، ولحق به من أحب ممن أبى الصلح ، ثم لحق عند صلح أهل مصر ، وغلبهم بالروم في البحر ، وبقي بعد ذلك ، فكان يكون على صوائف الروم ، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضريس ، فقطع يد القيسي ، وقتله القيسي .

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض ، ودون الدواوين ، وأعطى العطايا . قال أبو جعفر : ولما أراد عمر وضع الديوان ، قال له علي وعبدالرحمن

ابن عوف : ابدأ بنفسك ، قال : لا ، بل أبدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الأقرب فالأقرب ، ففرض للعباس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى ما قبل القادسية ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف . ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ، وفرض لأهل البلاء البارع منهم ألفين وخمسمائة ، ألفين وخمسمائة ، وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ، ثم فرض للروادف : المثنى خمسمائة خمسمائة ، ثم للروادف الثليث بعدهم ، ثلثمائة ثلثمائة ، وللروادف الربيع مائتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم مائتين ، وكان قد فرض للعباس خمسة وعشرين ألفا ، وأعطى نساء النبي عشرة آلاف عشرة آلاف ، وجعل نساء أهل بدر في خمسمائة ، ونساء من بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة ، ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ثلاثمائة ، ونساء أهل القادسية مائتين ، ثم سوى بين النساء بعد ذلك ، وجعل الصبيان سواء على مائة ، ثم جمع ستين مسكينا ، واطعمهم الخبز ، فأحصوا ما أكلوا ، فوجدوه يخرج في جريبتين ، ففرض لكل منهم ولعياله جريبتين في الشهر .

وقال قائل : يا أمير المؤمنين ، لو تركت في بيوت المال عدة لكون إن كان ! فقال : كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها ، وهي فتنة لمن كان بعدي ، بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة لله ورسوله ، فهما عدتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون ، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم . قال السري : وقام رجل إلى عمر فقال : ما يحل لك من هذا المال ؟ فقال : ما أصلحني وأصلح عيالي بالمعروف ، وحلة الشتاء وحلة الصيف ، وراحلة عمر للحج والعمرة ، ودابة في حوائجه وجهاده . قال : وكان عمر قد جمع الناس وقال : اجتمعوا فأحضروني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشام . فأجتمع رأي عمر وعلي على أن يأخذوا من قبل القرآن ، فقالوا : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ يعني من الخمس ـ ﴿ فلله وللرسول ﴾ إلى الله وإلى الرسول ، من الله الأمر وعلى الرسول القسم ﴿ ولذي القربى واليتامى والمساكين ﴾ ثم فسروا ذلك بالآية التي تليها : ﴿ للفقراء المهاجرين . . ﴾ فأخذوا الأربعة أخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بديء به وثني وثلث ، وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم . ثم استشهدوا على

ذلك أيضا : ﴿ واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه ﴾ فقسم الأخماس على ذلك ، واجتمع على ذلك عمر وعلي ، وعمل به المسلمون بعده ، فبدأ بالمهاجرين ثم بالأنصار ، ثم التابعين ، ثم فوض الأعطية من الجزاء على من صالح أو دعي إلى الصلح من جزائه ، مردود عليهم بالمعروف ، وليس في الجزاء أخماس ، والجزاء لمن منع الذمة .

خبر يوم بُرس

قال السري : ثم إن سعدا ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله ، وبعد تقديم زهرة بن الحوية في المقدمات إلى اللسان ، فسار زهرة نحو المدائن ، فلما انتهى إلى بُرس لقيه بها بصبهرى في جمع فناوشوه فهزمهم ، فهرب بصبهرى ومن معه إلى بابل ، وبها فالة القادسية وبقايا رؤسائهم : النخيرجان ومهران الرازي والهرمزان وأشباههم ، فأقاموا واستعملوا عليهم الفيرزان ، وقدم عليهم بصبهرى وقد أصيب بطعنة من زهرة فمات منها بعدما لحق ببابل ، ولما هزم بصبهرى أقبل بسطام دهقان برس ، فاعتقد من زهرة وعقد له الجسور ، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل .

يوم بابل

قالوا : وكتب زهرة إلى سعد بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من خلال القادسية ، فقدم سعد عبدالله ، واتبعه شرحبيل وهاشماً بن عتبة ، ثم ارتحل بالناس، فلما نزل عليهم بُرس ، قدم زهرة ، فنزلوا جميعا على الفيرزان ببابل ، فاقتتلوا ، فهزموهم ، فخرج الهرمزان نحو الأهواز ، وتبعه الفيرزان ، وصمد النخيرجان ومهران للمدائن ، حتى عبرا إلى جانب دجلة الآخر ، ثم قطعا الجسر ، وأقام سعد ببابل أياما ، وبلغه أن النخيرجان قد خلف شهريار بكوثى في جمع ، فقدم زهرة ثم اتبعه الجنود ، فاقتتلوا بكوثى ، وقتل شهريار ، وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد ، فأقام بكوثى أياما .

حديث بهرسير

قال السري : ثم إن سعدا قدم زهرة إلى بهرسير ، فمضى زهرة من كوثى ، وقد تلقاه شيرزاذ بساباط بالصلح وتأدية الجزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه ، وخرج هاشم وخرج سعد في أثره ، وقد فل زهرة كتيبة كسرى بوران حول المظلم، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط ، ووقف لسعد حتى لحق به ، فوافق ذلك رجوع المقرط . أسد كان لكسرى ، وكانت به كتائب كسرى التي تدعى بوران ، فبادر المقرط الناس حين انتهى إليهم سعد ، فنزل إليه هاشم فقتله ، فقدمه سعد إلى بهرسير ، وجعل المسلمون كلما قدمت خيل على بهرسير وقفوا ثم كبروا حتى نجز آخر من مع سعد ، فكان مقامه بالناس على بهرسير شهرين وعبروا في الثالث .

قال: وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف يعلى بن أمية ، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص ، وعلى عمان حذيفة بن محصن ، وعلى كور الشام أبو عبيدة بن الجراح، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص ، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة .

ثم دخلت سنة ست عشرة

قال السري : فلما نزل المسلمون على بهرسير ، وعليها خنادقها وحرسها وعدة الحرب ؛ فرموهم بالمجانيق والعرادات ، فنصب سعد على أهل بهرسير عشرين منجنيقا ، فما ظهر على المدينة أحد ، ولا خرج إليهم إلا رجل نادى بالأمان فأمنوه ، فسألوه عن أهل بهرسير ، فقال : هربوا إلى المدينة القصوى . فتسورها المسلمون وافتتحوها. قال : ولما دخل المسلمون بهرسير - وذلك في جوف الليل - لاح لهم الأبيض ، فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر ! أبيض كسرى ، هذا ما وعد الله ورسوله ، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا . وقد قتل في هذه الوقعة زهرة بن الجوية ، اصيب بسهم ، فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهربراز من أهل اصطخر ، فقتله ، واحيط به فقتل وانكشفوا .

حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى

قالوا : ولما نزل سعد بهرسير ، وهي المدينة الدنيا ، طلب السفن ليعبر

بالناس إلى المدينة القصوى ، فوجدهم قد ضموا السفن ، فأقاموا ببهرسير أياما يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين ، ثم إنه جمع الناس فقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، وإني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد ، فافعل . فقال سعد : من يحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج ؟ فانتدب له عاصم بن عمرو ، وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات ، فسار فيهم حتى وقف على شاطيء دجلة ، وقال : من ينتدب معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا ؟ فانتدب له ستون . ثم اقتحموا دجلة ، واقتحم بقية الستمائة على أثرهم ، فلما رآهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التي تقدمت سعدا مثلها ، فاقتحموا عليهم دجلة ، فلقوا عاصما في السرعان ، فقال عاصم الرماح الرماح ! اشرعوها وتوخوا العيون ، فالتقوا فاطعنوا ، وتوخى المسلمون عيونهم ، فولوا نحو الجد والمسلمون يشمصون بهم خيلهم ، ما يملك رجالها منع ذلك منها شيئا . فلحقوا بهم في الجد ، فقتلوا عامتهم ، وتلاحق الستمائة بأوائلهم الستين . ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها ، أذن للناس في الإقتحام ، فركبوا اللجة ، ففجئوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم ، فأجهضوهم وأعجلوهم عن جمهور أموالهم ، ودخلها المسلمون في صفر سنة ست عشرة ، واستولوا على ذلك كله مما بقي في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف ، ومما جمع شيري ومن بعده .

قالوا : وقد كان يزدجرد سرب عياله حين أخذت بهرسير إلى حلوان ، فلما ركب المسلمون الماء خرجوا هرابا وخيلهم على الشاطيء يمنعون المسلمين وخيلهم من العبور ، فأقتتلوا قتالا شديدا ، حتى ناداهم مناد : علام تقتلون أنفسكم ! فوالله ما في المدائن من أحد . فانهزموا وعبر سعد في بقية الجيش ، فانتهوا إلى القصر الأبيض . وفيه قوم قد تحصنوا ، فدعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو المناجزة، فاختاروا الجزية ، وكان رائد المسلمين وداعية أهل فارس سلمان الفارسي . فلما خرجوا من القصر ، وانتهى سعد إلى إيوان كسرى ، أقبل يقرأ : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴾ وصلى فيه صلاة الفتح ، واتخذه مسجدا .

ذكر ما جمع من فيء أهل المدائن

قالوا : نزل سعد إيوان كسرى ، وأمر بجمع مافي القصر والإيوان والدور وإحصاء ما يأتيه به الطلب ، وقد كان أهل المدائن تناهبوا عند الهزيمة ، ثم ثاروا في كل وجه ، فبث سعد الخيل ، وألح عليهم الطلب ، فرجعوا بها أصابوا ، فضموه إلى ما قد جمع . قال حبيب بن صهبان : دخلنا المدائن فأتينا على قباب تركية مملوءة سلالا مختمة بالرصاص ، فما حسبناها إلا طعاما ، فإذا هي آنية الذهب والفضة فقسمت بين الناس . قال ابن ميسور : وخرج الطلب يتبع الفرس حتى انتهى إلى جسر النهروان ، وبعض الرجال منهم على بغل ، يقاتلون بصبر ، فوقع البغل في الماء ، فأدركه المسلمون ، واذ الذي عليه حلية كسرى ، ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي كان فيها الجوهر ، وكان يجلس للمباهاة . قال الكلج : كنت فيمن خرج في الطلب ، فإذا أنا ببغالين قد ردا الخيل عنهما بالنشاب، فما بقي معهما غير نشابتين ، فرميا بها ، ثم إني حملت عليهما فقتلتهما ، فإذا سفطان على أحد البغلين فيهما تاج كسرى مفسخا ، وإذا على الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى من الديباج المنسوج بالذهب . قالوا : وخرج القعقاع في الطلب، فعاد بالأسياف والادرع لكسرى وقادة الفرس وملوكهم ، وتاج كسرى المكلل بالجوهر ، فبعث سعد بذلك إلى عمر بن الخطاب . قال السري : فلما قدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته وزبرجه ، قال : إن أقواما أدوا هذا لذوو أمانة ! فقال علي : إنك عففت فعفت الرعية .

ذكر صفة قسم الفيء الذي أصيب بالمدائن بين أهله

قال السري : ولما بعث سعد بعد نزوله المدائن في طلب الأعاجم ، بلغ الطلب النهروان ، ثم تراجعوا ، ومضى المشركون نحو حلوان ، فقسم سعد الفيء بين الناس بعد ما خمسه ، فأصاب الفارس اثنا عشر ألفا ، وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل ، وكانت الجنائب في المدائن كثيرة . قال : وقسم سعد دور المدائن بين الناس ، وأوطنوها ، فأقاموا بها حتى فرغوا من جلولاء وتكريت والموصل ، ثم تحولوا إلى الكوفة .

وقعة جلولاء الوقيعة

قال قيس بن أبي حازم : لما أقمنا بالمدائن واقتسمنا ما فيها ، وبعثنا إلى عمر بالأخماس ، وأوطناها ، أتانا الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولاء ، وخندق عليه ، وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت ، فكتب سعد إلى عمر بذلك ، فكتب عمر إلى سعد : أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألفاً ، فسار هاشم بالناس من المدائن إلى جلولاء ، حتى قدم عليهم ، وأحاط بهم ، فحاصرهم وطاولهم أهل فارس .

قال السري : ثم خرجوا عليهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم الفرس ، واتبعهم المسلمون ، فلم يفلت منهم إلا من لا يعد ، وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف ، فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم ، فهي جلولاء الوقيعة ، وكان فتحها في ذي القعدة سنة ست عشرة ، بينها وبين المدائن تسعة أشهر .

قال : وكان عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد : إن فتح الله عليكم جلولاء فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل بحلوان ، فخرج القعقاع في آثار القوم إلى خانقين ، فأدرك سبيا من سبيهم ، وقتل مهران وأفلت الفيرزان ، فلما بلغ يزدجرد هزيمة أهل جلولاء ومصاب مهران ، خرج من حلوان سائرا نحو الري . وخلف بحلوان خيلا عليها خسرو شنوم ، وأقبل القعقاع فخرج إليه خسروشنوم ، وقدم الزينبي دهقان حلوان ، فلقيه القعقاع فاقتتلوا فقتل الزينبي وهرب خسروشنوم ، واستولى المسلمون على حلوان ، فولى عليهم القعقاع قباذ ، ولم يزل القعقاع هنالك على الثغر والجزاء بعدما دعاهم ، فتراجعوا وأقروا بالجزاء إلى أن تحول سعد من المدائن إلى الكوفة ، فلحق به ، واستخلف قباذ على الثغر ، وكان أصله خراسانيا .

ذكر الخبر عن فتح تكريت

قالوا : وكان سعد قد كتب إلى عمر بأن الروم وإياد وتغلب والنمر والشهارجة قد اجتمعوا بتكريت وخندقوا بها ، فكتب إليه : أن سرح إليهم عبدالله بن المعتم ، فسار عبدالله في خمسة آلاف من المدائن ، حتى نزل على الأنطاق ، فحصرهم أربعين يوما ، فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفا ، ووكل عبدالله بن

المعتم بالعرب ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الروم ، ولما رأت الروم أنهم لا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم ، ويهزمون في كل ما زاحفوهم ، تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنمر إلى عبدالله بالخبر، وسألوه للعرب السلم ، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا ، فصاروا معه على الروم، فأتوهم من أمامهم ومن خلفهم ، فلم يفلت من أهل الخندق إلا من أسلم من تغلب وإياد والنمر . قالوا : وقد كان عمر عهد إلى سعد ، إن هم هزموا أن يأمر عبدالله بن المعتم بتسريح ربعي بن الأفكل إلى الحصنين . قالوا : فسار ابن الأفكل ومعه تغلب وإياد والنمر ، وأقبلت سرعان الخيل معه حتى اقتحمت عليهم الحصنين ، فكانت إياها ، فنادوا بالإجابة إلى الصلح ، فأقام من استجاب ، وهرب من لم يستجب ، إلى أن أتاهم عبدالله بن المعتم ، فدعا من لج وذهب ، ووفى لمن أقام ، فتراجع الهراب ، وصارت لهم جميعا الذمة والمنعة ، واقتسموا في تكريت عن كل سهم ألف درهم ، للفارس ، ثلاثة آلاف وللراجل ألف ، وبعثوا بالأخماس وبالفتح إلى عمر وولى حرب الموصل ربعي بن الأفكل .

ذكر الخبر عن فتح ماسبذان

قال السري : وبلغ سعدا أن أذين بن الهرمزان قد جمع جمعا ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : ابعث إليهم ضرار بن الخطاب ، فخرج ضرار ، وقدم ابن الهذيل الأسدي حتى انتهى إلى سهل ماسبذان ، فالتقوا بمكان يدعى بهندف ، فاقتتلوا بها ، فأسرع المسلمون في المشركين ، وأخذ ضرار أذين سلما ، فأسره فانهزم عنه جيشه فقدمه فضرب عنقه . ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فتطاير أهلها في الجبال ، فدعاهم فاستجابوا له ، وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه ، فنزل الكوفة واستخلف ابن الهذيل على ماسبذان فكانت إحدى فروج الكوفة .

ذكر الخبر عن وقعة قرقيسياء

قال السري : ولما رجع هاشم بن عتبة عن جلولاء إلى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة ، فأمدوا هرقل على أهل حمص ، وبعثوا جنداً إلى هيت ، وكتب

بذلك سعد إلى عمر ، فكتب اليه عمر أن ابعث إليهم عمر بن مالك ، فخرج عمر في جنده سائرا نحو هيت ، وقدم الحارث بن يزيد حتى نزل على من بهيت ، وقد خندقوا عليهم . فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم ، استطال ذلك ، فترك الأخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد فحاصرهم ، وخرج في نصف الناس يعارض الطريق حتى يجيء قرقيسياء ، فأخذها عنوة ، فأجابوا إلى الجزاء ، وكتب إلى الحارث بن يزيد إن هم استجابوا فخل عنهم فليخرجوا ، وإلا فخندق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيي . فسمعوا بالإستجابة ، وانضم الجند إلى عمر والأعاجم إلى أهل بلادهم .

قال الواقدي : وفي هذه السنة كتب التأريخ في شهر ربيع الأول . قال ابن المسيب : أول من كتب التاريخ عمر ، لستتين ونصف من خلافته ، فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب . وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، واستخلف على المدينة - فيما زعم الواقدي - زيد بن ثابت . وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن يعلى بن أمية ، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي ، وعلى عمان حذيفة بن محصن ، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص ، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة ، وعلى الجزيرة عياض بن عمرو الأشعري .

ثم دخلت سنة سبع عشرة

ذكر سبب تحول سعد بالناس من المدائن إلى الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة

قال السري : لما جاء فتح جلولاء وحلوان وتكريت والحصنين ، وقدمت الوفود بذلك على عمر ، فلما رآهم قال : والله ماهيئتكم بالهيئة التي ابدأتم بها ، فما غيركم ؟ قالوا : وخومة البلاد . قال : وكتب عمر إلى سعد : أنبئني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم ؟ فكتب إليه : إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة ، فكتب إليه : إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان ، فابعث من يرتاد منزلا بريا بحريا ، ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ، فبعث سعد رواد جيشه فأتوا الكوفة فأعجبتهم . قال : فارتحل سعد بالناس من المدائن

حتى عسكر بالكوفة في المحرم سنة سبع عشرة . وكان بين وقعة المدائن ونزول الكوفة سنة وشهران ، وكان بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر ، اختطت سنة أربع من إمارة عمر في المحرم سنة سبع عشرة من التاريخ ، وقد استقر بأهل البصرة منزلهم في الشهر نفسه .

قال : ثم إن أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، استأذنوا في بنيان القصب ، فقال عمر : شأنكم ، فأبتنى أهل المصرين بالقصب ، ثم إن الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة ، فاحترق ثمانون عريشا ، فبعث سعد منهم نفرا إلى عمر يستأذنون في البناء باللبن - فقال عمر : افعلوا ، ولا تطاولوا في البنيان . قال : ثم إنهم اختطوا الكوفة ، فكان أول شيء خط بها المسجد ، وبنوا لسعد دارا بحياله ، جعل فيها بيوت الأموال ، وهي قصر الكوفة اليوم . قال : ثم إن بيت المال نقب عليه نقباً ، وأخذ من المال ، وكتب سعد بذلك إلى عمر ،. ووصف له موضع الدار وبيوت المال . فكتب إليه عمر : أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار ، واجعل الدار قبلته ، فان للمسجد أهلا بالنهار وبالليل ، وفيهم حصن لما لهم ، فنقل المسجد كما أمر عمر .

إعادة تعريف الناس

قال : وعرفوهم على مائة ألف درهم ، فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً وثلاثا وأربعين امرأة وخمسين من العيال ، لهم مائة ألف درهم ، وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلا على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ، وكل عيل على مائة ألف درهم ، وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلا وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم الحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم ، ثم على هذا الحساب . قال عطية بن الحارث : قد ادركت مائة عريف ، وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة ، كان العطاء يدفع إلى امراء الأسباع وأصحاب الرايات ، والرايات على أيادي العرب ، فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء ، فيدفعونه إلى أهله في دورهم .

ذكر الخبر عن فتح الجزيرة

قال السري : وفي هذه السنة افتتحت الجزيرة في رواية سيف . وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أنها افتتحت في سنة تسع عشرة من الهجرة ، وذكر من سبب فتحها : أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص : إن الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق ، فابعث من عندك جندا إلى الجزيرة . قال : فخرج عياض بن غنم إلى الجزيرة ، فنزل بجنده على الرهاء فصالحه أهلها على الجزية ، وصالحت حران حين صالحت الرهاء على الجزية . وخرج أبو موسى الأشعري إلى نصيبين فافتتحها ، وخرج عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية فصالحه أهلها على الجزية . ثم كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل .

وأما في رواية سيف على ما قاله السري وغيره ، قالوا : خرج عياض بن غنم وجنده حتى انتهى إلى الرقة ، فنزل على أهلها ، فأقام فحاصرهم حتى صالحوه ، وخرج عبدالله بن عبدالله بن عتبان ، فسلك على دجلة حتى انتهى إلى الموصل ، فعبر حتى أتى نصيبين ، فلقوه بالصلح ، وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة ، فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم . ثم إن عياضا سرح سهيلا وعبدالله إلى الرهاء ، فاتقوهما بالإجابة إلى الجزية ، فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمرا ، وأيسره فتحا .

قال ابن إسحاق : وفي هذه السنة ، خرج عمر إلى الشام غازيا ، حتى إذا كان بسرغ لقيه امراء الأجناد ، فأخبروه أن الأرض سقيمة ، فرجع بالناس إلى المدينة . قال عبدالله بن عباس : لقيه امراء الأجناد : أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد ابن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، فأخبروه أن الأرض سقيمة ، فأستشار أصحابه ، فاختلفوا عليه ، فمنهم القائل : خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده ، ولا نرى أن يصدك عنه بلاء عرض لك . ومنهم القائل : إنه لبلاء وفناء ما نرى أن نقدم عليه . قال : فقال لي عمر : يا ابن عباس ، أجمع لي الناس ، فلما أجتمعوا عليه قال : أيها الناس ، اني راجع فارجعوا ، فقال له أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ! قال : نعم فرارا من قدر الله إلى قدر الله . قال : فبينما الناس على ذلك إذ أتى عبدالرحمن بن عوف - وكان متخلفا عن الناس - فقال : ما شأن الناس ؟ فأخبر الخبر ، فقال : عندي من هذا علم ، فقال عمر : فأنت عندنا الأمين

المصدق ، فماذا عندك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه) فقال عمر : فلله الحمد ! انصرفوا أيها الناس ، فانصرف بهم . واختلف في خبر طاعون عمواس وفي أي سنة كان . قال ابن إسحاق : ثم دخلت سنة ثماني عشرة، ففيها كان طاعون عمواس، فتفانى فيها الناس ، فتوفي أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الناس ، ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمر ، وأشراف الناس . وأما سيف فإنه زعم أن طاعون عمواس كان في سنة سبع عشرة . قال السري عن سيف : كان ذلك الطاعون موتانا لم ير مثله ، طمع له العدو في المسلمين ، وتخوفت له قلوب المسلمين ، كثر موته ، وطال مكثه، مكث شهرا حتى تكلم في ذلك الناس .

ذكر الخبر عن فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى

قال السري : كان الهرمزان أحد البيوتات السبعة في أهل فارس ، وكانت امته مهرجان قذق وكور الأهواز ، فلما انهزم يوم القادسية كان وجهه إلى أمته ، فملكهم وقاتل بهم من أرادهم ، فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودستميسان من وجهين ، من مناذر ونهرتيرى ، فاستمد عتبة بن غزوان سعداً ، فأمده سعد بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود ، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى . ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة ، فنزلا على حدود أرض ميسان ودستميسان ، بينهم وبين مناذر ، ودعوا بني العم ، فخرج إليهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكليبي ، فتركا نُعيما ونعيما ونكبا عنهما ، وأتيا سلمى وحرملة ، وقالا : أنتما من العشيرة ، وليس لكما مترك ، فإذا كان يوم كذا وكذا فانهدا للهرمزان ، فإن أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهرتيرى ، فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من سلمى وحرملة وغالب وكليب ، والهرمزان يومئذ بين نهرتيرى بين دلث ، خرج سلمى وحرملة صبيحتها في تعبية ، وانهضا نُعيما ونعيما فالتقوا هم والهرمزان بين دلث ونهر تيرى ، وسلمى ابن القين على أهل البصرة ، ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة ، فاقتتلوا فبينما هم في ذلك أقبل المدد من قبل غالب وكليب ، وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهر تيرى

قـا. أخذتنا ، فهزمه الله ، فقتلوا منهم ما شاؤوا ، واتبعوهم حتى وقفوا على شاطيء دجيل ، وأخـذوا مـا دونه ، وعـسكروا بحيـال سـوق الأهواز ، وقـد عبر الهرمزان جسر سـوق الأهواز ، وأقـام بها . قـالوا : ولما دهم القـوم الهرمـزان ونزلوا بحياله من الأهواز ، رأى ما لا طاقة له به ، فطلب الصلح ، فأجابه عتبة إلى ذلك .

قال السري : وبينما الناس على ذلك ، وقع بين الهرمـزان وبين غـالـب وكليب في حـدود الأرضين اختلاف وادعاء ، فحضر ذلك سلمى وحرملة لينظر فيما بينهم ، فـوجـدا غـالبـا وكليبـا محقين والهرمـزان مبطلا ، فحالا بينه وبينهما ، فكفر الهرمزان ومنـع ما قبـله ، واستعان بالأكراد ، فكثف جنده . وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليـب ببـغـي الهرمزان وظلمه وكفره إلى عتبة بن غزوان ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إلـيـه عـمـر يأمره بأمره ، وأمدهم بحرقوص بن زهير السعدي ، وأمره على القتـال . فنهـد الهرمزان بمن معه وسلمى وحرملة وغالب وكليب ، حتى إذا انتهوا إلى جـسر سـوق الأهـواز أرسـلوا إلى الهـرمـزان : إما أن تعـبروا إلـينا وإما أن نعبر إليكم، فـقال : اعبروا إلينا ، فعبروا فوق الجسر ، فاقتتلوا ، حتى هزم الله الهرمـزان ووجـه نحـو رامـهـرمـز ، وافـتـتح حرقوص سوق الأهواز ، فأقام بها ونزل الجبل ، واتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر .

ذكر الخبر عن فتح تستر

وفي هذه السنة فـتـحت تستر في قول سيف وروايته ، وقال بعضهم : فتحت سـنـة ست عشرة ، وبعـضـهم يقـول : في سنة تسع عشرة . قـال السري : لما انهزم الهرمـزان يوم سـوق الأهواز ، وافـتـتح حـرقـوص سـوق الأهواز ، أقام بها ، وبعث جزء بـن مـعـاوية في أثره بأمـر عـمـر إلى سّرق ، فـخـرج جـزء في أثر الهرمـزان ، والهرمـزان متوجه إلى رامهرمز هارباً ، فما زال يقتلهـم حتى انتهى إلى قرية الشغر ، وأعـجـزه بها الهرمـزان ، فمال جـزء إلى دورق من قـرية الشغر ، وهي شاغرة برجلها - ودورق مـدينة سرق فـيـهـا قـوم لا يطيـقـون منعـهـا - فأخذها صافية ، ولما نزل الهـرمـزان رامـهـرمـز وضـاقت عليـه الأهـواز والمسلمـون حلال فيـهـا فيما بين يديه ، طلب الصلح ، فكتب فيه حرقوص إلى عمر ، فكتب إليه يأمره أن يقبل منه على ما لم يفـتـحـوا منهـا على رامـهـرمز وتستر والسـوس وجنـدى سـابور ، والبنيان ومهرجا

نقذق ، فأجابهم إلى ذلك ، فاصطلحوا ، وأقام الهرمزان على صلحه يجبي إليهم ويمنعونه .

غزو أرض فارس من قبل البحرين

قال السري : كان العلاء بن الحضرمي على البحرين ، فندب أهل البحرين إلى فارس ، فحملهم في البحر بغير اذن عمر ، فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا في اصطخر ، وعلى أهل فارس الهربذ ، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم ، فناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا في موضع من الأرض يدعى طاوس ، فقتل أهل فارس مقتلة عظيمة . ثم خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم ، ثم لم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلا ، ووجدوا شهرك قد أخذ على المسلمين بالطرق ، فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم . ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء ، اشتد غضبه عليه ، وكتب إليه يعزله وتوعده ، وأمره باللحاق بسعد بن أبي وقاص، فخرج بمن معه نحو سعد . وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان : إن العلاء حمل جندا من المسلمين ، فأقطعهم أهل فارس ، وعصاني ، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت ألا ينصروا ، فاندب إليهم الناس ، وأضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا. فندب عتبة الناس ، فخرجوا في اثنى عشر ألفا ، وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم ، فسار أبو سبرة بالناس حتى التقوا بالمشركين بعد طاوس ، وعلى المشركين شهرك ، فاقتتلوا، ففتح الله على المسلمين، وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا، ثم انكفؤوا بما أصابوا . قال : ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس ، استأذن عمر في الحج ، فأذن له ، فلما قضى حجه استعفاه ، فأبى أن يعفيه ، فمات في بطن نخلة ، وقد استخلف على الناس أبا سبرة بن أبي رهم ، فأقره عمر على البصرة ، ثم استعمل المغيرة بن شعبة ، ثم استعمل أبا موسى الأشعري .

ذكر الخبر عن فتح رامهرمز والسوس وتستر

قال السري: ولم يزل يزدجرد يثير أهل فارس ويذكرهم الأحقاد ويؤنبهم، فتحركوا وتكاتبوا: أهل فارس وأهل الأهواز، وتعاقدوا وتعاهدوا على النصرة، وجاءت الأخبار حرقوص، وجاءت جزءا وسلمى وحرملة عن خبر غالب وكليب،

فكتبوا إلى عمر ، فكتب عمر إلى سعد : أن ابعث إلى الأهواز بعثا كثيفا مع النعمان، وكتب إلى أبي موسى أن ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سهل بن عدي . فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة ، حتى جاز سوق الأهواز ، ثم سار نحو الهرمزان برامهرمز ، ولما سمع الهرمزان بمسيره إليه بادره ، فالتقى النعمان والهرمزان بأربك ، فاقتتلوا قتالا شديدا . ثم إن الله عز وجل هزم الهرمزان ، وأخلى رامهرمز وتركها ولحق بتستر ، وسار النعمان من أربك حتى ينزل برامهرمز ، ثم صعد لايذج ، فصالحه عليها تيرويه ، فقبل منه وتركه ورجع إلى رامهرمز فأقام بها .

قال : ثم مال النعمان إلى تستر ، وخرج سلمى وحرملة وحرقوص وجزء ، فنزلوا جميعا على تستر ، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز في الخنادق ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، واستمده أبو سبرة فأمدهم بأبي موسى ، فحاصروهم أشهرا ، وأكثروا فيهم القتل ، وزاحفهم المشركون ثمانين زحفا في حصارهم ، حتى إذا كان في آخر زحف منها ، هزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم ، ثم اقتحموها عليهم ، فاجتلدوا فيها ، فأناموا كل مقاتل ، وأرز الهرمزان إلى القلعة، فلما وصلوا إليه استأمن على حكم عمر يصنع به ما يشاء، فأجابوه ، فشدوا وثاقه وأرسلوه إلى عمر ، فقال له عمر : ما عذرك في انتفاضك مرة بعد مرة ؟ فقال : أخاف أن تقتلني قبل أن اخبرك ، قال : لا تخف ذلك . واستسقى ماء فأتي به ، فجعلت يده ترتجف وقال : إني أخاف أن اقتل وانا آشرب الماء فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه ، فأكفأه ، فقال عمر : اعيدوا عليه ، فقال : لا حاجة لي في الماء ، إنما أردت أن أستأمن به ، فقال عمر : إني قاتلك ، قال : قد أمنتني ! فقال : كذبت ! فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، قد أمنته فقلت : لا بأس عليك حتى تشربه ، فقال عمر للهرمزان : خدعتني ، والله لا أنخدع إلا لمسلم فأسلم . ففرض له على ألفين ، وأنزله المدينة .

ذكر فتح السوس

قال السري : لما نزل أبو سبرة في الناس على السوس، وأحاط المسلمون بها، وعليهم شهريار أخو الهرمزان ، ناوشوهم مرات ، وناهدهم المسلمون جميعا ، ثم

إنهم دخلوها عنوة ، فألقى المشركون بأيديهم ، وتنادوا : الصلح الصلح ! فأجابوا إلى ذلك بعدما دخلوها عنوة ، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح ، ثم افترقوا .

مصالحة المسلمين أهل جُنْدَيْ سابور

قال السري : لما فرغ أبو سبرة من السوس خرج في جنده حتى نزل على جندي سابور ، وزر بن عبدالله بن كليب محاصرهم ، فأقاموا عليها يغادونهم ويراوحونهم القتال ، حتى طلبوا الأمان ، فأمسكوا عنهم ، وكان فتحها وفتح نهاوند في مقدار شهرين . قال : ثم أذن عمر في الانسياح سنة سبع عشرة في بلاد فارس ، فساحوا في سنة ثمان عشرة .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة ، أصابت الناس مجاعة شديدة ولزبة ، وجدوب وقحوط ، وذلك هو العام الذي يسمى عام الرمادة . قال السري عن كثيرين، قالوا : أصابت الناس في إمارة عمر رضي الله عنه سنة بالمدينة وما حولها، فكانت تسفي إذا ريحت ترابا كالرماد ، فسمي ذلك العام عام الرمادة ، فآلى عمر ألا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيي الناس من أول الحيا ، فكان بذلك حتى أحيا الناس من أول الحيا ، فقدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن ، فاشتراهم غلام لعمر بأربعين ، ثم أتى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أبر الله يمينك ، وعظم أجرك ، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن فابتعتهما بأربعين ، فقال عمر : أغليت بهما ، فتصدق بهما ، فإني أكره أن آكل اسرافا ، وقال عمر : كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما مسهم ! . قالوا : وكانت الرمادة في آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثمان عشرة ، وكانت الرمادة جوعا أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكهم حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس ، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها ، وإنه لمقفر .

قال السري : فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار ، حتى أقبل بلال بن الحارث ، فاستأذن عليه ، فقال : أنا رسول الله إليك ، يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد عهدتك كيسا ، وما زلت على رجل ، فما

شأنك ! فقال : متى رأيت هذا ؟ قال : البارحة ، فخرج فنادى في الناس : الصلاة جامعة ! فصلى بهم ركعتين ، ثم قام فقال : أيها الناس ، أنشدكم الله ، هل تعلمون مني أمرا غيره خير منه ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : فإن بلال بن الحارث يزعم ذية ودية ، فقالوا : صدق بلال ، فاستغث بالله وبالمسلمين ، فكتب عمر إلى امراء الأمصار : أغيثوا أهل المدينة ومن حولها ، فإنه قد بلغ جهدهم ، وأخرج الناس إلى الاستسقاء ، فخرج وخرج معه بالعباس ماشيا، فخطب فأوجز، ثم صلى ، ثم جثا لركبتيه ، وقال : اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا . ثم انصرف ، فما بلغوا المنزل راجعين حتى خاضوا الغدران .

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال أبو معشر : إن فتح جلولاء كان في سنة تسع عشرة على يدي سعد ، وقال ابن إسحاق : كان فتح الجزيرة والرهاء وحران ورأس العين ونصيبين في سنة تسع عشرة ، وقال أبو معشرة : كان فتح قيسارية في هذه السنة . وقال ابن إسحاق : كان فتح قيسارية من فلسطين وفتح مصر في سنة عشرين ، وقال غيره : بل كان في سنة ست عشرة .

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر الخبر عن فتح مصر وفتح الإسكندرية

قال ابن إسحاق : إن عمر رضي الله عنه حين فرغ من الشام كلها كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر في جنده ، فخرج حتى فتح باب اليون في سنة عشرين . قال : وقد اختلف في فتح الإسكندرية ، فبعض الناس يزعم أنها فتحت في سنة خمس وعشرين ، وعلى سنتين من خلافة عثمان بن عفان ، وعليها عمرو بن العاص . قال : قال رجل من أهل مصر : افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر في سنة إحدى وعشرين - أو سنة إثنتين وعشرين - قال : لما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الإسكندرية قرية فقرية ، حتى انتهينا إلى بلهيب ، وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن . قال : فأرسل صاحب الإسكندرية إلى

عمرو بن العاص : إني قد كنت اخرج الجزية إلى من هو أبغض إلي منكم معشر العرب لفارس والروم ، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبايا فعلت . فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب فأجابه أن يقبل الجزية .

وأما السري فقال : أقام عمر بايلياء بعدما صالح أهلها ، ودخلها أياما ، فأمضى عمرو بن العاص إلى مصر وأمره عليها ، إن فتح الله عليه ، وبعث في أثره الزبير بن العوام مدداً له ، وبعث أبا عبيدة إلى الرمادة ، وأمّره إن فتح الله عليه أن يرجع إلى عمله . قال : فخرج عمرو بن العاص حتى انتهى إلى باب اليون ، واتبعه الزبير ، فاجتمعا ، فلقيهم هنالك أبو مريم ومعه الأسقف في أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم . فعرض عليهم عمرو الإسلام أو الجزية ، فرجعا إلى المقوقس فأبى أن يجيبها . قال : فاقتتلوا ، وقصد عمرو الزبير لعين شمس ، وبها جمعهم ، وبعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، فنزل عليها ، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية . فنزل عليها ، فراسلوهم ، فكان صلحهم ، فأمّر عمر عمرو بن العاص عليها ، فقام بها .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند

قال ابن إسحاق : كان من حديث نهاوند أن النعمان بن مقرن كان عاملاً على كسكر ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه يخبره أن سعد بن أبي وقاص استعمله على جباية الخراج ، وقد أحببت الجهاد ورغبت فيه ، فكتب عمر بذلك إلى سعد ، وأخبره أن يبعث به إلى نهاوند . قال : وقد اجتمعت الأعاجم ، عليهم ذو الحاجب بنهاوند ، فسار النعمان إليه ، فلما انتهى في جنده إلى نهاوند ، التقوا بالأعاجم فاقتتلوا ، فرمي النعمان بنشابة فقتل رحمه الله ، فلفه أخوه سويد بن مقرن في ثوبه ، وكتم قتله حتى فتح الله عليهم ، ثم دفع الراية إلى حذيفة بن اليمان ، وقتل الله ذا الحاجب ، وافتتحت نهاوند .

ذكر الخبر عن إصبهان

قالوا : وقدم عمار بن ياسر إلى الكوفة أميراً ، وقدم معه كتاب عمر إلى عبدالله بن عبدالله بن عتبان : أن سر إلى إصبهان ، فسار عبدالله في الناس نحو جند قد اجتمع له من أهل إصبهان عليهم الأستندار ، وكان على مقدمته شهربراز جاذويه ، شيخ كبير في جمع عظيم ، فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رساتيق إصبهان ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ودعا الشيخ إلى البراز ، فبرز له عبدالله ابن ورقاء ، فقتله وانهزم أهل إصبهان ، فسأل الأستندار الصلح ، فصالحهم . ثم سار عبدالله نحو جي والملك بإصبهان يومئذ الفاذوسفان ، ونزل بالناس على جي ، فحاصرهم ، فظهر إليه الملك الفاذوسفان فصالحه على الجزية ، وقدم أبو موسى الأشعري من ناحية الأهواز على عبدالله وقد صالح الفاذوسفان ، فخرج القوم من جي ودخلوا في الذمة - وجي مدينة إصبهان - وكتب عبدالله بذلك إلى عمر ، فقدم كتاب عمر عليه : أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتجامعه على قتال من بكرمان ، فخرج عبدالله في جريدة خيل ، واستخلف على إصبهان السائب بن الأقرع ، ولحق بسهيل قبل أن يصل إلى كرمان .

ثم دخلت سنة إثنتين وعشرين

ذكر الخبر عن فتح همذان

قال السري : كان حذيفة بن اليمان قد أتبع فالة نهاوند ، نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو ، فبلغا همذان ، فصالحهم خسروشنوم ، فرجعا عنهم ، ثم كفر بعد ذلك ، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن : أن سر حتى تأتي همذان ، فخرج نعيم حتى نزل على مدينة همذان ، وقد تحصنوا منهم ، فحصرهم فيها ، وأخذ ما بين ذلك وبين جرميذان ، واستولوا على بلاد همذان كلها . فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح على الجزاء والمنعة ، فأجابهم إلى ذلك . قال : فبينما نعيم في همذان في توطئتها في اثنى عشر الفا من الجند ، تكاتب الديلم وأهل الري وأهل أذربيجان ، ثم خرج موتا في الديلم حتى ينزل بواج روذ ، وأقبل الزينبي أبو الفرخان في أهل الري حتى انضم إليه ، واقبل اسفندياذ أخو رستم في أهل أذربيجان حتى انضم إليه ، فعلم نعيم بالخبر ، فاستخلف يزيد بن قيس ، وخرج

إليهم حتى نزل عليهم بواج الروذ ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فهزم الله الأعاجم . فكتب نعيم إلى عمر بالخبر ، فبعث إليه ، أن استخلف على همذان وسر حتى تقدم الري فتلقى جمعهم ، ثم أقم بها .

فتح الري

قالوا : وخرج نعيم بن مقرن من واج روذ إلى الري ، وقد جمعوا له ، فلقيه الزينبي أبو الفرخان بمكان يقال له قها مسالما ومخالفا لملك الري سياوخش ابن مهران ، فاستمد سياوخش أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان ، فناهده سياوخش ، فالتقوا في سفح جبل الري ، فاقتتلوا به ، ثم إنهم انهزموا فقتلوا مقتلة عظيمة ، وأفاء الله على المسلمين بالري نحوا من فيء المدائن ، وكتب نعيم إلى عمر بالذي فتح الله عليه ، وكتب نعيم لأهل الري بالأمان على الجزاء ، وراسله المصمغان في الصلح ، فقبل منه ، وكتب بينه وبينه كتاباً على غير نصر ولا معونة ، أي بالأمان على الجزاء ، فشمل هذا الكتاب مصمغان دنباوند ، وأهل دنباوند والخوار واللارز والشرز .

فتح قومس

قالوا : ولما كتب نعيم بفتح الري مع المضارب العجلي ، ووفد بالأخماس كتب إليه عمر : أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس ، فسار سويد من الري نحو قومس ، فلم يقم له أحد ، فأخذها سلما ، وكاتبه الذين لجؤوا إلى طبرستان منهم، والذين أخذوا المفاوز ، فدعاهم إلى الصلح والجزاء وكتب لهم بذلك .

فتح جرجان

قالوا : وعسكر سويد بن مقرن ببسطام ، وكاتب ملك جرجان رزبان صول ثم سار إليها ، وكاتبه رزبان صول ، وبادره الصلح على أن يؤدي الجزاء ، ويكفيه حرب جرجان ، فقبل ذلك منه ، وكتب بينهم وبينه كتاباً .

فتح طبرستان وأذربيجان

قالوا : وأرسل الإصبهبذ سويداً في الصلح لأهل طبرستان ، فقبل ذلك منه، وكتب له كتاباً . قالوا : وقد كان بكير بن عبدالله قد سار إلى أذربيجان ، حتى إذا طلع بحيال جرميذان ، طلع عليهم اسفندياذ بن الفرخزاذ مهزوما من واج روذ ، فكان أول قتال لقيه بأذربيجان ، فاقتتلوا ، فهزم الله جنده ، وأخذ بكير اسفندياذ أسيراً ، ثم إنه عرض عليه الصلح ، فقبل منه ، فعادت أذربيجان سلما ، وكتب بذلك إلى عمر .

فتح الباب

قالوا : ورد عمر سراقة بن عمرو - وكان يدعى ذا النور - إلى الباب ، وجعل على مقدمته عبدالرحمن بن ربيعة - وكان أيضا يدعى ذا النور - ، فلما أطل عبدالرحمن بن ربيعة على الملك بالباب وهو شهربراز ، كاتبه شهربراز ، واستأمنه على أن يأتيه ، فأتاه عبدالرحمن ، فعرض عليه الصلح ، فقال عبدالرحمن : فوقي رجل قد أظلك فسر إليه ، فسار الملك شهربراز إلى سراقة بن عمر ، فعرض عليه الصلح ، فقبل منه ، وكتب له كتاباً . ثم إن سراقة وجه الجيش إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية ، فعرضوا عليهم الصلح ، فقبل سراقة منهم ، فلما استوسقوا واستحلوا عدل الإسلام مات سراقة ، واستخلف عبدالرحمن بن ربيعة .

قالوا : ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبدالرحمن بن ربيعة ، أقر عبدالرحمن وامره بغزو الترك ، فسار إليهم ، فتحصنوا منه وهربوا ، فرجع بالغنم والظفر ، وذلك في إمارة عمر ، ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان ، ظفر كما كان ظفر ، فخرجوا عليه في غزوة من غزواته ، فاقتتلوا فاشتد قتالهم ، فقاتل عبدالرحمن حتى قتل ، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة ، ثم خرج بالناس ، وخرج سلمان وأبو هريرة الدوسي على جيلان ، فقطعوها إلى جرجان .

تعديل فتوح أهل الكوفة والبصرة

قالوا : أقام عمار بن ياسر عاملا على الكوفة سنة في إمارة عمر وبعض أخرى، فكتب أهل الكوفة إلى عمر في عمار ، وقالوا : إنه ليس بأمير ، ولا يحتمل

مـاهو فـيـه ، ونزا به آهل الكوفـة ، فـعـزله عـمر ولم يوله . قال السري : قال عمر لأهل الكوفـة : مـا تعرفون من أميركم عمار ؟ فقال جرير بن عبدالله : هو والله غير كـاف ولا مجز ولا عـالم بالسـيـاسـة . وقـال سـعـد بن مسعود : والله ما يدري علام استعمـلته ! فقـال عمـر : علام استعمـلتك يا عمار ؟ قال : على الحيرة وأرضـها .

فقال : قد سمعت بالحيرة تجارا تختلف إليها ، قال : وعلى أي شيء ؟ قال : على بابل وارضـهـا ، قـال : سمعت بذكرها في القرآن . قال : وعلى أي شيء ؟ قال : على المدائن وما حولها ، قال : أمدائن كسرى؟ قال : نعم . قال : وعلى أي شيء؟ قال : على مـهـرجا نقذق وأرضها . قالوا : قد أخبرناك إنه لا يدري علام بعثته ! فـعـزله عنهم ، ثم دعـاه بعـد ذلك ، فقال : أساءك حين عزلتك ؟ فقال : والله ما فـرحت به حين بعـثـتني ، ولقـد سـاءني حين عزلتني . فقال عمر : لقد علمت ما أنـت بصـاحب عمل ، ولكني تأولت : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجـعلهم أئمـة ونجعلهم الوارثين ﴾ .

قـالوا : ثم قـال عـمـر لأهل الكوفـة ، من تريدون ؟ فـقـالوا : أبا موسى . فأمره عليهم بعد عمار ، فأقام عليها سنة ، فباع غلامه العلف ، فخرجوا إلى عمر ، فـقـالوا: لا حـاجـة لنا في أبي موسى ، قال: ولم ؟ قالوا : غلام له يتجر في حشرنا. فعـزله عنهم وصرفه إلى البصرة ، وصرف عـمر بن سراقة إلى الجزيرة . ثم إن عمراً استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفـة ، فكان عليها حتى مات عمر رضي الله عنه .

ذكر مصير يزدجرد إلى خراسان

قـالـوا : كـان يـزدجـرد لما انهزم أهل جلولاء خـرج يريد الري ، فلما انتـهى إليـهـا، وعليـهـا أبان جاذويه ، وثب عليه فأخذه ، وأخذ خاتمه ، فاكتتب الصكاك وسـجل السـجـلات بكل مـا أعجبه ، ثم ختم عليها ورد الخاتم ، ولما عذر جاذويه بيـزدجـرد ، خـرج يزدجرد إلى إصبهان وكره جاذويه ، ثم عزم على خرسان ، فأتى مـرو ، فنزلها ، وكـاتب من بقي من الأعـاجم ، فـدانوا له ، حـتى ثار أهل فـارس والهـرمـزان فـنكـثـوا ، وثـار أهـل الجـبـال والفيرزان فنكثوا ، فـخـرج الأحنف إلى خراسان، فأخذ على مهرجا نقذف، ثم خرج إلى إصبهان - وأهل الكوفة فحاصروا جي - فـدخل خـراسـان ، فـافتتح هراة عنوة ، ثم سار نحو مرو الشاهجان ، فلما

دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد نحو مرو الروذ حتى نزلها ، ونزل الأحنف مرو الشاهجان ، وكتب يزدجرد إلى خاقان يستمده ، وكتب إلى ملك الصغد ، يستمده ، وكتب إلى ملك الصين يستعينه ، وخرج الأحنف من مرو الشاهجان حتى نزل مرو الروذ ، وقدم أهل الكوفة ، فساروا إلى بلخ ، واتبعهم الأحنف ، فالتقوا بيزدجرد ببلخ ، فهزم الله يزدجرد ، وعاد الأحنف إلى مرو الروذ ، وكتب إلى عمر بفتح خراسان . قالوا : ولما خلع أهل خراسان زمان عثمان أقبل يزدجرد حتى نزل بمرو ، فلما اختلف هو ومن معه وأهل خراسان . أوى إلى طاحونة ، فأتوا عليه يأكل من كرد حول الرحا ، فقتلوه ثم رموه بالنهر .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

ذكر الخبر عن فتح توج وفتح إصطخر

قالوا : خرج أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس امراء على فارس ، فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير فيمن معه من المسلمين ، فالتقوا بتوج وأهل فارس ، فاقتتلوا ما شاء الله ، ثم إن الله عزّ وجل هزم أهل توج للمسلمين ، فقتلوهم كل قتلة ، ثم دعوا إلى الجزية والذمة ، فراجعوا وأقروا ، وخمس مجاشع الغنائم وبعث بها إلى عمر رضي الله عنه . قالوا : وقصد عثمان بن أبي العاص لإصطخر ، فالتقى هو وأهل إصطخر بجور ، فاقتتلوا ، ثم إن الله عز وجل فتح لهم جور ، وفتح المسلمون إصطخر ، ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء والذمة ، فأجابه الهربذ وكل من هرب أو تنحى ، فتراجعوا وباحوا بالجزاء . قالوا : ثم إن شهرك خلع في آخر إمارة عمر وأول إمارة عثمان ، ونشط أهل فارس ، ودعاهم إلى النقض ، فوجه إليه عثمان بن ابي العاص ثانية ، فالتقوا بفارس ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، قتل فيه شهرك وابنه .

ذكر فتح فسا ودارابجرد

قالوا : وقصد سارية بن زنيم ، فسا ودارابجرد ، حتى انتهى إلى عسكرهم ، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله . ثم إنهم استمدوا ، فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس ، فدهم المسلمين أمر عظيم ، وجمع كثير ، فرأى عمر في تلك الليلة

فيما يرى النائم معركتهم ، فنادى من الغد : الصلاة جامعة ! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم ، وكان أريهم والمسلمون بصحراء ، إن أقاموا فيها احيط بهم ، وإن أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد، فنادى : يا سارية ، الجبل ، الجبل ! ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على السناد إلى الجبل ، ففعلوا وقاتلوا من وجه واحد ، فنصرهم الله ، وكتبوا بذلك إلى عمر . قال السري : سأل عمر بن الخطاب رسول سارية إليه ، عن سارية ، وعن الفتح وهل سمعوا شيئا يوم الوقعة ؟ فقال : نعم ، سمعنا : يا سارية ، الجبل ، الجبل ! وقد كدنا نهلك ، فلجأنا إليه ، ففتح الله علينا .

ذكر الخبر عن فتح كرمان وفتح سجستان وفتح مكران

قالوا : وقصد سهيل بن عدي إلى كرمان ، ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وقد حشد له أهل كرمان ، فاقتتلوا في أدنى أرضهم ، ففضهم الله ، ففتحها المسلمون . وقصد عاصم بن عمرو سجستان ، ولحقه عبدالله بن عمير ، فالتقوا هم وأهل سجستان في أدنى أرضهم ، فهزموهم ثم اتبعوهم ، حتى حصروهم بزرنج ، ومخروا أرض سجستان ما شاؤوا . ثم إنهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الأرضين ، فأعطوه . قالوا : وقصد الحكم بن عمرو التغلبي لمكران ، ولحق به شهاب بن المخارق ، فانضم إليه ، وأمده سهيل بن عدي ، وعبدالله بن عبدالله بن عتبان بأنفسهما ، فانتهوا إلى دوين النهر ، وقد انفض أهل مكران إليه حتى نزلوا على شاطئه ، فعسكروا ، وعبر إليهم راسل ملكهم ملك السند ، فازدلف بهم مستقبل المسلمين ، فالتقوا فاقتتلوا ، فهزم الله راسل وسلبه ، وأباح المسلمين عسكره ، وكتب الحكم إلى عمر بالفتح ، وبعث بالأخماس .

خبر بيروذ من الأهواز

قالوا : ولما فصلت الخيول إلى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الأكراد وغيرهم ، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى حين سارت الجنود إلى الكور أن يسير

حتى ينتهي إلى ذمة البصرة ، كي لا يؤتى المسلمون من خلفهم ، فكان الذي حذر من اجتماع أهل بيروذ ، فخرج أبو موسى حتى ينزل ببيروذ ، فالتقوا بين نهر تيرى ومناذر ، وقد توافى إليها أهل النجدات من أهل فارس والأكراد ، فاقتتلوا ، ففتح الله على المسلمين .

ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

قالوا : إن عمر بن الخطاب كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمر عليهم رجلا من أهل العلم والفقه ، فاجتمع إليه جيش ، فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي . قال سلمة : فسرنا حتى لقينا عدونا من المشركين ، فدعوناهم إلى الإسلام ، فأبوا أن يسلموا ، فدعوناهم إلى الخراج ، فأبوا أن يقروا ، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتلة ، وسبينا الذرية ، وجمعنا الرثة ، فرأى سلمة بن قيس شيئاً من حلية ، فقال : ان هذا لا يبلغ فيكم شيئا ، فتطيب أنفسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ، قد طابت أنفسنا . قال : فجعل تلك الحلية في سفط ، ثم بعث برجل من قومه إلى أمير المؤمنين . قال : فلما رآها عمر بن الخطاب قال : أما والله لئن تفرق المسلمون في مشاتيهم قبل أن يقسم هذا فيهم لافعلن بك وبصاحبك الفاقرة . قال رسول سلمة : فارتحلت حتى أتيت سلمة ، فقلت : ما بارك الله فيما اختصصتني به ، أقسم هذا في الناس قبل أن تصيبني وإياك فاقرة ، فقسمه فيهم ، والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم ، وهو خير من عشرين ألفا .

ذكر الخبر عن مقتل عمر بن الخطاب

قال عبدالله بن جعفر : خرج عمر بن الخطاب يوما يطوف في السوق ، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وكان نصرانياً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعدني على المغيرة ، فإن علي خراجا كثيرا ، قال : وكم خراجك ؟ قال : درهمان في كل يوم ، قال : وايش صناعتك ؟ قال : نجار ، نقاش ، حداد ، قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغني أنك تقول : لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ، قال : فاعمل لي رحا ، قال : لئن

سـلـمت لأعـملن لك رحـا يتـحـدث بها من بالمشرق والمغـرب ، ثم انصرف عنه ، فقـال عمر : لقد توعـدني العبد آنفـاً ! قال : ثم انصرف عمر إلى منزله ، فلما كان من الغـد جـاءه كـعب الأحـبـار فقال له : يا أمير المؤمنين ، إعهد ، فإنك ميت في ثلاثة أيام ، قـال : ومـا يدريك ؟ قال : أجده في التوراة ، قال عمر : تجد عمر في التـوراة ؟ قال : اللهم لا ، ولكني أجد صفتك ، وإنه قد فني أجلك . قال : فلما كـان من الغـد جـاءه كـعب ، فـقـال : يا أمير المؤمنين ، ذهب يوم وبقي يومـان ، قـال : ثم جـاءه من غد الغد ، فقال : ذهب يومان وبقي يوم وليلة ، وهي تلك إلى صبـحـتـهـا . قال : فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة ، وكان يوكل بالصفوف رجـالا ، فإذا استـوت جـاء هو فكبر . قـال : ودخل أبو لؤلؤة في الناس ، في يده خـنجـر له رأسـان نصـابه في وسطه ، فضرب عـمـر ست ضربات ، إحـداهن تحت سرته ، وهي التي قـتلتـه ، فلما وجـد عـمـر حر السلاح سقط ، وقال : أفي الناس عـبـدالرحمن بن عـوف ؟ قـالوا : نعم ، قـال : تقـدم فصل بالناس ، قال : فصلى عـبـدالرحمن بالناس ، وعـمر طريح ، ثم احتمل فأدخل داره ، فدعا عبدالرحمن بن عـوف وقـال : ادع لي عليـا وعـثمان والزبير وسعداً ، فدخلوا عليه ، فقال : أنشدك الله يا علي إن وليـت من أمـور الناس شيئـاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس ، أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ، أنشـدك الله يا سـعـد إن وليت من أمـور الناس شيئا أن تحمل أقاربك على رقـاب الناس ، قـومـوا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم ، وليصل بالناس صهيب .

ثم دعـا أبا طلحـة الأنصـاري ، فقال : قم على بابهم ، فلا تدع أحداً يدخل إليـهم ، وقال : يا عبدالله بن عمر اخرج فانظر من قتلني ؟ فقال : قتلك أبو لؤلؤة غـلام المغيرة بن شـعـبـة ، قـال : الحـمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سـجـدة واحدة ، يا عبدالله ، اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن ادفن مع النبي صلى الله عليـه وسلم وأبي بكر ، يا عـبـدالله بن عـمـر ، إن اخـتلف القوم فكن مع الأكـثـر ، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتبع الحزب الذي فيه عبدالرحمن ، يا عبدالله ائذن للناس ، قـال : فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه . قال : ثم توفي ليلة الأربعـاء لثـلاث ليـال بقين من ذي الحـجة سنة ثلاث وعشرين ، فدفن في بيت عـائشـة مع النبي صلى الله عليـه وسلم وأبي بكر . قـال السري : اجتمع أهل

الشورى على عثمان ، لثلاث مضين من المحرم ، فخرج فصلى بالناس ، قال هشام ابن محمد : وكانت خلافة عمر بن الخطاب عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام .

ذكر نسب عمر رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص ، وأمه حنتمه بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم . قال أبو جعفر : وكان يقال له الفاروق . وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك . قال أبو عمرو ذكوان : قلت لعائشة : من سمى عمر الفارق ؟ قالت : النبي صلى الله عليه وسلم . وقال ابن شهاب : بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر : الفارق ، وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم .

ذكر صفته

قال السري عن زر بن حبيش ، قال : خرج عمر في يوم عيد - أو في جنازة زينب - آدم طوالاً أصلع أعسر يسراً ، يمشي كأنه راكب ، وقال عامر بن ربيعة : رأيت عمر رجلا أبيض أمهق ، تعلوه حمرة ، طوالا أصلع .

ذكر مولده ومبلغ عمره

قال أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده : سمعت عمر بن الخطاب يقول : ولدت قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين . قال أبو جعفر : واختلف السلف في مبلغ سني عمر . قال ابن عمر : قتل عمر بن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة . وقال هشام بن محمد : كان يوم توفي ابن ثلاث وخمسين سنة وأشهر . وقال ابن أبي عدي : مات عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقال أبو سلمة التبوذكي : توفي وهو ابن إحدى وستين سنة . وقال ابن سعد : توفي عمر وهو ابن ستين سنة . قال محمد بن عمر : وهذا أثبت الأقاويل عندنا ، وذكر عن المدائني أنه قال : توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

ذكر اسماء ولده ونسائه

قالوا : تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون ، فولدت له عبد الله وعبدالرحمن الأكبر وحفصة ، وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعي في الجاهلية ، فولدت له عبيدالله بن عمر ، ففارقها في الهدنة . قال محمد بن عمر : زيد الأصغر وعبيد الله أمهما أم كلثوم بنت جرول الخزاعي ، وكان الإسلام فرق بينها وبين عمر، قالوا : وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي في الجاهلية ، ففارقها في الهدنة. وتزوج أم حكيم بنت الحارث في الإسلام فولدت له فاطمة فطلقها . وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت في الإسلام ، فولدت له عاصما ، فطلقها وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، فولدت له زيدا ورقية . قالوا : وتزوج لهية ، امرأة من اليمن ، فولدت له عبدالرحمن الأصغر . وكانت عنده فكيهة ، فولدت له زينب . وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل . قال المدائني : وخطب أم كلثوم بنت أبي بكر وأرسل فيها إلى عائشة ، فقالت : لا حاجة لي فيه ، إنه خشن العيش ، شديد على النساء . قال : وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة ، فكرهته ، وقالت: يغلق بابه ، ويمنع خيره ، ويدخل عابسا ، ويخرج عابسا .

ذكر وقت إسلامه وذكر بعض سيره

قال محمد بن عمر : أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة . قال الحسن ، قال عمر : إذا كنت في منزلة تسعني وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لي بمنزلة حتى أكون أسوة للناس . قال كعب الأحبار : نزلت على رجل يقال له مالك – وكان جارا لعمر بن الخطاب – فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء . قال عبدالرحمن بن زيد ، عن أبيه ، عن جده ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس ، فقال : والذي بعث محمدا بالحق ، لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب . قال أبو زيد : آل الخطاب يعني نفسه .

قال محمد بن المثنى : كتب عمر إلى أبي موسى : إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم ، فأكرم من قبلك من وجوه الناس ، وبحسب المسلم الضعيف

من العدل، أن ينصف في الحكم وفي القسم. قال ابن المثنى: قال عمر في عماله اللهم إني لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم، ولا ليضربوا أبشارهم، من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوني. قال ابن أبي طلحة: إن عمراً خطب الناس يوم الجمعة، فقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار إني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم، وأن يقسموا فيهم فيئهم، وأن يعدلوا، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلّي.

وكان عمر رحمه الله، يعس بنفسه، ويرتاد منازل المسلمين، ويتفقد أحوالهم بيديه. قال ابن بشار عن بكر بن عبدالله المزني: جاء عمر بن الخطاب إلى باب عبدالرحمن بن عوف فضربه، فجاءت المرأة ففتحته، ثم قالت له: لا تدخل حتى أدخل البيت وأجلس مجلسي، فلم يدخل حتى جلست، ثم قالت: ادخل، فدخل، ثم قال: هل من شيء؟ فأتته بطعام فأكل، وعبدالرحمن قائم يصلي، فقال له: تجوز أيها الرجل، فسلم عبدالرحمن حينئذ، ثم أقبل عليه، فقال: ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ قال: رفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة، فانطلق فلنحرسهم، فانطلقا فأتيا السوق، فقعدا على نشز من الأرض يتحدثان، فرفع لهما مصباح، فقال عمر: ألم أنه عن المصابيح بعد النوم! فانطلقا، فإذا هم قوم على شراب لهم، فقال: انطلق فقد عرفته، فلما أصبح أرسل إليه فقال: يا فلان، كنت وأصحابك البارحة على شراب؟ قال: وما علمك يا أمير المؤمنين؟ قال: شيء شهدته، فقال: أولم ينهك الله عن التجسس! قال: فتجاوز عنه. قال المزني: وإنما نهى عمر عن المصابيح، لأن الفأرة تأخذ الفتيلة فترمي بها في سقف البيت فيحترق، وكان إذا ذاك سقف البيت من الجريد.

وقال زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصرار، إذ نار تؤدث، فقال يا أسلم، إني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صبيان لها، وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء - وكره أن يقول: يا أصحاب النار - قالت: وعليك السلام، قال: أأدنو؟ قالت: ادن بخير أو دع، فدنا فقال: ما بالك؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟

قـالت : الجـوع ، قـال : وأي شيء في هذه القـدر ؟ قـالت : ماء اسكتهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عـمـر! قال : أي رحمك الله ، ما يدري عمر بكم ! قالت : يتـولى أمـرنا ويغـفل عنا ! فأقبل علي ، فقال : انطلق بنا ، فخرجنا نهرول ، حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلا فيه كبة شحم ، فقال : احمله عليّ فقلت : أنا أحمله عنـك ، قـال : أحمله عليّ ، مـرتين أو ثلاثا ، كل ذلك أقـول : أنا أحمله عنك ، فـقـال لي في أخـر ذلك : أنت تحـمل عني وزري يوم القيامة ، لا أم لك ! فحملته عليـه ، فـانطلق وانطلقت مـعـه نهرول ، حـتى انتهينا إليها ، فألقى ذلك عندها ، وأخـرج من الدقـيق شيئا ، فجعل يقول لها : ذري علي ، وأنا أحرك لك ، وجعل ينفخ تحـت القدر - وكان ذا لحية عظيمة - فجلعت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القـدر ثم أنزلها ، وقال: أبغني شيئا ، فأتته بصحفة فأفرغها فيها، ثم جـعل يقـول : اطعـمـيـهم ، وأنا أسطح لك ، فلم يزل حـتى شبعوا ، ثم خلى عندها فـضل ذلك ، وقـام وقـمت مـعـه ، فجعلت تقول : جزاك الله خيرا ! أنت أولى بهذا الأمـر من أمير المؤمنين ! فـيقول : قولي خيرا ، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شـاء الله . ثم تنحـى ناحيـة عنها ، ثم استقبلهـا وربـض مربـض السـبع ، فـجـعلت أقـول له : إن لك شأنا غير هذا ، وهو لا يكلمني حـتى رأيت الصـبـيـة يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهـدؤوا ، فقام وهو يحـمـد الله ، ثم أقبل عليّ فـقـال : يا أسلم ، إن الجـوع أسـهـرهم وأبكاهم ، فأحـببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم .

وقـال عـبيد الله بن عمر : كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهـلـه ، فـقـال : إني نهيت الناس عن كـذا وكـذا ، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير - يعني إلى اللحم - واقسم بالله لا أجـد أحـداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبـة . قال ابن سعـد : وكان رحمـه الله إذا احتـاج أتى صاحـب بيت المـال ، فـاسـتـقرضه ، قال : فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه ، فيحتال له عمر ، وربما خرج عطاؤه فقضاه . قال ابن البراء بن معرور : إن عمر رضي الله عنه خرج يوما حتى أتي المنبر ، وقد كان اشتكى شكوى له ، فنعت له العـسل ، وفي بيت المال عكة ، فقال : إن أذنتم لي فيها أخذتها ، وإلا فهي علي حرام .

تسمية عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين

قال أبو جعفر : أول من دعي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم جرت بذلك السنة ، واستعمله الخلفاء إلى اليوم . قالت أم عمرو بنت حسان الكوفية ، عن أبيها ، قال : لما ولي عمر قيل : يا خليفة خليفة رسول الله ، فقال عمر : هذا أمر يطول ، كلما جاء خليفة قالوا : يا خليفة خليفة خليفة رسول الله ! بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فسمي أمير المؤمنين .

وضعه التاريخ

قال أبو جعفر : وكان عمر أول من وضع التاريخ في سنة ست عشرة في شهر ربيع الأول منها ، وهو أول من أرخ الكتب ، وختم بالطين ، وهو أول من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح في شهر رمضان .

حمله الدرة وتدوينه الدواوين

قال أبو جعفر : وهو أول من حمل الدرة ، وضرب بها ، وهو أول من دون للناس في الإسلام الدواوين ، وكتب الناس على قبائلهم ، وفرض لهم العطاء . قال الحارث عن جبير بن الحويرث : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدواوين ، فقال له علي بن أبي طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ، فلا تمسك منه شيئا . وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، خشيت أن ينتشر الأمر . فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين قد جئت الشام ، فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا ، فدون ديوانا ، وجند جندا . فأخذ بقوله ، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ، فقال : اكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوا فبدؤوا ببني هاشم ، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة ، فلما نظر فيه عمر قال : لوددت والله أنه هكذا ، ولكن ابدؤوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله .

قصة الشورى

قالوا : إن عمر بن الخطاب لما ظعن قيل له : يا أمير المؤمنين ، لو استخلفت ! قال : من أستخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته ، فإن سألني ربي قلت : سمعت نبيك يقول : (إنه أمين هذه الأمة) ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته ، فإن سألني ربي قلت : سمعت نبيك يقول : (إن سالما شديد الحب لله) . فقال له رجل : أدلك عليه ؟ عبدالله بن عمر ، فقال : قاتلك الله ، والله ما أردت الله بهذا ، ويحك ! كيف أستخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته ! فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو عهدت عهدا ! قالوا : فلما أصبح دعا عليا وعثمان وسعدا بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام ، فقال: إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، فانهضوا ، فتشاوروا واختاروا رجلا منكم . فدخلوا فتناجوا ، ثم ارتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر : سبحان الله ! إن أمير المؤمنين لم يمت بعد ، فأسمعه فانتبه فقال : إلا اعرضوا عن هذا أجمعون ، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصل بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، ويحضر عبدالله بن عمر مشيرا، ولا شيء له من الأمر، وطلحة شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة فاحضروه أمركم ، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم . وما أظن أن يلي إلا أحد هذين الرجلين : علي أو عثمان ، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين ، وإن ولي علي ففيه دعابة ، وأحر به أن يحملهم على طريق الحق .

وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم ، فاختر خمسين رجلا من الأنصار ، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا منهم ، وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام ، وادخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبدالرحمن بن عوف وطلحة إن قدم ، واحضر عبدالله بن عمر ولا شيء له من الأمر ، وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان ، فاضرب رؤوسهما ، فإن رضي ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم رفضوا ، فحكموا عبدالله بن عمر ، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلا

منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس .

فلما مات عمر وأخرجت جنازته ، تصدى علي وعثمان : أيهما يصلي عليه ، فقال عبدالرحمن : كلاكما يحب الأمرة ، لستما من هذا في شيء ، هذا إلى صهيب ، فصلى عليه صهيب ، فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى وهم خمسة ، معهم ابن عمر ، وطلحة غائب ، وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم . فقال عبدالرحمن : أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم ؟ فلم يجبه أحد ، قال : فإني اخرج نفسي وابن عمي (سعد) ، فقال عثمان : أنا أول من رضي ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أمين في الأرض، أمين في السماء)، فقال القوم : قد رضينا - وعلي - ساكت - فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال : أعطني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ، ولا تخص ذا رحم ، ولا تألوا الأمة ! فقال : أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدل وغير ، وأن ترضوا من أخترت لكم ، علي ميثاق الله ألا أخص ذا رحم لرحمه ، ولا آلوا المسلمين . فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله ، فقال لعلي : أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر، من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر ؟ قال : عثمان . وخلا بعثمان، فقال : لو لم تحضر فأي هؤلاء الرهط تراه أحق به ؟ قال : علي . ثم خلا بالزبير ، فكلمه بمثل ما كلم به عليا وعثمان ، فقال : عثمان ، ثم خلا بسعد ، فكلمه ، فقال : عثمان ، ودار عبدالرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس ، يشاورهم ، ولا يخلو برجل إلا أمره بعثمان ، حتى إذا كانت الليلة التي يستكمل في صبيحتها الأجل ، جمع الرهط وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى امراء الأجناد ، فاجتمعوا حتى التج المسجد بأهله ، فقال : أيها الناس ، إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم . فقال سعيد بن زيد : إنا نراك لها أهلا ، فقال : أشيروا علي بغير هذا ، فقال عمار : إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع عليا ، وقال ابن أبي سريح : إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان . فقال عبدالله بن أبي ربيعة : صدق ، إن بايعت عثمان قلنا : سمعا واطعنا . فشتم عمار ابن ابي سريح ، وقال : متى كنت تنصح المسلمين !

فتكلم بنو هاشم وبنو أمية ، فقال عمار : أيها الناس ، إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه ، وأعزنا بدينه ، فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ! فقال رجل من بني مخزوم : لقد عدوت طورك يابن سمية ، وما أنت وتأمير قريش لانفسها ! فقال سعد بن أبي وقاص : يا عبدالرحمن ، افرغ قبل أن يفتتن الناس ، فقال عبدالرحمن : إني قد نظرت وشاورت ، فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا . ودعا عليا ، فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده ؟ قال : أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي ، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي ، قال : نعم ، فبايعه ، فقال علي: حبوته حبو دهر ، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم هو في شأن ، فقال عبدالرحمن : يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا ، فإني قد نظرت وشاورت الناس ، فإذا هم لا يعدلون بعثمان . وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان ، فقيل له : بايع عثمان ، فقال : أكل قريش راض به ؟ قال : نعم ، فأتى عثمان فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك ، إن أبيت رددتها ، قال : اتردها ؟ قال: نعم ، قال: أكل الناس بايعوك ؟ قال: نعم ، قال: قد رضيت ، لا أغرب عما قد أجمعوا عليه ، وبايعه .

قالوا : ثم جلس عثمان في جانب المسجد ، ودعا بعبيد الله بن عمر - وكان محبوسا في دار سعد بن ابي وقاص . وهو الذي نزع السيف من يده بعد قتله جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة ، وكان يقول : والله لاقتلن رجالا ممن شرك في دم أبي - يعرض بالمهاجرين والأنصار - فقام إليه سعد ، فنزع السيف من يده ، وجذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض ، وحبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه ، فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار : أشيروا علي في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق ، فقال علي : أرى أن تقتله ، فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ! فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك، قال عثمان: أنا وليهم، وقد جعلتها دية، واحتملتها في مالي. قال عبدالرحمن ابن أبي بكر : مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس ، ومعه جفينة والهرمزان ، وهم

نـجي ، فلما رهقـتـهم ثاروا ، وسـقط منهم خنجـر له رأسـان ، نصـابه في وسطه ، فـانظروا بأي شيء قـتل ، وقـد تخلل أهل المسـجـد ، وخـرج في طلبه رجل من بني تميم ، فـرجع إليـهم التـميـمي ، وقـد كـان الظ بأبي لؤلؤة فصرفه عن عمر ، حتى أخـذه فقتله ، وجاء بالخنجر الذي وصفه عبدالرحمن بن أبي بكر ، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر ، فأمسـك حتى مـات عمر ، ثم اشتمـل على السيـف ، فأتى الهرمزان فقتله ، فلما عضـه السيف قال : (لا إله إلا الله) . ثم مضـى حتى أتى جفينـة - وكان نصرانيا من أهـل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك ، أقدمه إلى المدينة للصلح الذي بينه وبينهم ، وليـعلم بالمدينة الكتـابة - فلما عـلاه بالسيف صلب بين عينيه . وبلغ ذلك صـهـيبا ، فبعث إليه عمرو بن العاص ، فلم يزل به وعنه ، ويقول : السيف بأبي وأمي ! حـتى ناوله إياه ، وثاوره سعد فأخذ بشعره وجاؤوا إلى صهيب .

عمال عمر رضي الله عنه على الأمصار

وكـان عامـل عمر بن الخطـاب رضي الله عنه في السنـة التي قتل فيهـا ، وهي سنة ثلاث وعشرين - على مكة نافع بن عبدالحارث الخزاعي ، وعلى الطائف سفيان ابن عبدالله الثقفي ، وعلى صنعاء يعلى بن منية ، وعلى الجند عبدالله بن أبي ربيعة ، وعلى الكوفـة المغيرة بن شـعبـة ، وعلى البصـرة أبو موسـى الأشعـري ، وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى حمص عمير بن سعد ، وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان، وعلى البـحرين وما والاهما عثمان ابن أبي العاص الثقفي .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين

وفي هذه السنـة بويع لعـثمان بن عفان بـالخلافـة ، واختلـف في الوقـت الـذي بويع له فـيـه . فقال بعضهم : بويع عثمان بن عفان يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحـجـة سنة ثلاث وعشرين ، فـاسـتـقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين . وقال آخـرون : بويع لعـثمان عـام الرعاف سنة أربع وعشرين ، وقال آخرون : استخلف عثمان لثـلاث مضين من المحرم سنة أربع وعشرين ، فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد الناس مـائة ووفـد أهل الأمـصـار ، وهو أول من صنع ذلك . وقال آخرون : بويع لعثمان لعشر مضين من المحرم ، بعد مقتل عمر بثلاث ليال .

ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة

قال السري : وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة ، وولاها سعد بن أبي وقاص . قال السري : كان عمر قال : اوصي الخليفة من بعدي أن يستعمل سعد بن أبي وقاص ، فإني لم أعزله عن سوء ، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك . وكان أول عامل بعث به عثمان سعد بن أبي وقاص على الكوفة . وأما الواقدي فإنه ذكر أن عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ، ثم عزله ، واستعمل سعد بن أبي وقاص ثم عزله واستعمل الوليد بن عقبة . فإن كان صحيحا ما رواه الواقدي من ذلك ، فولاية سعد الكوفة من قبل عثمان كانت سنة خمس وعشرين .

غزوة أذربيجان وإرمينية

وفي هذه السنة ، غزا الوليد بن عقبة وهو على الكوفة ، أذربيجان وإرمينية ، لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر . قال هشام بن محمد : فمضى في الناس حتى دخل أذربيجان ووطئهم بالجيش ، فلما رأوا ذلك انقادوا له ، وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح ، فقبض منهم المال وانصرف وقد ظفر وأصاب حاجته ، وقد كان قد بعث سلمان بن ربيعة إلى إرمينية في اثني عشر ألفا ، فسار في أرض إرمينية فقتل وسبى وغنم ، وانصرف إلى الوليد .

اجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفة

وفي هذه السنة ، جاشت الروم ، حتى استمد من بالشام من جيوش المسلمين من عثمان مددا . قال هشام : لما أصاب الوليد حاجته من إرمينية في الغزوة التي ذكرتها في سنة أربع وعشرين ، ودخل الموصل فنزل الحديثة ، أتاه كتاب عثمان رضي الله عنه : أن معاوية بن أبي سفيان كتب الي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة ، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلا ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته واسلامه في ثمانية آلاف من المكان الذي يأتيك فيه رسولي ، والسلام . فبعث الوليد سلمان بن ربيعة الباهلي في ثمانية آلاف من أهل الكوفة ، فمضوا حتى وصلوا مع

أهل الشام إلى أرض الروم ، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري ، فشنوا الغارات على أرض الروم ، فأصاب الناس ما شاؤوا من سبي ، وملؤوا أيديهم من المغنم ، وافتتحوا حصونا كثيرة .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

قال أبو معشر : كان فتح الإسكندرية سنة خمس وعشرين . قال الواقدي : وفي هذه السنة نقضت الإسكندرية عهدها ، فغزاهم عمرو بن العاص فقتلهم . قال : وفيها كان توجيه عبدالله بن سعد إلى المغرب ، وكان عمرو بن العاص قد بعث بعثا قبل ذلك إلى المغرب ، فأصابوا غنائم ، فكتب عبدالله يستأذنه في الغزو إلى إفريقيا، فاذن له. قال: وحج بالناس في هذه السنة عثمان ، وفيها فتح الحصون وأميرهم معاوية بن أبي سفيان . قال : وفيها ولد يزيد بن معاوية . قال : وفيها فتحت سابور الأولى .

ثم دخلت سنة ست وعشرين

وفي هذه السنة عزل عثمان سعدا عن الكوفة ، وولاها الوليد بن عقبة في قول الواقدي ، وأما في قول سيف فإنه عزله في سنة خمس وعشرين . قال السري ، عن سيف : كان أول ما نزع به بين أهل الكوفة - وهو أول مصر نزغ الشيطان بينهم في الإسلام - أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبدالله بن مسعود من بيت المال مالا ، فأقرضه ، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه ، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبدالله بأناس من الناس على استخراج المال ، واستعان سعد بناس على استنظاره ، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا ، يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبدالله . قال : فغضب عليهما عثمان ، وانتزعها من سعد وعزله ، واستعمل الوليد بن عقبة ، وكان عاملا لعمر على ربيعة بالجزيرة .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

وفي هذه السنة ، تم فتح إفريقية على يد عبدالله بن سعد بن أبي سرح . قال السري : لما ولي عثمان أقر عمرو بن العاص على عمله ، وكان عبدالله بن سعد من

جند مصر، فأمر عبدالله بن سعد على جنده، ورماه بالرجال، وسرحه إلى إفريقية، وقال له : إن فتح الله عز وجل عليك إفريقية ، فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا. وسرح عبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله بن نافع بن الحصين ، ورماهما بالرجال ، وسرحهما إلى الأندلس ، وأمرهما وعبدالله بن سعد بالاجتماع على الأجل ، ثم يقيم عبدالله بن سعد في عمله ويسيران إلى عملهما.

قال : فخرجوا حتى قطعوا مصر ، فلما وغلوا في أرض إفريقية فأمعنوا انتهوا إلى الأجل ، ومعه الأفناء ، فاقتتلوا ، فقتل الأجل ، قتله عبدالله بن سعد وفتح إفريقية سهلها وجبلها . ثم اجتمعوا على الإسلام ، وحسنت طاعتهم ، وقسم عبدالله ما أفاء الله عليهم على الجند ، وأخذ خمس الخمس ، وبعث بأربع أخماسه إلى عثمان ، وضرب فسطاطا في موضع القيروان ، ووفد وفدا ، فشكوا عبدالله فيما أخذ ، فقال لهم : أنا نفلته ، وقد أمرت له بذلك ، وذاك إليكم الآن ، فإن رضيتم فقد جاز ، وإن سخطتم فهو رد . قالوا : فإنا نسخطه ، قال : فهو رد ، وكتب إلى عبدالله برد ذلك واستصلاحهم ، قالوا : فاعزله عنا ، فإنا لا نريد أن يتأمر علينا ، وقد وقع ما وقع ، فكتب إليه أن استخلف على إفريقية رجلا ممن ترضى ويرضون وأقسم الخمس الذي كنت نفلتك في سبيل الله . ففعل ، ورجع عبدالله بن سعد إلى مصر ، وقد فتح إفريقية وقتل الأجل .

قال : وأرسل عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبدا لله بن نافع بن عبدالقيس من فورهما ذلك من إفريقية إلى الأندلس ، فخرجوا ومعهم البربر فأتوها من برها ، ففتحها الله على المسلمين وافرنجة ، وازدادوا في سلطان المسلمين مثل إفريقية ، فلما عزل عثمان عبدالله بن سعد صرف إلى عمله عبدالله بن نافع بن عبد القيس ، وكان عليها ، ورجع عبدالله بن سعد إلى مصر ، ولم يزل أمر الأندلس كأمر إفريقية حتى كان زمان هشام ، فمنع البربر أرضهم ، وبقي من في الأندلس على حاله .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

قال السري : وفي هذه السنة غزا معاوية بن أبي سفيان قبرس ، وقد كان استأذن عمر في البحر فلم يأذن له ، فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية حتى عزم

عثمان على ذلك . قال : واستعمل معاوية على البحر عبدالله بن قيس الجاسي ، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر ، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب ، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده ، خرج في قارب طليعة ، فانتهى إلى المرقى من أرض الروم ، وعليه سؤال يعترون بذلك المكان ، فتصدق عليهم ، فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها ، فقالت للرجال : هل لكم في عبدالله بن قيس ؟ قالوا : وأين هو ؟ قالت : في المرقى ، فثاروا إليه ، فقتلوه ، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه . قال : وقد قيل لتلك المرأة كيف عرفته ؟ قالت : كان كالتاجر ، فلما سألته أعطاني كالملك ، فعرفت أنه عبدالله بن قيس . قال أبو جعفر : ولما غزا معاوية قبرس صالح أهلها على سبعة آلاف دينار جزية يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

قال السري : وفي هذه السنة عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة ، وولاها عبدالله بن عامر بن كريز . قال غيلان بن خرشة لعثمان بن عفان : أما منكم خسيس فترفعوه ! أما منكم فقير فتجيروه ! يا معشر قريش ، حتى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد ! فانتبه لها الشيخ ، فولاها عبدالله بن عامر . قال مسلمة : فقدم البصرة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، سنة تسع وعشرين . قال الواقدي : وفي هذه السنة افتتح عبدالله بن عامر فارس . وفيها زاد عثمان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم دخلت سنة ثلاثين

ذكر الخبر عن غزو سعيد بن العاص طبرستان

قال علي بن محمد : غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ، وخرج عبدالله بن عامر من البصرة يريد خراسان ، فسبق سعيدا ونزل أبرشهر ، وبلغ ذلك سعيدا ، فنزل قومس ، فأتى جرجان ، فصالحوه على مائتي ألف ، ثم أتى طميسة ، وهي في تخوم جرجان ، فقاتله أهلها ، فحاصرهم حتى سألوا الأمان ، فأعطاهم ، ففتحوا الحصن ، فقتلهم جميعا ، وحوى ما كان في الحصن .

ذكر الخبر عن عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وتوليته سعيدا عليها

قال السري : إن شبابا من شباب أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي، وكاثروه ، فنذر بهم ، فخرج عليهم بالسيف ، فلما رأى كثرتهم استصرخ - وأبو شريح الخزاعي مشرف عليهم - فصاح بهم وضربوه فقتلوه ، وأحاط الناس بهم فأخذوهم وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي ، وشبيل بن أبي الأزدي ، في عدة . فشهد عليهم أبو شريح ، فكتب فيهم الوليد إلى عثمان ، فكتب إليه في قتلهم ، فقتلهم على باب القصر في الرحبة . قال : وكان عمر بن الخطاب قد استعمل الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة ، فنزل في بني تغلب . وكان أبو زبيد في بني تغلب أخواله ، فاضطهده أخواله دينا له ، فأخذ له الوليد بحقه ، فشكرها له أبو زبيد ، وانقطع إليه ، وغشيه بالمدينة ، فلم يزل الوليد به حتى أسلم في آخر إمارة الوليد ، وحسن إسلامه ، فاستدخله الوليد، فأتى آت أبا زينب وأبا مورع وجندبا ، وهم يحقدون له مذ قتل ابناءهم ، فقال لهم: هل لكم في الوليد يشارب أبا زبيد ؟ فثاروا في ذلك ، فلم يثبت . قال: واجتمع نفر من أهل الكوفة ، فعملوا في عزل الوليد ، فانتدب أبو زينب وأبو مورع للشهادة عليه ، فقدما على عثمان ، ومعهما نفر من أهل الكوفة ، فادعوا أن الوليد يشارب أبا زبيد الخمر ، فقال : من يشهد ؟ قالوا : أبو زينب وأبو مورع ، فقال : كيف رأيتما ؟ قالا : دخلنا عليه وهو يقيء الخمر ، فقال : ما يقيء الخمر إلا شاربها . فحلف له الوليد وأخبره خبرهم ، فقال : نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار ، فاصبر يا أخي ! فأمر سعيد بن العاص فجلده ، وبعث بسعيد بن العاص على الكوفة ، فقدمها في سنة سبع من إمارة عثمان .

ذكر الخبر عن سقوط خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان في بئر أريس

قال ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد ان يكتب إلى الأعاجم كتبا يدعوهم إلى الله عز وجل ، فقال له رجل : يا رسول الله ، إنهم لا يقبلون كتابا إلا مختوما ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعمل له خاتم من

ورق ، وأمر أن ينقش عليه : (محمد رسول الله) ، فجعله في اصبعه ، وجعل يتختم به حتى قبضه الله عز وجل ، ثم ولي أبو بكر الصديق فجعل يتختم به حتى قبضه الله ، ثم ولي عمر بن الخطاب ، فجعل يتختم به حتى قبضه الله ، ثم ولي عثمان بن عفان ، فتختم به ست سنين ، فحفر بئرا بالمدينة شربا للمسلمين ، فقعد على رأس البئر ، فجعل يعبث بالخاتم ، فانسل الخاتم من اصبعه فوقع في البئر ، فطلبوه في البئر ، ونزحوا ما فيها من الماء ، فلم يقدروا عليه ، فلما يئس من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر مثله ، خلقه من فضة ، فجعله في اصبعه ، فلما قتل ذهب من يده فلم يدر من أخذه .

أخبار أبي ذر رحمه الله تعالى

قال السري : لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر ، فقال : يا أبا ذر ، ألا تعجب إلى معاوية ، يقول : المال مال الله ! ألا إن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجمه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين ، فأتاه أبو ذر فقال : ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله ! قال : السنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ! قال : فلا تقله ، قال : فإني لا أقول : إنه ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين . قال السري : فقام أبو ذر بالشام وجعل يقول : يا معشر الأغنياء ، واسوأ الفقراء : بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جبهاههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس. قال : فكتب معاوية إلى عثمان ، فكتب إليه عثمان : أن ابعث بأبي ذر ومعه دليل ، فبعث به ، ودخل على عثمان فقال : يا أبا ذر ، ما لأهل الشام يشكون ذربك! فأخبره بالأمر. فقال عثمان: يا أبا ذر، علي أن أقضي ما علي، وأخذ ما على الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد . فقال أبو ذر : أتأذن لي في الخروج، فإن المدينة ليست لي بدار ؟ فأذن له . فخرج حتى نزل الربذة ، فخط بها مسجدا ، واقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين . قال السري : فكان أبو ذر يختلف من الربذة إلى المدينة ، وكان يحب الوحدة والخلوة ، ويدعو إلى بذل المعروف . قال مسلمة : وفي هذه السنة ، هرب يزدجرد بن شهريار من فارس إلى خراسان .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

غزوة الصواري

قال الواقدي : إن أهل الشام خرجوا ، عليهم معاوية بن أبي سفيان ، وعلى أهل البحر عبدالله بن سعد بن أبي سرح . وقال : وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية ، فخرجوا في جمع لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الإسلام ، فخرجوا في خمسمائة مركب ، فالتقوا هم وعبدالله بن سعد ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وقتل من المسلمين بشر كثير، وقتل من الكفار ما لا يحصى. ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام ، وانهزم القسطنطين مدبرا .

قال ابن عمر : وأقام عبدالله بذات الصواري أياما بعد هزيمة القوم ، ثم أقبل راجعا ، وجعل محمد بن أبي حذيفة يقول للرجل : أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقا ، فيقول الرجل : وأي جهاد ؟ فيقول : عثمان بن عفان ، فعل كذا وكذا ، وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس . فقدموا بلدهم وقد أفسدهم ، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به . قال الواقدي : وفي هذه السنة توفي أبو سفيان بن حرب وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

وفي هذه السنة قتل يزدجرد ملك فارس . قال علي بن محمد : هرب يزدجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو ، فسأل مرزبانها مالا فمنعه ، فخافوا على أنفسهم ، فارسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه ، فأتوه فبيتوه ، فقتلوا أصحابه ، وهرب يزدجرد حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحاء على شط المرغاب ، فأوى إليه ليلا ، فلما نام قتله ، وأخذ متاعه والقى جسده في المرغاب ، وأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره ، حتى خفي عليهم عند منزل النقار ، فأخذوه فأقر لهم بقتله وأخرج متاعه ، فقتلوا النقار وأهل بيته ، وأخذوا متاعه ومتاع يزدجرد ، وأخرجوه من المرغاب فجعلوه في تابوت من خشب . وقال بعضهم في ذلك روايات عديدة ، قال أبو جعفر : وكان ملك يزدجرد عشرين سنة ، منها أربع سنين في دعة وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه ، وكان آخر ملك ملك من آل أردشير بن بابك ، وصفا الملك بعده للعرب . قال علي بن محمد : خرج عبدالله بن عامر إلى أبرشهر فصالحه أهلها ، وبعث أمين بن أحمر اليشكري، ففتح ما حول أبرشهر : طوس وبيورد ونسا وحمران ، حتى انتهى إلى سرخس ففتحها .

قال: فارسل ابن عامر إلى أهل مرو يشاورهم الصلح ، وبعث إليهم حاتم بن النعمان الباهلي، فصالح براز مرزبان مرو على ألفي ألف ومائتي ألف. وقال غيره: صالحهم على ستة الآف ومائتي ألف .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

قال السري : كتب عثمان إلى سعيد بن العاص : أن أغز سلمان بن ربيعة الباب ، وكتب إلى عبدالرحمن بن ربيعة وهو على الباب : أن الرعية قد أبطر كثيرا منهم البطنة ، فقصر ، ولا تقتحم بالمسلمين ، فلم يزجر ذلك عبدالرحمن عن غايته، فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر ، حصروها ونصبوا عليها المجانيق والعرادات . قال : ثم إن الترك اتعدوا يوما ، فخرج أهل بلنجر ، وتوافت إليهم الترك فاقتتلوا ، فقتل عبدالرحمن بن ربيعة وانهزم المسلمون . قال : وقتل في هذه المعركة يزيد بن معاوية النخعي وعمرو بن عتبة ومعضد الشيباني . قال : واستعمل سعيد على ذلك الفرج سلمان بن ربيعة ، واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان ، وكان على ذلك الفرج قبل ذلك عبدالرحمن بن ربيعة ، ومدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام ، عليهم حبيب بن مسلمة القرشي ، فتأمر عليه سلمان ، وأبى عليه حبيب ، حتى قال أهل الشام : لقد هممنا بضرب سلمان، فقال في ذلك الناس : إذا والله نضرب حبيبا ونحبسه ، فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب ، فلما أحس حذيفة أقر وأقروا ، فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات ، فقتل عثمان في الثالثة ، ولقيهم مقتل عثمان ، فقال : اللهم العن قتلة عثمان وغزاة عثمان وشنأة عثمان . اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا ، متى ما كان من قبله يعاتبنا ونعاتبه ! فاتخذوا ذلك سلما إلى الفتنة ، اللهم لا تمتهم إلا بالسيوف . وفي هذه السنة مات عبدالرحمن بن عوف وهو ابن خمس وسبعين سنة . وفيها مات العباس بن عبدالمطلب وهو ابن ثمان وثمانين سنة . وفيها مات عبدالله بن زيد ، وعبدالله بن مسعود ، وأبو طلحة وأبو ذر الغفاري .

وفي هذه السنة فتح ابن عامر مرو روذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان . قال علي بن محمد : بعث ابن عامر الأحنف بن قيس إلى مرو روذ ، فحصر أهلها ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمهم المسلمون . قال : وجاء رسول

مرزبان مرو إلى الأحنف يعرض عليه الصلح ، فقبل ذلك منه على ستين ألف درهم. قال : وجمع له أهل طخارستان ، وأهل الجوزجان والطالقان والفاريان ، فكانوا ثلاثة زحوف ، ثلاثين ألفا ، فاستشار الأحنف الناس فاختلفوا ، فلما أمسى خرج يمشي في العسكر ، ويستمع حديث الناس ، فمر بأهل خباء وهم يتحدثون ويذكرون العدو ، فسمع من يقول : الرأي أن ينزل بين المرغاب والجبل ، فيجعل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره ، فلا يلقاه من عدوه وإن كثروا إلا عدد أصحابه . فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال ، فضرب عسكره . قال : فوافق المسلمين صلاة العصر ، فعاجلهم المشركون فناهضوهم فقاتلوهم ، وصبر الفريقان، ثم هزمهم الله ، فقتلهم المسلمون . قال : ثم جرى الصلح بين الأحنف وبين أهل بلخ ، ثم كفروا بعد فكانوا مع قارن ، فقاتلهم عبدالله بن خازم ، فقتل قارن ، وانهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤوا ، وكتب ابن خازم بالفتح إلى ابن عامر ، فأقره على خراسان .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

ففيها كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم من ناحية ملطية في قول الواقدي . وفيها كانت غزوة عبدالله بن سعد بن أبي سرح إفريقية الثانية حين نقض أهلها العهد . وفيها قدم عبدالله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خراسان وقد انتقض أهلها ، ففتح المروين : مرو الشاهجان صلحا ، ومرو الروذ بعد قتال شديد ، وتبعه عبدالله بن عامر ، فنزل أبرشهر ، ففتحها صلحا في قول الواقدي . وفيها كان تيسير عثمان بن عفان من سير من أهل الكوفة إلى الشام ، بعد أن حاولوا الفتنة والطعن على عثمان وذكر عيوبه ، فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم ، فكتب إليه أن سيرهم إلى الشام . وفيها سير عثمان بن عفان ، حمران بن أبان إلى البصرة بعد أن تزوج امرأة في عدتها . وفيها قدم قوم على عثمان ، وسعوا بعامر بن عبد قيس ، أنه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ، ولا يشهد الجمعة ، فكتب إلى عبدالله بن عامر أن سيره إلى الشام والحقه بمعاوية .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

وفيها كان رد أهل الكوفة سعيد بن العاص عن الكوفة ، وفيها تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان بالإجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه. قال السري : خرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ، فدخل المسجد فجلس فيه ، واجتمع إليه بعض الذين كان ابن السوداء يكاتبهم ، فانقض عليه القعقاع ، فأخذ يزيد بن قيس ، فقال : إنما نستعفي من سعيد . فرجع إلى بيته واستأجر رجلا ، وأعطاه دراهم وبغلا على ان يأتي المسيرين الذين سيرهم عثمان إلى معاوية وسيرهم معاوية إلى الجزيرة عند عبدالرحمن بن خالد بن الوليد . فانطلق الرجل ، فأتى عليهم وقد رجع الأشتر النخعي من عند عثمان ، فأخبرهم خبر يزيد بن قيس ودفع إليهم الكتاب وفيه : لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجيئوا ، فإن أهل المصر قد جامعونا . قال : فخرج الأشتر في سبع من الرجال ، فلم يفاجأ الناس في يوم جمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول : أيها الناس ، إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان ، وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم إلى مائة درهم . ورد أهل البلاء منكم إلى الفين . فخرج يزيد ، وأمر مناديا ينادي : من شاء أن يلحق بيزيد لرد سعيد وطلب غيره فليفعل . فتبعه بعض الناس وخرج يزيد حتى نزل الجرعة ومعه الأشتر ، فطلع عليهم سعيد بن العاص وهم مقيمون له معسكرون ، فقالوا : لا حاجة لنا بك . فردوه . فرجع إلى عثمان فأخبره الخبر . فقال : والله لا نجعل لاحد عذرا ، ولا نترك لهم حجة . فمن يريدون ؟ ! قال : أبا موسى . قال : قد أثبتنا أبا موسى عليهم .

وأما الواقدي فإنه قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين ، كثر الناس على عثمان ، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، وكلموا علي بن أبي طالب ، فدخل على عثمان ، فقال : الناس ورائي ، وقد كلموني فيك ، والله ما أدري ما أقول لك ، . . وإني أحذرك الله ، وأحذرك سطوته ونقماته ، وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول. فقال عثمان : قد والله علمت ، ليقولن الذي قلت . أنشدك الله يا علي ، هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك ! قال : نعم ، قال : فتعلم أن عمر ولاه ؟ قال : نعم . قال : فلم تلومني إن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ قال علي : إن عمر بن الخطاب كان كل من ولى فإنما يطأ على صماخه ، إن بلغه حرف جلبه ثم

بلغ به أقصى الغاية ، وأنت لا تفعل . ضعفت ورفقت على أقربائك . قال عثمان: هم أقرباؤك ايضا . فقال علي : لعمري إن رحمهم مني لقريبة ، ولكن الفضل في غيرهم . قال عثمان : هل تعلم أن عمراً ولى معاوية خلافته كلها ؟ فقد وليته . فقال علي : هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه ؟ قال: نعم . قال علي : فإن معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس : هذا أمر عثمان ، فيبلغك ولا تغير على معاوية . قال : فخرج علي وخرج عثمان على أثره ، فجلس على المنبر ، فقال : أما بعد ، فإن لكل شيء آفة ، ولكل أمر عاهة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة ، عيابون طعانون ، يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون . ألا فقد والله عبتم علي بما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأت لكم كتفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم علي . أما والله لانا أعز نفرا ، وأقرب ناصرا وأكثر عددا ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وكشرت لكم عن نابي ، فكفوا عليكم السنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم . فقام مروان بن الحكم ، فقال : إن شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف . فقال عثمان : اسكت لأسكت ، دعني وأصحابي ، ما منطقك في هذا ! فسكت مروان ، ونزل عثمان .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

قال السري : اجتمع الناس على أبي موسى ، وأقره عثمان رضي الله عنه . ولما رجع الأمراء لم يكن لأهل الفتنة سبيل إلى الخروج إلى الأمصار ، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون ، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ، ويسألون عثمان عن اشياء لتطير في الناس ، ولتحقق عليه ، فتوافوا بالمدينة ، وأرسل عثمان رجلين لينظرا ما يريدون ، فلما رأوهما باثوهما وأخبرهما بما يريدون ، فقالا : كيف تريدون أن تصنعوا ؟ قالوا : نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس ، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قررناه بها ، فلم يخرج منها ولم يتب ، ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه ، فإن أبى قتلناه . فرجعا إلى عثمان بالخبر ، فضحك وقال : اللهم سلم هؤلاء ، فإنك إن لم

تسلمهم شقوا . قال : ثم إن عثمان أرسل إلى الكوفيين والبصريين ، ونادى : الصلاة جامعة ! وهم عنده في أصل المنبر ، فاقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحاطوا بهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرهم خبر القوم ، وقام الرجلان ، فقالوا جميعا : اقتلهم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا احل لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم . فقال عثمان : بل نعفوا ونقبل ونبصرهم بجهدنا ، ولا نحاد أحداً حتى يركب حداً ، أو يبدي كفراً . إن هؤلاء ذكروا أمورا قد علموا منها مثل الذي علمتم ، إلا أنهم زعموا أنهم يذكرونيها ليوجبوها علي عند من لا يعلم ، فقالوا : أتم الصلاة في السفر ، وكانت لا تتم ، ألا وإني قدمت بلدا فيه أهلي ، فاتممت لهذين الأمرين ، أو كذلك ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : وقالوا : وحميت حمى ، وإني والله ما حميت ، حمى قبلي ، والله ماحموا شيئا لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة ، ثم لم يمنعوا من رعية أحداً ، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ، ثم ما منعوا ولا نحوا منها أحدا إلا من ساق درهما ، ومالي من بعير غير راحلتين ، ومالي ثاغية ولا راغية ، وإني قد وليت ، وإني أكثر العرب بعيرا وشاء ، فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي ، أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم . وقالوا : كان القرآن كتبا، فتركتها إلا واحداً . ألا وإن القرآن واحد ، جاء من عند واحد ، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء ، أكذلك ؟ قالوا : نعم ، وسألوه أن يقيلهم .

قال : وقالوا : إني رددت الحكم وقد سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم. والحكم مكي، سيره رسول الله من مكة إلى الطائف، ثم رده، فرسول الله سيره، ورسول الله رده ، أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم . وقالوا : استعملت الأحداث ، فلم استعمل إلا مجتمعا محتملا مرضيا ، وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنه ، وهؤلاء أهل بلدة ولقد ولى من قبلي أحدث منهم ، وقيل في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد مما قيل لي في استعماله أسامة ، أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم ، يعيبون للناس ما لا يفسرون . وقالوا : إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه. وإني إنما نفلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس ، فكان مائة الف ، وقد أنفذ مثل

ذلـك أبو بكر ، فـزعم الجند أنهم يكرهون ذلك ، فـرددته عليـهم وليس ذاك لهم ، أكذلك ؟ قالوا : نعم .

قـال : وقـالوا : إني أحب أهل بيـتي وأعطيهم ، فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جـور ، بل أحمل الحـقـوق عليـهم ، وأمـا اعطاؤهم فإني ما أعطيهم من مالي ، ولا استـحـل أمـوال المسـلمين لنفسي ، ولا لأحـد من الناس ، ولقـد كنت أعطي العطيـة الكبيرة الرغيـبـة من صلب مـالي أزمـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكـر وعـمـر رضي الله عنهما ، وأنا يومئـذ شحيح حريص ، أفحين أتيت على أسنان أهل بيـتي ، وفني عـمـري ، ودعت الذي لي في أهلي ، قـال الملحـدون مـا قالوا ! وإني والله ما حملـت على مصـر من الأمصـار فضـلا فيجـوز ذلك لمـن قالـه ، ولقـد رددته عليهم ، وما قدم علي إلا الأخماس ، ولا يحل لي منها شيء ، فولي المسلمون وضـعـهـا في أهلهـا دوني ، ولا يتلفت من مال الله بفلس فما فوقه ، وما اتبلغ منه ما آكل إلا مـالي . وقـالوا : أعطيت الأرض رجـالا ، وان هذه الأرضين شـاركـهم فيها المهـاجـرون والأنصـار أيام أفـتـتـحت، فـمن أقـام بمكان من هذه الفتوح فهو اسوة أهله، ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله له ، فنظرت في الذي يصيبهم مما أفـاء الله عليـهم فـبعته لهم بأمرهـم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم ، فهو في أيديهم دوني .

وكـان عـثمان قـد قـسم مـاله وأرضـه في بني أمـيـة ، وجـعـل ولده كبعض من يـعـطـى ، فـبـدأ ببني أبي العـاص ، فأعطى آل الحكم رجـالهم عشرة آلاف ، عشرة آلاف ، فأخـذوا مـائة ألف ، وأعطى بني عـثمان مـثل ذلك ، وقسم في بني العاص وفي بني العـيص وفي بني حـرب ، ولانت حـاشـيـة عـثمان لاولئك الطوائف ، وأبى المسلمـون إلا قـتلهـم ، وأبى إلا تركهم ، فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوه مع الحـجـاج كالحجاج ، فتكاتبوا وقالوا : موعدكم ضواحي المدينة في شوال .

قـال السري : ولما كـان في شـوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفـاق على أربعـة أمراء ، المقلل يقول : ستمائة ، والمكثر يقول : ألف . وعلى القوم الغـافـقي بن حـرب العكي ، ولم يجترئوا أن يعلمـوا الناس بخـروجـهـم إلى الحرب ، وإنما خـرجـوا كـالحجاج ، ومعهم ابن السوداء ، وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، وعـددهم كـعـدد أهل مصر وعليـهـم جميعا عمرو بن الأصم . وخرج أهل البصرة في

أربع رفاق ، وعليهم جميعا حرقوص بن زهير ، فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون عليا ، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة ، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير .

فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب ، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص ، وجاءهم ناس من أهل مصر ، وتركوا عامتهم بذي المروة . ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد ابن النضر وعبدالله بن الأصم ، وقالا : لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد ، فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا ، فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد ، وإن أمرنا هذا لباطل ، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلا لنرجعن إليكم بالخبر . قالوا : اذهبا ، فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعليا وطلحة والزبير ، وقالا : إنما نأتم هذا البيت ، ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا ، ما جئنا إلا لذلك ، واستاذناهم للناس بالدخول ، فكلهم أبى ونهى ، فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليا ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير ، وقال كل فريق منهم : إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم ، ثم كررنا حتى نبغتهم ، فأتى المصريون عليا وعرضوا له ، فصاح بهم وأطردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي الخشب ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فارجعوا لا صحبكم الله ! فانصرفوا ، وكذلك فعل طلحة والزبير بأهل البصرة وأهل الكوفة ، فخرجوا جميعا حتى انتهوا إلى عساكرهم ، فكروا بهم ، فبغتوهم ، فلم يفاجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة ، فنزلوا في مواضع عساكرهم ، وأحاطوا بعثمان ، وقالوا : من كف يده فهو آمن .

وصلى عثمان بالناس أياما ، وكتب إلى أهل الأمصار يستمدهم ، فأتى الكتاب أهل الأمصار ، فخرجوا على الصعبة والذلول ، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، وبعث عبدالله بن سعد معاوية بن حديج السكوني ، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو . ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر

فقال: يا هؤلاء العدى ، الله الله ! فوالله ، إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فامحوا الخطايا بالصواب ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء إلا بالحسن . فقام محمد بن مسلمة ، فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده ، فقام زيد بن ثابت فقال: أبغني الكتاب ، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيرة فأقعده ، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه فاحتمل فأدخل داره ، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر ، فإنهم كانوا يراسلونهم : محمد بن أبي بكر ، ومحمد ابن أبي حذيفة ، وعمار بن ياسر ، وشمر اناس من الناس فاستقتلوا ، منهم سعد ابن مالك ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن علي ، فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا . وأقبل علي وطلحة والزبير ، حتى دخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ، ويشكون بثهم ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

قال السري : وصلى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوما ، ثم إنهم منعوه الصلاة ، فصلى بالناس أميرهم الغافقي ، دان له المصريون والكوفيون والبصريون ، وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ، ولزموا بيوتهم ، لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه يمتنع به من رهق القوم وكان الحصار أربعين يوما ، وفيهن كان القتل ، ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح ، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوما يكفون .

وأما الواقدي فإنه قال : كان عمرو بن العاص على مصر عاملا لعثمان ، فعزله واستعمل عبدالله بن سعد ، فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوما عثمان فقال له : أتطعن علي وتأتيني بوجه وتذهب علي بآخر ! فقال عمرو : إن كثيرا مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل ، فقال عثمان : والله لقد استعملتك على ظلمك ، وكثرة القالة فيك . فقال عمرو : قد كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض . فقال عثمان : وأنا والله لو أخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ، ولكني لنت عليك فاجترأت علي ، أما والله لأنا أعز منك نفرا في الجاهلية ، وقبل أن آلي هذا السلطان . فقال عمرو : دع عنك هذا ، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهدانا به ، قد

رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان ، فوالله للعاص أشرف من أبيك . قال: فانكسر عثمان ، وقال : مالنا ولذكر الجاهلية ! قال : وخرج عمرو ودخل مروان، فقال : يا أمير المؤمنين ، أوقد بلغت مبلغا يذكر عمرو بن العاص أباك ! فقال عثمان : دع هذا عنك ، من ذكر آباء الرجال ذكروا أباه . قال : فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه ، يأتي عليا فيؤلبه على عثمان ، ويأتي الزبير وطلحة فيؤلبهما على عثمان ، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلما كان حصر عثمان الأول أخرج من المدينة ، حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع ، فنزل في قصر له يقال له العجلان ، وهو يقول : العجب ما يأتينا عن ابن عفان ! وأما ابن عمر فإنه قال : لما نزل القوم ذا خشب جاء الخبر أن القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع ، فجاء عثمان إلى علي فدخل عليه بيته ، فقال : يابن عم ، إنه ليس لي متركٌ ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم ، وأنا أعلم أن لك عند الناس قدرا ، وإنهم يسمعون منك ، فأنا أحب أن تركب إليهم فتردهم عني ، فإني لا احب أن يدخلوا علي ، فإن ذلك جرأة منهم علي . فقال علي : علام أردهم ؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به علي ورأيته لي ، فقال علي : قد كنت كلمتك مرة بعده مرة ، فكل ذلك نخرج فتكلم ، ونقول وتقول ، وذلك كله فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومعاوية ، أطعتهم وعصيتني . قال عثمان : فإني أعصيهم وأطيعك .

قال : فركب علي وركب معه نفر من المهاجرين ، فما برحوا من ذي خشب حتى رحل القوم إلى مصر ، وجعلوا يسلمون على علي . قال : فرجع علي إلى عثمان فاخبره الخبر ، فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة، فرق الناس له يومئذ ، وبكى من بكى منهم ، فلما رجع إلى بيته، جاءه مروان بن الحكم ، فقال : والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضي بها ، ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين ، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لأقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها ، وإنك إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس. فقال عثمان: فأخرج إليهم فكلمهم، فإني أستحي أن اكلمهم . قال : فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم

بعضـا ، فقـال : ما شـأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب ! شاهت الوجوه ! كـل إنسـان أخـذ بأذن صـاحـبه . إلا من أريد ! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيـدينا ! اخـرجـوا عنا ، أمـا والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ، ولا تحـمـدوا غـب رأيـكم . ارجـعـوا إلى منازلكم ، فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيـدينا . قـال : فرجـع النـاس وخـرج بعضهم حتى أتى عليا فأخبره الخبر ، فجاء علي عليـه السـلام مـغضبا حتى دخل على عثمان ، فقال : أما رضيت من مروان ولا رضـي منك إلا بتـحرفك عن دينك وعن عقلك ، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به ، والله مـا مـروان بـذي رأي في ديـنه ولا نفسـه ، ومـا أنـا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبـتك . فلما خـرج علي دخـلت عليـه نائـلة ابنة الفرافصة امرأته ، فقالت : قد أطعـت مـروان يقـودك حـيـث شـاء . قـال : فما أصنع ؟ قـالـت : أرسل إلى علي فاستصـلحه ، فإن له قرابة منك ، وهو لا يعصى . قال : فأرسل عثمان إلى علي ، فأبـى أن يأتيـه ، وقال : قد أعلمته أني لست بعائد . قال ابن عمر : وكان أول من اجـترأ على عثمان بالمنطق السيء جبلة بن عمرو الساعدي ، مر به عثمان وهو جالس في نـدي قـومه، وفي يد جبلة جامعة ، فلما مر عثمان سلم، فرد القوم، فقال جبلة: لم تـردون على رجـل فعـل كـذا وكذا ، ثم أقبل على عثمان ، فقال : والله لاطرحن هـذه الجـامعة في عنـقك أو لتتركن بطانتك هذه . قال عثمان : أي بطانة ! فوالله إني لأتخير الناس ، فـقـال : مـروان تخيرته ! ومعاوية تخيرته ! وعبدالله بن عامر تخيرته ، وعبدالله بن سعد تخيرته! منهم من نزل القـرآن بدمـه ، وأباح رسول الله دمه . قال: فانصرف عثمان ، فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم .

قال ابن السائب الكلبي : إنما رد أهل مصر إلى عـثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بكتـاب إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم وأن يصلب بعـضـهم. فلما أتوا عـثمان، قالوا: هذا غلامك ، قال : انطلق بغير علمي . قالوا: جملك ، قـال : أخـذه من الدار بغير أمـري ، فلما رأى عثمان ما قد نزل به ، كتب إلى معاوية يستمده ، وكتب إلى يزيد بن كرز وإلى أهل الشام يستنفرهم ، وكتب إلى عبدالله بن عامر، أن أندب إلى أهل البصرة، فسار الناس إلى نصرة عثمان ، حتى إذا صـاروا بالربذة أتاهم قـتل عثمان. قال محمد بن مسلمة عن سعيد بن عبدالرحمن بن أيزى ، عن أبيـه ، قـال : رأيت اليـوم الذي دخل فـيه على عثمان ، فدخلوا من دار

عمرو بن حزم حتى دخلوا الدار ، فناوشوهم شيئا من مناوشة ودخلوا ، فوالله ما نسينا أن خرج سودان بن حمران ، فاسمعه يقول : أين طلحة بن عبيد الله ؟ قد قتلنا ابن عفان !

قال جعفر بن عبدالله المحمدي : لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضي الله عنه ، وأبى إلا الإقامة على أمره ، فقام رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له نيار بن عياض ، فنادى : يا عثمان ، فأشرف عليه من أعلى داره ، فناشده الله ، وذكره لما اعتزلهم ، فبينما هو يراجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم ، فقالوا لعثمان عند ذلك : ادفع الينا قاتل نيار فلنقتله به ، فقال : لم أكن لاقتل رجلا نصرني وأنتم تريدون قتلي ، فلما رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه ، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وكان الذي حادهم على القتال أنهم بلغهم أن مددا من أهل البصرة وأهل الشام قد توجهوا مقبلين ، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفي على القوم ، فحمل عليه عبدالله بن بديل الخزاعي فقتله ، وحمل رفاعة الأنصاري على مروان بن الحكم ، فضربه فصرعه ، فنزل عنه وهو يرى أنه قتله ، وجرح عبدالله ابن الزبير جراحات ، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان ، ثم نادى الناس فاقبلوا عليه من داره ، فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا ، وخلى لهم عن باب الدار ، فخرجوا هرابا في طرق المدينة ، وبقي عثمان في اناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه ، وقتل عثمان رضي الله عنه .

قال السري : كان الحصر أربعين ليلة ، فلما مضت منها ثمان عشرة ، قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيأ إليهم من الآفاق لنصرة عثمان ، فعندها حاموا بين الناس وبين عثمان ، ومنعوه كل شيء حتى الماء . وأشرف عثمان على آل حزم ، فسرح ابنا لعمرو إلى علي وطلحة وعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم قد منعونا الماء ، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئا من الماء فافعلوا . فكان أولهم انجادا له علي وأم حبيبة ، جاء علي في الغلس ، فقال : يا أيها الناس ، إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة ، فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي . قالوا : لا والله ولا نعمة عين ،

لا نتركه يأكل ولا يشرب . فرجع علي . وجاءت أم حبيبة على بغلة لها ، فضربوا وجه بغلتها ، وأهووا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف ، فندت بأم حبيبة فتلقاها الناس وأخذوها وقد كادت تقتل ، فذهبوا بها إلى بيتها . وتجهزت عائشة وخرجت إلى الحج هاربة ، وهي ممتلئة غيظا على أهل مصر ، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات . وحج بالناس عبدالله بن عباس .

قالوا : وثار قتيرة وسودان بن حمران السكونيان والغافقي ، فضربه الغافقي بحديدة معه ، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف فاستقر بين يديه ، وسالت عليه الدماء ، وجاء سودان ليضربه ، فانكبت عليه نائلة واتقت السيف بيدها ، فتعمدها ، ونفح أصابعها ، فأطن أصابع يدها وولت ، وضرب عثمان فقتله ، ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه ، فلما رأوا سودان قد ضربه ، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله ، ووثب قتيرة على الغلام فقتله ، وانتهبوا مافي البيت وأغلقوه على ثلاثة قتلى . فلما خرجوا إلى الدار ، وثب غلام لعثمان أخر على قتيرة فقتله ، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا ، حتى تناولوا ما على النساء ، ثم هربوا فأتوا بيت المال فانتهبوه ، وماج الناس فيه ، هذا يبكي وهذا يفرح . وكان قتله يوم الجمعة .

ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال السري : كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا باذن وأجل ، فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر ، فانساحوا في البلاد ، فلما رأوها ورأوا الدنيا ، ورآهم الناس ، انقطع إليهم من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام . قال : فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام ، وأول فتنة كانت في العامة .

قال ابن عمر : كنت أفطر مع عثمان في شهر رمضان ، فكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر ، قد رأيت على مائدة عثمان الدرمك الجيد وصغار الضأن كل ليلة ، وما رأيت عمر قط أكل من الدقيق منخولا ، ولا أكل من الغنم إلا مسانها ، فقلت لعثمان في ذلك ، فقال : يرحم الله عمر ! ومن يطيق ما كان عمر يطيق ! وفي رواية أخرى ، قال : إن عمرا أتعب والله من تبع أثره ، وإنه كان يطلب بثينة

عن هذه الأمور ظلفا . أما والله ما أكله من مال المسلمين ، ولكني أكله من مالي ، أنت تعلم أني كنت أكثر قريش مالا ، وأجدهم في التجارة ، ولم أزل آكل من الطعام ما لان منه ، وقد بلغت سناً فأحب الطعام إلي ألينه ، ولا أعلم لأحد علي في ذلك تبعة . قال : وكان أول فسطاط رأيته بمنى فسطاط لعثمان ، وأول من زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء عثمان ، وأول من نخل له الدقيق من الولاة عثمان رضي الله عنه .

ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه عثمان رضي الله عنه

قال جعفر بن عبدالله المحمدي : نبذ عثمان رضي الله عنه ثلاثة أيام لا يدفن، ثم إن حكم بن حزام القرشي وجبير بن مطعم ، كلما عليا في دفنه ، وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك ، ففعل ، وأذن لهم علي ، فلما سمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة ، وخرج به ناس يسير من أهله ، وهم يريدون به حائطا بالمدينة ، يقال له : حش كوكب ، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما خرج به على الناس ، رجموا سريره ، وهموا بطرحه ، فبلغ ذلك عليا ، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه ، ففعلوا ، فانطلق حتى دفن رضي الله عنه في حش كوكب ، فلما ظهر معاوية على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع ، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين . قال : ودفن رضي الله عنه بين المغرب والعتمة ، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة ، ولم يغسل عثمان ، وكفن في ثيابه ودمائه .

ذكر الخبر عن الوقت الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه

قال ابن عمر : قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوما ، وهو ابن إثنتين وثمانين سنة . وقال الشعبي : قتل صبحة ثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين .

ذكر الخبر عن قدر مدة حياته

قال ابن سعد : قتل عثمان وهو ابن إثنتين وثمانين سنة . وقال قتادة : قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين سنة . وقال هشام بن محمد : قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة . وقال آخرون : قتل وهو ابن ست وثمانين سنة .

ذكر الخبر عن صفة عثمان

قالوا : كان رجلا ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسن الوجه ، رقيق البشرة، كث اللحية عظيمها ، أسمر اللون ، عظيم الكراديس ، عظيم ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس، يصفر لحيته . قال الزهري: كان عثمان رجلا مربوعا، حسن الشعر ، حسن الوجه ، أصلع ، أروح الرجلين .

ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته وكنيته ونسبه

قال ابن سعد: كان إسلام عثمان قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم. وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية، ومعه فيهما جميعا امرأته رقية بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم. قال: وكان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما كان في الإسلام ولد له من رقية غلام فسماه عبدالله، واكتنى به. قال أبو جعفر: وهو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف بن قصي. وأمه أروى ابنة كريز بن ربيعة، وأمها أم حكيم بنت عبدالمطلب .

ذكر أولاده وأزواجه

تزوج عثمان رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولدت له رقية عبدالله . وتزوج فاختة ابنة غزوان بن جابر ، فولدت له عبدالله الأصغر . وتزوج أم عمرو بنت جندب من الأزد ، فولدت له عمرا وخالدا وأبانا وعمر ومريم . وتزوج فاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس ، فولدت له الوليد وسعيدا وأم سعيد ، وتزوج أم البنين بنت عيينه الفزاري ، فولدت له عبدالملك بن عثمان ، وتزوج رملة ابنة شيبة ، فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ، بنات عثمان .

وتزوج نائلة ابنة الفـرافصة ، فولدت له مريم .

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

وفي هذه السنة بويع لعلي بن أبي طالب بالخـلافـة . قـال جـعـفـر بن عبدالله المحـمـدي ، عن محمد بن الحنفية ، قال : كنت مع أبي حين قتل عثمان ، فقام علي فـدخل منـزله ، فأتـاه أصحـاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فقالوا : إن هذا الـرجل قـد قـتل ، ولابد للناس من إمـام ، ولا نجـد اليـوم أحـدا أحق بهذا الأمـر منك. فـقـال : لا تفـعلوا ، فإني أكون وزيرا خيرا من أن أكون أميرا ، فقالوا : ما نحن بفاعلين حتى نبايعك ، فدخل المسجد فبايعوه ، ثم بايعه الناس .

قـال عـمـر بن شبة : وحدثني من سمع الزهري يقول : هرب قوم من المدينة إلى الشـام ولم يبـايعـوا عليـا ، ولم يبـايعـه قـدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شـعـبـة . وقـال آخـرون : إنما بايع طلحـة والزبير عليـا كرها . قال ابن سـعـد : قـال طلحـة : بايعت والسـيف فوق رأسي . قال : وتربص سبعة نفر فلم يبـايعـوه ، منهم : سعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومحمـد بن مسلمة ، وسلمة بن وقش ، وأسامة بن زيد .

قـال السري : بقيت المدينة بعـد قـتل عثمان خمسة أيام ، وأميرها الغافقي بن حـرب يلتـمـسـون من يجيـبـهم إلى القـيـام بالأمـر فلا يجدونه ، يأتي المصريون عليا فـيـخـتـبىء منهم ويلوذ ، ويطلب الكوفـيون الزبير فلا يجدونه ، ويطلب البصريون طلحـة فإذا لقـيـهم باعـدهم وتبرأ من مقالتهم ، فلما لم يجدوا ممالئا ، قالوا : لا نولي أحدا من هؤلاء الثلاثة ، فبعثوا إلى سـعـد بن أبي وقاص ، فبعث إليهم : إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حـال . ثم إنهم أتوا ابن عمر ، فقال : إن لهذا الأمـر انتـقـاما والله لا أتعرض له ، فالتمسوا غيري . فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعـون والأمـر أمـرهم . قال : وهرب ناس من بني أمية إلا من لم يطق الهرب ، وهـرب الوليـد وسعيـد إلى مـكة ، وتبعهم مروان ، فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهـم أهـل مصر : أنتـم أهـل الشـورى ، وأنتـم تعـقـدون الإمـامة ، فانظروا رجلا تنصـبونه ، ونحن لكم تبع . فقال الجمهور : علي بن أبي طالب نحن به راضون . قـال : فلما أصبـحوا من يـوم الجمعـة حضر الناس المسجد ، وجاء علي حتى صعد

المنبر فخطب بالناس ، فقال : إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمر ، فإن شئتم قعدت لكم ، فقالوا : نحن على ما فارقناك عليه بالأمس . وجاء القوم بطلحة فقالوا : بايع ، فبايع ، ثم جيء بالزبير فبايع ، ثم جيء بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا : نبايع على اقامة كتاب الله في القريب والبعيد ، والعزيز والذليل ، فبايعهم ، ثم قام العامة فبايعوا ، وكان ذلك يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة . قال ابن عمر : وفي هذه السنة ، سار قسطنطين بن هرقل في ألف مركب يريد أرض المسلمين ، فسلط الله عليهم قاصفا من الريح فغرقهم ، ونجا قسطنطين بن هرقل ، فأتى صقلية ، فصنعوا له حماما فدخله فقتلوه فيه . وقالوا : قتلت رجالنا .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين

تفريق علي عماله على الأمصار

وفي هذه السنة فرق علي عماله على الأمصار . قال السري : فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام ، فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل ، فردوه ، فرجع إلى علي . وأما قيس فإنه دخل مصر، فافترق أهلها فرقا. وأما عثمان بن حنيف فإنه دخل البصرة ، فافترق أهلها فرقا . وأما عمارة فأقبل حتى إذا كان بزبالة لقيه طليحة بن خويلد ، فقال له : ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلا ، فرجع . وانطلق عبيد الله بن عباس إلى اليمن ، فجمع يعلى بن أمية كل شيء من الجباية وتركه وخرج بذلك إلى مكة فقدمها بالمال . قال : وكتب علي إلى معاوية وإلى أبي موسى . وكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ، وأما معاوية فإنه رد رسول أمير المؤمنين ولم يجبه .

استئذان طلحة والزبير عليا

قال السري : استأذن طلحة والزبير عليا في العمرة ،فأذن لهما، فلحقا بمكة . قال : وكانت عائشة رضي الله عنها ، قد خرجت إلى مكة تريد عمرة المحرم ،

فأتاها عبدالله بن عامر الحضرمي - وكان أمير عثمان عليها - ، فقالت : إن عثمان قتل مظلوما ، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام . فكان أول من أجابها عبدالله بن عامر الحضرمي، وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم ، وقام معهم سعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وسائر بني أمية ، وقدم عليهم يعلى ابن أمية من اليمن ، وطلحة والزبير من المدينة ، واجتمع ملؤهم بعد نظر طويل في أمرهم على البصرة، وقالت عائشة : أيها الناس ، إن هذا حدث عظيم وأمر منكر، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فانكروه ، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم ، لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم .

قال : ولما لم يبق إلا الخروج قالوا : كيف نستقل وليس معنا مال نجهز به الناس ! فقال يعلى بن أمية : معي ستمائة ألف وستمائة بعير فاركبوها ، وقال ابن عامر : معي كذا وكذا فتجهزوا به . فنادى المنادي : إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان ، ومن لم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة ، ونادوا بالرحيل واستقلوا ذاهبين . وأرادت حفصة الخروج فمنعها عبدالله بن عمر وطلب إليها أن تقعد . قال : وأعان يعلى بن أمية الزبير بأربعمائة ألف ، وحمل سبعين رجلا من قريش ، وحمل عائشة على جمل يقال له عسكر ، أخذه بثمانين دينارا وخرجوا .

قال ابن عباس : خرج أصحاب الجمل في ستمائة ، وكان يصلي بهم عبدالله ابن الزبير حتى قدم البصرة . قال السري : وجاء الخبر إلى علي ، فتعبى للخروج إليهم ، وأقبل على التهيؤ والتجهز ، وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة ، فاشتد على أهل المدينة الأمر ، فتثاقلوا ، وبعث علي إلى عبدالله ابن عمر ، فقال له : انهض معي ، فقال : أنا مع أهل المدينة ، فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد .

خروج علي إلى الربذة يريد البصرة

قال السري : جاء عليا الخبر عن طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم ، وبلغه قول عائشة ، فخرج يبادرهم ويرجو أن يأخذهم بالطريق فيحول بينهم وبين

الخروج ، وسار حتى انتهى إلى الربذة فبلغه ممرهم وأنهم قد فاتوه ، فأقام حين فاتوه يأتمر بالربذة .

شراء الجمل لعائشة رضي الله عنها ، وخبر كلاب الحوأب

قال صفوان بن قبيصة الأحمسي ، حدثني العرني صاحب الجمل ، قال : بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال : أتبيع جملك ؟ قلت : نعم ، قال : بكم ؟ قلت : بألف درهم ، قال : لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا . قال : قلت : ولمن تريده ؟ قال : لأم المؤمنين عائشة ، قلت : خذه بغير ثمن ، قال : لا ، ولكن ارجع معنا إلى الرحل فلنعطك ناقة مهرية ونزيدك دراهم ، قال : فرجعت فأعطوني ناقة لها مهرية ، وزادوني أربعمائة أو ستمائة درهم ، فقال لي : هل لك دلالة بالطريق ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فسر معنا ، فسرت معهم فلا أمر على واد ولا ماء إلا سألوني عنه، حتى طرقنا ماء الحوأب فنبحتنا كلابها، قالوا: أي ماء هذا ؟ قلت : ماء الحوأب ، قال : فصرخت عائشة ، ثم قالت : أنا والله وصاحبة كلاب الحوأب طروقا ردوني ! . فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك ، وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد . قال : فجاءها ابن الزبير فقال : النجاء النجاء ، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب ! قال : فارتحلوا وشتموني، فانصرفت، فما سرت إلا قليلا وإذ أنا بعلي وركب معه نحو من ثلثمائة، فسألني ، فأخبرته الخبر ، فقال : هل لك دلالة بذي قار ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فسر معنا ، فسرنا حتى نزلنا ذا قار .

دخولهم البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف

قال السري : وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى رجال من أهل البصرة ، وكتبت إلى الأحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم من الوجوه ، ومضت حتى إذا كانت بالحفير انتظرت الجواب بالخبر ، ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وعزه بأبي الأسود الدؤلي فقال : انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها ، فخرجا فانتهيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير ، فسألاها ، فقالت : ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي لبنيه الخبر . إن الغوغاء

من أهـل الأمـصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأحدثوا فـيه الأحـداث ، مع ما نـالوا من قتل إمـام المسـلمين بلا تـرة ولا عذر ، فاستحلوا الـدم الحـرام فـسفكـوه ، وانتـهبـوا المال الحرام ، والشهر الحرام ، ومزقوا الأعراض والجلود، فـخـرجت في المسلمين اعلمـهم مـا أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا ، فهـذا شـأننا إلى مـعـروف نـأمركم به ، ونحضـكم عليه . قال : فخرجا من عندها وأتيـا طلحة فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، وقال الزبير مثل ذلك، ومضى الرجلان إلى عـثمان بن حنيف وأخبراه الخبر .

قـال : فنادى عـثمان في الناس وأمـرهم بالتـهيؤ ، ولبسوا السلاح ، واجتمعوا إلى المسـجـد الجامع ، واقبلت عائشة رضي الله عنها فيمن معها ، حتى إذا انتهوا إلى المربد ودخلوا من أعـلاه أمـسكوا ووقـفـوا حتى خرج عثمان فيمن معه ، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج إليـهـا ، فـاجـتـمـعـوا بالمربد وجعلوا يثوبون حتى غص بالناس . فـتكلم طلحـة ، فذكر عثمان رضي الله عنه وفضله والبلد وما استحل منه ، ودعـا إلى الطلب بدمـه ، وتكلم الزبير بمثل ذلك ، وتكلمت عائشة رضي الله عنها ، فطالبت بدمه ، فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين ، فمال بعضهم إلى عـائشـة ، وبقي بعضهـم مع عثمـان على فـم السـكة . قـال : فخـرج أبو الأسود وعـمـران وأقـبل حكيم بن جبلة ، فانشب القتال ، وأشرع أصحاب عائشة رماحهم وأمـسكوا ليـمـسكوا فلم ينته ولم يثن ، فقاتلهم وأصحاب عائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسـهم ، واقـتـتلوا على فم السكة ، وأشرف أهل الدور ممن كـان له في واحـد من الفـريقين هوى ، فـرمـوا باقي الآخـرين بالحـجـارة ، وأمـرت عـائشـة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مـقبرة بني مـازن ، وثار إليهم الناس ، فحجز الليل بينهم .

فرجع عثمان إلى القصر ، ورجع الناس إلى قـبائلهم ، وجاء أبو الجرباء ، أحد بني عثمـان بن مـالك بن تميـم إلى عـائشـة وطلحـة والزبـير ، فأشـار عليهم بأمثـل من مكانهم، فـتـابعوا رأيه ، فساروا إلى دار الرزق ، فباتوا يتأهبون وبات الناس يسيرون إليـهم . قـال : وأصبح عثمان بن حنيف فغاداهم ، فلما أجتمعوا واقفوهم ، فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديدا من حين بزغت الشمس إلى أن زال النهار وقد كثر القتلى في أصـحـاب ابن حنيف وفـشت الجـراحـة بين الفـريقين ، ومنادي عـائشـة يناشـدهم ويدعوهم إلى الكف فـيأبون ، حـتى إذا مـسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة

إلى الصلح فأجابوهم وتواعدوا وكتبوا بينهم كتابا ، على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة، وحتى يرجع الرسول من المدينة ، فإن كانا (طلحة والزبير) اكرها على بيعة علي خرج عثمان وأخلى لهما البصرة، وان لم يكونا اكرها خرج طلحة والزبير أو أقاما على طاعة علي .

قال : وكان رسولهم كعب بن سور ، فخرج كعب حتى قدم المدينة ، فاجتمع الناس لقدومه ، فقام فقال : يا أهل المدينة ، إني رسول أهل البصرة إليكم، أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين على بيعة علي ، أم أتياها طائعين ؟ فلم يجبه أحد من القوم إلا ما كان من أسامة بن زيد ، فإنه قام فقال :.اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما كارهان ، فرجع كعب . وبلغ عليا الخبر الذي كان بالمدينة ، فبادر بالكتاب إلى عثمان يعجزه ويقول : والله ما اكرها إلا كرها على فرقة ، ولقد اكرها على جماعة وفضل ، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا . فقدم الكتاب على عثمان ، وقدم كعب فأرسلوا إلى عثمان أن اخرج عنا ، فاحتج عثمان بكتاب علي ، وقال : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، فجمع طلحة والزبير الرجال ، ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء ، فأبطأ عثمان بن حنيف فقدما عبدالرحمن بن عتاب، فشهر الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم، فاقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد وصبروا لهم ، فأناموهم وهم أربعون، وأدخلوا الرجال على عثمان ليخرجوه إليهما ، وأرسلا إلى عائشة بالذي كان، واستطلعا رأيها، فارسلت إليهما أن خلوا سبيله ولا تحبسوه، فاخرجوا الحرس الذين كانوا معه في القصر ودخلوه ، فصلى عبدالرحمن بن عتاب بالناس العشاء والفجر .

قال : فأصبح طلحة والزبير وبيت المال والحرس في أيديهما ، والناس معهما، وخرج عثمان فمضى لطلبته ، وأصبح حكيم بن جبلة في خيله ، ومضى فيمن غزا معه عثمان بن عفان ، وقد عرفوا أنه لا مقام لهم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه ، فانتهى بهم إلى الزابوقة عند دار الرزق ، وهو يقول : لست بأخيه إن لم أنصره - يعني عثمان بن حنيف - فانشب حكيم القتال ، فقتل حكيم وكثير ممن معه ، ونادى منادي الزبير وطلحة بالبصرة : ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم . فجيء بهم كما يجاء بالكلاب ، فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعا إلا حرقوص بن زهير ، وكان قائدا مع حكيم بن جبلة . قال : وكتبوا إلى

أهل الشام بما صنعوا ، وكتبوا إلى أهل الكوفة ، وأهل المدينة بمثل ذلك . وكانت الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

ذكر الخبر عن مسير علي بن أبي طالب نحو البصرة

قال السري : أقام علي بالربذة أياما ، وأتاه عن القوم أنهم يريدون البصرة ، فسري بذلك عنه ، وقال : إن أهل الكوفة أشد إلي حبا ، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم ، فكتب إليهم : أما بعد ، فإني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودتكم وحبكم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن جاءني ونصرني فقلا أجاب الحق وقضى الذي عليه . قال عمر بن شبة . وبعث علي محمد ابن أبي بكر إلى الكوفة ومحمد بن عون ، فجاء الناس إلى أبي موسى يستشيرونه في الخروج ، فقال : أما سبيل الآخرة فأن تقيموا ، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا ، وأنتم أعلم . وبلغ المحمدين قول أبي موسى ، فبايناه واغلظا له ، فقال : أما والله إن بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكما الذي أرسلكما ، إن أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلا قتل حيث كان . وخرج علي من المدينة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح ، والراية مع محمد بن الحنفية ، وعلى الميمنة عبدالله بن عباس ، وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة ، وخرج وهو في سبعمائة وستين ، فلما كان بالربذة ، قدم عليه عثمان بن حنيف وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وأتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قال السري : ورجع محمد بن أبي بكر ومحمد بن عون ، فانطلقا إلى علي فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر ، فقال علي : يا أشتر أنت وعبدالله بن عباس فاصلح ما أفسدت ، فخرجا ، فقدما الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة ، فجمع أبو موسى الناس فخطبهم وقال : إنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فاغمدوا السيوف ، وانصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار، وأووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة . قال : ولما رجع ابن عباس إلى علي بالخبر ، دعا الحسن بن علي فأرسله ، وأرسل معه عمار بن

ياسر ، فأقبلا حتى دخلا المسجد ، فخرج أبو موسى ، فقال الحسن : يا أبا موسى، لم تثبط الناس عنا ! فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، فقال : صدقت ! ولكن المستشار مؤتمن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب » ، قال : وأقبل زيد على حمار حتى وقف بباب المسجد ومعه الكتابان من عائشة ، كتاب الخاصة وكتاب العامة : أما بعد ، فثبطوا أيها الناس ، واجلسوا في بيوتكم إلا عن قتلة عثمان رضي الله عنه .

قال : فافترق الناس ، فقام أبو موسى فقال : أيها الناس ، أطيعوني والزموا بيوتكم ، أطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها .
فقام القعقاع بن عمرو فقال : القول الذي هو القول أنه لابد من إمارة تنظم الناس وتزيح الظالم وتعز المظلوم ، وهذا علي يلي بما ولى ، وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعوا إلى الإصلاح ، ويعز المظلوم ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه ، وهو المأمون على الأمة ، فمن نهض إليه فإنا سائرون معه .
فقال الحسن بن علي : يا أيها الناس ، أجيبوا دعوة أميركم ، إني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر، ومن شاء فليخرج في الماء ، فنفر معه تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر ، وأخذ بعضهم الماء . قال : وقد كان الأشتر قام إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين ، إن أهل المصر أحسن شيء لي طاعة ، وإن قدمت عليهم رجوت ألا يخالفني منهم أحد ، فألحقني بمن بعثت إلى الكوفة ، فقال له علي : الحق بهم، فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد ، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول : اتبعوني إلى القصر ، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس ، فاقتحمه فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويثبطهم ، فبينما هو كذلك ، اذ خرج عليهم في المسجد غلمان لأبي موسى يشتدون ينادون : يا أبا موسى ، هذا الأشتر ، قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا ، فنزل أبو موسى ، فدخل القصر ، فصاح به الأشتر : اخرج من قصرنا ! اخرج الله نفسك ، فقال له : أجلني هذه العشية ، فقال : هي لك ، ولا تبيتن في القصر الليلة . ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى ، فمنعهم الأشتر وأخرجهم من القصر ، وقال : إني قد أخرجته ، فكف الناس عنه .

نزول أمير المؤمنين ذا قار

قال السري: ولما نزل علي بذي قار ، وخرج إليه من خرج من أهل الكوفة، تلقاهم في الناس فرحب بهم ، ثم دعا القعقاع بن عمرو - وكان من رؤساء الجماعة - فأرسله إلى أهل البصرة وقال له : الق هذين الرجلين يابن الحنظلية ، فادعهما إلى الألفة والجماعة ، وعظم عليهما الفرقة ، فخرج القعقاع حتى قدم البصرة ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها ، وقال : أي أمه ، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أي بني ، إصلاح بين الناس ، قال : فابعثي إلى طلحة والزبير ، فبعث إليهما فجاءا ، فقال : إني سألت أم المؤمنين : ما أشخصها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس ، فما تقولان أنتما ؟ أمتابعان أم مخالفان ؟ قالا : متابعان ، قال : فاخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ قالا : قتلة عثمان رضي الله عنه ، فإن هذا اترك كان تركا للقرآن . فقال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الإستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة رجلا ، فغضب لهم ستة آلاف ، واعتزلوكم ، وطلبتم ذلك الذي افلت - يعني حرقوص ابن زهير - فمنعه ستة الاف وهم على رجل، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فاديلوا عليكم فالذي حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم . فقالت عائشة : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول هذا الأمر دواؤه التسكين ، وإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير ودرك بثأر هذا الرجل ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شر ، وذهاب هذا الثأر ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم . فقالوا: نعم، قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع فان قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر.

قال: فرجع القعقاع إلى علي فأخبره الخبر ، فجمع علي الناس وخطب فيهم، وقال : ألا وإني راحل غدا فارتحلوا ، ألا ولا يرتحلن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس ، وليغن السفهاء عني أنفسهم . قال : فاجتمع نفر ممن سار إلى عثمان ، فقالوا : ما الرأي ؟ هذا والله علي ، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك ، فقال الأشتر : أما

طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ، ورأي الناس فينا والله واحد ، وإن يصطلحوا وعلي فعلى دمائنا ، فهلموا فلنتواثب على علي فنلحقه بعثمان ، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون . فقال عبدالله بن السوداء: بئس الرأي رأيت ! وقال علباء بن الهيثم : انصرفوا بنا عنهم ودعوهم ، فإن قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم ، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم ، دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به ، وامتنعوا من الناس . فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت ! وقال شريح بن أوفى : أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا ، فلا أدري ما الناس صانعون غدا إذا ماهم التقوا ! وتكلم ابن السوداء فقال : يا قوم ، إن عزكم في خلطة الناس ، فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ، ولا تفرغوهم للنظر ، فإذا من أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع ، ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون . فأبصروا الرأي ، وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون .

قال : وأصبح علي على ظهر ، فمضى ومضى الناس معه حتى إذا انتهى إلى عبد القيس نزل بهم والناس متلاحقون به وقد قطعهم . قال : ولما بلغ أهل البصرة رأيهم ونزل علي بحيث نزل ، قام أبو الجرباء إلى الزبير فقال : إن الرأي أن تبعث الآن ألف فارس فيمسوا هذا الرجل ويصبحوه قبل أن يوافي أصحابه ، فقال الزبير: يا أبا الجرباء ، إنهم أهل دعوتنا ، وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح ، فابشروا واصبروا . قال : وأقبل صبرة بن شيحان فقال : يا طلحة ، يا زبير ، انتهزا بنا هذا الرجل فإن الرأي في الحرب خير من الشدة . فقالا : أنا وهم مسلمون ، ونحن نرجو الصلح إن أجابوا إليه وتموا ، وإلا فإن آخر الدواء الكي . قال : وقام إلى علي بن أبي طالب أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن اقدامهم على القوم ، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بنان المنقري: فقال له علي: على الإصلاح واطفاء النائرة، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم ، وقد أجابوني ، قال : فإن لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن انفسنا . وقام إليه أبو سلامة الدألاني فقال : أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ؟ قال : نعم ، قال : فترى لك حجة بتأخيرك ذلك ؟ قال : نعم ، إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعا ، قال : فما حالنا وحالكم

إن ابتلينا غـدا ؟ قـال : إني لأرجـو ألا يقـتل أحد نقى قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة .

قـال : وقـام علي فخطب الناس وقال : يا أيها الناس ، املكوا أنفسكم وكفوا أيديـكم والسنتـكم عن هؤلاء القـوم ، فإنهم إخـوانكم ، وأصبروا على ما يأتيكم ، وإياكم أن تسبـقـونا فإن المخـصـوم غـدا من خـصم اليـوم . ثم ارتحل وأقـدم ودفع تعبيته التي قدم فيها حتى إذا أطل على القـوم بعث إليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب إن كنتم على مـا فـارقـتم عليه القعقاع فكفوا وأقرونا ننزل وننظر في هذا الأمر. قـال : فـخـرج إليـه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين ، قد منعوا حرقوص بن زهير ، ولا يرون القـتـال مع علي بن أبي طالب . فقال : يا علي ، إن قومنا بالبصرة يزعـمـون أنك إن ظهـرت عليهم غدا إنك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم . فقال : ما مـثلي يخاف هذا منه ، وهم قـوم مـسلمـون ! هل أنت مـغن عني قـومك ؟ قـال : نعم، واختر مني واحـدة من إثنتين ، إمـا أن أكـون أتيك فأكون معك بنفسي ، وأما أن أكف عنك عشرة آلاف سـيف . فـرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود ، فلما وقع القـتال وظفر علي جاؤوا وافرين ، فدخلوا فيما دخل فيه الناس .

قـال : ثم سـار علي من الزاوية ، وسـار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة ، فـالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، وردوا حكيما ومالكا إلى علي ، بأنا على ما فارقنـا عليـه القعقـاع فاقدم . فخـرجا حتى قدما عليه بذلك ، فارتحل حتى نزل عليهـم بحيـالهم ، فنـزلت القبائـل إلى قـبائلهم وهم لا يشكون في الصلح ، وخرج أمـير المؤمنين في عـشرين ألفـا . قـال محمـد بن الحنفية : فلما نزل الناس واطمأنوا ، خـرج علي وخـرج طلحـة والزبير ، فـتوافقوا ، وتكلموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمـرا أمـثل من الصلح ووضع الحـرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع ، وإنه لا يـدرك ، فـافترقـوا عن مـوقفهم على ذلك ، ورجع علي إلى عسكره ، وطلحة والزبير إلى عسكرهما .

أمـر الـقـتـال

قـال السري : فـبـاتوا على الصلح ، وباتوا بليلة لم يبيـتـوا بمثلها للعافية من الذي أشرفـوا عليـه ، وبات الذين أثاروا أمـر عـثمان بشر ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا

على الهلكة ، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على انشاب الحرب في السر ، فغدو مع الغلس ، وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا، وعليهم ظلمة ، فخرج مضريهم إلى مضريهم ، وربيعهم إلى ربيعهم ، ويمانيهم إلى يمانيهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم . وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فقالا : ماهذا ؟ قالوا : طرقنا أهل الكوفة ليلا ، فقالا : قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ، ثم رجعا بأهل البصرة وقصف أهل البصرة ، اولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم ، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : فاجأنا القوم ، فقال علي لصاحب ميمنته : ائت الميمنة ، وقال لصاحب ميسرته : ائت الميسرة ، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء . قال: وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة وأخبرها الخبر ، فركبت جملها وأقبلت ، فلم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : ضجة العسكر ، قالت بخير أو بشر ؟ قالوا : بشر . قالت : فأي الفريقين كانت منهم هذه الضجة فهم المهزومون . قال : فوالله ما فجئها إلا الهزيمة ، فمضى الزبير من سننه في وجهه ، فسلك وادي السباع ، وجاء طلحة سهم فقال لغلامه : أردفني وأمسكني، وأبغني مكانا أنزل فيه . قال محمد بن عمارة : جاء عمرو بن جرموز إلى الأحنف فقال : أدركت الزبير في وادي السباع فقتلته . قال علي فبشره بالنار .

خبر وقعة الجمل من رواية أخرى

قال الزهري : لما تواقفوا خرج علي على فرسه ، فدعا الزبير ، فتواقفا ، فقال علي للزبير : أتذكر يوم قال لك رسول الله صلي الله عليه وسلم لتقاتلنه وأنت له ظالم ؟ فقال : اللهم نعم ، والله لا اقاتلك أبدا . فرجع إلى ابنه عبدالله فقال : مالي في هذه الحرب بصيرة ، فقال له ابنه : إنك قد خرجت على بصيرة ، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب ، وعرفت أن تحتها الموت ، فجبنت . فاحفظه حتى أرعد وغضب ، وقال : ويحك ! إني قد حلفت له ألا اقاتله فقال له ابنه : كفر عن يمينك بعتق غلامك ، فاعتقه ، وقام في الصف معهم . قال : وطاف علي بأصحابه وقال لهم : أيكم يعرض عليهم هذاالمصحف وما فيه ، فإن قطعت يده

أخذه بيده الأخرى ، وإن قطعت أخذه بأسنانه ؟ قال فتى شـاب : أنا ، فأخذه فحملوا عليه ، فقطعت يداه ، فأخذه بأسنانه حتى قتل ، فقال علي : قد طاب لكم الضراب فقاتلوهم ، فقتل يومئذ سبعون رجلا ، وأصابت طلحة رمية فقتلته، وجرح زيد ، واحتمل محمد بن أبي بكر عائشة ، فضرب عليها فسطاط ، فوقف علي عليها فقال : استفززت الناس وقد فزوا ، فألبت بينهم ، حتى قتل بعضهم بعضا ، فقالت : يا ابن أبي طالب ، ملكت فاسجح ! فسرحها علي وجهزها وأمر لها بمال .

قال السري : كان لا يجيء رجل فيأخذ بزمام الجمل حتى يقول : أنا فلان ابن فلان يا أم المؤمنين ، فجاء عبدالله بن الزبير فقالت حين لم يتكلم : من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله ، أنا ابن اختك ، قالت : واثكل أسماء ! - تعني اختها - وانتهى إلى الجمل الأشتر ، فضربه الأشتر على راسه ، فجرحه جرحا شديدا ، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه ، فقال عبد الله بن الزبير : (اقتلوني ومالكا) - وكان الناس لا يعرفون الأشتر بمالك ، ولو قال (والأشتر) ما نجا - وما زال يضطرب في يدي عبد الله حتى أفلت . قال : فكان القتال يومئذ في صدر النهار ، مع طلحة والزبير ، فانهزم الناس وعائشة توقع الصلح ، فلم يفاجأها إلا الناس ، فأحاطت بها مضر ، ووقف الناس للقتال ، وقالت عائشة : خل يا كعب عن البعير، وتقدم بكتاب الله فادعهم إليه ، ودفعت إليه مصحفا ، فأخذه كعب بن سور فقتلوه ، فكان أول من قتل بين يدي أمير المؤمنين وعائشة . قال : وقال علي : من رجل يحمل على الجمل ؟ فانتدب له هند ابن عمرو المرادي، فاعترضه ابن يثربي ، فقتله ابن يثربي ، ثم حمل علباء بن هيثم، فقتله ابن يثربي ، ثم حمل صعصعة فقتله ابن يثربي قال : ولم يبق حول الجمل عامري إلا أصيب ، فقال القعقاع : يا بحير بن دجلة ، صح بقومك فاليعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين ، فقال : فأنا آمن حتى أرجع ؟ قال : نعم . فاجتث ساق البعير ، فرمى بنفسه على شقه وجرجر البعير ، واجتمع القعقاع وزفر بن الحارث ، وحملا الهودج فوضعاه ثم أطافا به ، وتفار من وراء ذلك الناس ، وكف بعضهم عن بعض . قال : فأقبل محمد بن أبي بكر إلى الهودج ومعه نفر ، فادخل يده فيه ، فقالت : من هذا ؟ قال : أخوك البر ، قالت :

عـقـوق . قـال : وكـان هودجـهـا فـرخ مـقـصب مما فيه من النبل ، وجاء أعين بن ضـبـيعة المجاشعي حتى اطلع في الهودج ، فقالت : إليك لعنك الله ! فقال: والله ما أرى إلا حـمـيراء ، قـالت : هتك الله سترك ، وقطع يدك ، وأبدى عـورتك ! فـقـتل وسلب وقطعت يده ، ورمى في خـربة من خـربات الأزد . قال : فانتهى إليها علي، فـقـال : أي أمـه ، يغـفر الله لنا و لكم ، قالت : غفر الله لنا و لكم . قال : ولما كـان من آخـر الليل خرج محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة ، فأنزلها في دار عبد الله ابن خلف الخـزاعي على صفية ابنة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة .

وقـال عـيـسى بن عـبد الرحمن المروزي : قال عبد الله بن سنان الكاهلي : لما كـان يـوم الجـمـل ترامـينا بالنبل حـتى فنيت ، وتطاعنا بالرمـاح حـتى تشـبكت في صـدورنـا و صـدورهـم ، حـتى لو سيرت عليـهـا الخـيل لسـارت ، ثم قـال علي : السـيـوف يا أبنا المهـاجـرين . قال : فحاص الناس حيصة ، ثم رجعنا وعائشة على جمل أحمر ، في هودج أحمر ، مـا شـبـهـتـه إلا بالقنفذ من النبل . وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأخرة سنة ست و ثلاثين .

قتلى وقعة الجمل

قـال الـسري : وأقـام عـلي في عـسـكـره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة ، وندب الناس إلى مـوتاهم فـخـرجـوا إليـهـم فـدفنوهم ، وصلى على قتلاهم من أهل البصرة ومـن أهل الكوفـة ، وصلى على قـريش من المدنيين والمكيين ، ودفن الأطراف في قبر عظيم ، وجمع مـا كـان في العـسكر من شيء ، ثم بعث به إلى مـسجد البصرة ، إن من عـرف شـيئا فليأخـذه . قـال : وكـان قـتلى الجـمل عشرة آلاف ، نصـفـهـم من أصحاب علي ، ونصفهم من أصحاب عائشة .

دخول علي البصرة وخروج عائشة منها

قـال السري : ودخل علي البصرة يوم الإثنين ، فـانتـهى إلى المسـجد ، فصلى فـيـه ، ثم دخل البصرة ، فأتاه الناس ، فـبـايعوه حتى الجرحى والمستأمنة ، ثم نظر في بيت المال فإذا فـيـه سـتمائة ألف وزيادة ، فـقـسـمها على من شهد معه الوقعة ، فأصـاب كل منهم خمسمائة . قال : ثم إن عائشة قصدت مكة من البصرة ، وأقامت

بمكة إلى الحج ثم رجعت إلى المدينة . وكان علي قد جهزها وأمر لها بها تحب وسرح بنيه معها يوماً .

تأمير ابن عباس على البصرة وتولية زياد الخراج

قال السري : وأمر علي رضي الله عنه ابن عباس على البصرة وولى زيادا بن أبي سفيان على الخراج ، وأمر ابن عباس أن يسمع منه قال : وعلم أهل المدينة بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس من نسر مر بها حول المدينة ، معه شيء متعلقه ، فتأمله الناس فوقع ، فإذا كف فيها خاتم ، نقشه (عبدالرحمن بن عتاب) وجفل من بين مكة والمدينة من أهل البصرة ، وقد علموا بالوقعة مما ينقل إليهم النسور من الأيدي والأقدام .

بعثة علي بن أبي طالب قيس بن سعد بن عبادة أميرا على مصر

قال هشام الكلبي : وفي هذه السنة بعث علي بن أبي طالب على مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، فخرج في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر ، فصعد المنبر ، وقال : أيها الناس ، إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه ، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم . قال : فقام الناس فبايعوا ، واستقامت له مصر ، وبعث عليها عماله ، إلا أن قرية منها يقال لها : (خربتا) فيها اناس قد أعظموا قتل عثمان ، وبها رجل من كنانة ورجل من بني مدلج ، يقال له يزيد بن الحارث بن مدلج . فبعث هؤلاء إلى قيس بن سعد : إنا لا نقاتلك فابعث عمالك ، فالارض أرضك ، ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس . قال : ووثب مسلمة بن مخلد الأنصاري ، ثم من ساعده من رهط قيس بن سعد ، فنعى عثمان، ودعا إلى الطلب بدمه . قال : وكان قيس له حزم ورأي ، فبعث إلى الذين بخربتا: إني لا اكرهكم على البيعة ، وأنا أدعكم وأكف عنكم . فهادنهم وهادن مسلمة ، وجبى الخراج ، ليس أحد من الناس ينازعه . قال : وخرج أمير المؤمنين إلى أهل الجمل وهو على مصر ، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه ، فكان أثقل خلق الله على معاوية بن أبي سفيان لقربه من الشام ، مخافة أن يقبل إليه علي في أهل

العراق ، ويقبل إليه قيس في أهل مصر ، فيقع معاوية بينهما ، وكان معاوية قد أظهر الخلاف عندما بويع لعلي ، وبايعه على ذلك عمرو بن العاص . قال : فكتب معاوية إلى قيس : إن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل . تابعنا على أمرنا ، ولك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت ، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان ، وسلني غير هذا مما تحب ، فإنك لا تسألني شيئا إلا أوتيته ، وأكتب إلي برأيك . فلما جاء كتاب معاوية ، أحب قيس أن يدافعه ولا يبدي له أمره ، ولا يتعجل حربه ، فكتب إليه : أما ما سألتني من متابعتك، وعرضت علي من الجزاء به، فقد فهمته، وهذا أمر لي فيه نظر وفكرة، وأنا كاف عنك، ولن يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله. فكتب إليه معاوية : لم أرك تدنو فأعدك سلما ، ولم أرك تباعد فاعدك حربا ، أنت فيما هاهنا كحنك الجزور ، وليس مثلي يصانع المخادع ، ولا ينتزع للمكايد ، ومعه عدد الرجال، وبيده أعنة الخيل. فلما قرأ قيس كتاب معاوية، أظهر له ذات نفسه، فكتب إليه : أتسومني الخروج من طاعة أولي الناس بالإمرة ، وأقولهم للحق ، وأهداهم سبيلا ، وأقربهم من رسول الله صلي الله عليه وسلم وسيلة ، وتأمرني بالدخول في طاعتك ، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقولهم للزور ، وأضلهم سبيلا ، وأبعدهم من الله ورسوله وسيلة ، ولد ضالين مضلين ، طاغوت من طواغيت إبليس ! وأما قولك إني مالىء عليك مصر خيلا ورجلا فوالله إن لم اشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم إليك ، إنك لذو جد ، والسلام .

وعمد معاوية إلى الدهاء والمكايدة . قال معاوية : ما ابتدعت مكايدة قط كانت أعجب عندي من مكايدة كدت بها قيسا من قبل علي وهو بالعراق حين امتنع مني قيس . قلت لأهل الشام : لا تسبوا قيس بن سعد ، ولا تدعوا إلى غزوه ، فإنه لنا شيعة ، يأتينا كيس نصيحته سرا . ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خربتا ، يجري عليهم اعطياتهم وأرزاقهم ، ويؤمن سربهم ، ويحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم ، لا يستنكرونه في شيء ! قال فبلغ ذلك عليا ، فاتهم قيسا، وكتب إليه يأمره بقتال أهل خربتا، فأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى علي: إنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم، وقد رضوا مني أن اؤمن سربهم، وأجري عليهم اعطياتهم وأرزاقهم، وقد علمت أن هواهم مع معاوية، فلست مكايدهم بأمر أهون

علي وعليك من الذي أفعل بهم . فأبى علي إلا قتالهم ، وأبى قيس أن يقاتلهم وكتب إلى علي : إن كنت تتهمني فاعزلني عن عملك ، وابعث إليه غيري . فبعث علي الأشتر أميرا إلى مصر، حتى إذا صار بالقلزم شرب شربة عسل كان فيها حتفه. فبلغ حديثهم معاوية وعمرا . فقال : إن لله جندا من عسل . فلما بلغ عليا وفاة الأشتر بعث محمد بن أبي بكر أميرا على مصر .

ولاية محمد بن أبي بكر مصر

قال هشام : فلما قدم محمد بن أبي بكر مصر ، قام خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ألا إن أمير المؤمنين ولاني امورکم ، وأوصاني بكثير منه مشافهة وقرأ : ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ قال : ولم يلبث شهرا كاملا حتى بعث إلى اولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم . فقال لهم : إما أن تدخلوا في طاعتنا ، وإما أن تخرجوا من بلادنا ، فبعثوا إليه : إنا لا نفعل ، دعنا حتى ننظر إلى ما تصير إليه أمورنا ، ولا تعجل بحربنا ، فأبى عليهم ، فامتنعوا منه ، وأخذوا حذرهم ، فكانت وقعة صفين وهم له هائبون ، فلما أتاهم صبر معاوية وأهل الشام لعلي ، وإن عليا وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشام ، اجترؤوا عليه ، وأظهروا له المبارزة ، فبعث محمد الحارث بن جمهان إلى أهل خربتا ، فقتلوه ، ثم بعث إليهم رجلا من كلب يدعى ابن مضاهم فقتلوه . قال علي المدائني : وفي هذه السنة قدم ماهوية ابراز مرزبان مرو على علي بن ابي طالب بعد الجمل مقرا بالصلح ، فكتب له علي كتابا إلى دهاقين مرو والأساورة والجند . قال : ثم إنهم كفروا وأغلقوا أبرشهر . قال : وفي هذه السنة أيضا ، بعث علي خليد بن قرة اليربوعي ويقال ابن طريف إلى خراسان .

ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية

وفي هذه السنة ، بايع عمرو بن العاص معاوية ، ووافقه على محاربة علي . قال السري : لما أحيط بعثمان رضي الله عنه ، خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجها نحو الشام ، وقال : والله يا أهل المدينة ، ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل ، ومن لم يستطع نصره ، فليهرب . فسار وسار

معه أبناه عبدالله ومحمد ، وخرج بعده حسان بن ثابت ، وتتابع على ذلك ما شاء الله .

توجيه علي بن أبي طالب جرير بن عبدالله إلى معاوية يدعوه إلى الدخول في طاعته

وفي هذه السنة وجه علي عند منصرفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى بيعته ، وكتب معه كتابا بذلك. قال عمر بن شبة : فلما قدم عليه ماطله واستنظره ، ودعا عمرا فاستشاره ، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ، ويلزم عليا دم عثمان ، ويقاتله بهم ، ففعل ذلك معاوية . قال السري : وكان أهل الشام ، لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضبا بدمه وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم ، وضع معاوية القميص على المنبر ، وكتب بالخبر إلى الأجناد ، وثاب إليه الناس وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه ، وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ، ولا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام ، ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ، فمكثوا حول القميص سنة . قال : فقدم جرير على علي وأخبره بالخبر . فخرج جرير بن عبدالله إلى قرقيساء ، وكان هواه مع معاوية ، فكتب إلى معاوية ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، وخرج أمير المؤمنين فعسكر بالنخيلة ، وقدم عليه عبدالله بن عباس بمن نهض معه من أهل البصرة .

خروج علي بن أبي طالب إلى صفين وخبر القتال

قال عبدالله بن أحمد المروزي : إن عليا سار إلى صفين ، فجهز الناس . فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص فاستشاره . فقال : أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك ، ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك . فقال معاوية : أما إذا يا أبا عبدالله فجهز الناس . فجاء عمرو فحضض الناس ، وضعف عليا وأصحابه ، وقال : إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ، واوهنوا شوكتهم ، وفلوا حدهم ، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي ، وقد وترهم وقتلهم ، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل ، وإنما سار في شرذمة قليلة ، ومنهم من قتل خليفتكم ، فالله

الله في حقكم أن تضيعوه ، وفي دمكم أن تبطلوه ! قال : وكتب معاوية في أجناد أهل الشام ، وعقد لواءه لعمرو بن العاص . قال : فبعث علي زياد بن النضر الحارثي في ثمانية آلاف ، وبعث معه شريح بن هانيء في أربعة آلاف ، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه . قال هشام الكلبي : فلما انتهى علي إلى الرقة ، قال لأهل الرقة : اجسروا لي جسرا حتى أعبر إلى الشام ، فأبوا . فنهض من عندهم ليعبر من جسر منبج ، وخلف عليهم الأشتر ، فناداهم الأشتر ، فقال : يا أهل هذا الحصن ألا إني اقسم لكم بالله عز وجل ، لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم جسرا لاجردن فيكم السيف ، ثم لأقتلن الرجال ولأخربن الأرض ، ولأخذن الأموال . قال : فجاء علي فنصبوا له الجسر ، فعبر عليه بالأثقال والرجال . قال : فلما قطع علي الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانيء ، فسرحهما نحو معاوية ، فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام ، فارسلا إلى علي بالخبر ، فارسل علي إلى الأشتر ليلحق بهما وأمره عليهما . قال : وخرج الأشتر حتى قدم على القوم ، فاقتتلوا يومهم ذلك ، ثم إن أبا الأعور دعا الناس ، فرجعوا نحوه ، فدعاه الأشتر إلى المبارزة فأبى . قال : وجاء علي وطلب موضعا لعسكره ، فلما وجده أمر الناس فوضعوا الأثقال ، فلما فعلوا ذهب شباب الناس وغلمتهم يستقون ، فمنعهم أهل الشام ، فاقتتل الناس على الماء ساعة من نهار تراشقوا بالنبل وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالسيوف ، ثم إنهم (أهل الشام) خلوا عن الماء ورجعوا إلى عسكرهم .

قال ابن شبة : ومكث علي يومين لا يرسل إلى معاوية أحدا ، ولا يرسل إليه معاوية . ثم إن عليا أرسل إليه يدعوه إلى الطاعة والجماعة ، فقال معاوية لرسل علي : انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلآ السيف . وخرج القوم فأتوا عليا وأخبروه بالذي كان من قوله . قال : فأخذ علي يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة ، ويخرج إليه من أصحاب معاوية أخر معه جماعة ، فيقتتلان ثم ينصرفان ، فكان علي يخرج مرة الأشتر ، ومرة حجر بن عدي الكندي ، وكان معاوية يخرج إليهم عبدالرحمن بن خالد المخزومي ، وأبا الأعور السلمي ، فكانوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام لما يتخوفون أن يكون في ذلك من الاستئصال والهلاك ، فاقتتلوا من ذي الحجة كلها ، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد

مرتين أوله وآخره فلما انقضى ذو الحجة تداعى الناس إلى أن يكف بعضهم عن بعض المحرم ، ولعل الله أن يجري صلحا أو اجتماعا ، فكف بعضهم عن بعض . وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن عباس بأمر علي إياه بذلك .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

تكتيب الكتائب وتعبئة الناس للقتال

قال أبو مخنف : ومكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ المحرم من هذه السنة أمر علي مرثد بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام : ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله عز وجل ، فدعوتكم إليه ، فلم تناهوا عن طغيان ، ولم تجيبوا إلى حق ، وإني قد نبذت إليكم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين . ففزع أهل الشام إلى امرائهم ورؤسائهم ، وخرج معاوية وعمرو بن العاص في الناس يكتبان الكتائب ويعبيان الناس ، وأوقدوا النيران ، وبات علي ليلته كلها يعبي الناس ويحرضهم . قال : وبايع رجال من أهل الشام على الموت ، فعلقوا أنفسهم بالعمائم ، فخرجوا أول يوم من صفين فاقتتلوا . وعلى من خرج من أهل الكوفة يومئذ الأشتر ، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة ، فاقتتلوا قتالا شديدا جل النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال ، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور ، فاقتتلوا يومهم ذلك . وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر ، وخرج اليه عمرو بن العاص ، فاقتتل الناس كأشد القتال ، ثم تراجعوا ، فلما كان اليوم الرابع خرج محمد بن علي ، وعبيد الله بن عمر في جمعين عظيمين ، فاقتتلوا كأشد القتال وتراجعوا ، وفي اليوم الخامس خرج عبدالله بن عباس والوليد ابن عقبة فاقتتلوا قتالا شديدا وتراجعوا ، ثم خرج قيس بن سعد الأنصاري وابن ذي الكلاع فاقتتلوا ، ثم انصرفا ، ثم خرج الأشتر وعاد إليه حبيب بن مسلمة اليوم السابع ، فاقتتلا ، ثم انصرفا عند الظهر ، وكل غير غالب ، وذلك يوم الثلاثاء. قال: وازدلف الناس يوم الأربعاء فاقتتلوا كأشد القتال يومهم حتى الليل، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا للصلاة ، وكثرت القتلى ، وتحاجزوا عند الليل وكل غير غالب ، فأصبحوا من الغد ، فصلى بهم علي غداة الخميس ، ثم بدأ أهل

الشام بالخروج ، وعلى ميمنته عبدالله بن بديل ، فقاتلهم عبدالله حتى انتهى إلى قبة معاوية . ثم إن الذين تبايعوا على الموت أقبلوا إلى معاوية ، فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل ، وبعث حبيب بن مسلمة في الميسرة ، فحمل بهم وبمن معه على ميمنة الناس فهزمهم ، وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة ، وانجفل الناس ، فأمر علي سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة ، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة ، فاحتملتهم حتى ألحقتهم بالميمنة ، فلما كشفوا انتهت الهزيمة إلى علي ، فانصرف نحو الميسرة ، فانكشفت عنه مضر وثبتت ربيعة .

قال : وزحف الأشتر نحو الميمنة ، وثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياء والوفاء ، فأخذ لا يصمد لكتيبة إلا كشفها ، ولا لجمع إلا حازه ورده ، وتقدم زياد بن النضر فرفع لأهل الميمنة رايته فصبروا ، وقاتل حتى صرع ، فأخذ الراية يزيد بن قيس فقاتل حتى صرع . وحمل عليهم الأشتر حتى كشفهم ، فالحقهم بصفوف معاوية ، وانتهى إلى عبدالله بن بديل وهو في عصبة من القراء بين المائتين والثلاثمائة ، فكشف عنهم أهل الشام ، فابصروا إخوانهم قد دنوا منهم فتشجعوا ، وقال عبدالله لأصحابه : استقدموا بنا ، فمضى كما هو نحو معاوية وفي يده سيفان ، فأخذ كلما دنا منه رجل ضربه فقتله ، حتى قتل سبعة ، ودنا من معاوية فنهض إليه الناس من كل جانب حتى قتلوه وقتلوا من أصحابه ، ورجعت طائفة قد جرحوا منهزمين . ثم إن الأشتر زحف إليهم فأزالهم عن مواقفهم حتى الحقهم بالصفوف الخمسة المعلقة بالعمائم حول معاوية ، فصرع الصفوف الأربعة حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية . قال : ونادى علي معاوية فقال : علام يقتل الناس بيننا ! هلم احاكمك إلى الله ، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو : أنصفك الرجل ، فقال معاوية : ما أنصف ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله، قال له عمرو: وما يجمل بك إلا مبارزته، فقال معاوية: طمعت فيها بعدي ! قال : ثم إن هاشم بن عتبة الزهري دعا الناس ومضى في عصابة معه فقاتل قتالا شديدا هو وأصحابه عند المساء حتى رأوا بعض ما يسرون به ، فزعموا أنه قتل يومئذ تسعة أو عشرة ، وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه، وأرسل إليه علي: ان قدم لواءك، فقال لرسوله: انظر إلى بطني ، فإذا هو قد شق. قال: وأقبل ذو الكلاع في حمير ومن تعلقها ، ومعهم عبيد الله بن عمر بن

الخطاب في أربعة آلاف من قراء أهل الشام . وعلى ميمنتهم ذو الكلاع ، فحملوا على ربيعة وهم ميسرة أهل العراق ، فحمل عليهم ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر حملة شديدة بخيلهم ورجلهم ، فتضعضعت رايات ربيعة إلا قليلا ، ثم إن أهل الشام انصرفوا ، فلم يمكثوا إلا قليلا حتى كروا ، فأصيب ذو الكلاع وقتل عبيد الله بن عمر ، وقتل عمار بن ياسر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال له: (تقتلك الفئة الباغية) ، فسمع أهل الشام بالحديث ، فخرج اليهم معاوية يقول: إنما قتل عمارا من جاء به ، فخرج الناس من فساطيطهم واخبيتهم يقولون : إنما قتل عمارا من جاء به .

قال : فاقتتل الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح ، وهي ليلة الهرير ، حتى تقصفت الرياح ونفد النبل ، وصار الناس إلى السيوف ، فلما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد ، وخاف في ذلك الهلاك ، قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعا ، ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ قال : نعم قال : نرفع المصاحف ثم نقول : ما فيها حكم بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : بلى ينبغي أن نقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم ، وإن قالوا : بلى ، نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين ، فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم ، من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ! فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت ، قالوا : نجيب إلى كتاب الله عزّ وجل وننيب إليه .

ما روي من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة

قال أبو مخنف: فلما رأى علي المصاحف قد رفعها أهل الشام ، قال أصحابه: عباد الله ، امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم ، إنهم ما رفعوها ، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنا ومكيدة ، فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ، في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك. يا علي، أجب إلى كتاب الله عز وجل إذا دعيت، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان ، والله لتفعلنها أو

لنفعلنها بك . قال : فاحفظوا عني نهيي إياكم ، واحفظوا مقالتكم لي ، أما فإن تطيعوني تقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم ! قالوا له : إما لا فابعث إلى الأشتر فليأتك ، قال : فارسل إلى الأشتر وهو في المعركة يقاتل ، فأقبل حتى انتهى إليهم فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الذل والوهن ، أحين علوتم القوم ظهرا ، وظنوا أنكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ! وقد والله تركوا أمر الله عز وجل به فيها ، وسنة نبيه ، فلا تجيبوهم ، أمهلوني عدو الفرس ، فإني قد طمعت في النصر ، قالوا : دعنا منك يا أشتر ، إنا لسنا مطيعيك ولا صاحبك، فاجتنبنا ، فقال : خدعتم والله فانخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم . ألا قبحا يا أشباه النِّيب الجلالة ! فابعدوا كما بعد القوم الظالمون ! فسبوه ، فضربوا وجه دابته بسياطهم ، وأقبل يضرب وجوه دوابهم ، وصاح بهم علي فكفوا ، وقال للناس : قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما .

قال : فأرسل علي الأشعث بن قيس إلى معاوية يسأله ما يريد ، فأتاه فقال : يا معاوية ، لأي شيء رفعتم هذه المصاحف ؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عز وجل به في كتابه ، تبعثون منكم رجلاً ترضون به ، ونبعث منا رجلا ، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه ، فقال له الأشعث : هذا الحق ، فانصرف إلى علي فأخبره ، فقال الناس : فإنا قد رضينا وقبلنا ، فقال أهل الشام : فإنا قد اخترنا عمرو بن العاص ، فقال الأشعث

واولئك الذين صاروا خوارج بعد : فإنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري ، قال علي: فإني لا أرى أن اولي أبا موسى ، فإنه ليس لي بثقة ، قد فارقني ، وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى أمنته بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك، قالوا : ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس ! لا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، فقال علي : فإني أجعل الأشتر . فقال الاشعث : وهل سعر الأرض غير الأشتر ؟ قال علي : فقد أبيتم الا أبا موسى ! قالوا : نعم ، قال : فاصنعوا ما أردتم . فقال الأحنف : فإن أبيتم إلا أبا موسى فادفئوا ظهره بالرجال . فكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين . . . فقال عمرو : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم فأما أميرنا فلا ، وقال له الأحنف : لا تمح اسم (إمارة المؤمنين) فإني أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبدا ، فأبى ذلك علي

مليا من النهـار ، ثم إن الأشـعث قال : امح هذا الاسم برحه الله ! فكتب : هذا مـا تقاضـى علـيه علي بن ابي طـالب ومعـاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي على أهل الكـوفـة ومن معـهم من شيعـتهم من المؤمنـين والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشـام ومن كـان مـعـهم من المؤمنـين والمسـلمين ، إنا ننزل عند حكم الله عـز وجل وكـتـابه ، ولا يجمع بيننا غيره ، فما وجـد الحكمان في كـتاب الله عز وجل - وهما أبو موسى الأشـعري وعمرو بن العاص - عملا به ، وما لم يجدا في كتاب الله عز وجل فالسـنة العـادلة الجامعة غير المفرقة . قال أبو جعفر : فكتب كتاب القضية بين علي ومـعـاوية - فـيما قيـل - يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجـرة ، على أن يوافي علي ومـعـاوية موضـع الحكمـين بدومـة الجـندل في شهر رمـضـان ، مع كـل واحـد منهما أربعـمائة من أصـحابه وأتباعه . ثم إن الناس دفنوا قتلاهم ، وأمر علي بالرحيل .

قـال أبـو مخنف : خـرج الناس مع علي إلى صـفين وهم مـتـوادون أحـبـاء ، فرجعوا متباغضين أعداء ، ما برحوا من عسكرهـم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم ، ولقـد أقـبـلوا يتـدافعـون الطريق كـلـه ويتشـاتمون ، يقـول الخوارج : يا أعداء الله ، أدهنتـم في أمـر الله عـز وجـل وحكمـتم ! وقـال الآخرون : فارقتم إمامنا ، وفرقتم جماعـتـنا . فلما دخـل علي الكـوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء ، فنزل بها منهم اثنا عـشر الفا ، ونـادى مناديهم : إن أمـير القـتال شبث بن ربعي التميمي . وأمير الـصـلاة عـبدالله بن الكـوار اليشـكري ، والأمـر شـورى بعد الفتح ، والبيعة لله عز وجل ، والأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر .

بعثة علي جعدة بن هبيرة إلى خراسان

قال علي بن محمـد : وفي هذه السنة بعث علي بعدما رجع من صفين جعدة بن هبـيرة إلى خـراسان ، فانتهـى إلى أبرشـهـر ، وقد كفروا وامتنعوا ، فقدم على علي . فبعـث خلـيد بن قـرة اليربوعي ، فحاصرهم أهل نيسابور حتى صـالحوه ، وصالحه أهل مرو .

اعتزال الخوارج عليا وأصحابه ورجوعهم بعد ذلك

قال أبو مخنف : ولما قدم علي الكوفة وفارقته الخوارج ، بعث ابن عباس إليهم ، فأتاهم فسألهم عن ذلك ، فقالوا أعدل عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا ! فإن كان عدلا فلسنا بعدول ونحن أهل حربه . وقد حكمتم في أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا ، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عز وجل فأبوه ، ثم كتبتم بينكم وبينه كتابا ، وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة ، وقد قطع عز وجل الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة ، إلا من أقر بالجزية . قال : وخرج علي في الناس حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس، فقال : انته عن كلامهم ، ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما أخرجكم علينا ؟ قالوا : حكومتكم يوم صفين . قال : أنشدكم بالله ، أتعلمون إنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم : نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم : امضوا على حقكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهنا ومكيدة . فرددتم علي رأيي ، وقلتم : بل نقبل منهم ، فقالوا له : أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال ، إنما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن إنما يتكلم به الرجال ، قالوا : فخبرنا عن الأجل ، لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة . ادخلوا مصركم رحمكم الله ! فدخلوا من عند آخرهم .

اجتماع الحكمين بدومة الجندل

قال أبو مخنف : وبعث علي أربعمائة رجل ، عليهم شريح بن هانيء الحارثي، وبعث معهم عبدالله بن عباس ، وهو يصلي بهم ويلي امورهم وأبو موسى الأشعري معهم . وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام ، حتى توافوا بدومة الجندل بأذرح ، وشهدهم نفر من قريش . قال : والتقى الحكمان ، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ، ألست تعلم أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما؟ قال : أشهد ، قال : ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه ؟ قال : بلى ،

قـال : فإن الله يقـول : ﴿ ومن قـتل مظلومـا فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القـتل إنه كان منصـورا ﴾ ، فما يمنـعك من معـاوية ولي عثـمان يا أبـا موسى ؟ فإن تخـوفت أن يقـول النـاس : ولي مـعاوية وليست له سابقة ، فإن لك بذلك الحجة ، تقـول : إني وجـدته ولي عـثمان المظلوم والطالب بدمه ، الحسن السياسة ، وهو أخو أم حـبـيـبة زوجـة النبي صلى الله عليه وسـلم ، وقد صحـبه ، فهو أحد الصحابة . ثم عـرض له بالسلطان ، فقال : إن ولي أكرمك كرامة لم يكرمها خليفة . فقال أبو مـوسى : يا عـمـرو ، اتق الله عز وجـل ! فأمـا قولك : إن معـاوية ولي دم عثـمان فـوله هـذا الأمـر ، فإني لم أكـن لأولـيـه مـعـاوية وأدع المـهـاجـرين الأولـين . وأمـا تعـريضك لي بالسلطان ، فـوالله لو خـرج لي من سلطـانه كله مـا وليته ، وما كنت لأرتـشي في حـكم الله عـز وجـل ، ولكنك إن شئت أحـيينا اسم عمر بن الخطاب . قال : فأراده عمرو على معاوية فأبى ، وأراده على ابنه فأبى ، وأراد أبو مـوسى عمرا على عبدالله بن عمر فأبى ، فـقال له عمرو : خبرني ما رأيك ؟ قال : رأيي ان نخلع هذيـن الرجلين ، ونجعـل الأمـر شـورى بين المسلمين ، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحـبـوا . فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت ، فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، فـقال : يا أبا موسى ، اعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق ، فتكلم ابو موسى فقال: إن رأيي ورأي عـمـرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة . فقال عمـرو: صـدق وبر ، يا أبا موسى ، تقدم فتكلم ، فقال له ابن عباس : ويحك يا أبا موسى! والله إني لأظنه قد خدعك ، قدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ، ثم تكلم أنـت بعـده ، فإن عـمرا رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد اعطاك الرضا فيما بينك وبينـه ، فإذا اقمـت في الناس خالفك . فقال له : إنا قد اتفقنا . فتقدم أبو موسى فحمـد الله وأثنى عليـه ثم قـال : أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمـرهـا من أمـر قـد أجمع رأيي ورأي عمـرو عليـه ، وهـو أن نخلـع عليـا ومـعـاويـة ، وتستقبـلِ هذه الأمـة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، وإني قد خلعـت عليـا ومـعـاويـة ، فـاستقبلـوا أمركـم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا، ثم تنحى .

قـال : وأقبل عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا قد قال مـا سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، واثبت صاحبي معاوية ، فإنه ولي عثمان وأحق الناس بمقامه . فقال أبو موسى : غدرت وفجرت ! إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . قال عمرو : إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا . وحمل شريح بن هانىء على عمرو فضربه بالسوط ، وحمل على شريح ابن لعمر فضربه بالسوط ، وقام الناس فحجزوا بينهم ، والتمس أهل الشام أبا موسى ، فركب راحلته ولحق بمكة . ثم انصرف عمروا وأهل الشام إلى معاوية ، وسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانىء إلى علي .

ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيه علي الحكم للحكومة وخبر أهل النهر

قال أبو مخنف : قام علي في الناس يخطبهم ذات يوم ، فقام رجل من جانب المسجد فقال : لا حكم إلا لله ، فقام آخر فقال مثل ذلك ، ثم توالى عدة رجال يحكمون ، فقال علي : الله أكبر ! كلمة حق يراد بها باطل . قال : واستقبله رجل منهم واضع اصبعيه في اذنيه ، فقال : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ فقال علي : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ قال : وقال علي : إن لكم عندنا ثلاثا : لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد ، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا .

قال : ولقيت الخوارج بعضهم بعضا ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله عبدالله وأثنى عليه ، ثم قال : فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، وينيبون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا ، التي الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عناء وتبار ، آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق . فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلة . فقال : حمزة بن سنان الأسدي : إن الرأي ما رأيتم ، فولوا أمركم رجلاً منكم ، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون إليها ، فعرضوها على عبدالله بن وهب ،

فقال : هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدعها فرقا من الموت . فبايعوه لعشر خلون من شوال ـ وكان يقال له ذو الثفنات ـ ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقال ابن وهب : اشخصوا إلى بلدة نجتمع فيها لانفاذ حكم الله ، فإنكم أهل الحق . قال شريح : نخرج إلى المدائن فننزلها ، ونأخذ بأبوابها ، ونخرج منها سكانها ، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا. فقال زيد بن حصين : إنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعتم ، ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين فأما المدائن فإن بها من يمنعكم ، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان ، وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصرة .

قال : وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ، ويحثهم على اللحاق بهم ، فاجابوه أنهم على اللحاق به . فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم - وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة - وساروا يوم السبت ، وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي ، فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه ، فانتهى إلى المدائن ثم رجع ، فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب في نحو عشرين فارسا، فأراد عبد الله قتله فمنعه عمرو بن مالك ، وأرسل عدي إلى سعد بن مسعود عامل علي على المدائن يحذره أمرهم ، فسار في طلبهم ، فأخبر عبد الله بن وهب خبره فرأبأ طريقه ، وسار إلى بغداد ، ولحقهم سعد بن مسعود بالكرخ في خمسمائة فارس عند الماء ، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارسا ، فاقتتلوا ساعة ، وامتنع القوم منهم ، فلما جن عليم الليل خرج عبدالله عبر دجلة إلى أرض جوخى ، وسار إلى النهروان ، فوصل إلى أصحابه وقد أيسوا منه .

قال : وأما خوارج البصرة فإنهم ، اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي ، فعلم بهم ابن العباس ، فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي ، فلحقهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وادلج مسعر حتى لحق بعبدالله بن وهب بالنهر . فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكة ، ورد علي ابن عباس إلى البصرة ، قام في الكوفة فخطبهم فقال : ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله ، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام، واصبحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الإثنين . قال:

وكتب إلى الخوارج بالنهر بمثل ذلك ، وقال : فإذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه . فكتبوا إليه : أما بعد ، فإنك لم تغضب لربك ، إنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين . فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم .

قال : وكتب علي إلى عبدالله بن عباس : فإنا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة ، وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب ، فاشخص بالناس حتى يأتيك رسولي ، وأقم حتى يأتيك أمري . فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخوص مع الأحنف بن قيس ، فشخص معه ألف وخمسمائة رجل ، فاستقبلهم ابن عباس ، فقام في الناس وحثهم وتهددهم ، وقال : ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدي ، ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلا ، فإني موقع بكل من وجدته متخلفا ، وقد أمرت أبا الأسود الدؤلي بحشركم . فخرج جارية في ألف وسبعمائة ، ثم أقبل حتى وافاه علي بالنخيلة ، فلم يزل بالنخيلة حتى اجتمع إليه رؤوس أهل الكوفة ورؤوس الأسباع ، ورؤوس القبائل ، ووجوه الناس . فقام علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة ، أنتم إخواني وأنصاري ، وأعواني على الحق ، وصحابتي على جهاد عدوي المحلين بكم ، أضرب المدبر ، وأرجو تمام طاعة المقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم ، فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينوني ، إنكم مخرجنا إلى صفين ، استجمعوا بأجمعكم ، وأني أسألكم أن يكتب لي رئيس كل قوم ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليه ، ثم يرفع ذلك إلينا .

قال : فأجاب رؤوس القبائل والناس ، سمعا وطاعة ، وكتبوا من فيهم ، ثم رفعوهم إليه ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم ، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل ، وسبعة عشر ألفا من الأبناء ، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ، فكان جميع من معه ثمانية وستين ألفا ومائتي رجل . قال : وبلغ عليا أن الناس يقولون لو سار بنا إلى هذه الخوارج فبدأنا بهم ! فقام في الناس فحمد الله

وأثنى عليه ، ثم قال : فإنه قد بلغني قولكم ، ولكن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم، فدعوا ذكرهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا. قال: فتنادى الناس من كل جانب : سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت .

قال : ثم إن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر ، فخرجت عصابة منهم ، فإذا هم برجل يسوق بأمرأة على حمار ، فعبروا إليه ، فتهددوه وأفزعوه ، وقالوا له : من أنت ؟ قال : أنا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم لعل الله ينفعنا به ! قال : حدثني أبي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « أن فتنة تكون ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح فيها كافرا ، ويصبح فيها كافرا ويمسي فيها مؤمنا » قالوا : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيرا ، قالوا : ما تقول في عثمان ؟ قال : إنه كان محقا في أول خلافته وفي آخرها، قالوا: فما تقول في علي ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم ، وأنفذ بصيرة . فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ، فأخذوه فأضجعوه فذبحوه على النهر ، وسال دمه في الماء ، وأقبلوا إلى المرأة فبقروا بطنها وكانت حبلى . قال : فبلغ ذلك عليا ومن معه من المسلمين ، فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ، فخرج القوم إليه فقتلوه ، وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس ، فقام إليه الناس ، فقالوا : علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا ! سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام .

قال : فسار علي إليهم، فخطبهم وأنبهم، فتنادوا فيما بينهم: لا تخاطبوهم، ولا تكلموهم ، وتهيئوا للقاء الرب ، الرواح الرواح إلى الجنة ! فخرج علي فعبأ الناس ، فجعل على ميمنته حجر بن عدي ، وعلى ميسرته شبث بن ربعي ، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري ، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري ، وعلى أهل المدينة قيس بن سعد بن عبادة . وعبأت الخوارج ، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي ، وعلى الميسرة شريح بن أوفى ، وعلى خيلهم حمزة بن سنان ، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي . قال : ورفع علي راية أمان مع أبي أيوب ، فناداهم أبو أيوب : من جاء هذه الراية منكم فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة أو إلى

المدائن فهو آمن . فانصرف فروة بن نوفل في خمسمائة فارس ، حتى نزل البندنيجين والدسكرة ، وخرجت طائفة أخرى إلى الكوفة ، وخرج إلى علي منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف ، فكانوا الذين بقوا مع عبدالله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة ، وزحفوا إلى علي ، وقدم علي الخيل دون الرجال ، فشدت الخوارج على الناس ، فلم تثبت خيل المسلمين لشدتهم ، وافترقت الخيل فرقتين ، وأقبلوا نحو الرجال ، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل ، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم ، وقتل معهم عبدالله بن وهب ، وحرقوص بن زهير ، وعبدالله بن شجرة السلمي ، وغيرهم .

قال : ثم إن عليا لما فرغ من أهل النهروان ، نادى في الناس أن توجهوا من فوركم إلى عدوكم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، نفدت نبالنا ، وكلت سيوفنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، فارجع إلى مصرنا ، فلنستعد بأحسن عدتنا . قال : فأقبل علي حتى نزل بالنخيلة ، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلوا زيارة نسائهم وأبنائهم حتى يسيروا إلى عدوهم ، فأقاموا فيه أياما ، ثم تسللوا من معسكرهم ، فدخلوا إلا رجالا من وجوه الناس قليلا ، وترك العسكر خاليا ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة ، وانكسر عليه رأيه في المسير . قال أبو مريم: كانت الوقعة بين علي وأهل النهر سنة ثمان وثلاثين. قال أبوجعفر: إن الحرب التي كانت بين علي وأهل النهر كانت في السنة التي كان فيها انكار أهل النهر على علي التحكيم، وكان ابتداء ذلك في سنة سبع وثلاثين، وإذا كان كذلك، وكان الأمر على ما روينا عن أبي مريم ، كان معلوما أن الوقعة كانت بينه وبينهم سنة ثمان وثلاثين . قال: وحج بالناس في هذه السنة ، عبيد الله بن عباس ، وكان عامل علي على اليمن ومخاليفها .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

قال الزهري : لما حدث قيس بن سعد بمجيء محمد بن أبي بكر ، وأنه قادم عليه أميرا ، تلقاه وخلا به وناجاه ، فقال : إنك جئت من عند أمرىء لا رأي له، وليس عزلكم إياي بمانعي أن أنصح لكم ، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، وإني في

ذلك على الذي كنت اكـايد به مـعاوية وعمرا وأهل خربتا ، فكايدهم به ، فإنك إن تكايدهـم بغيره تهلك . قـال : واغتشـه محمد بن أبي بكر ، وخـالف كل شـيء أمـر به، فبعـث أهـل مصر إلى خـربتا ، فاقتتلـوا ، فهـزم محمد بن أبي بكر ، فبلـغ ذلك مـعـاوية وعـمـرا ، فسارا بأهل الشام حتى افتتحا مصر ، وقتلا محمد بن أبي بكر ، ولم تزل في حـيـز مـعـاوية ، حتى ظهر . قال : وقدم قيس بن سعد على علي ، فلما باثه الحـديث ، وجـاءهم قـتل محمـد بن أبي بكر ، عـرف أن قيساً كان يوازي امورا عظامـا من المكايدة ، وأن من كـان يشير عليـه بعـزله لم ينصح له . وأمـا ما قال أبو مخنف ، فـقـد ذكـر أنه : لما قـتل أهل خـربتا ابن مضاهم الكلبي الذي وجهه إليهم محمـد بن أبي بكر ، خرج معاوية بن حديج الكندي ثم السكوني ، فدعا إلى الطلب بدم عثمان ، فأجابه ناس آخرون ، وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر ، فبلغ عليا الخبر ، فبعـث إلى الأشتر وكان عامله على الجزيرة ، فحـدثه حـديث أهل مصر ، وقال : ليـس لها غيرك ، فخرج الأشتر إلى مصر ، وأتت مـعاوية عيونه ، فاخبروه بولاية علي الأشتر ، فعظم ذلك عليه فبعث إلى الجـايستار ـ رجل من أهل الخراج ـ فقال له : إن الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجا ما بقيت، فـاحـتل له بما قـدرت عليـه . فـخـرج الجـايستار حتى أتى القلزم وأقام به ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم اسـتقبله الجايستار ، فقال : هذا منزل ، وهذا طعـام ، فنزل به الأشتر ، فأتاه بشربة عـسل قـد جعل فيها سما فسقاه إياه ، فلما شربها مات .

قـال : فلم يكن لمعـاوية هم إلا مصر ، وكان يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهـرعلى حـرب علي لعظـم خراجهـا . فكتب إلى شيعتـه في مصر ، إلى مسلمة بن مخلد الأنصـاري وإلى مـعـاوية بن حـديج الكندي ـ وكـانا قد خالفا علياً ـ فأمرهم بالثبـات على أمـرهم ، وأخبرهم بقـدوم أهل الشـام عليـهم ، فكتبوا إليه أن عجل علينا خـيلك ورجلك ، فـقـد أصـبـحـوا لنا هائبين . قال: فبعث معاوية عمرو بن العـاص في سـتـة آلاف رجل ، فخرج يسير حتى نزل أداني أرض مصر ، فاجتمعت العثمانية إليه ، فأقام بهم ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر : أن تنح عني بدمك ، فإني لا أحب أن يصـيـبك مني ظفـر . فكتب محمـد بن أبي بكر إلى علي يخبره خبر قدوم عـمـرو بن العاص ، فكتب إليه علي : أن حصن قريتك ، واضمم إليك شيعتك ،

وأندب إلى القوم كنانة بن بشر ، فإني نادب إليك الناس على الصبر والذلول ، فقاتلهم على نيتك ، وجاهدهم صابرا محتسبا . قال : فانتدب معه نحو من ألفي رجل ، فخرج بهم ، واستقبل عمرو بن العاص كنانة بن بشر وهو على مقدمة محمد ، فلما دنا عمرو من كنانة سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة ، فجعل كنانة لا تاتيه كتيبة من كتائب أهل الشام إلا شد عليها بمن معه ، فيضربها حتى يقربها لعمرو بن العاص ، فلما رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن حديج السكوني ، فأتاه في مثل الدهم ، فأحاط بكنانة وأصحابه ، واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب ، فقتل كنانة ، وانهزم محمد بن أبي بكر حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق ، فخرج معاوية بن حديج في طلبه ، فأدركه وعاد به إلى عمرو بن العاص، فجادلوه في قتل عثمان بن عفان ، فقال محمد بن أبي بكر : إن عثمان عمل بالجور ، ونبذ حكم القرآن ، فنقمنا ذلك عليه فقتلناه . قال : فغضب معاوية بن حديج فقدمه فقتله . قال : فدخل عمرو بن العاص مصر وقد افتتحها . وفي هذه السنة وجه معاوية عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى البصرة المدعاء إلى الإقرار بحكم عمرو بن العاص .

ذكر الخبر عن أمر ابن الحضرمي وزياد وأعين وسبب قتل من قتل منهم

قال عمر بن شبة : لما قتل محمد بن أبي بكر بمصر ، خرج ابن عباس من البصرة إلى الكوفة ، واستخلف زيادا ، وقدم ابن الحضرمي من قبل معاوية ، في بني تميم ، فنعى عثمان ودعى إلى الحرب ، وبايعته تميم وجل أهل البصرة ، فكتب زياد بذلك إلى علي ، فوجه علي أعين بن ضبيعة المجاشعي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي ، فقدم أعين فأتى زيادا ، ثم أتى قومه ، وجمع رجالاً ونهض إلى ابن الحضرمي ، فدعاهم ، فشتموه وناوشوه ، فانصرف عنهم ، ودخل عليه قوم فقتلوه . فأراد زياد قتالهم ، فلم يخف معه من يقوى بهم عليهم ، فكتب بذلك إلى علي ، فوجه جارية بن قدامة السعدي في خمسين رجلا من بني تميم ، فسار جارية إلى قومه ، فدعاهم ، فأجابه أكثرهم . فسار إلى ابن الحضرمي فحصره في دار سبيل ، ثم أحرق عليه الدار وعلى من معه ، وكان معه سبعون رجلا ـ ويقال

أربعـون ـ وتفـرق الناس ، ورجع زياد إلى دار الإمارة . قال : وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس من قبل علي عليه السلام .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

تفريق معاوية جيوشه في أطراف علي

قـال علي بن محمـد بن عوانة : وجه معاوية النعمان بن بشير في ألفي رجل إلى عين التمـر ، وبها مـالك بن كـعب في مئة رجل ، فكتب مـالك إلى علي يستمده ، فأمـر علي الناس أن ينهـضـوا إليـه ، فتثاقلوا . قال : فأمر مالك أصحابه أن يجعلوا جـدر القـرية في ظهـورهم ، واقـتـتلوا . وكـتب مـالك إلى مخنف بن سليم يسأله أن يمـده وهو قـريب منه ، وقـاتلهم مـالك في العصابة التي معه كأشد القتال ، ووجه إليـه ابنه عـبـد الرحمن في خمسين رجـلا ، فـانتـهوا إلى مالك وأصحابه . وقد كسروا جـفـون سـيوفهم ، واستقتلوا ، فلما رآهم أهل الشام وذلك عند المساء ، ظنوا أن لهم مـددا وانهزمـوا ، وتبـعهم مالك ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ومضوا على وجوههم .

قـال : وفي هذه السنة ، وجـه مـعاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل ، فـسـار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحـدا ، ثم أتى الأنبـار وبها مسلحة لعلي تكون خمـسمائة رجل ، وقـد تفـرقـوا ، فـقـتلوا صـاحب المسلحـة وهو أشرس بن حـسـان البكري في ثلاثين رجـلا واحـتـملوا مـا كـان في الأنبـار من الأمـوال وأمـوال أهلها ، ورجـعـوا إلى مـعـاوية . وبلغ الخبر عليا ، فخرج حتى أتى النخيلة ، وسرح سعيد ابن قـيس في أثر القـوم ، فلم يدركـهم . قال : وفيها وجه معاوية أيضا عبد الله بن مـسـعـدة في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء ، فلما بلغ ذلك عليا وجه المسيب بن نجبة الفـزاري ، فـسـار حـتى لحق ابن مـسـعـدة بتـيماء فاقتتلوا قتالا شديدا ، ودخل ابن مـسـعدة وعامة من معه الحصن ، وهرب الباقون نحو الشام ، ثم ألقى الحطب على البـاب ، وألقى النيران فـيـه حـتى احترق ، فلما أحـسـوا بالهلاك أشرفوا على المسيب فـقـالوا : يا مـسـيب ، نحن قومك ! فرق لهم وأخرجهم حتى لحقوا بالشام . فقال له عـبـد الرحمن بن شبيب : غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم . قال : وفيها أيضـا وجـه مـعـاوية الضـحـاك بن قـيس في ثلاثة آلاف رجل ، فـسـار فأخذ أموال الناس، وقـتل من لقي من الأعـراب ، وأغـار على مـسالح علي ، فبلغ ذلك عليا ،

فسرح حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف ، فلحق الضحاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلا ، وقتل من أصحابه رجلان . قال : وفيها سار معاوية بنفسه إلى دجلة حتى شارفها ، ثم نكص راجعا .

وفي هذه السنة وجه ابن عباس زيادا بن أبيه عن أمز علي إلى فارس وكرمان عند منصرفه من عند علي من الكوفة إلى البصرة . قال عمر بن شبة : طمع أهل فارس وأهل كرمان في كسر الخراج ، فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم ، وأخرجوا عمالهم . فخرج زياد إليهم ، فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا وأدوا الخراج .

ثم دخلت سنة أربعين

قال علي بن محمد بن عوانة : وفي هذه السنة ، أرسل معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطأة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز ، فساروا حتى قدموا المدينة، وعامل علي عليها يومئذ أبو أيوب الأنصاري ، ففر منهم أبو أيوب ، فأتى عليا بالكوفة ، ودخل بسر المدينة ، فصعد المنبر ولم يقاتله بها أحد . قال : ثم دعا إلى مبايعة معاوية ، فبايعه أهل المدينة ، ثم مضى حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى أن يقتله ، فخلى عنه ، ثم مضى إلى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعلي ، ففر إلى الكوفة ، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على اليمن، فأتاه بسر فقتله وقتل أبنه . قال : ووجه علي جارية بن قدامة في ألفين ، ووهب بنّ مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى أتى نجران فحرق بها ، وأخذ ناسا من شيعة عثمان فقتلهم ، وهرب بسر وأصحابه منه ، واتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعونا ، فقالوا : قد هلك أمير المؤمنين ، فلمن نبايع ؟ قال : لمن بايع له أصحاب علي ، فتثاقلوا ، ثم بايعوا الحسن بن علي .

وفي هذه السنة ، جرت بين علي وبين معاوية المهادنة على وضع الحرب بينهما. قال زياد بن عبد الله : لما لم يعط أحد ألفريقين صاحبه الطاعة كتب معاوية إلى علي : أما إذا شئت فلك العراق ولي الشام ، وتكف السيف عن هذه الامة ، ففعل ذلك ، وتراضيا على ذلك . وفي هذه السنة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام ، واختلف في وقت قتله . قال أبو معشر : قتل علي في شهر رمضان يوم

الجمعة لسبع عشرة خلت منه سنة أربعين . قال الواقدي : قتل في يوم الجمعة لإحدى عشرة . ويقال : لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين . وقيل في شهر ربيع الآخر سنة أربعين .

ذكر الخبر عن سبب قتله ومقتله

قال عبد الرحمن الحراني : كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبرك بن عبدالله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا ، فتذاكروا أمر الناس ، وعابوا على ولاتهم ، ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم ، وقالوا : لو ثأرنا لهم ! فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم علي بن أبي طالب ، وقال البرك بن عبدالله : أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان ، وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه . فأخذوا أسيافهم ، فسموها ، واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه ، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب .

فأما ابن ملجم المرادي فإنه لقي امرأة من تيم الرباب يقال لها : قطام ابنة الشجنة ـ وقد قتل أباها وأخاها يوم النهر ، وكانت فائقة الجمال ـ فخطبها فقالت : لا أتزوجك حتى تشفي لي قال : وما يشفيك ؟ قالت : ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب ، قال : هو مهر لك ، فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي ، قالت : إني أطلب لك من يسند ظهرك ، ويساعدك على أمرك ، فبعثت إلى رجل من قومها يقال له : وردان فكلمته فأجابها ، وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بجرة ، فحدثه في قتل علي فوافقه . قال : فأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف ، فوقع سيفه بعضادة الباب ، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف ، وهرب وردان ، فدخل منزله ، فدخل عليه رجل من بني أبيه فعرف أمره فقتله ، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس ، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر ، وفي يد شبيب السيف ، فأخذه وجثم عليه الحضرمي ، فلما رأى الناس قد أقبلوا عليه ، خشي على نفسه ، فتركه ، ونجا شبيب في غمار الناس ، فشدوا على ابن

ملجم ، فأخذوه . فقال علي : ما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحا، وسألت الله ان يقتل به شر خلقه ، فقال عليه السلام : لا أراك إلا مقتولا به ، ولا أراك إلا من شر خلقه .

قال محمد بن الحنفية : كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم ، في رجال كثير من أهل المصر ، يصلون قريباً من السدة ، ماهم إلا قيام وركوع وسجود ، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره ، إذ خرج علي لصلاة الغداة ، فجعل ينادي : الصلاة الصلاة ! فما أدري أخرج من السدة فتكلم بهذه الكلمات أم لا ! فنظرت إلى بريق ، وسمعت : الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك ، فرأيت سيفا ، ثم رأيت ثانيا ، ثم سمعت عليا يقول : لا يفوتنك الرجل ، وشد الناس عليه من كل جانب . قال : فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وادخل على علي ، فدخلت فيمن دخل من الناس ، فسمعت عليا يقول : النفس بالنفس ، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني ، وإن بقيت رأيت فيه رأيي . قال : فقبض رحمه الله في شهر رمضان سنة أربعين فبعث الحسن إلى ابن ملجم فقدمه فقتله، ثم أخذه الناس فأدرجوه في بواري ، ثم أحرقوه بالنار .

وأما البرك بن عبدالله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها علي قعد لمعاوية ، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه ، فوقع السيف في أليته ، فأخذ ، فقال : إن عندي خبراً أسرك به ، فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك ؟ قال : نعم ، قال : إن أخا لي قتل عليا في مثل هذه الليلة ، قال : فلعله لم يقدر على ذلك ! قال : بلى، إن عليا يخرج ليس معه من يحرسه ، فأمر به معاوية فقتل . وبعث معاوية إلى الساعدي ـ وكان طبيبا ـ فلما نظر إليه قال : اختر إحدى خصلتين : إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف ، وإما أن اسقيك شربة تقطع منك الولد ، وتبرأ منها ، فإن ضربتك مسمومة ، فقال معاوية : أما النار فلا صبر لي عليها ، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبدالله ما تقر به عيني . فسقاه تلك الشربة فبرأ ، ولم يولد له بعدها ، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد .

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة ، فلم يخرج ، وكان اشتكى بطنه ، فأمر خارجة بن حذافة ، وكان صاحب شرطته ، فخرج ليصلي ،

فشد عليه وهو يرى أنه عـمـرو ، فضربه فـقـتله ، فأخذه الناس ، فانطلقوا به إلى عـمـرو يسلمـون عليـه بالإمـرة ، فـقـال : من هذا ؟ قالوا : عمرو ، قال : فمن قـتلت؟ قـالوا : خـارجة بن حذافة ، قال : أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك ، فقال عـمـرو : أردتني وأراد الله خارجة ، فقدمه عمرو فقتله .

واخـتلف في سن علي يوم قـتل . قال الحسن بن علي : قتل أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وقـال جـعفر بن محمد : قتل علي وهو ابن ثلاث وستين سنة . قال: وذلك أصح مـا قـيل فـيه. وقال هشام: ولي علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر، وكـانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، ثم قتله ابن ملجم ـ واسمه عبدالرحمن ابن عـمـرو ـ في رمـضـان لسـبع عشرة مـضت، وكـانت ولايتـه أربع سنين وتسـعـة أشـهـر، وقـتل سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة . قال ابن عمر : ضرب علي ليلة الجـمـعـة ، فـمكث الجمعة وليلة السبت ، وتوفي ليلة الأحد ودفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة .

ذكر الخبر عن صفته ونسبه عليه السلام

قـال إسـحاق بن عبدالله : سألت ابا جعفر محمد بن علي ، قلت : ما كانت صـفـة علي عليـه السلام ؟ قال : رجل أدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما ، ذو بطن ، أصلع ، هو إلى القصر أقـرب . قـال أبو جعفر : وهو علي بن أبي طالـب ، واسم طالب عـبـدمناف بن عـبـدالمطلب بن هاشم بن عـبدمناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف .

ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده

فأول زوجـة تزوجـهـا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولدت له الحـسن والحـسين ، وزينب الكبرى وأم كلثـوم الكبرى ، ويذكر أنه كان لها منه ابن آخر يسمى محسنا توفي صـغيرا ، ولم يتـزوج عليـهـا حـتى توفـيت عنده ، فـتزوج أم البنين بنت حـزام ، فـولدت له العـبـاس ، وجـعفر ، وعبدالله ، وعثمان ، قتلوا مع الحسين بكربلاء ، ولا بقيـة لهم غير العباس . وتـزوج ليلى بنت مسعـود من تميم ، فـولدت له عـبيدالله وأبا بكر . وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية ، فولدت له يحيى

ومحمدا الأصغر. وتزوج الصهباء وهي أم حبيب بنت ربيعة ، وتزوج أمامة بنت أبي العاصي ، وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولدت له محمدا الأوسط . وتزوج خولة بنت جعفر بن قيس ، فولدت له محمد بن علي الأكبر ، الذي يقال له: محمد بن الحنفية . وتزوج أم سعيد بنت عروة بن مسعود ، فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى .

وكان له بنات من أمهات شتى لم يسم لنا أسماء أمهاتهن ، منهن أم هانيء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيسة . وتزوج عليه السلام محياة بنت أمريء القيس بن عدي ، فولدت له جارية ، فجميع ولد علي لصلبه أربعة عشر ذكرا ، وسبع عشرة امرأة .

ذكر ولاته

وكان واليه على البصرة في هذه السنة عبدالله بن العباس، وعلى قضائها أبوالأسود الدؤلي، وكان عامله على البحرين وما يليها واليمن ومخاليفها عبيدالله بن العباس، وكان على الطائف ومكة قثم بن العباس، وعلى المدينة أبوأيوب الأنصاري.

ذكر بيعة الحسن بن علي

وفي هذه السنة بويع للحسن بن علي بالخلافة . قال الزهري : وكان الحسن لا يرى القتال ، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ، ثم يدخل في الجماعة . قال موسى بن عبدالرحمن المسروقي : بعث الحسن إلى معاوية يطلب الصلح ، وبعث معاوية إليه عبدالله بن عامر وعبدالرحمن بن سمرة ، فقدما على الحسن بالمدائن ، فأعطياه ما أراد ، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها . قال : ودخل الناس في طاعة معاوية ، ودخل معاوية الكوفة ، فبايعه الناس . وحج بالناس في هذه السنة المغيرة بن شعبة ، كتب كتابا افتعله على لسان معاوية ، فأقام للناس الحج سنة أربعين . قال سعيد بن عبدالعزيز : كان علي عليه السلام يدعى بالعراق أمير المؤمنين ، وكان معاوية يدعى بالشام : الأمير ، فلما قتل علي عليه السلام دعي معاوية : أمير المؤمنين .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

بيعة معاوية بالخلافة

قال الزهري : وفي هذه السنة جرى الصلح بين معاوية والحسن بن علي عليه السلام ، ودخل معاوية الكوفة لخمس بقين من ربيع الأول ، ويقال من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، فلما وقع الصلح خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر بحشمهم وأثقالهم وعادوا إلى المدينة .

قال زياد عن عوانة : وفي هذه السنة خرجت الخوارج التي اعتزلت أيام علي عليه السلام بشهرزور على معاوية ، فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة ، فأرسل إليهم معاوية خيلا من خيل أهل الشام ، فكشفوا أهل الشام ، فقال معاوية لأهل الكوفة : لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم ، فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقتلوهم . قال : واستعمل معاوية على الكوفة عبدالله بن عمرو بن العاص ، فأتاه المغيرة بن شعبة وقال لمعاوية : استعملت عبدالله بن عمرو على الكوفة وعمراً على مصر ، فتكون أنت بين لحيي الأسد ! فعزل عبدالله ، واستعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة ، فدخل عمرو على معاوية فقال : استعملت المغيرة على الخراج فيغتال المال ، فعزل المغيرة عن الخراج ، واستعمله على الصلاة، فلقي عمراً المغيرة وقال : هذه بتلك . قال علي بن محمد : صالح الحسن عليه السلام معاوية ، وشخص إلى المدينة ، فبعث معاوية بسر بن أبي أرطأة إلى البصرة في رجب سنة إحدى وأربعين وزياد متحصن بفارس ، فكتب معاوية إلى زياد : إن في يديك مالا من مال الله ، فأد ما عندك من المال . فكتب إليه زياد : إنه لم يبق عندي شيء من المال ، وقد حملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمه الله . فكتب إليه معاوية : أن أقبل الي ننظر فيما وليت ، فلم يأته زياد ، فأخذ بسر بني زياد الأكابر منهم ، فحبسهم ، وكتب إلى زياد : لتقدمن على أمير المؤمنين أو لأقتلن بنيك ، فهم بقتلهم ، فأتاه أبو بكرة فقال : أخذت ولدي وولد أخي بلا ذنب ، قال : إن على أخيك أموالا قد أخذها فامتنع من ادائها . قال : فأتى أبو بكرة معاوية فكلمه في زياد وبنيه ، وكتب إلى بسر بالكف عنه وتخلية سبيلهم ، فخلاهم . قال : فلم يزل زياد بفارس والياً حتى صالح الحسن عليه السلام معاوية ، وقدم معاوية الكوفة ، فتحصن زياد في القلعة التي يقال لها قلعة زياد . وفي هذه السنة ولى

معاوية عبدالله بن عامر البصرة وحرب سجستان وخراسان ، وحج بالناس عتبة بن أبي سفيان ويقال عنبسة بن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة إثنتين وأربعين

وفي هذه السنة ، ولد الحجاج بن يوسف ، وولى معاوية مروان بن الحكم المدينة ، وعلى مكة خالد بن العاص ، وعلى خراسان قيس بن الهيثم . وفي هذه السنة أيضا ، تحركت الخوارج الذين انحازوا عمن قتل منهم بالنهروان وعفا عنهم علي رضي الله عنه . قال أبو مخنف : إن حيان بن ظبيان السلمي كان يرى رأي الخوارج ، وكان في الأربعمائة الذين عفا عنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال : فلبث شهرا في عشيرته ، ثم خرج إلى الري في رجال كانوا يرون ذلك الرأي، فلم يزالوا مقيمين بالري حتى بلغهم قتل علي كرّم الله وجهه ، فدعا أصحابه وكانوا بضعة عشر رجلا أحدهم سالم بن ربيعة العبسي ، فقال ابن ظبيان لأصحابه : انصرفوا بنا إلى مصرنا ، فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإلى جهاد الأحزاب ، فخرج وخرجوا معه مقبلين إلى الكوفة. قال : فلم يزل بها حتى قدم معاوية ، وبعث المغيرة على الكوفة ، فأجتمعت الخوارج في أيامه وولوا عليهم المستورد بن علفة التيمي من تيم الرباب . فبايعوه ، واتعد القوم أن يتجهزوا ويستعدوا ، ثم يخرجوا في غرة الهلال هلال شعبان سنة ثلاث وأربعين ، فكانوا في جهازهم وعدتهم . قال عمر بن شبة : وفي هذه السنة، قدم زياد على معاوية ، فصالحه على مال يحمله إليه . وحج بالناس عنبسة بن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

وفي هذه السنة كانت غزوة بسر بن أبي أرطأة الروم حتى بلغ القسطنطينية . وفيها مات عمرو بن العاص بمصر يوم ألفطر فولى معاوية ابنه عبدالله بن عمرو بن العاص مصر بعد موت أبيه . وفيها مات محمد بن سلمة ، وفيها قتل المستورد بن علفة الخارجي. قال أبو مخنف: إن قبيصة بن الدمون أتى المغيرة بن شعبة ـ وكان على شرطته ـ فقال : إن شمر بن جعونة الكلابي جاءني فخبرني أن الخوارج قد

اجتـمـعـوا في منزل حـيان بن ظبيان ، وقد اتعدوا أن يخرجوا إليك في غرة شعبان ، فـقـال المغيرة : سر بالشرطة حتى تحيط بدار حيان فأتني به ، فسار قبيصة في الشرطة وفي كـثير من الناس ، فلم يشعر حيان إلا والرجال معه في داره نصف النهار ، وَإذا مـعـه مـعاذ بن جوين ونحو من عشرين رجلا من أصحابها ، فاستسلموا ، فانطلق بهم إلى المغيرة ، فـقـال : اذهبوا بهم إلى السجن ، فلم يزالوا فيه نحوا من سنة .

قـال : وبلغ الخبر المغيرة أن الخـوارج خـارجـة عليه في أيامه تلك ، فبعث إلى رؤسـاء الناس فـدعـاهم ، ثم قـال لهم : إنه قـد كـان من الأمـر مـا قـد علمـتم ، فليكفني كل أمـريء من الرؤسـاء قـومـه ، ولا يلم لائم إلا نفـسـه ، وقد اعذر من أنذر . فـخـرجت الرؤساء إلى عشائرهم ، فناشـدوهم الله والإسـلام إلا دلوهم على من يرون أنه يريـد أن يهيـج فـتنـة ، أو يفـارق جمـاعة . قال : فبعث المستـورد إلى أصحـابه فقال لهم : اخرجـوا من هذه القبيلة ، وكان فيهم بعض من يرى رأيهم ، فـاتعـدوا سـورا ، فـخـرجـوا إليها متقطعين فتتامـوا بها ثلثمائة رجـل ، ثم سـاروا إلى الصراة . قـال : فـبعث المغيرة إليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف رجل ، وقال له: قـد بلغني انهم ارتحلوا من الصراة ، فأقـبلوا حـتى نزلوا بهرسير ، فأخـرج إليهم حتى تلحقهم .

قـال أبو مخنف عن عـبـدالله بن عـقـبة الغنوي ، قال : كنت فيمن خرج مع المستـورد بن علفة، فاستبان لنا مسير معقل بن قيس إلينا . قال: فجمعنا المستورد، فـقـال : أشـيروا علي برأيكم . فـقـال له بعـضنا : والله مـا خـرجنا نريد إلا الله ، وجـهـاد من عادى الله ، وقد جاءونا فأين نذهب عنهم بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحـاكـمين . وقـالت طائفـة : بل نعـتـزل ونتنحى ، ندعـو الناس ونحـتج عليـهم بالدعـاء . قـال : فقال المستورد : إني قد نظرت فيما استشرتكم فيه فرأيت ألا اقيم لهم ، بل أسير حتى أمعن ، فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طلبنا، فـتقطعوا وتبددوا ، فاخرجوا بنا على اسم الله عز وجل . قال : فخرجنا حتى انتهينا إلى جـرجـرايا، فـعبرنا دجلة، فمضينا حتى بلغنا المذار، فأقمنا فيها. قال أبومخنف: وجـاء مـعـقل بن قيس حتى نزل باب مدينة بهرسير، ولم يدخلها، فأستقبلهم الناس فـأخبرهم أنهم قـد ارتحلوا . قـال : فـقـدم بين يديه أبو الرواغ الشـاكـري في ثلاثمائة فـارس ، فأتبع آثارهم ، وخرج معقل في أثره .

قال : فلحقهم أبو الرواغ بالمذار مقيمين ، فقال له بعض أصحابه : أقدم بنا عليهم فلنقاتلهم ، فقال أبو الرواغ : إن معقل حين سرحني أمامه أمرني أن أتبع آثارهم ، لا أن اقاتلهم . قالوا : فتنح بنا فلنكن قريبا منهم حتى يقدم علينا صاحبنا . قال عبدالله بن الحارث : كنت في الذين خرجوا مع معقل بن قيس وقد تنحينا حتى يقدم علينا صاحبنا ، فبتنا ليلتنا كلها متحارسين حتى أصبحنا ، فارتفع الضحى ، وخرجوا علينا ، فخرجنا إليهم وعدتهم ثلثمائة كعدتنا ، فلما اقتربوا شدوا علينا ، فلا والله ما ثبت لهم منا إنسان ، فانهزمنا ساعة ، ثم إن أبا الرواغ صاح بنا ، فحمل وحملنا معه ، فلم نزل نزايلهم حتى قدم معقل بن قيس ، فشدت الخوارج عليهم وتقدم معقل يضاربهم تحت رايته مع ناس نزلوا معه من أهل الصبر حتى حجز بيننا الليل . قال عبدالله بن عقبة الغنوي : انا لمتواقفون أول الليل إذ أتانا رجل كنا بعثناه أول الليل ، فقال لنا : قد أتاكم شريك بن الأعور في جيش من البصرة . قال : فقال المستورد : إني لا أرى أن اقيم لهؤلاء جميعا ، ولكن نرجع إلى الوجه الذي جئنا منه . قال : فخرجنا في الليل فدخلنا القرية ولم يشعر بنا أحد ، ثم أقبلنا حتى نزلنا جرجرايا . قال أبو مخنف : قال عبدالله بن الحارث : إني أول من فطن لذهابهم ، إنهم كانوا مواقفين نرى سوادهم ، ثم لقد خفي علي ذلك السواد منذ ساعة ، فقلت ذلك للأمير ، فقال : يا عتاب ، انطلق فيمن أحببت حتى تدنو من القرية فتنظر هل ترى منهم أحدا ! وسل أهل القرية عنهم .

قال : فخرج عتاب في خمس الغزاة حتى أتى القرية ، فسألهم عنهم ، فقالوا : خرجوا فلا ندري كيف ذهبوا ! فرجع إليه عتاب فأخبره الخبر ، فمكثوا متحارسين يخافون بياتهم حتى أصبحوا ، فأخبروا أن القوم قد رجعوا في الطريق الذي أقبلوا منه ، وجاء شريك بن الأعور في جيش من أهل البصرة حتى نزلوا بمعقل ، فتساءلا ساعة ، ثم إن معقلا قال لشريك : أنا متبع آثارهم . فقام شريك فجمع رجالا من وجوه أصحابه ، فقال لهم : هل لكم أن تسيروا مع إخواننا من أهل الكوفة في طلب هذا العدو الذي هو عدو لنا ولهم ؟ فقالوا : لا والله ، لا نفعل ، إنما أقبلنا نحوهم لننفيهم عن أرضنا ، فإن كفانا الله مؤونتهم فإنا منصرفون إلى مصرنا ، وفي أهل الكوفة من يمنعون بلادهم من هؤلاء إلا كلب . فحاول ذلك

مـرارا ولم يفلح . فلما رأى ذلك قـال لأصـحـابه : سيروا فـارتحلوا ، وجاء حتى لقي مـعـقـلا فـقـال: والله لقـد جـهـدت بمن مـعي أن يتـبـعوني حتى أسير إلى عدوكم فـغلبـوني، فقال معقل : جزاك الله من أخ خيرا ! ، قال عبد الله بن الحارث : فدعا مـعـقل أبا الرواغ فقال له : اتبعه في أصحابك حتى تحبسه علي حتى ألحقك ، فقال لـه : زدني مـنهم فإنه أقـوى لي عليـهم ، فـزاده ثلاثمائة ، فـاتبعـهم في ستـمائة ، فأقـبـل أبو الرواغ في أثرهم مسرعـا حـتى لحقـهم بجـرجرايا . قال : فخرجوا إلينا فـشـدوا علينا شـدة واحـدة صـدقوا فيها الحملة ، فصرفونا حتى تركنا لهم العرصة ، ثم إن أبا الرواغ عطف عليـهم فـقاتلهم طويلا ، ثم إن المستورد مضى هو وأصحابه حـتى قطعـوا دجله ووقـعـوا في أرض بهرسير ، وقطع أبو الرواغ في أثارهم ، وتبـعـه معقل .

قـال: ومضى المستورد نحو المدينة العتيقة، وبلغ ذلك سماك بن عبيد، فخرج حـتى عبر إليـهـا، ثم خـرج بأصـحابه وبأهل المدائن ، فصف على بابها ، وأجلس رجـالا رمـاة على السـور ، فـبلغـهم ذلك ، فـانصرفوا حتى نزلوا ساباط ، وأقبل أبو الرواغ في طلبـهم حـتى سر بسماك فخبره بوجههم ، فاتبعهم حتى نزل بهم ساباط ، فأقبل المسـتورد بجماعته حتى انتهى بهم إلى جسر ساباط ـ وهو جسر الملك ـ ، وأبو الرواغ وأصـحـابه مما يلي المدائن ، فـقـال المسـتورد : اقطعوا هذا الجسر ، فقطعوه . قـال عـبـد الله بن عـقـبـة : فلما رأونا وقوفا على الخيل ظنوا أنا نريد أن نعبر إليهم ، فـصـفـوا لنا ، وتعـبوا ، واشتغلوا بذلك عنا في قطعنا الجسر ، ثم إنا أخذنا من أهل سـاباط دليـلا فقلنا له : احضر بين أيدينا حتى ننتهي إلى ديلمايا ، فخرج بين أيدينا يسعى ، فما كان إلا ساعة حتى أطللنا على معقل وأصحابه ، فما هو إلا أن بصر بنا وقـد تـفـرق أصـحـابـه عنه ، فلما رآنا نصب رايتـه ، ونزل ونادى : يا عـبـاد الله ، الأرض الأرض ! فنزل مـعـه نحـو من مائتي رجل ، فأخذنا نحمل عليهم فيستقبلونا بأطراف الرمـاح جثاة على الرَكب فلا نقدر عليهم . قال : فشددنا عليهم خيلهم ، فـحلنا بينهم وبينهـا ، وقطعنا أعنتـهـا فـذهبت في كل جـانب ، ثم ملنا على الناس فـحـملنا عليهم حتى فرقنا بينهم ، ثم أقبلنا إلى معقل وأصحابه جثاة على الركب ، فـحـملنا عليهم ، فلم يتحلحلوا ، ثم حملنا عليهم اخرى ، ففعلوا مثلها ، فقال لنا المسـتـورد : نازلوهم ، لينزل إليـهـم نصـفـكم ، فنزل نصفنا ، وبقي نصفنا معه على

الخيل ، قال : فوالله إنا لنقاتلهم ونحن نرى أن قد علوناهم إذ طلعت علينا مقدمة أصحاب أبي الرواغ ، فحملوا علينا فقاتلناهم حتى أصيب صاحبنا وصاحبهم . قال : فما علمته نجا منهم يومئذ أحد غيري .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

وفيها دخل المسلمون مع عبد الرحمن بن خالد بلاد الروم ، وغزا بسر بن أرطأة البحر . وفي هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة . قال عمر ابن شبة : شكا ابن عامر إلى زياد فساد الناس وظهور الخبث ، فقال : جرد فيهم السيف ، فقال : إني أكره أن أصلحهم بفساد نفسي . قال عمر : ووفد ابن الكواء عبد الله بن أبي أوفى إلى معاوية ، فقال له : إن أهل البصرة قد غلب عليهم سفهاؤها ، وعاملها ضعيف . فعزل معاوية ابن عامر وبعث الحارث بن عبد الله الأزدي . وحج بالناس هذه السنة معاوية .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

وفي هذه السنة عزل معاوية الحارث بن عبد الله الأزدي عن البصرة وولاها زياداً . قال عمر بن شبة : إن معاوية استعمل زياداً على البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعُمان ، وقدم البصرة في آخر شهر ربيع الآخر أو غرة جمادى الأولى ـ سنة خمس ، والفسق بالبصرة ظاهر ، فاش ، فخطب خطبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، . . . حرم علي الطعام والشراب حتى اسويها بالأرض هدما واحراقا ، إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، لين في غير ضعف ، وشدة في غير جبرية وعنف . وإني اقسم بالله لأخذن الولي بالولي ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكم بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد ، أو تستقيم لي قناتكم . . . إياي ودلج الليل ، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وإياي ودعوى الجاهلية ، فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه . وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرّق قوما غرّقته ، ومن حرّق على قوم حرّقناه ، ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفنته فيه

حيا ، فكفوا عني أيديكم والسنتكم أكفف يدي وأذاي ، لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه . قال عمر : وكان زياد أول من شد أمر السلطان ، وأكد الملك لمعاوية ، والزم الناس الطاعة ، وتقدم في العقوبة ، وجرد السيف ، وأخذ بالظنة ، وعاقب على الشبهة ، وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا ، حتى أمن بعضهم بعضا . قال : وقد جعل الشرط أربعة آلاف ، واستعان بعدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل حج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وهو على المدينة .

ثم دخلت سنة ست وأربعين

وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد بن الوليد من بلاد الروم إلى حمص ، فدس إبن آثال النصراني إليه شربة مسمومة فشربها فقتله . قال عمر بن شبة : إن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام ، ومال إليه أهلها ، لما كان عندهم من آثار أبيه ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه ، حتى خافه معاوية فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله ، فلما قدم عبد الرحمن حمص دس إليه ابن أثال شربة مسمومة فشربها فمات بحمص . قال : وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن ألوليد المدينة ، فجلس يوما إلى عروة بن الزبير ، فقال له عروة : ما فعل ابن أثال ؟ فقام خالد من عنده ، وشخص متوجها إلى حمص ، ثم رصد بها ابن أثال ، فرآه يوما راكبا ، فضربه بالسيف ، فقتله ، فرفع إلى معاوية ، فحبسه أياما، وأغرمه ديته . قال : وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

ففيها كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم ، ومشتى أبي عبد الرحمن القيني بأنطاكية . وفيها عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، ووليها معاوية بن حديج . وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان ، وقيل عنبسة ابن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

وكان فيها مشتى أبي عبدالرحمن القيني بأنطاكية ، وصائفة عبدالله بن قيس الفزاري وغزوة مالك بن هبيرة السكوني البحر ، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر البحر ، وبأهل المدينة ، وعلى أهل المدينة المنذر بن الزهير، وعلى جميعهم خالد بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد . وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد جربة ، وفتحت على يديه ، وفيها كانت غزوة يزيد بن معاوية الروم حتى بلغ القسطنطينية ، وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة وأمر فيها سعيد بن العاص . وقيل : وفي هذه السنة وقع الطاعون بالكوفة ، فهرب المغيرة بن شعبة من الطاعون ، فلما ارتفع الطاعون قيل له : لو رجعت إلى الكوفة ! فقدمها فطعن فمات . وقد قيل : مات المغيرة سنة خمسين ، وضم معاوية الكوفة إلى زياد ، فكان أول من جمع له الكوفة والبصرة . وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص .

ثم دخلت سنة خمسين

قال محمد بن عمر : وفي هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يحمل إلى الشام ، فحرك فكسفت الشمس حتى رئيت النجوم بادية يومئذ ، فأعظم الناس ذلك ، فقال : لم أرد حمله ، إنما خفت أن يكون قد أرض، فنظرت إليه . ثم كساه يومئذ واعتذر إلى الناس مما صنع . قال : وفيها عزل معاوية ، معاوية بن حديج عن مصر ، وعقبة بن نافع عن إفريقية ، وولى مسلمة ابن مخلد مصر والمغرب كله ، وكان معاوية بن أبي سفيان قد بعث عقبة بن نافع إلى إفريقية ، فافتتحها ، واختط قيروانها ، وبنى مسجدها . قال : واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حج بهم معاوية ، وقال بعضهم : حج بهم ابنه يزيد . قال عمر بن شبة : وفي هذه السنة كتب زياد إلى الحكم الغفاري : إن أهل جبل الأشل ، سلاحهم اللبود ، وآنيتهم الذهب . فغزاهم

حتى توسطوا ، فأخذوا بالشعاب والطرق ، فولى المهلب الحرب ، فلم يزل المهلب يحتال حتى أخذ عظيما من عظمائهم ، فأخرجه من المضيق . قال : وتوفي الحكم بن عمرو الغفاري بمرو منصرفه من غزوة أهل جبل الأشل .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

وفيها كان مقتل حجر بن عدي وأصحابه . قال هشام بن محمد : إن معاوية ابن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة، أوصاه بالترحم على عثمان ، والعيب على أصحاب علي ، والإقصاء لهم ، وباطراء شيعة عثمان والادناء لهم ، فأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية سبع سنين وأشهرا ، لا يدع ذم علي والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان ، واللعن لهم ، فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال : بل إياكم فذمم الله ولعن ! ثم قام فقال : وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل ، وأن من تزكون أولى بالذم . فقال المغيرة : يا حجر ويحك ! أتق السلطان . قال هشام : فلما تولى زياد بن أبي سفيان وجمعت له الكوفة والبصرة ، قام فخطب في الناس ، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة . فكتب زياد إلى معاوية ، فكتب إليه أن شده في الحديد ، ثم أحمله الي . فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر بن عدي أن يمنعوه ، فقال : لا ، ولكن سمع وطاعة ، فشد في الحديد ثم حمل إلى معاوية ، فأمر بقتله فضربوا عنقه . قال : ثم إن زيادا طلب رؤساء أصحاب حجر ، فأخذوا يهربون منه ، وأخذ من قدر عليه منهم حتى جمع اثني عشر رجلاً في السجن . ثم إنه دعا رؤوس الأرباع ، فقال اشهدوا على حجر وأصحابه ، فشهدوا ، فبعث بهم إلى معاوية ، فقتل حجر وثمانية من أصحابه ونجا من بقي منهم . قال : وفي هذه السنة وجه زياد الربيع بن زياد الحارثي أميرا على خراسان بعد موت الحكم بن عمرو الغفاري ، وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن معاوية ، وكان العامل على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق كله زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة عميرة بن يثربي .

ثم دخلت سنة إثنتين وخمسين

وفيها كانت غزوة سفيان بن عوف الأزدي ، ومشتاه بأرض الروم في قول الواقدي. وقال غيره : بل الذي شتا بأرض الروم بسر بن أرطأة ، ومعه سفيان بن عوف الأزدي . وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

وفي هذه السنة فتحت رودس ، جزيرة في البحر ، فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي ، فنزلها المسلمون ، وفيها ـ أعني هذه السنة ـ توفي زياد بن سمية . قال ابن إسحاق : ملك زياد العراق خمس سنين ، ثم مات سنة ثلاث وخمسين . قال عمر : مات بالكوفة في شهر رمضان وخليفته على البصرة سمرة بن جندب . وفي هذه السنة أيضا كانت وفاة الربيع بن زياد الحارثي ، وهو عامل زياد على خراسان، واستخلف ابنه عبدالله بن الربيع ، ثم مات عبدالله واستخلف خليد بن عبدالله الحنفي على خراسان . وكان زياد قد استخلف على عمله على الكوفة عبدالله بن خالد بن أسيد . وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

قال الواقدي : وفي هذه السنة فتح جنادة بن أبي أمية جزيرة في البحر قريبة من قسطنطنية يقال لها أرواد . وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة ، واستعمل عليها مروان بن الحكم ، وعزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة ، واستعمل عليها عبدالله بن عمرو بن غيلان. وفي هذه السنة ولي معاوية عبيد الله بن زياد خراسان . وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

وفيها عزل معاوية عبدالله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولاها عبيدالله بن زياد ، وعزل عبدالله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولاها الضحاك بن قيس الفهري . وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين

وفي هذه السنة دعا معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد من بعده ، وجعله ولي العهد . قال مسلمة : لما أراد معاوية أن يبايع ليزيد كتب إلى زياد يستشيره ، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النميري ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلي يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد ، ويزيد صاحب رسلة وتهاون ، مع ما قد أولع به من الصيد ، فالق أمير المؤمنين مؤديا عني ، فأخبره عن فعلات يزيد ، فقال له : رويدك بالأمر ، لا تفسد على معاوية رأيه ، ولا تمقت إليه ابنه ، وألقى أنا يزيد سرا من معاوية ، فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين . قال : فقدم عبيد على يزيد فذاكره ذلك . وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة ، فقبل ذلك معاوية ، وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع . قال علي بن محمد : فلما مات زياد دعا معاوية بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد ، إن حدث به حدث الموت فيزيد ولي العهد . قال ابن عون : بايع الناس ليزيد بن معاوية غير الحسين بن علي وابن عمر وابن الزبير وعبدالرحمن بن أبي بكر وابن عباس . وفي هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان ، وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

وفي هذه السنة ، استعمل معاوية الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة حين صرف عنها مروان بن الحكم في قول الواقدي .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

وفي هذه السنة ولى معاوية الكوفة عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان الثقفي ، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان ، وعزل عنها الضحاك بن قيس ، ففي عمله في هذه السنة خرجت الطائفة الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم في السجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد بن علفة ، فظفر بهم فاستودعهم السجن ، فلما مات المغيرة خرجوا من السجن . قال هشام بن محمد : إن حيان بن ظبيان السلمي جمع إليه أصحابه ، فبايعوه ، فأمرهم بالخروج إلى جانب الكوفة ليقاتلوا عن أمر الله من خالف طاعة الله ، وكانوا دون المائة رجل ، فمكث حتى

إذا كان آخر سنة من سني ابن أم الحكم في أول السنة ، اجتمع أصحابه إليه فخرجوا حتى نزلوا بانقيا ، فبعث إليهم ابن ام الحكم جيش ، فقتلوا جميعا . ثم إن عبدالرحمن بن أم الحكم طرده أهل الكوفة ، فلحق بمعاوية ، فولاه مصر ، فتوجه إليها ، وبلغ معاوية بن حديج السكوني الخبر ، فخرج فاستقبله على مرحلتين من مصر ، فقال : ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة . قال : وفي هذه السنة اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم جماعة كثيرة . وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

وفيها عزل عبدالرحمن بن أم الحكم عن الكوفة ، واستعمل عليها النعمان بن بشير الأنصاري . وفيها ولى معاوية عبدالرحمن بن زياد بن سمية خراسان . وفي هذه السنة أيضا وفد عبيد الله بن زياد على معاوية في أشراف أهل البصرة ، فعزله عن البصرة ، ثم رده عليها وجدد له الولاية . قال عمر بن شبة : وفد عبيدالله بن زياد في أهل العراق إلى معاوية ، فأذن لهم ، ودخل الأحنف بن قيس في أخرهم ، وكان سيء المنزلة من عبيدالله ، فتكلم القوم فأحسنوا الثناء على عبيدالله ، والأحنف ساكت ، فقال معاوية : ما لك يا أبا بحر لا تتكلم ! قال : إن تكلمت خالفت القوم . فقال : انهضوا فقد عزلته عنكم ، واطلبوا واليا ترضونه ، فلم يبق في القوم أحد إلا أتى رجلا من بني أمية ، فاختلفت كلمتهم ، وسمى كل فريق منهم رجلا والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : مالك يا أبا بحر لا تتكلم ! قال : إن وليت علينا أحدا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحدا ، وإن وليت من غيرهم فانظر في ذلك ، قال معاوية : فإني قد أعدته عليكم ، ثم أوصاه بالأحنف، فلما هاجت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف . وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة ستين

وفي هذه السنة أخذ معاوية على الوفد الذين وفدوا إليه مع عبيدالله بن زياد البيعة لابنه يزيد ، وعهد إلى ابنه يزيد حين مرض فيها مرضته التي هلك فيها .

قال هشام : إن معاوية لما مرض دعا يزيد ابنه ، فقال : يا بني ، إني قد كفيتك الرحلة والترحال ، ووطأت لك الأشياء ، وذللت لك الأعداء ، وأخضعت لك أعناق العرب ، وجمعت لك من جمع واحد ، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر ، فأما ابن عمر فرجل قد وقدته العبادة ، وإذا لم يبق احد غيره بايعك ، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه ، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه ، وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم ، ليس له همة إلا في النساء واللهو ، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب ، فإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إربا إربا . وفي هذه السنة توفي معاوية بن أبي سفيان بدمشق ، فاختلف في وقت وفاته بعد اجماع جميعهم على أن هلاكه كان في سنة ستين من الهجرة ، وفي رجب منها . قال علي بن محمد : مات معاوية بدمشق سنة ستين يوم الخميس لثمان بقين من رجب .

ذكر الخبر عن مدة ملكه

قال عمر بن شبة : بايع أهل الشام معاوية بالخلافة في سنة سبع وثلاثين ، وكانوا قبل بايعوه على الطلب بدم عثمان ، ثم صالحه الحسن بن علي ، وسلم له الأمر سنة إحدى وأربعين ، فبايع الناس جميعا معاوية ، فقيل : عام الجماعة ، ومات بدمشق سنة ستين يوم الخميس لثمان بقين من رجب . وكانت ولايته تسع عشر سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما . قال : فمات وهو ابن خمس وسبعين سنة . وقال غيره : مات معاوية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، ويقال : ابن ثمانين سنة ، واختلف في ذلك كثيرا .

قال الحارث : لما ثقل معاوية وحدث الناس أنه الموت ، قال لأهله : احشوا عيني إثمدا ، وأوسعوا رأسي دهنا ، ففعلوا ، وبرقوا وجهه بالدهن ، ثم مهد له، فجلس وقال: أسندوني ، ثم قال: ائذنوا للناس فليسلموا قياما ، ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائما فيراه مكتحلا مدهنا فيقول : يقول الناس : هو لمآبه ، وهو أصح الناس ، فلما خرجوا قال معاوية :

وتجلدي للشامتين اريهم ... إني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

قال علي بن محمد : إن معاوية قال في مرضه الذي مات فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني قميصا فرفعته . وقلم أظفاره يوما ، فأخذت قلامته فجعلتها في قارورة ، فإذا مت فألبسوني ذلك القميص ، وقطعوا تلك القلامة ، واسحقوها وذروها في عيني ، وفي فيّ ، فعسى الله أن يرحمني ببركتها ! قال : فلما مات صلى عليه الضحكاك بن قيس ، وكان يزيد غائبا .

ذكر نسائه وولده

من نسائه ميسون بنت بحدل الكلبية ، ولدت له يزيد بن معاوية ، ومنهن فاختة بنت قرظة ، ولدت له عبدالرحمن وعبدالله ، وكان عبدالله محمقا ضعيفا ، وكان يكنى أبا الخير ، وأما عبدالرحمن فإنه مات صغيرا . ومنهن نائلة بنت عمارة الكلبية . ومنهن كتوة بنت قرظة أخت فاختة ، فغزا قبرس وهي معه فماتت هنالك .

ذكر بعض أخباره وسيره

قال علي بن محمد : كان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم ، وسبب ذلك أنه أمر لعمرو بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمائة ألف درهم ، وكتب بذلك إلى زياد ابن سمية وهو على العراق ، ففض عمرو الكتاب وصير المائة مائتين ، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية ، فأخذ عمرا بردها وحبسه ، فأداها عنه أخوه عبدالله بن الزبير ، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وخزم الكتب ، ولم تكن تخزم .

قال عبدالله بن المبارك : قال عمر بن الخطاب : تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية ! وقال علي بن محمد : خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ، فرأى معاوية في موكب يتلقاه ، وراح إليه في موكب ، فقال له عمر : يا معاوية ، تروح في موكب وتغدو في مثله ، وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك ! قال : يا أمير المؤمنين ، إن العدو بها قريب منا ، ولهم عيون وجواسيس ، فأردت أن يروا للإسلام عزا ، فقال له عمر : إن هذا لكيد رجل لبيب ، فقال معاوية : مرني بما شئت أصر إليه ، قال : ويحك ! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك

فيه إلا تركتني ما أدري أمرك أم أنهاك !

وقال عبدالله بن أحمد : أخبرت أن عمرو بن العاص وفد إلى معاوية ومعه أهل مصر ، فقال لهم عمرو : انظروا ، إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلموا عليه بالخلافة ، فإنه أعظم لكم في عينه ، وصغروه ما استطعتم . فلما قدموا عليه قال معاوية لحجابه : إني كأني أعرف ابن النابغة وقد صغر أمري عند القوم ، فانظروا إذا دخل الوفد فتعتعوهم أشد تعتعة تقدرون عليها ، فلا يبلغني رجل منهم إلا وقد همته نفسه بالتلف . فكان أول من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط ، فدخل وقد تعتع ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فتتابع القوم على ذلك ، فلما خرجوا,قال لهم عمرو : لعنكم الله ! أنهيتكم أن تسلموا عليه بالإمارة، فسلمتم عليه بالنبوة !

قال علي بن محمد : وقال معاوية : ما من شيء الذ عندي من غيظ أجرعه .

قال : ونظر معاوية إلى الشيا في عباءة ، فازدراه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن العباءة لا تكلمك ، وإنما يكلمك من فيها . قال : وأغلظ رجل لمعاوية فأكثر ، فقيل له : أحلم عن هذا ؟ فقال : إني لا أحول بين الناس والسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا . قال : ولام معاوية عبدالله بن جعفر على الغناء ، فدخل يوماً على معاوية ومعه بديح ، ومعاوية واضع رجلاً على رجل ، فقال عبدالله لبديح : إيها يا بديح ! فتغنى ، فحرك معاوية رجله ، فقال عبدالله : مه يا أمير المؤمنين ! فقال معاوية : إن الكريم طروب .

خلافة يزيد بن معاوية

وفي هذه السنة بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه ، للنصف من رجب في قول بعضهم ، وفي قول بعض : لثمان بقين منه . قال هشام بن محمد : ولم يكن ليزيد همة حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد ، فكتب إلى الوليد بن عتبة ـ أمير المدينة ـ أن خذ الحسين وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا حتى يبايعوا . قال : فأرسل الوليد بن عتبة إليهم ، فجاء الحسين حتى جلس ، فأقرأه الوليد كتاب يزيد ، ونعا له معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فقال الحسين : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ورحم الله معاوية ،

وعظم لك الأجر ! أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سرا ، فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا معهم فكان أمرا واحدا . فقال له الوليد ـ وكان يحب العافية ـ فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس ، فخرج من عنده .

وأما ابن الزبير فإنه خرج من تحت الليل هو وأخوه جعفر ، وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب ، وتوجه نحو مكة ، فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج ، فبعث راكبا في ثمانين راكبا ، فطلبوه فلم يقدروا عليه ، فرجعوا ، فتشاغلوا عن الحسين بطلب عبدالله يومهم ذلك حتى أمسوا ، ثم بعث الرجال إلى الحسين عند المساء فقال : أصبحوا ثم ترون ونرى ، فكفوا عنه تلك الليلة ، فخرج الحسين من تحت ليلته ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته ، حتى قدم مكة . قال : ثم إن الوليد بعث إلى عبدالله بن عمر فقال : بايع ليزيد ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ، فتركوه وكانوا لا يتخوفونه .

وفي هذه السنة عزل يزيد الوليد بن عتبة عن المدينة ، وأقر عليها عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق . قال ابن عمر : كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد ، أن ابعث جيشا إلى ابن الزبير ، وكان عمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولى شرطته عمرو ابن الزبير ، لما كان يعلم ما بينه وبين عبدالله بن الزبير من البغضاء . فقال عمرو ابن سعيد لعمرو بن الزبير : من رجل نوجه إلى أخيك ؟ قال : لا توجه إليه رجلا أبدا أنكأ له مني ، فتوجه إليه ، وتوجه معه أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة ، فوجهه في مقدمته ، فسار أنيس بن عمرو الأسلمي حتى نزل بذي طوى ، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح . قال : فأرسل عبدالله بن الزبير عبدالله بن صفوان الجمحي إلى أنيس بن عمرو من قبل ذي طوًى ، وكان قد ضوى إلى عبدالله ابن صفوان قوم ممن نزل حول مكة ، فقالتوا أنيس بن عمرو ، فهزم أنيس بن عمرو أقبح هزيمة ، وتفرق عن عمرو جماعة أصحابه ، فدخل دار علقمة ، فأتاه عبيدة بن الزبير فأجاره ، ثم جاء إلى عبدالله بن الزبير فقال : إني قد أجرته ، فقال : أتجير من حقوق الناس ! هذا ما لا يصلح ، وأبى أن يجيره ، وضربه بكل من كان ضرب بالمدينة ، وحبسه بسجن عارم . قال : وإنما سمي سجن عارم لعبد كان يقال له : زيد عارم ، فسمي السجن به ، وحبس ابن الزبير أخاه عمرا فيه .

ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام

قال أبو جعفر : خرج الحسين بن علي عليه السلام إلى مكة ، فأتاه أهل الكوفة ورسلهم : إنا قد حبسنا أنفسنا عليك ، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي ، فأقدم علينا – وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة ، قال : فبعث الحسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمه فقال له : سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلي ، فإن كان حقا خرجنا إليهم . فخرج مسلم حتى أتى الكوفة ، ونزل على رجل من أهلها يقال له عوسجة ، قال : فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دبوا إليه ، فبايعه منهم اثنا عشر ألفا . قال: فجاء الخبر إلى يزيد ، فعزل النعمان بن بشير ، وضم الكوفة مع البصرة تحت عبيد الله بن زياد ، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله ، فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة ، فأتى مسلما الخبر ، فنادى بشعاره ، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، وسار إلى عبيدالله وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر ، فلما سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرفوا على عشائرهم فجعلوا يكلمونهم ويردونهم ، فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى بقي وحده ، فبعث عبيدالله صاحب الشرطة إليه ، فأعطاه الأمان حتى أمكن من يده ، فجاء به إلى عبيد الله فأمر به فضربت عنقه .

وكان مسلم بن عقيل قد كتب إلى الحسين قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة : أما بعد ، فإن الرائد لا يكذب أهله ، إن جمع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابي . قال أبو جعفر : فأقبل حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال ، أتاه خبر مقتل مسلم بن عقيل ، وهانيء بن عروة ، فهم بالرجوع ، فوثب عند ذلك بنو عقيل وقالوا : لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا ، أو نذوق ما ذاق اخونا . فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله بن زياد ، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء ، فنزل وضرب ابنتيه ، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارسا ومائة رجل ، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيدالله بن زياد الري وعهد إليه : أن أكفني هذا الرجل ، فتوجه إليه عمر بن سعد ، فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم ، وقاتل الحسين بسيفه حتى قتل ، قتله رجل من مذحج وحز رأسه ، وانطلق به إلى عبيد الله ، فأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس . قال ابن سعد : قتل الحسين بنينوى يوم عاشورا سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة . قال الواقدي :

قتل الحسين لعشر خلون من المحرم . قال أبو جعفر : وفي هذه السنة عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن مكة ، وولاها عمرو بن سعيد بن العاص ، فحج بالناس هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

قال أبو مخنف : لما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا عبيدالله ابن زياد عمر بن سعد ، فقال : سر إلى الحسين ، فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى . قال : وعبأ الحسين أصحابه ، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه ، فتقاتلوا قتالا شديدا حتى انتصف النهار . قال : فشد هانيء بن ثبيت الحضرمي على عبدالله بن علي فقتله ، ثم شد على جعفر ابن علي فقتله ، ورمى خولي بن يزيد عثمان بن علي بسهم ، ثم شد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله ، ورمى آخر محمد بن علي فقتله . وأخذ أصحاب الحسين يتساقطون . قال هشام : إن حسيناً حين غلب على عسكره ركب المسناة يريد الفرات ، فحالوا بينه وبين ذلك . قال أبو مخنف : ولقد مكث طويلا من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض ، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء ، حتى نادى شمر بن ذي الجوشن ، في الناس : ويحكم ، ماذا تنظرون بالرجل ! اقتلوه ! فحمل عليه من كل جانب ، وحمل عليه سنان بن أنس ابن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع ، فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه ، ثم دفع إلى خولي بن يزيد . قال أبو مخنف: وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ، قال : وسرح عمر بن سعد برأس الحسين ابن علي مع خولي بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد ، وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد ، ثم أمر بالرحيل ، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان ، وعلي بن الحسين مريض . قال : وقطف رؤوس الباقين فسرح باثنين وسبعين رأسا مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث ، فاقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد ، فدعا زفر بن قيس فسرح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية ، فخرجوا حتى قدموا بها الشام على يزيد . قال هشام : فدمعت عين يزيد ، وقال : قد كنت أرضى من

طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ! أما والله لو إني صاحبه لعفوت عنه . قال أبو مخنف : ثم دعا يزيد بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، وأمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ، وأن يبعث معهم رجلا وأعوانا فيسير بهم إلى المدينة .

قال أبو مخنف : وفي هذه الوقعة ، قتل الحسين بن علي ، والعباس بن علي ، وجعفر بن علي ، وعبدالله بن علي ، وعثمان بن علي ، ومحمد بن علي ، وأبو بكر ابن علي ، وعلي بن الحسين بن علي ، وعبدالله بن الحسين ، وأبو بكر بن الحسن ابن علي ، وعبدالله بن الحسن ، والقاسم بن الحسن ، وعون بن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب ، ومحمد بن عبدالله بن جعفر ، وجعفر بن عقيل بن أبي طالب ، وعبدالرحمن بن عقيل ، وعبدالله بن عقيل ، ومسلم بن عقيل ، وعبدالله بن مسلم ابن عقيل ، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل .

قال : وفي هذه السنة ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان، فغزا خوارزم ، فصالحوه على مال كثير ، ثم عبر إلى سمرقند فصالحه أهلها . وفي هذه السنة عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وولاها الوليد بن عتبة ، وحج بالناس حجتين سنة إحدى وستين وسنة اثنتين وستين . قال أبو مخنف : لما قتل الحسين عليه السلام قام الزبير في أهل مكة وعظم مقتله ، وعاب على أهل الكوفة خاصة ، ولام أهل العراق عامة ، فعلا أمره بمكة ، وكاتبه أهل المدينة ، وقال الناس : أما اذ هلك الحسين فليس أحد ينازع ابن الزبير . وكان عمرو بن سعيد يرفق بهم ، ويداري لهم . قال : ثم ان الوليد بن عتبة وناسا معه من بني أمية قالوا ليزيد بن معاوية : لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك ، فسرح الوليد بن عتبة على الحجاز أميرا ، وعزل عمرا .

ثم دخلت سنة إثنتين وستين

قالوا : أقام الوليد بن عتبة بالمدينة يريد ابن الزبير فلا يجده إلا متحذرا متمنعا . ثم إن ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد بن عتبة ، فكتب إلى يزيد بن معاوية : إنك بعثت إلينا رجلاً أخرق ، ولو بعثت إلينا رجلا سهل الخلق ، رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر منها . فبعث يزيد بن معاوية إلى الوليد

فعزله وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان . قال أبو مخنف : فقدم فتى غر حدث لم يجرب الأمور ، ولم يحنكه السن ، وبعث إلى يزيد وفدا من أهل المدينة ، فقدموا على يزيد فأكرمهم ، وأحسن إليهم ، وأعظم جوائزهم . ثم انصرفوا من عنده ، فلما قدموا المدينة قاموا في الناس فأظهروا شتم يزيد ، وقالوا : إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويضرب عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه ، فتابعهم الناس . قال لوط بن يحيى : إن الناس أتوا عبدالله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم ، وكان ممن ذهب في الوفد إلى يزيد ابن معاوية مع أشراف أهل المدينة .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

قال أبو مخنف : ثم إن أهل المدينة لما بايعوا عبدالله بن حنظلة الغسيل ، وثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ، فكانوا نحواً من ألف رجل ، فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم ، فحاصرهم الناس فيها حصارا ضعيفا . قال : فدعت بنو أمية حبيب بن كرة ، وبعث معه مروان بن الحكم بكتاب إلى يزيد بن معاوية . فبعث يزيد إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب ، وأمره أن يسير إليهم في الناس ، فقال له عمرو : إنما هي دماء قريش تهراق بالصعيد ، فلا احب أن أكون أنا أتولى ذلك . فبعث يزيد إلى مسلم بن عقبة المري ، وأمره بالمسير ، فخرج مناديه فنادى : أن سيروا إلى الحجاز، فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل . قال : فأقبل مسلم بالجيش حتى إذا بلغ أهل المدينة اقباله وثبوا على من معهم من بني أمية ، فحصروهم في دار مروان، وقالوا : لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم ، أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ، ولا تدلوا لنا على عورة ، فنكف عنكم ونخرجكم عنا ، فأعطوهم عهد الله وميثاقه ، فأخرجوهم من المدينة ، فخرجت بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى ، وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان إلى الطائف ، فمرت بعلي بن الحسين وهو إلى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيئا من أمرهم ، فقال لها : احملي ابني عبدالله معك إلى الطائف ، فحملته .

قال : ومضى مسلم بالجيش في الحرة حتى نزل المدينة ، فأتاهم من قبل

المشـرق . ثم دعـاهم مسلم فـقـال : يا أهل المدينة ، اني اؤجلكم ثلاثا ، فـمن ارعوى وراجع الحق قـبلنا منه، وانصرفت عنكم وسرت إلى هذا الملحد الذي بمكة، وان أبيـتم كنا قـد أعـذرنا إليكم . قـال : ولما مـضت الأيام الثلاثة قال لهم مسلم : أتسـالمون أم تحـاربون ؟ ! قـالوا : بل نحـارب . قـال : وقد كان أهل المدينة أتخذوا خندقـا في جـانب المدينة ، ونزله جمع منهم عظيم ، وكـان أمير جماعـتـهم عبدالله بن حنظلة الغـسـيل ، فـتـقـاتلوا قـتـالا شـديدا ، فصرع ألفضل بن عباس ، وزيد بن عـبـدالرحمن بن عـوف ، في رجـال من أهل المدينة كـثير . قال هشام : ثم إن خيل مـسلم ورجـاله أقبلت نحـو عـبـدالله بن حنظلة الغـسـيل ورجاله حتى دنوا منهم ، فأخـذوا ينضـحـونهم بالنبل ، ونهـض القـوم بعضهـم إلى بعض فاقتتلوا أشد قتال ، وأخـذ ابن الغـسـيـل يقـدم بنيه أمامه واحدا واحدا حتى قتلوا بين يديه ، ثم إنه قتل وقـتل مـعـه أخـوه لأمـه محـمـد بن ثابت بن قيس . قال هشام : فلما انهزم الناس ، أباح مـسلم المدينة ثلاثا يقـتلون الناس ويأخـذون الأموال ، فأفزع ذلك من كان بها من الصـحـابة . قـال : ثم إنه دعـا الناس إلى البـيـعـة ، فـبايعوا . قال أبو جعفر الطبري : وكـانت وقـعـة الحـرة يوم الأربعـاء لليلتين بقـيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير .

ثم دخلت سنة أربع وستين

قـال أبو مخنف : ولما فـرغ مـسلم بن عـقـبة من قتال أهل المدينة وانهاب جنده أموالهم ثلاثا ، شخص بمن معه من الجند متوجها إلى مكة يريد ابن الزبير ومن كان على مثـل رأيه في الإمتنـاع على يزيد بن معاويـة وخلـف على المـديـنـة روح بن زنبـاع الجـذامي . وأما الواقدي فإنه قال : خلف عليها عمرو بن محرز الأشجعي . قال : فـلما انتـهى مـسلم إلى المشلل ، نزل به الموت ، فـدعـا حـصين بن نمير السكوني ، فـولاه أمر الجند ، ثم إنه مات ، فدفن بقفا المشلل . فخرج حصين بالناس ، فقدم على ابن الزبير بمكة وقـد بايعـه أهلهـا وأهل الحـجـاز . قال : وقدم على ابن الزبير كل أهل المدينة ، وقـدم عليـه نجـدة بن عـامـر الحنفي في أناس من الخوارج يمنعون البـيت ، فـقـال لأخـيـه المنذر : ما لهذا الأمر غيري وغيرك ـ وأخوه المنذر ممن شهد الحـرة ، ثم لحق بهـ ـ فـجـرد إليهم أخاه في الناس ، فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ثم

إن رجلا من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة ، فخرج إليه المنذر فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خر صاحبه لها ميتا . ثم إن أهل الشام شدوا عليه شدة منكرة، وانكشف أصحابه انكشافة . وصابرهم ابن الزبير يجالدهم حتى الليل ، ثم انصرفوا عنه ، وهذا في الحصار الأول . ثم إنهم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله ، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة أربع وستين قذفوا البيت بالمجانيق ، وحرقوه بالنار . قال الواقدي : فحاصر ابن الزبير أربعا وستين يوما حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر .

وفي هذه السنة حرقت الكعبة . قال ابن عمر : كانوا يوقدون حول الكعبة ، فأقبلت شررة هبت بها الريح ، فاحترقت ثياب الكعبة ، واحترق خشب البيت يوم السبت لثلاث ليال خلون من ربيع الأول قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوما . قال عمر بن شبة : مات يزيد بن معاوية بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين من أرض الشام وهو ابن تسع وثلاثين سنة ويقال ابن ثمان وثلاثين سنة، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ويقال: وثمانية أشهر. قال أبومشعر: توفي يزيد يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة من ربيع الأول .

ذكر عدد ولده

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية ، يكنى أبا ليلى ، وخالد بن يزيد ، وكان يكنى أبا هاشم ، وأمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، تزوجها بعد يزيد مروان . ومنهم عبدالله بن يزيد ، وأمه أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر ، ومنهم عبدالله الأصغر ، وعمر ، وأبو بكر ، وعتبة ، وحرب ، وعبدالرحمن ، والربيع ، ومحمد ، لأمهات أولاد شتى .

خلافة معاوية بن يزيد

وفي هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بالشام بالخلافة، ولعبدالله بن الزبير بالحجاز . قال هشام بن محمد : لما بلغ ابن الزبير موت يزيد - وأهل الشام لا يعلمون بذلك ، قد حصروه حصارا شديدا وضيقوا عليه - أخذ يناديهم هو وأهل مكة : علام تقاتلون ؟ قد هلك طاغيتكم ، وأخذوا

لا يصـدقـونه حتى قدم ثابت بن قيس النخعي ، فمر بالحصين بن نمير ، فسأل عن الخبر ، فأخبره بهلاك يزيد ، فبعـث الحصين إلى عبد الله بن الزبير ، فقـال له : إن يك هذا الرجل قـد أهلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر ، هلم فلنبايعك ، ثم اخرج معي إلى الشـام . فـقال ابن الزبير : لا والله لا أفعل . فغضب ابن نمير ، ثم قام فخـرج وصـاح في النـاس ، فأقبـل فيهـم نحـو المدينة ، وندم ابن الزبير على الذي صـنع ، فأرسل إليـه : أمـا أن أسير إلى الشـام فلست فـاعـلا ، وأكـره الخـروج من مكة ، ولكن بايعـوا لي هنالك فإني مـؤمنكم وعادل فيكم . فقال له الحصين : أرأيت ان لم تـقـدم بنفسك ، ووجـدت هنالك اناسـا كـثيرا من أهل هذا البيت يطلبـونها يجيبـهم الناس ، فما أنا صـانع ؟ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة ، فقالت لهم بنو أمية : لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشـام ، ففعلوا ، ومضى ذلك الجيش حـتى دخل الشـام ، وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد ، فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى مـات . قال عمر بن شبة : لما استخلف معاوية بن يزيد وجمع عمال أبيـه ، وبويع له بدمشق ، هلك بها بعد أربعين يوما من ولايته . ويكنى أبا عـبـدالرحمن ، وهو أبو ليلى ، وتوفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانيـة عشر يوما . وفي هذه السنـة بايع أهـل البصـرة عبيدالله بن زياد ، على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمـام يرتضـونه لأنفـسـهـم ، ثم أرسل عبيد الله رسولا إلى الكوفة يدعوهم إلى مـثل الذي فـعل أهل البصرة ، فأبوا عليـه ، وحـصبوا الوالي الذي كان عليـهـم ، ثم خـالفـه أهل البصرة أيضـا ، فـهـاجت بالبصرة فـتنة ، ولحق ابن زياد بالشام .

قـال ابن عـياش : كان أول من جمع له المصران : الكوفة والبصرة زيادا وابنه ، فـقتـلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفا ، وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف ، فلما هلك يزيد قـام عبيدالله بن زياد خطيبـا ، ودعـا النـاس إلى بيعتـه ، وبعث بذلك إلى أهل الكوفـة ، وخليـفتـه عليها عمرو بن حريث ، فصعد عمرو المنبر فحصبوه ، فدخل داره ، واجـتمـع الناس في المسجـد فقالـوا : نؤمـر رجـلا إلى أن يجتمـع الناس على خليفـة ، فاجتمعـوا على عامر بن مسعود ، وكتبـوا بذلك إلى ابن الزبير ، فأقـره . قـال عوانة بن الحكم : فرجـع الوفد إلى البصرة فـاعلـم الناس الخبر فقالـوا : أهـل الكوفـة يخلعـونـه ، وأنتم تولونـه وتبـايعـونـه ! فوثـب به النـاس . قـال : فلما نابذه

الناس استجار بمسعود بن عمرو الأزدي ، فأجاره ومنعه ، فمكث تسعين يوماً بعد موت يزيد ، فلما قتل مسعود بن عمرو خرج إلى الشام .

واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميرا ، فجعلوا عبدالملك بن عبدالله بن عامر شهرا ، ثم جعلوا ببّة ـ وهو عبدالله بن الحارث بن عبدالمطلب ـ فصلى بهم شهرين ، ثم قدم الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة من قبل ابن الزبير ، فوليها الحارث وهو القباع . قال : فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة وأهل البصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الشام ، وأهل الجزيرة إلا أهل الأردن .

وفي هذه السنة بويع لمروان بن الحكم بالخلافة بالشام . قال ابن عمر : لما بويع عبدالله بن الزبير ولى المدينة عبيدة بن الزبير ، وعبدالرحمن بن جحدم الفهري مصر ، وأخرج بني أمية ومروان بن الحكم إلى الشام ، فلما قدم حصين بن نمير ومن معه إلى الشام أخبر مروان بما خلف عليه ابن الزبير ، وأنه دعاه إلى البيعة ، فكان من رأي مروان أن يرحل فينطلق إلى ابن الزبير فيبايعه ، فقدم عبيدالله بن زياد واجتمعت عنده بنو أمية ، وكان قد بلغ عبيدالله ما يريد مروان ، فقال له : استحييت لك مما تريد ! أنت كبير قريش وسيدها ، تصنع ما تصنعه ! فقال : ما فات شيء بعد ، فقام معه بنو أمية ومواليهم ، وتجمع إليه أهل اليمن ، فسار وهو يقول : ما فات شيء بعد ، فقدم دمشق ومن معه ، والضحاك بن قيس الفهري قد بايعه أهل دمشق على أن يصلي بهم ، حتى يجتمع أمر أمة محمد .

قال عوانة بن الحكم : قدم عبيدالله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس ألفهري ، فثار زفر بن الحارث الكلابي بقنسرين يبايع لعبدالله بن الزبير ، وبايع النعمان بن بشير الأنصاري بحمص لابن الزبير ، وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين عاملا لمعاوية ثم ليزيد بعده ، وكان يهوى هوى بني أمية ، فخرج حسان إلى الأردن واستخلف روح بن زنباع على فلسطين ، فثار ناتل بن قيس بروح ابن زنباع فأخرجه ، فاستولى على فلسطين وبايع لابن الزبير ، فكان الناس فريقين : حسان بن مالك بالأردن يهوى هوى بني أمية ، والضحاك بن قيس بدمشق يهوى هوى عبدالله بن الزبير ، وكان يعمل في ذلك سرا ، فبلغ ذلك حسان بن مالك ، فكتب إلى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بني أمية ويدعوه إلى طاعتهم ، ويذكر ابن الزبير ويشتمه ، ودعا رجلا من كلب يدعى ناغضة فسرح بالكتاب معه إلى

الضحـاك . قال : فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقال إليه ناغضة : ادع بكتـاب حسـان فاقـرأه على الناس ، فأبى عليه ، فلما رآه ناغضـة لا يفعـل أخـرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس ، فـقـام الوليد بن عتبة فصدق حسانا وشتم ابن الزبير ، وقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسان وأثنى على ابن الزبير ، فاضطرب الناس تبعا لهم . قال : ثم إن الضحاك بعث إلى بني أمية ، فاعتذر إليهم ، وقال: تكتبون إلى حسـان ونكتب ، فـيـسير من الأردن حتى ينزل الجـابيـة ، ونسير نحن وأنتم حتى نوافـيـه بها ، فنبـايع لرجل منكم ، فرضيت بذلك بنو أمية ، وكتبوا إلى حسـان ، وكتب إليه الضحاك ، وخرج الناس ، فجاء ثور بن معن إلى الضحاك ، فقال : دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك ، وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن أخيه خالد بن يزيد ! فقال له الضحاك : فما الرأي ؟ قال : أن نظهر مـا كنا نسر وندعو لابن الزبير ، فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط .

واختلف في الوقـعـة التي كانت بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم ، قـال ابن عـمـر : كان مروان بالشام لا يحدث نفسه بهذا الأمر حتى أطمعه فيه عبيد الله بن زياد حين قـدم عليه من العـراق ، فخـرج مـروان إلى الضحـاك في جيش ، فـقـتلهم مروان وقتل الضحـاك وهو يومئـذ في طاعة ابن الزبير . قال : ثم إن أهل الأردن بايعـوا مـروان بالجـابيـة يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وسـتين . قـال هشام : إن يزيد بن أبي النمس الغساني لم يشهد الجابية ، وكان مختبئا بدمـشق ، فلما نزل مـروان مرج راهط ثار يزيد بن أبي النمس بأهل دمشق في عبيدها ، فغلـب عليها ، وأخـرج عامل الضحاك منها ، وغلب على الخزائن وبيت المـال ، وبـايع لمروان وأمـده بالأمـوال والرجـال والسـلاح . قـال : فـقـاتل مـروان الضحـاك عشرين ليلة ، ثم هزم أهل المرج ، وكان مروان في ستة الاف وعلى خيله عبيدالله بن زياد . قال : وخـرج الناس منهـزمين من المـرج إلى أجنـادهـم ، فانتهى أهل حمص إلى حمـص والنعمان بن بشير عليـهـا ، فلما بلغ النعمان الخبر خـرج هاربا ليـلا ومـعـه امـرأته وولده ، وأصبح أهل حمص فطلبوه ، فأدركه رجل من الكلاعيين فـقـتله ، واقـبل برأس النعمان وبنائلة امـرأته وولدها ، وخـرج زفـر بن الحـارث من قنسرين فلحق بقـرقـيـسـيـا ، وأخـرج عـيـاضا الجرشي - وكان يزيد ولاه قرقيسيا -

وتحصن زفر بها وثابت إليه قيس . قال : وخرج ناتل بن قيس فلحق بابن الزبير بمكة ، وأطبق أهل الشام على مروان ، واستوثقوا له ، واستعمل عليها عماله .

قال أبو مخنف : وخرج مروان حتى أتى مصر بعدما اجتمع له أمر الشام ، فقدم مصر وعليها عبدالرحمن بن جحدم القرشي يدعو إلى ابن الزبير ، فخرج إليه فيمن معه من بني فهر ، وبعث مروان عمرو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصر ، وقام على منبرها يخطب الناس ، وقيل لهم : قد دخل عمرو مصر ، فرجعوا ، وأمر الناس مروان وبايعوه ، ثم أقبل راجعاً نحو دمشق ، حتى إذا دنا منها بلغه أن ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزبير نحو فلسطين ، فسرح إليه مروان عمرو بن سعيد بن العاص في جيش ، واستقبله قبل أن يدخل الشام ، فقاتله فهزم أصحاب مصعب . قال : وانصرف مروان حتى استقرت به دمشق ، ورجع إليه عمرو بن سعيد .

وفي هذه السنة بايع جند خراسان سلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية ، على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة . وفيها كانت فتنة عبدالله بن خازم بخراسان . قال مسلمة : لما توفي يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، دعا سلم بن زياد الناس إلى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة ، فبايعوه ، ثم مكثوا بذلك شهرين ، ثم نكثوا به . قال علي بن محمد : وثب أهل خراسان بعمالهم فأخرجوهم ، وغلب كل قوم على ناحية ، ووقعت الفتنة ، وغلب عبدالله بن خازم على خراسان ، ووقعت الحرب . قال أبو جعفر : أقبل ابن خازم فغلب على مرو ، ثم سار إلى سليمان بن مرثد وهو على مرو الروذ ، فقاتله أياما ، فقتل سليمان بن مرثد ، ثم سار ابن خازم إلى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان ، فالتقوا ، فاقتتلوا طويلا ، فقتل عمرو بن مرثد ، وانهزم أصحابه ، ورجع ابن خازم إلى مرو ، وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل إلى هراة ، فكان لهم بها جمع كثير عليهم أوس بن ثعلبة ، فبايعوه ، وسار إليهم ابن خازم ، فقاتلهم نحواً من سنة وقد خندقوا على أنفسهم . قال : ثم إنهم خرجوا إليهم ، فالتقى الناس ، وانهزمت بكر بن وائل وهرب أوس بن ثعلبة ، وظفر ابن خازم . قال شيخ من بني سعد بن زيد مناة : إن أوس بن ثعلبة هرب وبه جراحات إلى سجستان ، فلما صار بها أو قريبا منها مات . قال أبو الذيال زهير بن هنيد : قتل

من بكر بن وائل يومئذ ثمانية آلاف ، وظفر بن خازم بهراة واستعمل عليها ابنه محمدا ، ورجع ابن خازم إلى مرو .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة ، واتعدوا الإجتماع بالنخيلة في سنة خمس وستين للمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي ، وتكاتبوا في ذلك . قال : وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة ، وكانت قد مال حيطانها مما رميت من حجارة المجانيق ، قال الواقدي : هدم ابن الزبير البيت حتى سواه بالأرض ، وحفر أساسه . وأدخل الحجر فيه ، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس ويصلون إلى موضعه ، وجعل الركن الأسود عنده في تابوت في سرقة من حرير ، وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجبة في خزانة البيت ، حتى أعادها لما أعاد بناءه . وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير .

ثم دخلت سنة خمس وستين

قال أبو مخنف : وفي هذه السنة بعث سليمان بن صرد إلى وجوه أصحابه ، فأتوه ، فلما استهل هلال شهر ربيع الآخر ، خرج في وجوه أصحابه ، وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة فخرج حتى أتى عسكره ، فلم يعجبه عدة الناس ، فبعث حكيم بن منقذ والوليد بن غصين ، وقال : اذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا : يا لثارات الحسين ! ففعلا ، فلم يصبح ابن صرد حتى أتاه نحو ممن كان في عسكره حين دخله . قال : ثم دعا بديوانه لينظر فيه إلى عدة من بايعه حين أصبح ، فوجدهم ستة عشر ألفا ، فقال : سبحان الله ! ما وافانا الا أربعة آلاف من ستة عشر ألفا . قال : فأقام بالنخيلة ثلاثا يبعث ثقاته إلى من تخلف عنه من جماعته ، فخرج إليه نحو من ألف رجل . فأجمع سليمان بالمسير إلى عبيدالله بن زياد للطلب بدم الحسين ، فتهيأ الناس للشخوص . وبلغ عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد وأصحابه ، فنظرا في أمرهما ، فأتيا إليه فقالا له : لا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا . أقيموا معنا حتى نتيسر ونتهيأ ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم . فقال سليمان : تنصرفون ، ونرى فيما بيننا ، وسيأتيكم إن شاء الله رأي .

قال : ثم إن عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة عرضا على سليمان أن يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشام على أن يخصاه وأصحابه بخراج جوخى ، فقال لهما سليمان : إنا ليس للدنيا خرجنا ، وإنما فعلا ذلك لما قد كان بلغهما من إقبال عبيدالله بن زياد نحو العراق . وانصرف إبراهيم بن محمد وعبدالله بن يزيد إلى الكوفة ، وأجمع القوم على الشخوص واستقبال ابن زياد . قال : ثم إن سليمان بن صرد قام في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنا مدلجون الليلة من منزلنا هذا إن شاء الله فادلجوا . فأدلج عشية الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين للهجرة ، فصبحوا قبر الحسين ، فأقاموا به ليلة ويوما يصلون عليه ، ويستغفرون له ، قال : فلما انتهى الناس إلى قبر الحسين صاحوا صيحة واحدة ، وبكوا ، فما رئي يوم كان أكثر باكيا منه . قال : ثم إن سليمان بن صرد سار من موضع قبر الحسين فأخذ على الحصاصة ، ثم على الأنبار ، ثم على الصدود ، ثم على القيارة ، ثم إن القوم جدوا في المسير ، فجعلوا يجعلون كل مرحلتين مرحلة حتى بلغوا ساعا ، فعبى سليمان بن صرد الكتائب وأقبل حتى انتهى إلى عين الوردة فنزل في غربيها ، فعسكروا ، وأقام بها خمسا لا يبرح ، واستراحوا واطمأنوا ، وأراحوا خيلهم .

قال أبو مخنف : وأقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة ، فبعث سليمان بن صرد المسيب بن نجبة في أربعمائة فارس ، ثم قال : سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم فشن فيهم الغارة . قال حميد بن مسلم ـ وكان في خيل المسيب ـ : فركبنا ، فكان أول من لقينا أعرابي يطرد أحمرة، فقال له المسيب : كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منا ؟ قال : أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر ابن ذي الكلاع . قال : فتركنا الرجل ، فخرجنا نحوهم مسرعين ، فوالله ما شعروا حتى أشرفنا عليهم وهم غارون ، فحملنا في جانب عسكرهم فوالله ما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا ، فأصبنا منهم رجالا ، وجرحنا فيهم فأكثرنا الجراح ، وخرجوا عن عسكرهم وخلوه لنا ، فأخذنا منه ما خف علينا ، وانصرفنا حتى أتينا سليمان بن صرد . قال : فأتى الخبر عبيد الله بن زياد ، فسرح إلينا الحصين بن نمير حتى نزل في اثنى عشر ألفا ، فخرجنا إليهم يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى ، فهزمناهم حتى اضطررناهم إلى عسكرهم ،

فلما كان الغد ، غدو علينا ، فقاتلناهم قتالاً شديداً حتى أصبحنا ، فخرجوا إلينا في اليوم الثالث - يوم الجمعة - فاقتتلنا إلى ارتفاع الضحى . ثم إن أهل الشام كثرونا وتعطفوا علينا من كل جانب ، فقتل سليمان بن صرد ، فأخذ الراية المسيب ابن نجبة ، فشد بها حتى قتل ، فأخذ الراية عبدالله بن سعد بن نفيل فقاتل حتى قتل . قال : فلما أمسى الناس ورجع أهل الشام إلى معسكرهم ، نظر رفاعة بن شداد البجلي إلى كل رجل قد عقر به ، وإلى كل جريح لا يعين على نفسه ، فدفعه إلى قومه ، ثم سار بالناس ليلته كلها ، وأصبح الحصين بن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا ، فلم يبعث في آثارهم أحدا .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة أمر مروان بن الحكم أهل الشام بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ، وجعلهما ولي العهد ، فبايعهما الناس . قال : وفي هذه السنة مات مروان بن الحكم بدمشق مستهل شهر رمضان . قال ابن سعد : لما حضرت معاوية بن يزيد الوفاة ، أبى أن يستخلف أحدا ، وكان حسان ابن مالك يريد أن يجعل الأمر لأخيه خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان صغيرا ، فبايع لمروان ، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد ، فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشام قيل لمروان : تزوج أم خالد حتى تصغر شانه ، فلا يطلب الخلافة ، فتزوجها ، فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة كثيرة ، فقال : إنه والله ما علمت لاحمق ، تعال يا ابن الرطبة الأست - يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام - فرجع خالد إلى أمه فأخبرها ، فمكثت أياما ، ثم إن مروان نام عندها ، فغطته بالوساده حتى قتلته . قال أبو جعفر : فمات وهو ابن ثلاث وستين سنه ، وقيل غير ذلك. وعاش بعد أن بويع له بالخلافه تسعة أشهر، وقيل عشرة أشهر.

وكان مروان بن الحكم بعث قبل هلاكه بعثين : أحدهما إلى المدينه ، عليهم حبيش بن دلجة ، والآخر إلى العراق وعليهم عبيد الله بن زياد ، وكان من أمره ما قد مضى ذكره ، وأما حبيش فإنه سار حتى انتهى إلى المدينة ، وعليهم جابر بن الأسود من قبل عبد الله بن الزبير ، فهرب جابر من حبيش. ثم إن الحارث بن أبي ربيعة ، وجه جيشا من البصرة ، وكان عبد الله بن الزبير قد ولاه البصرة ، فلما سمع حبيش بذلك سار إليهم من المدينة ، وسرح ابن الزبير عباس بن سهل لنصرة أهل البصرة فلحقهم عباس بالربذة ، فاقتتلوا ، فقتل حبيش بن دلجة ، وقتل معه

المنذر بن قيسس الجذامي، وما نجوا يومئذ إلا على جمل واحد ، ورجع فل حبيش إلى الشام .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعون الذي يقال له الطاعون الجارف ، فهلك به خلق كثير من أهل البصرة ، وكان عليها عبيد الله بن عبيد الله ابن معمر . قال : وفي هذه السنة اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة وقتل نافع بن الأزرق ، قال عمر بن شبة : إن عبيدالله بن عبيد الله بن معمر بعث أخاه عثمان إلى نافع في جيش ، فقتل عثمان وهزم جيشه ، فبعث عبيد الله جيشا مع ابن عبيد ، فقتل ابن الأزرق ، وقتل ابن عبيد ، وأما أبو مخنف فإنه قال : إن نافعاً بن الأزرق اشتدت شوكته فاقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر. فبعث إليه عبد الله ابن الحارث مسلم بن عبيس في أهل البصرة ، فخرج إليه ، فالتقوا ، فاقتتل الناس، فقتل مسلم بن عبيس أمير أهل البصرة ، وقتل نافع بن الأزرق راس الخوارج ، فأمرت الأزارقة عليهم عبد الله بن الماخور ، ثم عادوا فاقتتلوا ، فقتل أمير أهل البصرة ، وقتل ابن الماخور أمير الأزارقة فأمرت الخوارج عليهم عبيد الله ابن الماخور ، فجاءت الخوارج سرية لهم لم تكن شهدت القتال ، فحملت على الناس ، فانهزموا ، وقتل أمير أهل البصرة .

قال : وقدم المهلب بن أبي صفرة على تلك من حال الناس من قبل عبد الله ابن الزبير ، معه عهده على خراسان ، فقال الأحنف للحارث بن أبي ربيعة : ما لهذا الأمر إلا المهلب بن أبي صفرة ، فخرج أشراف الناس ، فكلموه أن يتولى قتال الخوارج فاشترط أن يكتبوا له على الأخماس كتابا ، ففعلوا ، فسار المهلب بجيشه، وجاءت الخوارج حتى انتهت إلى الجسر الأصغر ، فحازهم عن الجسر ، فارتفعوا إلى الجسر الأكبر ، ثم إنه عبأ لهم ، فسار إليهم في الخيل والرجال ، فلم يزل يحوزهم حتى انتهوا إلى منزل من منازل الأهواز يقال له سلى وسلبرى ، فاقاموا به؛ ولما نزل المهلب بالقوم خندق عليه . قال : ثم إنهم التقوا ، فاقتتلوا كأشد القتال ، ثم إن الخوارج شدت على الناس باجمعها شدة منكرة فاجفل الناس وانصاعوا منهزمين ، فنادى المهلب فثاب إليه جماعة من قومه ، واجتمع إليه منهم نحو من ثلاثة آلاف ، فمشوا نحو عسكر الخوارج ، فما شعرت الخوارج إلا بالمهلب يضاربهم بالمسلمبن في جانب عسكرهم ، فقتل أمير الخوارج عبيد الله بن الماحوز ،

وأخـذ المهلب عـسكر القـوم ومـا فـيـه ، وانهزم بقـية الأزارقة إلى كرمان واصفهان ، وقـيل : إنهم ارتحلوا عن الأهواز وهم ثلاثة آلاف ، وإنه قـتل منهم في الوقـعة سبعة آلاف . قـال أبـو جـعـفـر : وفي هذه السنة عـزل عـبـد الله بن يزيد عن الكوفـة ، وولاها عـبـد الله بن مطيع ، ونزع عن المدينة أخـاه عـبيدة بن الزبير ، وولاها أخاه مصعب بن الزبير . وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .

ثم دخلت سنة ست وستين

وفي هذه السنة، وثب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالبا بدم الحسين بن علي. قـال أبو مخنف : كان المختـار في سجـن الكوفـة ، وقد بعـث غلاماً يدعى زربيا إلى عـبـد الله بن عـمـر بن الخطاب ـ صـهـره ـ وكتب إليه : أما بعد : فإني قد حبست مـظـلـومـا ، وظن بي الولاة ظنونا كـاذبة ، فـاكـتـب فيَّ يرحمك الله إلى هذين الظالمين كـتـابا لطيـفـا ، عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويمنك . فكتب إليـهما عـبـد الله بن عـمـر ، فلما أتى عـبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة كـتـاب عـبـد الله بن عـمـر دعـوا للمختار بكفلاء يضمنونه بنفسه ، فأتاه اناس من أصـحـابه كـثير ، فلما ضـمنوه ، خرج من السجن فجاء داره فنزلها ، فاختلف إليه الشـيـعـة واجـتـمعت عليه واتفق رأيها على الرضا به ، فلم تزل أصحابه يكثرون ، وأمـره يقـوى حـتى عزل ابن الزبير عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد وبعث عبدالله ابن مطيع على عملهما إلى الكوفة .

قـال : فـقـدم عـبـد الله بن مطيع الكوفـة في رمـضـان سنة خمس وسـتين يوم الخـميس لخمس بقين من شـهر رمضان ، فأقام على الصلاة والخراج ، وبعث على شرطتـه إياس بن مـضارب العجلي . قال : فأراد المختار أن يثب بالكوفة في المحرم، فـجـاء عـبـد الرحمن بن شريح ، فلقي سـعـيـد بن منقـذ وسعر بن أبي سعر الحنفي والأسـود بن جـرار الكندي وقـدامة بن مالك ، فاجتمعوا في منزل سعر ، فحمد الله وأثنى عليـه ثم قـال : إن المخـتـار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا ابن الحنفـيـة أم لا ، فـانهضـوا بنا إلى ابن الحنفـيـة فلنخبره ، فـوافـقوه الرأي ، فـخـرجـوا ، فلحـقوا بابن الحنفية فخبروه عن حالهم وماهم عليه ، فقال لهم : والله لوددت إن الله أنتصر لنا من عـدونا بمن شـاء من خلقـه . فـخـرجوا وهم يقولون :

قد أذن لنا . قال الأسود بن جرار الكندي ـ وكان معهم ـ : فجئنا واناس من الشيعة ينتظرون ، وقد كان بلغ المختار مخرجنا ، فشق ذلك عليه ، وخشي أن نأتيه بأمر يخذل الشيعة عنه ، قال : فلم يكن إلا شهرا وزيادة شيء ، حتى أقبل القوم على رواحلهم ، حتى دخلوا على المختار ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقالوا : قد أمرنا بنصرتك ، فقال الله اكبر !أنا أبو إسحاق ، اجمعواالي الشيعة ، فجمع له من كان منه قريبا فقال : إن نفرا منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا إلى إمام الهدى ، فسألوه عما قدمت به عليكم ، فنبأهم أني وزيره وظهيره ، ورسوله وخليله وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحتلين ، والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين قال أبو منحنف : قال عامر الشعبي : كنت أنا وأبي أول من أجاب المختار . قال : فلما تهيأ أمره ودنا خروجه ، قال له أحمر بن شميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شداد : إن أشراف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ، فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوة على عدونا . فقال لهم المختار : فالقوه فادعوه . قال الشعبي : فخرجوا إليه وأنا فيهم ، وأبي ، ودعوه إلى أمرهم ، فقال لهم ابن الأشتر : فاني قد أجبتكم ، على أن تولوني الأمر ، فقالوا : ولكن ليس إلى ذلك سبيل ، هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي .فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبهم. فانصرفنا من عنده إلى المختار فاخبرناه بما رد علينا . قال : فغبر ثلاثا ، ثم إن المختار دعا بضعة عشر رجلا – قال الشعبي : انا وأبي فيهم – قال : فسار بنا إلى إبراهيم بن الأشتر ، فقال له : هذا كتاب إليك من المهدي ، وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا . قال الشعبي : وكان المختار قد دفع الكتاب إلي حين خرج من منزله ، فلما قضى كلامه قال لي : أدفع الكتاب إليه ، فدفعته ، فقرأه ابن الأشتر فإذا هو : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك ، فإني قد بعثت إليكم بوزيري وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي ، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرتني لك بذلك أعنة الخيل وكل جيش غاز ، وكل مصر ومنبر وثغر عليه فيما بين الكوفة أقصى بلاد الشام ، فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل كرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكا لاتستقيله أبدا ، والسلام عليك .

فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب ، قال : فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلي ؟ قال الشعبي : فشهدوا كلهم أن هذا كتاب ابن الحنفية إليه ، إلا أنا وأبي ، فقال ابن الأشتر : ابسط يدك ابايعك ، فبسط المختار يده فبايعه . قال : ثم نهضنا ، وخرج معنا ابن الأشتر ، فركب مع المختار حتى دخل رحله ، فلما رجع إبراهيم منصرفا أخذ بيدي ، فانصرفت معه حتى دخل بي رحله ، فقال : يا شعبي إني قد حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك ، أفترى هؤلاء على حق ؟ قال : قلت له : لا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقا، قال: فقلت له هذه المقالة ، وأنا والله لهم على شهادتهم متهم ، فقال لي ابن الأشتر : اكتب لي أسماءهم فإني ليس كلهم أعرف . ودعا بصحيفة ودواة، وكتب فيها: هذا ما شهد عليه فلان وفلان ، حتى أتى على أسماء القوم ، ثم كتب : شهدوا أن محمداً بن علي كتب إلى إبراهيم بن الأشتر يأمره بموأزرة المختار والطلب بدماء أهل البيت ، وشهد على هؤلاء النفر ، أبو عامر الشعبي وعبدالرحمن بن عبدالله النخعي ، وعامر الشعبي . قال : ثم دعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه ، وأقبل يختلف إلى المختار . قال أبو مخنف : فمكثوا يدبرون أمرهم ، حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين ، وقد أتى إياس بن مضارب عبدالله بن مطيع فقال : إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين ، قال : فخرج إياس في الشرط ، فبعث ابنه راشدا إلى الكناسة ، وأقبل يسير حول السوق في الشرط ، قال: وبعث ابن مطيع في كل جبانة بالكوفة عظيمة رجلا من أصحابه في جماعة من أهل الطاعة ، وأوصى كل رجل أن يكفيه قومه . قال : فبينما إبراهيم بن الأشتر في طريقه إلى المختار ، لقي إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح ، فاقترب ابن الأشتر من إياس فطعنه في ثغرة نحره فصرعه ، فتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع . فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن إياس مكان أبيه على الشرطة . وأقبل ابن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء ، فدخل عليه فأخبره خبر إياس بن مضارب ، فقال المختار : بشرك الله بخير ! فهذا أول الفتح إن شاء الله . ثم أمر المختار أصحابه فنادوا : يا لثأرات الحسين ! فتوافى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه .

قال أبو مخنف : ثم إن ابن مطيع أمر راشد بن إياس أن ينادي في الناس

ليأتوا المسجد ، فتوانى الناس في المسجد ، فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط ، فجاء الخبر إلى المختار ، فسرح إبراهيم بن الأشتر قبل راشد بن إياس في تسعمائة راجل ، وبعث نعيم بن هبيرة في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل قبل شبث ابن ربعي . قال أبو سعيد الصيقل : كنت أنا فيمن توجه مع نعيم إلى شبث ومعي سعر بن أبي سعر الحنفي ، فلما انتهينا إليه قاتلناه قتالا شديدا ، ثم إنهم هزمونا ، وصبر نعيم بن هبيرة فقتل . قال : وجاء شبث حتى أحاط بالمختار ، وولى المختار يزيد بن أنس خيله ، وخرج هو في الرجالة .

قال أبو مخنف : قال فضيل بن خديج الكندي : إن إبراهيم بن الأشتر كان حين توجه إلى راشد بن إياس ، مضى حتى لقيه في مراد ، فإذا معه أربعة آلاف ، فالتقوا واقتتل الناس ، فاشتد قتالهم ، وبصر خزيمة بن نصر العبسي براشد بن إياس ، فحمل عليه فطعنه ، فقتله ، وانهزم أصحاب راشد ، وأقبل إبراهيم بن الأشتر نحو المختار ، وشبث محيط به ، فلما دنا إبراهيم من شبث وأصحابه ، حمل عليهم ، فرجع الناس منهزمين إلى ابن مطيع . قال : ومضى المختار من السبخة حتى ظهر على الجبانة ، ثم ارتفع إلى البيوت ، بيوت مزينة وأحمس وبارق ، فقال: ليقم هاهنا كل شيخ ضعيف وذي علة ، وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا إلى عدونا ، ففعلوا ، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي . قال : وبعث عبدالله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فبعث المختار يزيد بن أنس ، وأمره أن يصمد لعمرو بن الحجاج ، وذهب المختار في أثر إبراهيم بن الأشتر . قال : فمضى حتى انتهى إلى سكة شبث ، وإذا نوفل بن مساحق بن عبدالله في نحو من خمسة آلاف . قال حصير بن عبدالله : فوالله ما لبثهم أن هزمهم ، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق ، ورفع السيف عليه ، ثم خلى سبيله . قال : وأقبلوا يسيرون حتى دخلوا الكناسة في آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد ، فحصروا ابن مطيع ثلاثا .

قال : فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلمة الأشراف ، فقال له شبث : الرأي ان تأخذ لنفسك من هذا الرجل أمانا ولنا ، وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك. فقال ابن مطيع لأشراف أهل الكوفة: ما ترون في هذا الرأي ؟ فقالوا:

ما نرى الرأي إلا ما أشار به عليك شبث . قال أبو مخنف : فلما كان مساء اليوم الثالث وهم في القصر ، خرج ابن مطيع وأصحابه فبايعوا المختار، وجاء المختار حتى دخل القصر ، فبات به ، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر، وخرج المختار فصعد المنبر ، ودعا الناس إلى بيعته فبايعوه .

قال : وكان ابن مطيع قبل للمختار صديقا ، فبعث المختار إليه بمائة ألف درهم ، فقال له : تجهز بهذه واخرج . وأصاب المختار تسعة آلاف في بيت مال الكوفة ، فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم - وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل - كل رجل خمسمائة درهم ، وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعدما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ، ومناهم العدل وحسن السيرة ، واستعمل على شرطته عبدالله بن كامل الشاكري ، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة مولى عرينة . قال : ثم إنه عقد الرايات وبعث عماله إلى الأمصار .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتلة الحسين ، فقتل من قدر عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقدر عليه. قال عوانة بن الحكم : ثم إن عبيد الله بن زياد أقبل بأهل الشام إلى الموصل ، فكتب عبدالرحمن بن سعيد عامل المختار على الموصل إلى المختار فأخبره الخبر ، فبعث المختار يزيد بن أنس على رأس ثلاثة آلاف فارس ، فخرج بالناس حتى نزل ببنات تلى ، وبلغ مكانه عبيدالله بن زياد ، فبعث إليه بستة آلاف فارس ، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنى ، فاقتتل الناس قتالا شديدا ، فانكشف أهل الشام ، واتي يزيد بن أنس - وهو مريض - بثلاثمائة أسير ، فأخذ يومىء بيده أن اضربوا أعناقهم ، فقتلوا من عند آخرهم ، وقال يزيد بن أنس : إن هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي ، فما أمسى حتى مات . قال : ثم إن ورقاء بن عازب قال لأصحابه : إنه قد بلغني أن عبيدالله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال ، فلو انصرفنا من تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم . قالوا : فإنك نعما رأيت . فانصرف ، فبلغ منصرفهم ذلك المختار وأهل الكوفة ، فارجف الناس، ولم يعلموا كيف كان الأمر أن يزيد بن أنس هلك ، فدعا المختار إبراهيم بن الأشتر فعقد له على سبعة الاف رجل، فخرج

إبراهيم فوضع عسكره بحمام أعين .

قـال أبو مخنف : لما مـات يزيد بن أنس التـقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختـار وقـالوا : لقـد تأمـر علينا هذا الرجل بغير رضا منا ، وزعم أن ابن الحنفية بعثـه إلينا ، وقـد علمنا أن ابن الحنفـية لم يفعل . قال : فأجمع رأي أشراف الكوفة على قـتـال المختـار . فخرجـوا عليه . فبعـث المختار رسولا من يومه إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بسـاباط ألا تضع كـتـابي من يدك حـتى تقـبل بجميع من معك . وأخذ المختـار يماطلهم بالوعـود وهو يريد أن يريثـهم حتى يقدم عليه ابن الأشتر . قال : فلما رجـع ابن الأشتر ، قال له المختـار : سـر إلى مضر بالكناسـة وعليهم شبث بن ربعي ، وأنا أسير إلى أهل اليمن ، فسار ابن الأشتر إلى الكناسة ، وسار المختار إلى جـبـانة السـبـيع . فـهـزم المختـار أهل اليمن ، وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قـتـيـلا ، ومـضى ابن الأشتر حـتى لقي شـبث بن ربعي ، فقاتلوه فهزمهم . وكانت وقـعة جبانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة سنة ست وستين .

قـال : وخـرج أشراف الناس فلحـقوا بالبصرة ، وتجرد المختار لقتلة الحسين ، فأمر بهم فقتلوا ، قال موسى بن عـامر : أتي المختار بخولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به ، فرده حتى قتله إلى جـانب أهله ثم دعا بنار فـحـرقـه بها ، وأتى بعـمـر بن سـعـد بن أبي وقـاص وابنه حفص فأمر بهما فقتلا ، فقال: هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين وبعث برأسيهما إلى محمد بن الحنفية . قال أبو جعفر : وفي هـذه السنـة دعا المثنى بن مخربة العبدي إلى البيعة للمختـار بالبصرة أهلهـا ، فـخـرج فـاتخذ مـسـجدا ، واجتمع إليه قومه ، ودعا إلى المختار ، ثم أتى مـدينة الرزق فـعـسكر عندها فـوجه إليهم القباع عباد بن حصين وهو على شرطته ، وقـيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة ، فقتل أربعون رجلا من أصحاب المثنى ، وقتل رجـل من أصحـاب عبـاد ، فشخـص المثنـى إلى المختـار بالكوفـة في نفـر يسير من أصحابه .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بعث المختـار جيشـاً إلى المـدينـة للمكـر بابن الزبير ، وهو مظهـر له أنه وجـهـهـم مـعونة له لحرب الجيش الذي كان عبدالملك بن مـروان وجـهـه إليـه لحروبه ، فنزلوا وادي القرى . قال أبو مخنف : إن المختار أخبر أن أهل الشـام قـد أقـبلوا نحـو العـراق ، فـعرف أنه به يبدأ ، فخشي أن يأتيه أهل

الشـام من قبل المغرب ، ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة ، فوادع ابن الزبير وكـايده ، وكان عبدالملك بن مروان قد بعث عبدالملك بن الحـارث بن الحكم بن أبي العاص إلى وادي القرى ، والمختـار لابن الزبير مكايد مـوادع ، فكتب المختـار إلى ابن الزبير : أنه قد بلغني أن عبدالملك بن مروان قد بعث إليك جيشا ، فإن أحببت أن أمـدك بمـدد أمددتك . فكتب إليه ابن الزبير : إنه إن كنت على طاعتي فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادي وتبـايع لي الناس قبلك ، فإذا أتتني بيعتك صدقت مقـالـتك ، وكـفـفت جنودي عن بلادك . فـدعـا المختـار شرحـبيل بن ورس من همدان، فسرحـه في ثلاثة آلاف أكـثرهم الموالي ، فقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتـهـا فـاكـتب الي بذلك حتى يأتيك أمري ، وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعـث عليهم أميرا من قبله ، ويأمـر ابن ورس أن يمضـي إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقـاتله بمكة . قال : وخشي ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكايده ، فبعث من مكة إلى المدينة عـبـاس بن سهل في ألفين ، وأمره أن يستنفر الأعراب . وقال له ابن الزبير : إن رأيت القـوم في طاعـتي فاقبل منهم ، وإلا فكايدهم حتى تهلكهم . وأقـبل عـباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم ، فسلم عليه ثم قال له : اخل مـعي هاهنا ، فـخـلا به ، فقال له : الست في طاعة ابن الزبير ! فقال ابن ورس : بلى ، قال : فسـر بنا إلى عـدوه هـذا الذي بـوادي القـرى ، فـقـال ابن ورس : مـا أمرت بطاعتك ، إنما أمرت أن أسير إلى المدينة ، فإذا نزلتـهـا رأيت رأيي . فلما رأى عـبـاس لجأجـتـه عـرف خـلافـه ، فكره أن يعلمـه أنه قـد فطن له ، فقال : رأيك أفضل، فأما أنا فإني سائر إلى وادي القرى . ثم جاء عباس فنزل بالماء ، وبعث إلى ابن ورس بجـزائر كـانت مـعـه ، فـاهداها له ، وبعث إليـه بدقيق وغنم ، فاشتغلوا بها، وتركـوا تعـبـيـتهم ، فلما رأى عباس ماهم فيه من الشغل جمع من أصحابه نحوا من ألف رجل ، ثم أقـبل نحـو فـسطاط شرحـبـيل بن ورس ، فـاقتتلوا ، فقتل ابن ورس في سـبـعين من أهل الحـفاظ ، ورفع ابن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس، فخلوا سبيلهم .

قـال أبو جـعـفر : وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ، ووافوا الحج وأميرهم أبو عبدالله الجـدلي . قال أبو مخنف : إن عبدالله بن الزبير حبـس محمـد بن الحنفيـة ومن مـعـه من أهل بيتـه وسـبـعـة عشر رجـلا من وجوه أهل الكوفة بزمزم ، وكرهوا

البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة ، وهربوا إلى الحرم ، وتوعدهم بالقتل والإحراق ، وضرب لهم في ذلك أجلا ، فوجه ابن الحنفية ثلاثة نفر من أهل الكوفة ، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه ، فقدموا على المختار ، فدفعوا إليه الكتاب فنادى في الناس وقرأه عليهم . وقال : لست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصرا مؤزرا ، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل . فخرج الناس بعضهم في أثر بعض ، وجاء أبو عبدالله الجدلي حتى نزل ذات عرق في سبعين راكبا، ثم لحقه عمير بن طارق في أربعين راكبا ، ويونس بن عمران في أربعين راكبا فتموا خمسين ومائة ، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! حتى انتهوا إلى زمزم فطردوا الحرس ، وكسروا أعواد زمزم ، ودخلوا على ابن الحنفية ، فأطلقوا سراحه هو ومن معه من أهل الكوفة ، فخرجوا وهم يسبون ابن الزبير ، واجتمع مع محمد بن علي في الشعب أربعة آلاف رجل .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان حصار عبدالله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمدا ، فحصرهم في القصر ، فأرسل فقيدهم ، ثم حملوا إليه رجلاً رجلا ثم قتلهم جميعا إلا ثلاثة ، أحدهم الحجاج بن ناشب العدوي ، كلمه فيه رجال من بني تميم ، وجيهان بن مشجعة الذي ألقى نفسه على ابنه محمد يوم قتل ، ورجل من بني سعد ، وهو الذي قال يوم لحقوا ابن خازم: انصرفوا عن فارس مضر. قال مسلمة بن محارب: فكان الأحنف بن قيس إذا ذكرهم قال: قبح الله ابن خازم! قتل رجالا من بني تميم بابنه، صبي وغد أحمق لا يساوي علقا، ولو قتل منهم رجلا به لكان وفى.

وفي هذه السنة شخص إبراهيم بن الأشتر متوجها إلى عبيدالله بن زياد لحربه، وذلك لثمان بقين من ذي الحجة . وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير .

ثم دخلت سنة سبع وستين

وفي هذه السنة كان مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام .

قال أبو مخنف : قال أبو سعيد الصيقل : مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبيدالله بن زياد ومن معه من أهل الشام ، فخرجنا مسرعين ووغلنا في أرض الموصل . قال: وجاء عبيدالله بن زياد حتى نزل على شاطيء خازر، فتعجلنا إليه،

وأذكى ابن الأشتر حرسه تلك الليلة الليل كله ، حتى إذا كان في السحر الأول عبى أصحابه ، وأمر أمراءه ، فلما انفجر ألفجر صلى بهم الغداة بغلس ، ثم خرج بهم فصفهم ، وسار فيهم كلهم فرغبهم في الجهاد ، وحرضهم على القتال ، فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة ، وعليها علي بن مالك الجشمي ، فثبت له هو بنفسه فقتل ، فانهزمت الميسرة ، وانضمت إلى ابن الأشتر فتقاتل الجمعان قتالا شديدا . قال : وشد ابن الأشتر على ابن زياد فقتله وانهزم أصحابه بعد قتال شديد وقتلى كثيرة بين ألفريقين . قال : ولما هزم أصحاب عبيدالله تبعهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر ، فكان من غرق أكثر ممن قتل . ومضى ابن الأشتر من عسكره إلى الموصل ، وبعث عماله عليها ، وجاءت البشرى إلى المختار بقتل ابن زياد وهزيمة أصحابه .

قال أبو مخنف : وخرج أهل الكوفة الذين كان المختار قاتلهم فهزمهم ، فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وكان فيمن قدم على مصعب شبث بن ربعي. قال أبو جعفر : وفي هذه السنة عزل عبدالله بن الزبير القباع عن البصرة ، وبعث عليها أخاه مصعب بن الزبير . قال عمر بن شبة : لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال : يا أهل البصرة ، بلغني أنكم تلقبون أمراءكم ، وقد سميت نفسي الجزار .

وفي هذه السنة سار مصعب بن الزبير إلى المختار فقتله . قال أبو مخنف : قدم شبث بن ربعي وأشراف الناس من أهل الكوفة على مصعب بن الزبير ، فشكوا إليه حالهم ، وسألوه النصر لهم ، فكتب مصعب إلى المهلب بن أبي صفرة وهو عامله على فارس ، فأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة ، وأمر مصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر ، وبلغ ذلك المختار ، فدعا رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر ، فبعثهم مع أحمر بن شميط ، وبعث معه جيشا كثيفا ، فخرج ابن شميط حتى ورد المذار ، وجاء مصعب حتى عسكر منه قريبا . ثم إن كل واحد منهما عبى جنده ، فاقتتلا قتالا شديدا ، وقتل ابن شميط ، وانهزم جيش المختار . فتبعهم جيش مصعب بن الزبير إلى الكوفة ، فتحصن المختار وأصحابه داخل القصر ، ثم إنه خرج من القصر في تسعة عشر رجلا ، فضارب المختار بسيفه حتى قتل هو ومن معه . قال : ثم إن القوم الذين في القصر أمكنوا من أنفسهم ، ونزلوا على الحكم . فبعث إليهم مصعب عباد بن الحصين فكان هو يخرجهم مكتفين ، فأمر

بهم مصعب فضربت أعناقهم .

قال : ثم إن ابن الزبير أمر بكف المختار فقطعت ثم سمرت بمسمار حديد إلى جنب المسجد ، فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف ، فأمر بنزعها. قال : وكتب مصعب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته . وكتب عبدالملك بن مروان يدعوه إلى طاعته . فدعا إبراهيم أصحابه فقال : ما ترون ؟ فقال بعضهم : ندخل في طاعة عبدالملك ، وقال بعضهم : ندخل في طاعة ابن الزبير ، فقال ابن الأشتر : لو لم أكن أصبت عبيدالله بن زياد ورؤساء أهل الشام لتبعت عبدالملك . فأقبل على طاعة ابن الزبير . قال أبو مخنف : ثم إن ابن الزبير بعث إلى أم ثابت بنت سمرة امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان ـ وهي أيضاً امرأة المختار ـ فقال لهما: ما تقولان في المختار ؟ فقالت أم ثابت : ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم ، فقال لها : اذهبي ، وأما عمرة فقالت : إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فرفعها مصعب إلى السجن ، وكتب فيها إلى أخيه عبدالله إنها تزعم أن المختار نبي ، فأمره بقتلها ، فأمر بها مصعب فقتلت .

قال أبو جعفر : وقتل المختار ـ فيما قيل ـ وهو ابن سبع وستين سنة ، لأربع عشرة خلت من شهر رمضان في سنة سبع وستين . قال : ولما فرغ مصعب من أمره (المختار) وصار إليه إبراهيم بن الأشتر وجه المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية وأقام هو بالكوفة . قال : وفي هذه السنة عزل عبدالله بن الزبير أخاه مصعب عن البصرة وبعث بابنه حمزة بن عبدالله إليها ، فاختلف في سبب عزله إياه عنها . قال علي بن محمد : لم يزل مصعب على البصرة حتى سار منها إلى المختار فقتله ، ثم وفد إلى عبدالله فعزله وحبسه عنده ، واعتذر إليه من عزله ، وقال : والله إني لأعلم أنك أحرى وأكفى من حمزة ، ولكني رأيت فيه رأي عثمان في عبدالله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري وولاه . قال : وقدم حمزة البصرة والياً ، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف ، فكتب الأحنف بن قيس إلى ابن الزبير ، وسأله أن يعيد مصعبا ، ففعل . وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف : أن مصعباً لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة ، عزله عنها عبدالله ، وبعث ابنه حمزة ، فمكث بذلك سنة ، ثم إنه وفد على أخيه بمكة ، فرده على البصرة . وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير .

ثم دخلت سنة ثمان وستين

وفي هذه السنة كان مرجع الأزارقة من فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة ، ودخلوا المدائن . قال أبو مخنف : كانت الأزارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحي اصبهان بعدما أوقع بهم المهلب بالأهواز ، فلما شخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه إلى الموصل عاملاً عليها ، وعمر بن عبيدالله بن معمر على فارس، انحطت الأزارقة مع الزبير بن الماحوز على عمر بن عبيدالله بفارس ، فلقيهم بسابور ، فقاتلهم قتالا شديدا ، فانهزموا ولم يكن بينهم كثير قتلى . فمضوا إلى إصبهان وكرمان ، فأقاموا بها حتى اجتبروا وقووا ، واستعدوا وكثروا ، ثم أقبلوا حتى دخلوا المدائن ، فأخذوا يقتلون الولدان والنساء والرجال ، ويبقرون الحبالى ، ثم أقبلوا إلى ساباط فوضعوا أسيافهم في الناس . قال : ومضوا حتى نزلوا بعتّاب بن ورقاء وهو على إصبهان فأقاموا عليه وحاصروه ، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يطقهم ، فأقامت الخوارج عليهم أشهرا حتى هلك كراعهم ، ونفدت أطعمتهم ، واشتد عليهم الحصار ، وأصابهم الجهد الشديد ، فدعاهم عتاب ، وحثهم على القتال خوفا من الموت جوعا ، فخرجوا إليهم ، فشدوا عليهم شدة منكرة حتى انتهوا إلى الزبير بن الماحوز فقتلوه ، وانحازت الأزارقة إلى قطري ، فبايعوه ، فارتحل بهم إلى الأهواز ، فكتب مصعب إلى المهلب يأمره بقتالهم ، فتوجه إليهم ، فاقتتلوا بالأهواز ثمانية أشهر ، لا ينقع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصد بعضهم عن بعض .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالشام حتى لم يقدروا من شدته على الغزو ، وكان العامل لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري ، وعلى البصرة والكوفة أخوه مصعب ، وعلى خراسان عبدالله بن خازم ، وبالشام عبدالملك بن مروان .

ثم دخلت سنة تسع وستين

قال الواقدي : وفي هذه السنة كان خروج عبدالملك بن مروان إلى عين وردة يريد مصعب بن الزبير ، واستخلف على دمشق عمرو بن سعيد بن العاص ، فتحصن بها ، فبلغ ذلك عبدالملك ، فرجع إلى دمشق ، فحاصره ـ قال : ويقال:

خـرج معه ـ فلما كان ببطنان حبيـب ، رجع إلى دمـشـق فتحصـن فيها ، ورجـع عبدالملك إلى دمـشق . قال عوانة بن الحكم : رجع عمرو بن سعيد ليلا ، حتى أتى دمـشـق وعليـهـا عـبـدالرحمن بن أم الحكم قد استخلفه عبدالملك ، فلما بلغه رجـوع عمرو بن سعيد هـرب وتـرك عملـه ، ودخلهـا عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها . قـال : فلما رجع عـبـدالملك تقـاتلا وطال قـتـالهما . قال : ثم إنهما اصطلحا ، وكتبا بينهما كـتابا ، وأمنه عبدالملك . ثم انه دعاه إليه ، فلما دخل القصر ، أمر عبدالملك بالأبواب فـغلقت ، ثم أمـر به فصرع ، وأخـرج آل سـعـيـد فألحـقهم بمصعب بن الزبير . قال أبو جعفر : وأقام الحج للناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير .

ثم دخلت سنة سبعين

وفي هـذه السـنة ثـارت الـروم ، واسـتجاشـوا على من بالشام من المسلمين ، فـصـالح عـبـدالملك ملك الروم على أن يؤدي إليـه في كل جمعـة ألف دينار خوفا منه على المسلمين ، وحج بالناس عبدالله بن الزبير .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

قال علي بن محمد : وفي هذه السنـة أقبل عبدالملك بن مروان إلى العراق يريد حـرب مصعب بن الزبير ، فسـار حتى نزل مسـكن ، وسـار مصعـب بن الزبير إلى باجميرا ، وكـتب عـبـدالملك إلى شـيـعته من أهل العراق ، فأجابه كلهم ، وسار إليه مصعـب وقد خذله أهـل العـراق . قال عمر بن شبـة : ولما تدانى العسكران بدير الجاثليق من مسكن ، تقدم إبراهيم بن الأشتر فحمل على محمـد بن مروان فأزاله عن مـوضـعـه ، فوجه عبدالملك بن مروان عبدالله بن يزيد بن معاوية ، فقرب من محمد ابن مـروان ، والتـقى القـوم فـقتل مسلم بن عمرو الباهلي ، وقتل يحيى بن مبشر ، وقـتـل إبراهيم بن الأشتر ، فهـرب عتاب بن ورقاء ـ وكان على الخيل مع مصعب ـ فـقـال مـصعب لقطن بن عبدالله الحارثي : أبا عثمان ، قدم خيلك ، قال : ما أرى ذلك ، قـال : ولم ؟ قـال : أكـره أن تقـتـل مـذحج في غير شيء ، فقال لحجار بن أبجر : أبا أسيد قدم رايتك ، قال : إلى هذه العذرة ! ، فقال لمحمد بن عبدالرحمن ابن سـعـيـد بن قـيس مـثل ذلك ، فـقـال : ما أرى أحدا فعل ذلك فأفعله ، فقال

مصعب : يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ! - وكان كل هؤلاء قد كاتبهم عبدالملك ابن مروان قبل الوقعة فأجابوه وغدروا بمصعب بن الزبير .

وقاتل مصعب بن الزبير حتى اثخن بالرمي ، ونظر إليه زائدة بن قدامة فشد عليه فطعنه ، وقال : يا لثارات المختار ! فصرعه ، ونزل إليه عبيدالله بن زياد بن ظبيان ، فاحتز رأسه وأتى به عبدالملك بن مروان . قال عمر : ولما قتل مصعب دعا عبدالملك بن مروان أهل العراق إلى البيعة ، فبايعوه . قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دخل عبدالملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصرين الكوفة والبصرة على عماله . قال عمر : قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة إثنتين وسبعين . قال : وولى عبدالملك بشر بن مروان الكوفة ، وبعث خالد بن عبدالله على البصرة وأعمالها . وفي هذه السنة نزع ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبدالله بن عوف . قال الواقدي : وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة ، حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان ، فهرب طلحة ، وأقام طارق حتى كتب إليه عبدالملك . قال : وفي هذه السنة افتتح عبدالملك قيسارية وحج بالناس عبدالله بن الزبير .

ثم دخلت سنة إثنتين وسبعين

قال أبو مخنف : بعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة ، وخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد على البصرة ، فلما قدم خالد اثبت المهلب على خراج الأهواز ، وبعث عامر بن مسمع على سابور ، ومقاتل بن مسمع على أردشير خرة ، ومسمع بن مالك على فسأ ودرابجرد ، والمغيرة بن المهلب على اصطخر . قال : ثم إنه بعث مقاتل على جيش ، والحقه بناحية عبدالعزيز بن عبدالله فخرج يطلب الأزارقة ، فانحطوا عليه من قبل كرمان حتى أتوا درابجرد ، فسار نحوهم، وبعث قطري مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس ، فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبدالعزيز وهو يسير بالناس ليلا ، فهزمهم ، ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قتل ، وانهزم عبدالعزيز بن عبدالله ، وأخذت امرأته فضرب عنقها . وجاء الخبر إلى عبدالملك بن مروان ، فكتب إلى خالد بن عبدالله يأمره بالنهوض إلى الخوارج ، وكتب إلى بشر أن يمده بخمسة آلاف رجل ، فقطع على أهل الكوفة

خمسة آلاف ، وبعث عليهم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ، وخرج خالد بأهل البصرة ، وجاء عبدالرحمن بأهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز ، وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم . فأقاموا نحوا من عشرين ليلة . ثم إن خالدا زحف عليهم بالناس ، فرأوا أمرا هالهم من عدد الناس وعدتهم ، فأخذوا ينحازون ، واجترأ عليهم الناس ، فكرت عليهم الخيل ، فانصرفوا وهم مولون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس ، وأتبعهم خالد بن عبدالله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة ، وبعث بشر بن مروان عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة ، فاتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم ، وأصابهم الجهد والجوع ، ورجع عامة ذينك الجيشين مشاة إلى الأهواز .

وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجي ، فغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحنفي ، فاجتمع على خالد بن عبدالله نزول قطري الأهواز وأمر أبي فديك ، فبعث أخاه أمية بن عبدالله على جند كثيف إلى أبي فديك ، فهزمه أبو فديك . قال ابن عمر : بعث عبدالملك بن مروان حين قتل مصعب بن الزبير الحجاج بن يوسف إلى ابن الزبير بمكة ، فخرج في ألفين من جند أهل الشام في جمادى من سنة اثنتين وسبعين ، فنزل بالطائف ، فكان يبعث البعوث إلى عرفة في الخيل ، فتهزم خيل ابن الزبير خيل الحجاج ، فكتب الحجاج إلى عبدالملك ، فكتب عبدالملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج ، فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج فرحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير . وحج الحجاج بالناس في هذه السنة ، وابن الزبير محصور .

وفي هذه السنة كتب عبدالملك إلى عبدالله بن خازم السلمي يدعوه إلى بيعته ويطعمه خراسان سبع سنين ، وكان ابن خازم بأبرشهر يقاتل بحير بن ورقاء الصريمي ، فرفض دعوة عبدالملك وأجبر رسوله على أكل الكتاب فأكله . قال ابن عمر : وكتب عبدالملك إلى بكير بن وشاح - وكان خليفة ابن خازم على مرو - بعهده على خراسان ووعده ومناه ، فخلع بكير عبدالله بن خازم ، ودعا إلى عبدالملك بن مروان ، فأجابه أهل مرو ، وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو ، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر ، فترك بحيرا ، وأقبل إلى مرو يريد

أن يأتي ابنه بالترمذ ، فأتبعه بحير ، فلحقه ، فقتله ، وأقبل بكير في أهل مرو ، فأراد أخذ رأس ابن خازم ، فمنعه بحير ، فضربه بكير بعمود ، وأخذ الرأس وقيد بحيرا وحبسه ، وبعث بالرأس إلى عبدالملك . قال : وحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف .

ذكر أمر الكتّاب من بدء أمر الإسلام

قال هشام وغيره : أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن عبد شمس بالعربية ، وأول من كتب بالفارسية بيوراسب ، وأول من صنف طبقات الكتاب وبين منازلهم لهراسب بن كاوغان بن كيموس . وقال أبو موسى الأشعري : أول من قال : أما بعد داود ، وهي فصل الخطاب الذي ذكره الله عنه . وقال الهيثم بن عدي : أول من قال : أما بعد قس بن ساعدة الإيادي .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

وفي هذه السنة كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة . قال ابن عمر : حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة . فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه ، وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان . وكان ممن فارقه وخرج إلى الحجاج ابناه حمزة وخبيب ، فأخذا منه لأنفسهما أمانا ، فدخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فودعها ، ثم حمل بمن معه عليهم حتى بلغ بهم الحجون ، فرمي بآجرة فأصابته في وجهه ، وتغاووا عليه حتى قتلوه . قال ابن عمر : بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبدالله بن صفوان إلى عبدالملك بن مروان ، ثم دخل الحجاج مكة ، فبايع من بها من قريش لعبدالملك بن مروان .

قال أبوجعفر : وفي هذه السنة ولى عبدالملك طارقا مولى عثمان المدينة فوليها خمسة أشهر . وفي هذه السنة بعث عبدالملك بن مروان عمر بن عبيدالله بن معمر لقتال أبي فديك ، فسار حتى انتهى إلى البحرين ، فاستباح بعسكره عسكر الخوارج

وقتلوا أبا فديك ، فنزلوا على الحكم ، فقتل عمر بن عبيدالله منهم نحواً من ستة آلاف ، وأسر ثمانمائة وانصرفوا إلى البصرة . وفي هذه السنة عزل عبدالملك خالد ابن عبدالله عن البصرة وولاها أخاه بشر بن مروان، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه . وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة ، فهزم الروم ، وقيل : إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية إرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفا ، فهزمهم وأكثر القتل فيهم . وحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه ، وكان اذ بناه أدخل في الكعبة الحجر ، وجعل لها بابين ، فأعادها الحجاج على بنائها الأول ، ثم انصرف إلى المدينة ، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبث بأهل المدينة ويتعنتهم ، وبنى بها مسجداً في بني سلمة ، فهو ينسب إليه . قال : واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فختم في أعناقهم. قال : وفي هذه السنة ولي المهلب حرب الأزارقة من قبل عبدالملك . قال أبو مخنف : فخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رام مهرمز فلقي بها الخوارج ، فخندق عليه ، وأقبل عبدالرحمن بن مخنف بأهل الكوفة ، فلم يلبث الناس إلا عشرا حتى أتاهم نعي بشر بن مروان ، والي البصرة والكوفة ، فتفرق الناس ، واستخلف بشر خالد بن عبدالله بن أسيد ، قال ابن عمر : وفي هذه السنة عزل عبدالملك بكير بن وشاح عن خراسان ، وولاها أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد، وحج بالناس الحجاج بن يوسف .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

وفي هذه السنة ولى عبدالملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة ، وولى الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان . قال أبو زيد : فخرج الحجاج حتى أتى الكوفة ، فصعد المنبر ، فقال : عليّ بالناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :

أنـا ابـن جـلا وطـلاع الـثنايا　　　متى أضـع العمامـة تعرفـوني

أمـا والله اني لأحمـل الشر محملـه ، وأجـزيـه بمثلـه ، وإنـي لأرى رؤوسـاً قد أينعت وحـان قطافها ، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى .

هـذا أوان الـشـد فـاشـتـد زيم　　　قـد لـفـهـا الليل بسـواق حطم

لـيـس بـراعـي إبـل ولا غـنـم　　　ولا بـجـزار عـلـى ظهـر وضم

إني والله لا أعـد إلا وفـيت ، ولا أخلـق إلا فـريت . فإياي وهـذه الجماعـات وقـيلا وقـالا ، ومـا يقـول ، وفـيـم أنتـم وذاك ؟ والله لتستقيمـن على سبل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شـغـلا في جسـده . من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه ، وأنهبـت ماله . قال : ثم دعا العرفاء فـقال : الحقوا الناس بالمهلب ، واتوني بالبراءات بمـوافـاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليـلا ولا نهارا حتى تنقضي المدة.

قـال أبو مخنف : وخـرج الحـجـاج من الكوفـة حـتى قدم البصرة ، فقام فيها بخطبـة مـثل الذي قام بها في أهل الكوفة ، ففزع أهل البصرة ، فخرجوا حتى قدموا المهلب ، فقال المهلب : جاء الناس رجل ذكـر . قـال : وخرج الحجاج حتى نزل رسـتقباذ فثار الناس بالحجاج، عليهم عبدالله بن الجارود، فقتل عبدالله بن الجارود، وبعث بثمانيـة عشر رأسا فنصبت برامهرمز للناس . وفي هذه السنة نفى المهلب وابن مخنف الأزارقـة عن رامـهـرمـز ، وقـد قتل عبدالرحمن بن مخنف في عصابة معه . قال أبو مخنف : وأقـام المهلب بسـابور يقـاتلهم نحـوا من سنة . قال : وحج بالناس في هذه السنة عبدالملك بن مروان .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

وفي هذه السنة خـرج صـالح بن مسرح أحـد بني أمرىء القيس ، وكان يرى رأي الصـفـرية . قـال أبو منحنف : كـان صـالح رجلا ناسكا مخبتا مصفر الوجه ، صـاحب عـبـادة ، وأنه كان بدارا وأرض الموصل والجزيرة له أصحاب يقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم ، وكان من قصصه : إن من نعمة الله على المؤمنين أن بعث فـيـهم رسـولا من أنفـسـهـم ، فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم وفقههم في دينهم ، وكـان بالمؤمنين رؤوفـا رحـيما ، حـتى قبضه الله ثم ولي الأمر من بعده التقي

الصديق ، فاقتدى بهديه ، واستن بسنته ، حتى لحق بالله ، واستخلف عمر ، فعمل بكتاب الله ، وأحيا سنة رسول الله ، حتى لحق بالله ، وولي المسلمين من بعده عثمان ، فاستأثر بالفيء ، وعطل الحدود ، فسار إليه المسلمون فقتلوه ، فبرىء الله منه ورسوله وصالح المؤمنين ، وولي أمر الناس من بعده علي بن أبي طالب ، فلم ينشب أن حكم في أمر الله الرجال ، وشك في أهل الضلال ، وركن وأدهن ، فنحن من علي وأشياعه براء ، فتيسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة . قال أبو مخنف : ثم إنه قال لأصحابه ذات يوم : ما أدري ما تنتظرون ! هذا الجور قد فشا ، ولا تزداد هذه الولاة على الناس إلا غلوا وعتوا ، فاستعدوا إلى إخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء إلى الحق مثل الذي تريدون ، فيأتوكم فنلتقي وننظر فيما نحن صانعون ، وفي أي وقت إن خرجنا نحن خارجون .

قال : فتراسل أصحاب صالح ، وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وسبعين . فاجتمع بعضهم إلى بعض وتهيؤا للخروج ، فخرجوا، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سنجار ، وخرج صالح في مائة وعشرين رجلا ، وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة ، فاستخف بأمرهم ، وبعث إليهم عدي بن عدي في خمسمائة ، ثم زاده خمسمائة أخرى ، فسار من حران في ألف رجل ، فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالناس ، فلم يشعر إلا والخيل طالعة عليهم، فحمل عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا ، وجاء صالح حتى نزل عسكره وحوى مافيه ، وذهب فل عدي حتى دخلوا على محمد بن مروان ، فغضب ، ثم دعا خالد بن جزء السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جعونة فبعثه في ألف وخمسمائة، فخرجا ، فاتبعا ابن مسرح حتى انتهيا إليه وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلا ، فخندقا وانتهيا إليه ، فاقتتلوا قتالا شديدا . قال ثم إن صالحاً وأصحابه خرجوا من تحت ليلتهم سائرين ، فمضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ، ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوا الدسكرة . فلما بلغ ذلك الحجاج فسرح إليهم الحارث بن عميرة في ثلاثة آلاف رجل ، وصالح يومئذ في تسعين رجلا ، فالتقوا عند قرية يقال لها المدبج ، فشد عليهم الحارث بن عميرة ، فقتل صالح بن

مسرح في جماعة من أصحابه ، وقتل الحارث بن عميرة .

قال أبو مخنف : ولما قتل صالح بن مسرح اجتمع أصحابه على شبيب فبايعوه وسار بهم وهم في نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا ، حتى نزل الدسكرة ، فأرسل الحجاج بن يوسف سفيان بن أبي العالية في خمسمائة رجلا ، فحمل عليهم شبيب من أمامهم ، وصاح بهم الكمين من ورائهم ، فلم يقاتلهم أحد ، وكانت الهزيمة . وكتب سفيان بن أبي العالية إلى الحجاج يخبره بالذي كان، فأرسل الحجاج سورة بن أبجر في خمسمائة رجل ، فخرج في طلب شبيب حتى انتهى إليه بالنهروان ، فحمل عليهم شبيب فانهزموا ، وخرج شبيب يريد الكوفة ، فأرسل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في طلبه ، فكان شبيب يدعه حتى إذا دنا منه بيته ، فيجده قد خندق على نفسه وحذر ، فيمضي ويدعه ، فكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جوخى كلها خندقا واحدا وخلى شبيبا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها . فكتب إليه الحجاج أن سر إلى الناس فأنت أميرهم وعاجل المارقة حتى تلقاهم . فخرج عثمان حتى قدم على عبد الرحمن ومن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر حولايا قريبا من البت فعبى الناس على أرباعهم ، وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا فاقتتلوا قتالا شديدا ، وقتل عثمان بن قطن في جمع من أصحابه ، فرجع عبد الرحمن بن محمد بالناس إلى الكوفة ، وجاء فاختبأ من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك .

قال الواقدي : وفي هذه السنة أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم ، وفيها ولي أبان بن عثمان المدينة في رجب وأقام الحج للناس وهو أمير على المدينة .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

قال أبو مخنف : كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله إن شبيبا قد شارف المدائن يريد الكوفة ، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل . قال : فبعث إليه عبد الملك بن

مـروان سـفـيان بن الأبرد في أربعة آلاف ، وبعث حبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ألفين ، وجـعل أهل الكوفـة يتـجـهزون إلى شبيب ، وخرجوا في خمسين ألف عليهم عـتـاب بن ورقـاء حـتى أتوا المدائن . وأقـبل شـبـيب وهو في ستمائة وقد تخلف عنه الناس في أربعمائة ، فـالتـقـوا فـحمل عليهم شبيب ، فقتل عتاب بن ورقاء ووطئت الخـيل زهرة بن حـوية ، فأخـذ يذب بسـيفـه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم ، فـجـاء الفـضل بن عـامـر الشيباني فقتله . قال : واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس ، فـقـال : ارفـعـوا عنهم السـيف ، ودعـا إلى البـيـعـة ، فـبايعه الناس من ساعتهم ، وهربوا من تحت ليلتهم .

قـال أبو مخنف : وخـرج شـبـيب يريد الكوفـة حتى نزل الصراة ، فخرج إليه سـفـيـان بن الأبرد مع الحجاج في نحو من ألف رجل من أهل الشام ، فاقتتلوا قتالا شـديدا ، فـقـتل مصادا أخا شبيب ، وقتلت غزالة امرأته ، وانهزم شبيب وأصحابه. قـال : ثم إن الحـجـاج أمر سفيان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب ، وقد كان الحجاج قـد كـتب إلى الحكم بن أيوب عامله على البصرة أن يبعث أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شـبـيب ، قـال : فـالتقى سفيان وشبيب بجسر دجيل ، فعبر شبيب إلى سفيان فـاقـتـتلوا قـتالا شديدا . قال : فاقبل شبيب على فرسه ، فنزا فرسه عليها وهو على الجسر ، فسقط في الماء ، فغرق .

وفي هذه السنة خـرج مطرف بن مـغيرة بن شـعـبـة على الحجاج ، وخلع عبد الملك بن مـروان ولحق بالجـبال فقتل . قال أبو مخنف : كان مطرف بن المغيرة عاملا للحـجـاج على المدائن ، وقـد كـان شـبـيب أقـبل من ساتيدما ، فكتب مطرف إلى الحـجـاج يطلب المدد ، فبعث إليه الحجاج سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين وعـبـد الله بن كناز في مـائتين ، وجـاء شبيب حتى نزل بهرسير ، فبعث مطرف إلى شـبـيب أن أبعث إلي رجـالا من صلحـاء أصـحـابك ادارسـهم القـرآن ، وأنظر مـا تدعـون إليـه ، فبعث إليه رجالا منهم سويد بن سليم ، فلما دخلوا على مطرف قال سـويد : السـلام على من خـاف مـقام ربه وعرف الهدى وأهله ، فقال له مطرف : أجل ، فـسلم الله على أولئك ، ثم قـال لهم مطرف : خبروني إلام تدعـون ؟ فـقال سـويد : إلى كـتـاب الله وسنة نبيـه ، وإن الذي نقـمنا على قـومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحـدود والشك بالجبرية . فـقـال لهم مطرف : ما دعوتهم إلا إلى حق ، أنا

لكم على هذا متابع .

قال : ثم إنه خرج في أصحابه حتى نزل الدسكرة ، فقال لهم : إني أشهد الله إني قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف ، فمن أحب منكم صحبتي فليتابعني ، ومن أبى فليذهب حيث شاء ، فوثب إليه أصحابه فبايعوه . قال : وكتب البراء بن قبيصة ، وهو عامل الحجاج على إصبهان إلى الحجاج يسأله أن يبعث جيشا لقتال مطرف وأصحابه ، فكتب إليه الحجاج أن عسكر بمن معك، فإذا مر بك عدي بن وتاد فاخرج معه في أصحابك ، وجعل الحجاج يمد البراء بالرجال حتى سرح إليه نحواً من خمسمائة ونهض عدي بن وتاد ومعه ثلاثة آلاف ، ونحو ألف رجل من أهل إصبهان والأكراد ، إضافة إلى سبعمائة من أهل الشام . فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه مطرف في جماعة من أصحابه .

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة ، فخالفه بعضهم واعتزله ، وبايع عبد ربه الكبير ، وأقام بعضهم على بيعة قطري . قال أبو مخنف : فنهض إليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا ، ثم إن الله قتلهم فلم ينج منهم إلا قليل ، وأخذ المهلب عسكرهم وما فيه . قال : ثم إن الحجاج بعث سفيان بن الأبرد ، ، ووجه معه جيشا من أهل الشام في طلب قطري فلحقوه في شعب من شعاب طبرستان فقتلوه . قال أبو جعفر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وهو أمير المدينة .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الملك عن خراسان وضم خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف . فلما ضم ذلك إليه فرق فيه عماله . قال أبو مخنف : بعث الحجاج على خراسان المهلب بن أبي صفرة . وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

وفي هذه السنة أصاب أهل الشام الطاعون حتى كادوا يفنون من شدته . وفي هذه السنة أصابت الروم أهل انطاكية . وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكرة رتبيل.

قال أبو مخنف : كانت العرب تأخذ من رتبيل خراجا ، فامتنع فلم يفعل ، فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة يأمره بغزوه ، فخرج بمن معه من المسلمين ، فمضى حتى وغل في بلاد رتبيل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء ، حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم ، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب، فبعث ابن أبي بكرة إلى شريح بن هانىء ـ وكان على الكوفة ـ إني مصالح القوم على أن اعطيهم مالا ، ويخلوا بيني وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، غير أن شريحا رفض ذلك فقاتل القوم هو ومن تبعه من المتطوعة حتى قتل في ناس من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رتبيل . وحج بالناس في هذه السنه أبان بن عثمان .

ثم دخلت سنة ثمانين

وفي هذه السنة جاء سيل بمكة ذهب بالحجاج فغرقت بيوت مكة فسمي ذلك العام عام الجحاف ، لأن ذلك السيل جحف كل شيء مر به . قال ابن عمر عن ابن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جده : لقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تمر بهم ما لأحد فيهم حيلة ، وإني لأنظر إلى الماء قد بلغ الركن وجاوزه .

قال الواقدي : وفي هذه السنة كان بالبصرة طاعون الجارف ، وفيها وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك، فدخل ابن الأشعث بلاده ، وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة ، ثم حبس الناس عن الوغول في رتيبل وقال : نكتفي بما اصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ، ويجترىء المسلمون على طرقها، ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها، ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله. قال أبو جعفر: ومات عبيدالله بن أبي بكرة ، وكان عاملا على سجستان ، فكتب الحجاج عهد ابن الأشعث عليها ، وجهز إليها جيشا كان يدعى جيش الطواويس ، وأمره الحجاج بالاقدام على رتيبل. قال : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وقيل سليمان بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

قال علي بن محمد : وفي هذه السنة أغزى عبدالملك بن مروان ابنه عبيدالله ففتح قاليقلا . قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن الأشعث الحجاج ومن معه من جند العراق ، وأقبلوا إليه لحربه . قال أبو مخنف : دعا ابن الأشعث إلى خلع الحجاج فبايعه الناس على ذلك ، فأقبل يسير بهم . فلما بلغ الحجاج ذلك كتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره الخبر ، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه . وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن الأشعث وفرسان الشام يأتونه في كل يوم مائة وخمسون من قبل عبد الملك ، قال : ثم عزم الحجاج على استقبال ابن الأشعث ، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر ، وقدم بين يديه مطهر بن حر العكي ، فجاءوا حتى انتهوا إلى دجيل ، فاقتتلوا قتالا شديدا وهزمت خيل مطهر ابن حر وأصحابه وأتت الحجاج الهزيمة ، فارتحل إلى البصرة ، فتبعته خيول أهل العراق ، فمضى لا يلوي على شيء حتى نزل الزاوية ، وخلى البصرة لأهل العراق. قال : فلما دخل ابن الأشعث البصرة بايعه أهلها على حرب الحجاج ، وخلع عبد الملك بن مروان . فخندق ابن الأشعث على البصرة ، وخندق الحجاج عليه . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك ، في قول الواقدي .

ثم دخلت سنة إثنتين وثمانين

وفي هذه السنة وقعت الحرب بالزاوية بين الحجاج ومن معه من جند الشام وعبد الرحمن بن الأشعث ومن معه من أهل العراق ، فاقتتلوا في المحرم من هذه السنة ، وانهزم ابن الأشعث وأقبل نحو الكوفة . قال أبو مخنف : فأقام الحجاج بقية المحرم وأول صفر ، ثم استعمل على البصرة أيوب بن الحكم .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث . قال أبو مخنف : اجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم ، فاجتمعوا على حرب الحجاج ، وجمعهم عليه بغضهم والكراهية له، وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل . وجاءت الحجاج امداده من الشام ، وكان الناس يخرجون في كل يوم فيقتتلون ، واشتد القتال بينهم . فلما بلغ ذلك رؤوس قريش وأهل الشام قبل عبدالملك ومواليه قالوا : إن كان إنما يرضي أهل العراق أن ينزع

عنهم الحجاج ، فإن نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق . فبعث عبدالملك ابنه عبدالله ومحمد بن مروان ، فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم، وأن ينزل ابن الأشعث أي بلد من عراق شاء، يكون عليه واليا ما دام حيا، وإن أبوا أن يقبلوا فالحجاج أمير الجماعة وولي القتال . فخرج عبدالله بن عبدالملك فعرض على أهل العراق هذه الخصال ، فقال لهم ابن الاشعث : اقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء . فقالوا : إن الله قد أهلكهم ، فأصبحوا في الأزل والضنك والمجاعة والقلة ، ونحن ذوو العدد الكثير ، والسعر الرفيع ، والمادة القريبة ، لا والله لا نقبل . فرجع عبدالله ومحمد بن مروان إلى الحجاج فقالا : شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك . قال : فتزاحفوا فاقتتلوا أشد القتال وقد خندقوا على أنفسهم ، يتزاحفون في كل يوم ويقتتلون ، وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة فيما شاءوا من خصبهم ، وإخوانهم من أهل البصرة والشام في ضيق شديد ، قل عندهم الطعام وكأنهم في حصار .

وفي هذه السنة توفي المغيرة بن المهلب في خراسان . قال علي بن محمد : كان المهلب يوم مات المغيرة مقيماً بكيسّ وراء النهر لحرب أهلها ، ثم إنه صالحهم على فدية ورحل عنها يريد مرو . قال : فلما كان بزاغول من مرو الروذ أصابته الشوكة ، فأوصى إلى يزيد ابنه ، ومات المهلب وكتب يزيد إلى عبدالملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج على خراسان . وفي هذه السنة عزل عبدالملك أبان بن عثمان عن المدينة وولاها هشام بن إسماعيل المخزومي . وحج بالناس أبان ابن عثمان .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

وفي هذه السنة كانت هزيمة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم . قال أبو المخارق : قاتلناهم مائة يوم سواء أعدها عدا . قال : نزلنا دير الجماجم مع ابن محمد غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين ، وهزمنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادي الآخرة . قال : وخرج عبدالرحمن بن الأشعث من الكوفة ، ودخلها الحجاج فدعا للبيعة ، فكان لا يبايعه أحد إلا قال له : أتشهد أنك قد كفرت ؟ فإذا قال : نعم ، بايعه وإلا قتله .

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم . قال أبو مخنف : خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن ، واجتمع إليه ناس كثير ، وخرج عبيد الله بن عبدالرحمن ابن سمرة حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم ، ابن عم الحجاج ، فأخذها وخرج عبدالرحمن بن الأشعث حتى قدم البصرة ، فاجتمع الناس إليه ولحق بهم محمد بن سعد . قال : وأقبل الحجاج نحوهم ، فخرج الناس مع ابن الأشعث إلى مسكن على دجيل ، وخندق عبدالرحمن على أصحابه فاقتتل الناس قتالا شديدا ، وانهزم أهل العراق ، ومضى ابن الأشعث وألفل من المنهزمين معه نحو سجستان فاتبعهم الحجاج عمارة بن تميم ، فسار عمارة إلى عبدالرحمن فأدركه بالسوس ، فقاتله ساعة من نهار ، ثم إنه انهزم هو وأصحابه ، ومضى عبدالرحمن إلى رتبيل صاحب الترك، فأنزله رتبيل عنده وأكرمه وعظمه، وكان معه ناس من الفل كثير.

قال : ثم إن عظم الفلول وجماعة أصحاب عبدالرحمن اجتمعوا بسجستان ، فكان بها منهم نحو من ستين ألفاً ، فكتبوا إلى عبدالرحمن : أن أقبل إلينا لنقاتل أهل الشام ، فخرج إليهم بمن معه ، فساروا جميعا حتى بلغوا هراة ، فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكرهم عبيدالله بن عبدالرحمن بن سمرة في ألفين ، ففارقهم فقام فيهم ابن الأشعث فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا عبيد الله قد صنع ما قد رأيتم ، فحسبي منكم يومي هذا فاصنعوا ما بدا لكم ، أما أنا فمنصرف إلى صاحبي الذي أتيتكم من قبله ، فمن أحب منكم أن يتبعني فليتبعني ، ومن كره ذلك فليذهب حيث أحب . قال : فتفرقت منهم طائفة ، ونزلت معه طائفة ، وبقي عظم العسكر ، فوثبوا إلى عبدالرحمن بن العباس فبايعوه ، ومضى ابن الأشعث إلى رتبيل ، ومضوا هم إلى خراسان حتى انتهوا إلى هراة ، وسار إليهم يزيد بن المهلب .

قال : فسار إليهم يزيد حتى تدانى العسكران ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى تفرق الناس عن عبدالرحمن بن العباس ، وأسروا منهم أسرى ، فكان في الأسر محمد بن سعد بن أبي وقاص ، ثم انصرف يزيد إلى مرو وبعث بالأسرى إلى الحجاج ، فأمر بهم ، فضربت أعناقهم ، قال : وقد كان الحجاج حين هزم الناس بالجماجم نادى مناديه : من لحق بقتيبة بن مسلم بالري فهو آمن ، فلحق ناس كثير

بقتيبة ، وكان فيمن لحق به عامر الشعبي ، فأمنه الحجاج . قال : وأتي الحجاج بالأعشى ، أعشى همدان ، فضرب عنقه ، وكذلك فعل بالأسرى . قال الشيباني : قتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفا ، وروي عن النضر بن شميل ، عن هشام ابن حسان ، أنه قال : بلغ ما قتل الحجاج صبرا مائة وعشرين ، أو مائة وثلاثين ألفا .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطا ، وفيها عزل عبدالملك ابن مروان أبان بن عثمان عن المدينة واستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومي ، فحج بالناس .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

وفي هذه السنة كانت غزوة عبدالله بن عبدالملك بن مروان الروم ، ففتح فيها المصيصة . وفيها فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس ، بعد أن صالحه على أن يدفع إليه نيزك كل ما في القلعة من الخزائن ويرتحل عنها بعياله . وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

وفي هذه السنة هلك عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث . قال أبو مخنف : تتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبدالرحمن بن محمد أن ابعث به إلي . وكان عند رتبيل رجل من بني تميم يقال له عبيد بن أبي سبيع ، فقال لرتبيل : أنا آخذ لك من الحجاج عهدا ليكفن الخراج عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبدالرحمن بن محمد ، فقال رتبيل : فإن فعلت فإن لك عندي ما سألت . فكتب عبيد بن أبي سبيع إلى الحجاج يخبره بذلك ، فوافق الحجاج ، وبعث رتبيل برأس عبدالرحمن بن محمد إلى الحجاج ، وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبع سنين . وكان الحجاج يقول : بعث الي رتبيل بعدو الله ، فألقى نفسه من فوق أجار فمات . قال أبو مخنف : قالت مليكة ابنة يزيد : والله لمات عبدالرحمن وإن رأسه لعلى فخذي ، كان السل قد أصابه ، فلما مات وأرادوا دفنه بعث إليه رتبيل فحز رأسه ، فبعث به إلى الحجاج . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : أرسل رتبيل إلى ابن الأشعث

فأحضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعد لهم الجوامع والقيود ، وأرسل بهم إلى أدنى مسالح عمارة بن تميم ، فلما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فمات ، فاحتز رأسه وبعث به إلى الحجاج .

وفي هذه السنة عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان وولاهما المفضل بن المهلب أخا يزيد ، ثم عزله وولاها قتيبة بن مسلم . وفي هذه السنة غزا المفضل بن المهلب باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه بين الناس ، فاصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم . وفي هذه السنة بايع عبدالملك لابنيه : الوليد ، ثم من بعده لسليمان ، وجعلهما وليي عهد المسلمين ، وكتب ببيعته لهما إلى البلدان ، فبايع الناس ، وامتنع من ذلك سعيد بن المسيب ، فضربه هشام بن اسماعيل ـ وهو عامل عبدالملك على المدينة ـ ستين سوطا ، وطاف به في تبان شعر حتى بلغ به رأس الثنية : فكتب إليه عبدالملك يلومه فيما صنع ويقول : سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف . وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

وفي هذه السنة توفي عبدالملك بن مروان . قال أبو معشر : توفي عبدالملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين ، فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر . وقال ابن عمر : كانت ولايته منذ يوم بويع إلى يوم توفي إحدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا ، كان تسع سنين منها يقاتل فيها عبدالله بن الزبير ، ويسلم عليه بالخلافة بالشام ، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب ، وبقي بعد مقتل عبدالله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال . قال : ومات عبدالملك وله ستون سنة ، وقال المدائني : مات عبدالملك وهو ابن ثلاث وستين سنة .

ذكر نسبه وكنيته وأولاده وأزواجه

أما نسبه ، فإنه عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأما كنيته فأبو الوليد . وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة

ابن أبي العاص بن أمية . وأما أولاده ، فمنهم الوليد ، وسليمان، ومروان الأكبر، وعائشة ، أمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث . ومنهم يزيد ، ومروان ، ومعاوية ، وأم كلثوم ، وأمهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ومنهم ، هشام ، وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي . وقال المدائني : اسمها عائشة بنت هشام . ومنهم ، أبو بكر ، واسمه بكار ، أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيدالله . وفاطمة بنت عبدالملك ، وأمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة . ومنهم ، عبدالله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج ، لأمهات أولاد . قال المدائني : وكان له من النساء ـ سوى من ذكرنا ـ شقراء بنت سلمة بن حلبس الطائي ، وابنة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وأم أبيها بنت عبدالله بن جعفر .

وفي هذه السنة بويع للوليد بن عبدالملك بالخلافة ، وفيها قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها من قبل الحجاج . وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبدالملك أرض الروم ، وفيها حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب ، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان ، وعبدالملك بن المهلب عن شرطته . وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

وفي هذه السنة عزل الوليد بن عبدالملك هشام بن إسماعيل عن المدينة وولاها عمر بن عبدالعزيز . قال الواقدي : قدم عمراً والياً في شهر ربيع الأول وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وولد سنة إثنتين وستين . قال : وقدم على ثلاثين بعيراً ، فنزل دار مروان ، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة ، فدخلوا عليه فجلسوا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه أعوانا على الحق ، ما اريد أن أقطع أمرا إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحدا يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة ، فأحرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغني . فخرجوا يجزونه خيرا .

قال علي بن محمد : وفي هذه السنة قدم نيزك على قتيبة ، وصالح قتيبة أهل باذغيس على ألا يدخلها . قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبدالملك

أرض الـروم ، وفـتـح الله عـلى يديه حـصـونا ، وقـيل : إن الذي غـزا الروم في هذه السنة هشـام بن عـبدالملك ، ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الأخرم وحصن بولـس وقـمـقـم . وفي هذه السنة أيضـا ، غـزا قتيبة بن مسلم بيكند . قال علي بن محمـد : فسـألوه الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم رجالا من بني قتيبة ، وارتحل عنهـم يريد الرجـوع ، فلما كان منهـم على خمسـة فـراسـخ نقضـوا وكفـروا ، فقتلوا العـامل وأصـحابه ، وبلغ قتيبة فرجع إليهم ، وقد تحصنوا ، فقاتلهم شهرا ، وظفر بهـم عنـوة ، ودخـل المدينـة . قـال : فأصـابوا فـيـها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى ، وصـار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصـيبوا مثله بخراسان . ورجع قـتـيبـة إلى مـرو ، وقـوي المسلمـون ، فـاشتروا السـلاح والخـيل ، وجلبت إليـهم الـدواب ، وتـنـافـسـوا في حـسن الهيئة والعـدة ، وغـالوا بالسـلاح حـتى بلغ الرمح سبعين . قال : ثم أتى آمـل ، ثم عبر من زم إلى بخـارى ، فأتى نومشكت ـ وهي من بخـارى ـ فـصـالحـوه . قـال أبو مـعشر : وحج بالناس في هذه السنة عـمر بن عبدالعزيز .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

وفي هذه السنة فتح الله على المسلمين حصنا من حصون الروم يدعى طوانة ، وكان على الجـيش مـسلمـة بن عـبدالملك ، والعباس بن الوليد بن عبدالملك . وفيها (هذه السنة) ولد الوليـد بن يزيد بن عـبـدالملك . وفيها أمر الوليد بن عبدالملك بهدم مـسـجـد رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وهدم بيـوت أزواجه وادخالها في المسجد . قـال محمـد بن عـمر ، عن صالح بن كيسان ، قال : ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفـر سـنة ثمان وثمانين ، وبعـث الوليـد إلى صاحب الروم يعلمـه أنه أمـر بهدم مـسـجـد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يعينه فيه ، فبعث إليـه بمائة ألف مـثـقـال ذهب ، وبعث إليـه بمائة عامل ، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملا ، وأمـر أن يتـتبـع الفسـيـفساء في المدائن التي خربت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز .

وفي هـذه السنـة أيضـاً غـزا مـسلمـة الـروم ، ففتح على يديه حصون ثلاثة : حـصـن قسطنطينـة ، وغـزالة ، والأخـرم . وفيها غـزا قتيبـة نومشكـت وراميثنـه ،

فصالحه أهلها . وفيها كتب الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان . وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبدالعزيز في قول ابن عمر، وأما أبو معشر فإنه قال: حج بالناس سنة ثمان وثمانين عمر بن الوليد بن عبدالملك.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

وفي هذه السنة فتح الله على المسلمين حصن سورية وأذرولية . قال الواقدي: إن مسلمة بن عبدالملك غزا أرض الروم ، ومعه العباس بن الوليد ودخلاها جميعا ثم تفرقا ، فافتتح مسلمة حصن سورية ، وافتتح العباس أذرولية . وأما غير الواقدي فإنه قال : قصد مسلمة عمورية فوافق بها للروم جمعا فهزمهم الله ، وافتتح هرقلة وقمودية . وغزا العباس الصائفة من ناحية البدندون . قال علي بن محمد : وفي هذه السنة غزا قتيبة بخارى ، ففتح راميثنه . وفيها (هذه السنة) ولي خالد بن عبدالله القسري مكة فيما زعم الواقدي . وفيها غزا مسلمة بن عبدالملك الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح حصونا هنالك . قال أبو معشر: وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبدالعزيز .

ثم دخلت سنة تسعين

وفي هذه السنة غزا مسلمة أرض الروم ففتح الحصون الخمسة التي بسورية ، وفيها قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صصه ملك السند ، وهو على جيش من قبل الحجاج بن يوسف . وفيها استعمل الوليد قرة بن شريك على مصر موضع عبدالله بن عبدالملك . وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبدالملك . وفيها فتح قتيبة بن مسلم بخارى وهزم جموع العدو من الترك وغيرهم .

وفي هذه السنة جدد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد . وفيها غدر نيزك ، فنقض الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته ، وعاد حربا ، فغزاه قتيبة . وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبدالغزيز . قال أبو مخنف : وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في سجن الحجاج بن

يوسف ، فلحقوا بسليمان بن عبدالملك مستجيرين به من الحجاج والوليد بن عبدالملك فأجارهم وأخذ لهم الأمان من أخيه الوليد بن عبدالملك قال أبو جعفر : وتوفي الحجاج سنة خمس وتسعين في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

قال ابن عمر : وفي هذه السنة غزا الصائفة عبدالعزيز بن الوليد ، وكان على الجيش مسلمة بن عبدالملك . وفيها غزا أيضاً مسلمة الترك ، حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح على يديه مدائن وحصون . وفيها غزا موسى بن نصير الأندلس ، ففتح على يديه أيضاً مدائن وحصون . وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان بعد أن ظهر من غدره ما ظهر . قال علي بن محمد : تحرز نيزك في الكرز وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد ، وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب ، فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام ، فقدم نيزك على قتيبة يريد الأمان ، فحبسه قتيبة وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتله ، فأجابه الحجاج إلى ذلك ، فقتله مع سبعمائة من أصحابه .

قال علي : ثم إن قتيبة بن مسلم لما رجع إلى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان ـ وكان قد هرب عن بلاده ـ فأرسل يطلب الأمان ، فأمنه على أن يأتيه فيصالحه ، فطلب رهنا يكونون في يديه ويعطي رهائن ، فأعطى قتيبة حبيب بن عبدالله الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، فقدم الملك على قتيبة فصالحه ، ثم رجع فمات بالطالقان ، فقال أهل الجوزجان : سموه ، فقتلوا حبيبا ، وقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عنده . قال : وفي هذه السنة غزا قتيبة شومان وكس ونسف غزوته الثانية وصالح طوخان . ففتح شومان وكس ونسف ، وامتنع عليه فرياب فحرقها فسميت المحترقة . وسرح قتيبة أخاه عبدالرحمن بن مسلم إلى السغد ، إلى طرخون ، فسار حتى نزل بمرج قريبا منهم ، فانتبذ الناس وشربوا حتى عبثوا وعاثوا وأفسدوا ، فأمر عبدالرحمن أبا مرضية ـ مولى لهم ـ أن يمنع الناس من شرب العصير ، فكان يضربهم ويكسر آنيتهم ويصب نبيذهم ، فسال في الوادي ، فسمي مرج النبيذ . قال : فقبض عبدالرحمن من طرخون شيئا كان قد صالحه عليه قتيبة ، وانصرف إلى مرو . فقالت السغد لطرخون : إنك قد

رضيت بالذل ، وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا بك . قال : فولوا من أحببتم . قال : فولوا غوزك ، وحبسوا طرخون ، فقال طرخون : ليس بعد سلب الملك إلا القتل ، فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره .

قال ابن عمر : وفي هذه السنة ولى الوليد بن عبدالملك مكة خالد بن عبدالله القسري فلم يزل واليا عليها إلى أن مات الوليد . وحج بالناس في هذه السنة الوليد ابن عبدالملك . قال ابن عمر : فقسم الوليد بالمدينة رقيقا كثيرا عجما بين الناس ، وآنية من ذهب وفضة ، وأموالاً وخطب بالمدينة في الجمعة وصلى بهم . قال : وقدم بطيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجمرة وبكسوة الكعبة فنشرت وعلقت على حبال في المسجد من ديباج حسن لم ير مثله قط ، فنشرها يوما وطوي ورفع .

ثم دخلت سنة إثنتين وتسعين

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبدالملك وعمر بن الوليد أرض الروم ، ففتح على يدي مسلمة حصون ثلاثة ، وجلا أهل سوسنة إلى جوف أرض الروم . وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفا ، فلقي ملك الأندلس ـ زعم الواقدي أنه يقال له أدرينوق ـ فاقتتلوا قتالا شديدا حتى قتل الله الأدرينوق وفيها غزا قتيبة سجستان يريد رتبيل الأعظم والزابل ، فلما نزل سجستان تلقته رسل رتبيل بالصلح فقبل ذلك وانصرف . قال أبو معشر وغيره : وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبدالعزيز وهو على المدينة .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، ففتح الله على يديه سمسطية . وفيها كانت غزوة مروان بن الوليد الروم ، فبلغ خنجرة . وفيها كانت غزوة مسلمة بن عبدالملك أرض الروم ، فافتتح ماسة وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية ملطية . وفيها قتل قتيبة ملك خام جرد ، وصالح ملك خوارزم صلحا مجددا . وفيها غزا قتيبة بن مسلم سمرقند فافتتحها . وفيها عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة . وفيها عُزل عمر بن

عـبـدالعـزيز عن المدينة ، وكان سبب ذلك ، أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحـجـاج أهل عـمله بالعـراق وظلمـه لهم بغير حق ولا جناية ، فبلغ ذلك الحجاج ، فاضطغنه على عمر ، وكتب إلى الوليد : إن من قبلي من مراق أهل العـراق ، وأهل الشـقـاق قـد جلوا عن العـراق ولجؤوا إلى المدينة ومكة ، وإن ذلك وهن . فكتب الوليـد إلى الحـجـاج : أن أشر علي برجلين ، فأشـار عليـه بعثمان بن حيـان وخـالد بن عـبـدالله ، فـولى خـالداً مكة ، وعـثمان المدينة ، وعـزل عمر بن عـبدالعزيز . وحج بالناس عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

وفي هذه السنة كـانت غـزوة العـبـاس بن الوليـد أرض الروم ، فـقيل إنه فتح فـيـهـا أنطاكـيـة . وفيها غزا عبدالعزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزاله . وفيها كـانت الرجـفـة بالشـام . وفـيـهـا افـتـتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند شاش وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان ، مدينتي فرغانة .

وفي هذه السنة قـدم عثمان بن حيان المري المدينة واليا عليها من قبل الوليد بن عـبـدالملك . قـال محمد بن عمر : قال عبدالله بن أبي حرة ، عن عمه قال : رأيت عـثمان بن حـيان أخذ رياح بن عبيدالله ومنقذا العراقي فحبسهم وعاقبهم ، ثم بعث في جوامع إلى الحـجـاج بن يوسف ، ولم يترك بالمدينة أحـدا من أهل العـراق تاجرا ولا غير تاجـر ، وأمـر بهم أن يخرجوا من كل بلد . قال ابن عمر : قال عبدالحكيم ابن عبدالله بن أبي فروة : إنما بعث الوليد عثمان بن حيان إلى المدينة لاخراج من بها من العـراقـيين وتفـريق أهل الاهواء ومن ظهـر عليـهم أو عـلا بأمـرهم ، فلم يبعثه واليـاً، فكان لا يصـعـد المنبر ولا يخطب عليـه ، فلما فعل في أهل العراق ما فعل ، أثبته على المدينة .

وفي هذه السنة قـتل الحـجـاج سـعيد بن جبير ، وكان سبب قتل الحجاج إياه خـروجـه عليـه مع من خرج عليه . مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ، فلما هزم عبدالرحمن وهرب إلى بلاد رتبـيل هرب سـعـيد معه . قال أبو جعفر : فقدم سعيد إلى مكة ، فكتب الحجاج إلى الوليد : أن أهل النفاق والشقاق قد لجؤوا إلى مكة ، فإن رأى أمير المـؤمـنين أن يأذن لي فـيـهـم ! فكتب الوليـد إلى خـالد بن عـبـدالله

القسري، فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار ، فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلا لأنهما مكيان ، واما الآخرون فبعث بهم إلى الحجاج، فمات طلق في الطريق، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج، وقتل سعيد بن جبير . قال أبو جعفر : وكان يقال لهذه السنة سنة ألفقهاء ، مات فيها عامة فقهاء أهل المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة مسلمة بن عبدالملك .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

وفي هذه السنة كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبدالملك أرض الروم ، ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قيل ، وهي : طولس ، والمرزبانين ، وهرقلة. وفيها فتح آخر الهند إلا الكيرج والمندل . وفيها بنيت واسط القصب في شهر رمضان . وفيها انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس . وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش ـ أو بكشاهن ـ قال علي بن محمد : فلما أتاه موت الحجاج، قفل راجعاً إلى مرو . وفي هذه السنة توفي الحجاج بن يوسف وهو ابن أربع وخمسين سنة وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة . وقيل انه لما حضرته الوفاة ، استخلف على الصلاة ابنه عبدالله بن الحجاج . قال الواقدي : وكانت أمرة الحجاج على العراق عشرين سنة . وفي هذه السنة أيضا ، افتتح العباس بن الوليد قنسرين . وفيها قتل الوضاحي بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه . وفيها ولد المنصور عبدالله بن محمد بن علي . وفيها ولى الوليد بن عبدالملك يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين : الكوفة والبصرة ، وولى خراجها يزيد بن أبي مسلم . قال أبو معشرِ : وحج بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبدالملك .

ثم دخلت سنة ست وتسعين

وفي هذه السنة كانت وفاة الوليد بن عبدالملك ، يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير . واختلف في قدر مدة خلافته . قال الزهري : ملك الوليد عشر سنين إلا شهراً ، وقال أبو معشر :

كانت خلافته تسع سنين وسبعة آشهر . وقال هشام : كانت ولايته ثمان سنين وستة أشهر . وقال الواقدي : كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين . واختلف أيضا في مبلغ عمره . قال ابن عمر : توفي بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر . وقال هشام : توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة . وقيل ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر . قال علي : كانت وفاته بدير مران ، ودفن خارج الباب الصغير . ويقال : في مقابر ألفراديس . وقيل : صلى عليه عمر بن عبدالعزيز . قال علي : وكان له تسعة عشر ابنا : عبدالعزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وتمام ، وخالد ، وعبدالرحمن ، ومبشر ، ومسرور ، وأبو عبيدة ، وصدقة ، ومنصور ، ومروان ، وعنبسة ، وعمرو ، وروح ، وبشر ، ويزيد ، ويحيى ، وأم عبدالعزيز ، ومحمد ، وأم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية . وسائرهم لامهات شتى .

قال علي بن محمد : كان الوليد بن عبدالملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم، بنى المساجد مسجد دمشق ، ومسجد المدينة ، ووضع المنار ، وأعطى الناس . وفتح في ولايته فتوح عظام ، فتح موسى بن نصير الأندلس ، وفتح قتيبة كاشغر ، وفتح محمد بن القاسم الهند . قال : وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون في زمانه ، فإنما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع . فولى سليمان ، فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجواري . فلما ولى عمر بن عبدالعزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ وما تصوم من الشهر ؟ . قال : وكان الوليد وسليمان ولي عهد عبدالملك ، فلما أفضى الأمر إلى الوليد ، أراد أن يبايع لابنه عبدالعزيز ويخلع سليمان ، فأبى سليمان ، فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلعه ، فأمر الناس بالتأهب ، فمرض ، ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك .

وفي هذه السنة افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر ، وغزا الصين . قال علي بن محمد : مضى قتيبة إلى فرغانة ، وأرسل من يسهل له الطريق إلى كاشغر ، وهي أدنى مدائن الصين ، فسبى منها سبيا ، فختم أعناقهم ، ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد . قال يحيى بن زكريا الهمداني : حدثني شيخ من أهل خراسان .

قال: وغل قتيبة حتى قرب من الصين . فانتخب من عسكره اثني عشر رجلاً وأرسلهم إلى ملك الصين وقال لهم : لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه فاعلموه أني قد حلفت ألا انصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجبي خراجهم . قال : فساروا ، وعليهم هبيرة بن المشمرج ، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم ، فدخلوا الحمام ، ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل ، ثم مسوا الغالية ، ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك ، فنهضوا ، فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوماً ماهم إلا نساء . قال : فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى ، وهم أولئك . فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم ، فشدوا عليهم سلاحهم ، ولبسوا البيض والمغافر ، وتقلدوا السيوف ، وغدوا فنظر إليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة . فقيل لهم قبل أن يدخلوا : ارجعوا، لما دخل قلوبهم من خوفهم . فانصرفوا ، فقال الملك لاصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء قط ، فلما أمسى أرسل إليهم الملك ، أن ابعثوا إلي زعيمكم ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقال له الملك : لم صنعتم ما صنعتم ؟ قال : أما زينا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا ، وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا . قال : ما أحسن ما دبرتم دهركم ! فانصرفوا إلى صاحبكم . قال : إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ، ويختم ملوككم ، ويعطي الجزية ، قال : فانا نخرجه من يمينه ، نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها ، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم ، فساروا فقدموا بما بعث به ، فقبل قتيبة الجزية ، وختم الغلمة وردهم ، ووطيء التراب .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بويع لسليمان بن عبدالملك بالخلافة ، وذلك في اليوم الذي توفي فيه الوليد بن عبدالملك ، وهو بالرملة . وفيها عزل سليمان بن عبدالملك عثمان بن حيان عن المدينة وولاها أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . وفي هذه السنة أيضا عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق ، وامّر عليه يزيد

ابن المهلب ، وجعل صالح بن عبدالرحمن على الخراج .

وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم بخراسان . قال علي بن محمد : كان الوليد بن عبدالملك قد أراد أن يجعل ابنه عبدالعزيز بن الوليد ولي عهده ، ودس في ذلك إلى القواد ، فبايعه على خلع سليمان الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم ، ثم هلك الوليد وقام سليمان بن عبد الملك ، فخافه قتيبة ، فدعا الناس إلى خلعه ، فلم يجبه أحد ، فغضب وشتم الناس كلهم ، فاجمعوا على خلافه وخلعه ، وأتى الناس وكيعا شيخ بني تميم فبايعوه سرا ، فعلم قتيبة بالخبر ، فأرسل من يأتيه به ، فنادى وكيع في الناس ، فأقبلوا أرسالاً من كل وجه ، وتهايج الناس ، وأقبل عبدالرحمن بن مسلم نحوهم ، فقتلوه ، وأحرقوا موضعا كانت فيه إبل لقتيبة ، ودنوا منه حتى بلغوا الفسطاط ، فقتلوا قتيبة ومن معه من إخوته ، عبدالرحمن وعبدالله وصالح وحصين وعبدالكريم ، بنو مسلم ، وقتلوا ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ، ونجا أخوه ضرار .

وفي هذه السنة عزل سليمان بن عبدالملك خالد بن عبدالله القسري عن مكة ، وولاها طلحة بن داود الحضرمي . وفيها غزا مسلمة بن عبدالملك أرض الروم الصائفة ، ففتح حصن عوف . وفي هذه السنة توفي قرة بن شريك العبسي وهو أمير مصر ، وقال بعضهم : كان هلاكه في حياة الوليد في سنة خمس وتسعين وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان على المدينة .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفي هذه السنة جهز سليمان بن عبدالملك الجيوش إلى القسطنطينية ، واستعمل ابنه داود على الصائفة ، فافتتح حصن المرأة ، وفيها غزا مسلمة أرض الروم ، وغزا عمر بن هبيرة في البحر أرض الروم ، فشتا بها ، وفيها قتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير بالأندلس ، وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبي عبيد الفهري .

وفي هذه السنة أيضا ، ولى سليمان بن عبدالملك يزيد بن المهلب خراسان . قال علي بن محمد : ولي وكيع بن أبي سود خراسان بعد قتل قتيبة تسعة أشهر أو عشرة . وقدم يزيد بن المهلب سنة سبع وتسعين . قال أبو معشر : وحج بالناس

في هذه السنة سليمان بن عبد الملك. قال الواقدي: فلما صدر سليمان من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمي عن مكة، وولاها عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

وفي هذه السنة وجه سليمان بن عبدالملك أخاه مسلمة بن عبدالملك إلى القسطنطينية، فأقام فيها قاهراً لأهلها، معه وجوه أهل الشام، حتى أتاه موت سليمان. وفي هذه السنة بايع سليمان بن عبدالملك لابنه أيوب وجعله ولي عهده. قال علي بن محمد: فهلك أيوب وهو ولي عهده. وفي هذه السنة أيضا، فتحت مدينة الصقالبة. وفيها غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس أنطاكية، وأصاب الوليد ناسا من ضواحي الروم وأسر منهم بشرا كثيرا. وفيها أيضا غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان فافتتحها. قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا داود بن سليمان بن عبدالملك أرض الروم، ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية. وحج بالناس في هذه السنة عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

وفي هذه السنة توفي سليمان بن عبدالملك. قال أبو مخنف: توفي سليمان بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام. وقد قيل: توفي لعشر ليال مضين من صفر. وقيل: كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل: سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام. وقال أبومعشر: كانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر. وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز.

قال علي بن محمد: كان الناس يقولون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجاج، فولى سليمان، فأطلق الأساري، وخلى أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبدالعزيز. قال: إن سليمان لبس يوما حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرآة فقال: أنا الملك الفتى، فما عاش بعد ذلك إلا أسبوعاً. قال: ونظرت إليه جارية له يوماً، فقال: ما تنظرين؟ فقالت:

أنت خير المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما علمته فيك عيب ... كان في الناس غير أنك فان

وفي هذه السنة استخلف سليمان بن عبدالملك عمر بن عبدالعزيز ، ومن بعده يزيد بن عبدالملك . قال ابن عمر : كتب سليمان كتاب عهده : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبدالعزيز ، إني قد وليتك الخلافة من بعدي ، ومن بعده يزيد بن عبدالملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ، ولا تختلفوا فيطمع فيكم . فبايع الناس كلهم .

وفي هذه السنة وجه عمر بن عبدالعزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم وأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين . وفيها عزل عمر يزيد بن المهلب عن العراق ، ووجه على البصرة وأرضها عدي بن أرطأة الفزاري ، وبعث على الكوفة وأرضها عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب الأعرج القرشي . وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل عمر على المدينة . وكان عامله على مكة عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد .

ثم دخلت سنة مائة

وفي هذه السنة خرجت الخارجة التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق . قال ابن عمر : خرجت حرورية بالعراق ، فكتب عمر بن العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامل العراق يأمره أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه ، فلما أعذر في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشا فهزمتهم الحرورية ، فبلغ عمر ، فبعث مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام فأظهره الله عليهم. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : إن الذي خرج على عبد الحميد بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب ـ واسمه بسطام من بني يشكر ـ فكان مخرجه في ثمانين فارسا . قال : وكتب عمر إلى بسطام يدعوه ويسأله عن مخرجه . فبعث إليه برجلين ، فدخلا على عمر بن عبد العزيز فناظراه ، فقالا له : أخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك ؟ قال : صيره غيري ، قالا : أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه ، أتراك أديت الأمانة إلى من ائتمنك ! قال : فقال : أنظراني ثلاثا ، فخرجا من عنده وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وما في أيديهم من الأموال ، وأن يخلع يزيد ، فدسوا إليه من سقاه سما ، فلم يلبث بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثا حتى مات .

وفي هذه السنة أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة . وفيها شخص عمر بن هبيرة الفزاري إلى الجزيرة عاملاً لعمر عليها . وفيها حُمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر بن عبد العزيز . قال أبو مخنف : كان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ، وكان يزيد يبغض عمر ويقول : إني لأظنه مرائيا . قال : ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال الكثيرة التي كانت بحوزته ، فأنكرها يزيد فأمر عمر بن عبد العزيز بحبسه . قال أبو جعفر : وفي هذه السنة عزل عمر الجراح بن عبد الله عن خراسان ، وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيري ، فكانت ولاية الجراح بخرسان سنة وخمسة أشهر ، ولم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب ، فكانت ولايته سنة ونصف .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجه محمد بن علي بن عبدالله بن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق ، ووجه محمد بن خميس وأبا عكرمة السراج ، وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال إبراهيم بن سلمة إلى خراسان ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ، ثم انصرفوا إلى محمد بن علي . قال : وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز . قال أبو مخنف : ظل يزيد في محبسه حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل بعد في الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك ، لأنه كان قد عذب أصهاره آل أبي عقيل ، فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا فكان يخشى ذلك ، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه ، فاعدوا له إبلا ، فهرب من محبسه ومعه إمرأته. وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر.

وفي هذه السنة توفي عمر بن عبد العزيز ، قال أبو معشر : توفي عمر لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة . وقال ابن سعد : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة . قال أبو مخنف: مات بدير سمعان،

وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر . ودفن بدير سمعان . وقال بعضهم : كان له يوم توفي أربعون سنة . قال هشام : توفي عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر ، وكان يكنى أبا حفص ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان يقال له : أشج بني أمية ، وذلك أن دابة من دواب أبيه كانت شجته .

قال علي بن محمد : إن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولي الخلافة إلى يزيد ابن المهلب : أما بعد ، فإن سليمان كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني ، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس علي بهين ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واعتقاد أموال ، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه، وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ، ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك . فلما قدم الكتاب على يزيد ، ألقاه إلى أبي عيينة ، فلما قرأه قال : لست من عماله ، قال ولم؟ قال: ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكهم . فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا .

قال علي : وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العمل والعلم قريبان ، فكن عالما بالله عاملا له ، فإن أقواما علموا ولم يعلموا ، فكان علمهم عليهم وبالا. قال : وكتب إلى أهل الشام : أما بعد ، فإنه من أكثر ذكر الموت قل كلامه، ومن علم أن الموت حق رضي باليسير . قال ابن سعد : بلغني أن عمر مات ابن له ، فكتب عامل له يعزيه عن ابنه ، فقال عمر لكاتبه : أجبه عني ، واكتب: أما بعد ، فإن هذا الأمر أمر قد كنا وطنا أنفسنا عليه، فلما نزل لم ننكره. والسلام . وقال ابن لعمر بن عبد العزيز : أمرنا أبي أن نشتري موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب .

خلافة يزيد بن عبد الملك

وفي هذه السنة ولي يزيد بن عبد الملك ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة . قال هشام : فلما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. وولاها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري. قال أبوجعفر:

وفي هذه السنة قتل شوذب الخارجي . قال معمر بن المثنى : لما دخل مسلمة بن عبد الملك الكوفة شكا إليه أهلها مكان شوذب ، وخوفهم منه وما قد قتل ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي فعقد له على عشرة آلاف ، ووجهه إليه . قال : فحملوا عليهم ، فطحنوهم طحنا لم يبقوا منهم أحدا ، وقتلوا بسطاما وهو شوذب وفرسانه .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة ، فغلب عليها، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدي بن أرطأة الفزاري ، فحبسه وخلع يزيد ابن عبد الملك . قال : لما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه عمر، وبلغه هرب يزيد بن المهلب، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ، وكتب إلى عدي بن ارطأة يعلمه هربه ، ويأمره أن يتهيأ لاستقباله ، وأن يأخذ من كان في البصرة من أهل بيته . قال هشام : مضى يزيد إلى البصرة ، وقد جمع عدي بن أرطأة إليه أهله وخندق عليها ، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي . قال : وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن السبيل حتى يمضي، واستقبله المغيرة في الخيل ، فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل فأخرج له عن الطريق هو وأصحابه ، وأقبل يزيد حتى نزل داره ، واختلف الناس إليه ، فأخذ يعطي من أتاه من الناس ، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة ، فمال الناس إليه ، وكان عدي لا يعطي إلا درهمين درهمين ، ويقول : لا يحل لي أن أعطيكم من بيت المال درهما إلا بأمر يزيد بن عبد الملك .

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس ، حتى نزل جبانة بني يشكر ، وجاءته بنو تميم وقيس وأهل الشام ، فحمل عليهم محمد بن المهلب ، فانهزموا ، وأقبل يزيد بن المهلب إثر القوم حتى دنا من القصر ، وخرج إليه عدي بنفسه ومعه أصحابه ، فانهزم أصحاب عدي ، وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلم ابن زياد بن أبي سفيان إلى جانب القصر ، واتي بالسلاليم ، وفتح القصر، وأتي بعدي بن أرطأة ، فحبسه .

قال هشام : فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رؤوس أهل البصرة فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشام . قال : ثم إن يزيد بن عبد

الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة آلاف فارس ، حتى وافوا الحيرة ، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشام ، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطىء الفرات . قال أبو جعفر : وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري .

ثم دخلت سنة إثنتين ومائة

وفي هذه السنة قتل يزيد بن المهلب . قال أبو جعفر : أقبل مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشام ، فخرج إليهم يزيد بن المهلب ، فالتقوا في قرية يقال لها فارط ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل يزيد بن المهلب ، والمفضل بن المهلب ، وأسر أهل الشام نحوا من ثلاثمائة رجل ، فسرحهم مسلمة بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم، وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو: أن اضرب رقاب الأسراء ، فقدمهم فضرب أعناقهم . قال أبو مخنف : وأخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيرا كانوا في يده، فضرب أعناقهم منهم: عدي بن أرطأة ، ومحمد بن عدي بن أرطأة ، وعبد الله بن وائل ، وغيرهم .

قال أبو جعفر: فلما فرغ مسلمة من حرب يزيد بن المهلب ، جمع له يزيد بن عبدالملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة، فوجه مسلمة عبدالملك بن بشر بن مروان على البصرة ، وولى الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط . ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث ، وهو الذي يقال له سعيد خذينة ـ وإنما لقب بذلك ـ فيما ذكر ـ أنه كان رجلا لينا سهلا متنعما، وخذينة هي الدهقانة ربة البيت ، فوجهه مسلمة إلى خراسان ، فلما قدمها ، استعمل شعبة بن ظهير على سمرقند .

وفي هذه السنة غزا المسلمون السغد والترك ، فكان فيها الوقعة بينهم بقصر الباهلي ، وفيها عزل سعيد خذينة شعبة بن ظهير عن سمرقند ، وولى حربها عثمان ابن عبد الله بن مطرف. قال علي بن محمد: ضعف الناس سعيدا ووسموه خذينة، فطمع فيه الترك، فجمع له خاقان الترك، ووجههم إلى السغد، فكان على الترك كورصول ، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي فحصروا أهل القصر ، وفيه مائة أهل بيت بذراريهم ، فندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب المسيب بن بشر الرياحي

وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، فساروا إليهم ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم المشركون .

وفي هذه السنة قطع سعيد خذينة نهر بلخ وغزا السغد ، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين ، فهزمهم المسلمون . قال علي بن محمد : وفي هذه السنة عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام . وفيها غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية ، فهزمهم وأسر منهم بشرا كثيرا ، وفيها وجه ميسرة رسله من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة بها .

وفي هذه السنة ـ سنة إثنتين ومائة ـ قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها . قال أبو جعفر : عزم يزيد أن يسير بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة ، فتآمروا عليه ، فقتلوه ، وولوا على أنفسهم الذي كان عليهم قبله ، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك بذلك فأقره . قال : وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن معية على العراق وخراسان . وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

وفي هذه السنة ، عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان ، واستعمل سعيد بن عمرو الحرشي . وفيها غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها رسلة . وفيها أغارت الترك عن اللان . وفيها ضمت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك ، فجمعت له مع المدينة . وفيها ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري ، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة . قال أبو معشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك .

وفي هذه السنة ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو الحرشي فلحقوا بفرغانة فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين. قال علي بن محمد: أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام خذينة، فلما وليهم الحرشي خافوا على أنفسهم. فأرسلوا إلى ملك فرغانة الطار يسألونه أن يمنعهم وينزلهم مدينته، فأرسل إليهم: سموا لي رستاقا أفرغه لكم، وإن شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبدالله الباهلي،

فقبلوا شعب عصام ، فأرسل إليهم : ليس لكم علي عقد ولا جوار حتى تدخلوه، وإن أتتكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعكم ، فرضوا ، ففرغ لهم الشعب .

ثم دخلت سنة أربع ومائة

وفي هذه السنة كانت وقعة الحرشي بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقينها . قال علي بن محمد : إن الحرشي غزا في سنة أربع ومائة فقطع النهر ، ثم سار فنزل قصر الريح على فرسخين من الدبوسية . قال : فخرج النيلان ابن عم ملك فرغانة إلى الحرشي ، وهو نازل على مغون فقال له : إن أهل السغد بخجندة ، وأخبره خبرهم وقال : عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشعب ، فليس لهم علينا جوار حتى يمضي الأجل . قال : فخرج إليهم الحرشي وحصرهم ، ونصب عليهم المجانيق ، فطلبوا الصلح ، وسألوا الأمان وأن يردهم إلى الغد ، فاشترط عليهم أن يردوا من في أيديهم من نساء العرب وذراريهم ، وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج ، قال : فبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة من نساءكن في أيديهم ، وكان في أيدي السغد أسراء من المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومائة ، ويقال : قتلوا منهم أربعين ، فأمر الحرشي بقتلهم، فقتلوا عن آخرهم، واصطفى الحرشي أموالهم وذراريهم ، وقسم الأموال، وكتب الحرشي إلى يزيد بن عبد الملك بذلك ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة ، فكان هذا مما وجد فيه عليه ابن هبيرة .

وفي هذه السنة عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة ومكة ، وولى المدينة عبد الواحد النضري . قال ابن عمر : خطب ابن الضحاك فاطمة ابنة الحسين ، فقالت : والله ما اريد النكاح ، فألح عليها وقال : لئن لم تفعلي لأجلدن أكبر بنيك في الخمر ـ يعني عبد الله بن الحسن ـ فبعثت رسولا بكتاب إلى يزيد تذكر ما ينال ابن الضحاك منها ، وما يتوعدها به . فغضب يزيد وكتب إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري وهو بالطائف : أني قد وليتك المدينة ، فإذا جاءك كتابي هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك ، وأغرمه أربعين ألفا ، وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي . قال عبد الله بن محمد : فرأيته في المدينة عليه جبة من صوف يسأل الناس ، وقد عذب ولقى شرا .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة غزا الجراح بن عبد الله الحكمي ـ وهو أمير

على أرمينية وأذربيجان ـ أرض الترك ففتح على يديه بلنجر ، وهزم الترك وغرقهم وعامة ذراريهم في الماء ، وفتح الحصون التي تلي بلنجر وجلا عامة أهلها . وفيها ـ هذه السنة ـ ولد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي في شهر ربيع الآخر . وفيها دخل أبو الصادق وعدة من أصحابه من خراسان إلى محمد بن علي . وفي هذه السنة أيضا عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان ، وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي . قال أبو جعفر : وسبب ذلك أن الحرشي كان يستخف بأمر ابن هبيرة ، ويقول : قال أبو المثنى ، وفعل أبو المثنى ، ولا يقول الأمير ، فغضب عليه وعزله وعذبه ، ونفخ في بطنه النمل . قال أبو معشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري .

ثم دخلت سنة خمس ومائة

وفي هذه السنة كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم ، فبعث سرية في نحو من ألف مقاتل ، فاصيبوا جميعا ، وفيها غزا مسلم بن سعيد الترك ، فلم يفتح شيئا ، فقفل ثم غزا أفشينة (مدينة من مدائن السغد) فصالح ملكها وأهلها . وفي هذه السنة مات الخليفة يزيد بن عبد الملك . قال الواقدي : كانت وفاته ببلقاء من أرض دمشق ، وهو يوم مات ابن ثمان وثلاثين سنة . وقال بعضهم : كان ابن أربعين سنة . وقال بعضهم : ابن ست وثلاثين سنة ، فكانت خلافته في قول أبي معشر وهشام وعلي أربع سنين وشهرا ، وفي قول الواقدي أربع سنين . وكان يكنى أبا خالد .

وقال علي بن محمد : توفي يزيد وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة خمس ومائة . ومات بإربد من أرض البلقاء ، وصلى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمسة عشرة سنة ، وهشام بن عبد الملك يومئذ بحمص . وقال هشام بن محمد : توفي يزيد وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

قال علي : كان يزيد بن عاتكة من فتيانهم ، فقال يوما وقد طرب وعنده حبابة وسلامة : دعوني أطير ، فقالت حبابة : إلى من تدع الأمة ! فلما مات قالت سلامة القس :

لا تـلـمـنـا إن خـشـعـنـا أو هـمـمـنـا بـالخـشـوع
قـد لـعـمـري بـت لـيـلي كـاخـي الـداء الوجـيـع
ثـم بـات الـهـم مني دون مـن لي مـن ضـجـيـع
لـلـذي حـل بـنـا الـيـو م مـن الأمـر الفـظـيـع
كـلما أبـصـرت ربـعـا خـالـيـا فـاضـت دمـوعـي
قـد خـلا مـن سـيـد كـا ن لـنـا غـير مـضـيـع

ثم نادت : وا أمير المؤمنيناه ! والشعر لبعض الأنصار .

وفي هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان منها ، وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين وأشهر . قال علي : ولد هشام عام قتل مصعب بن الزبير سنة إثنتين وسبعين . وأمه عائشة بنت هشام بن الوليد من بني مخزوم ، وكانت حمقاء أمرها أهلها ألا تكلم عبد الملك حتى تلد فطلقها عبد الملك لحمقها . وكان هشام يكنى أبا الوليد . قال ابن عمر : إن الخلافة أتت هشاما وهو بالزيتونة في منزله في دويرة له هناك ، فجاءه البريد بالعصا والخاتم ، وسلم عليه بالخلافة ، فركب من الرصافة حتى أتى دمشق .

وفي هذه السنة قدم بكير بن ماهان من السند ـ وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجمانا له ـ فلما عزل الجنيد ، قدم الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب ، فلقي أبا عكرمة الصادق وميسرة ، فذكروا له أمر دعوة بني هاشم ، فقبل ذلك ورضيه ، وأنفق ما معه عليهم ، ودخل إلى محمد بن علي . ومات ميسرة فوجه محمد بن علي بكير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة ، فأقامه مقامه .
وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، والنضري على المدينة .
وفي هذه السنة أيضاً عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق ، وولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسري في شوال .

ثم دخلت سنة ست ومائة

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعن مكة والطائف ، وولى ذلك كله خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي. وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة. وفيها غزا الحجاج بن عبدالملك

اللان ، فصالح أهلها وأدوا الجزية . وفيها ولد عبد الصمد بن علي في رجب . وفيها غزا مسلم بن سعيد الترك ، فورد عليه عزله من خراسان من خالد بن عبدالله، فكتب إليه خالد : أتم غزاتك . فالتقى مع الترك فهزمهم . وحج بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الله القسري أميراً على العراق .

ثم دخلت سنة سبع ومائة

وفي هذه السنة خرج عباد الرعيني باليمن محكما ، فقتله يوسف بن عمر ، وقتل معه أصحابه كلهم ، وكانوا ثلاثمائة . وفيها غزا الصائفة معاوية بن هشام . وفيها وقع بالشام طاعون شديد . وفيها غزا أسد جبال نمرون ملك الغرشستان مما يلي جبال الطالقان ، فصالحه نمرون وأسلم على يديه . وفيها غزا أسد الغور وهي جبال هراة . وفيها وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادي في عدة من شيعتهم دعاة إلى خراسان ، فجاء رجل من كندة إلى أسد بن عبد الله ، فوشى بهم إليه ، فأتي بأبي عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه ، فقطع أسد أيدي من ظفر منهم وأرجلهم ، وصلبهم . قال أبو معشر والواقدي وغيرهما : وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام .

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

وفي هذه السنة كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية ، مدينة الروم مما يلي الجزيرة ، ففتحها الله على يديه . وفيها غزا إبراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم . وفيها كان الحريق بدابق . قال ابن عمر ، عن عبد الله ابن نافع عن أبيه ، قال : احترق المرعى حتى احترق الدواب والرجال . وفيها غزا أسد بن عبد الله الختل ، فالتقى بالمشركين ، فانهزم المشركون ، وحوى المسلمون عسكرهم . قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام .

ثم دخلت سنة تسع ومائة

وفي هذه السنة كانت غزوة معاوية بن هشام أرض الروم ، ففتح حصنا بها يقال له طيبة ، واصيب معه قوم من أهل انطاكية . وفيها قتل عمر بن يزيد

الأسيدي ، قتله مالك بن المنذر بن الجارور ، وكان سبب ذلك ، أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب فأعجب به يزيد بن عبد الملك ، وقال : هذا رجل العراق ، فغاظ ذلك خالدا ، فأمر مالك بن المنذر وهو على شرطة البصرة أن يعظم عمربن يزيد ، ثم أقبل يعتل عليه حتى يقتله ، فذكر يوما عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، فافترى عليه مالك ، فقال له عمر بن يزيد : تفتري على مثل عبد الأعلى ! فأغلظ له مالك ، فضربه بالسياط حتى قتله .

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان وصرف أخاه أسدا عنها ، واستعمل على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي . وكان سبب ذلك أن أسدا أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس . قال علي : وكان أشرس لما قدم خراسان كبر الناس فرحا به . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام في قول الواقدي وغيره .

ثم دخلت سنة عشر ومائة

وفي هذه السنة كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك الترك ، سار إليهم نحو باب اللان حتى لقي خاقان في جموعه ، فاقتتلوا قريبا من شهر ، فهزم الله خاقان ، فانصرف . وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم ، ففتح صمالة . وفيها غزا الصائفة عبد الله بن عقبة ألفهري . وفيها دعا الأشرس أهل الذمة من أهل سمرقند من وراء النهر إلى الإسلام ، على أن توضع عنهم الجزية ، فأجابوا إلى ذلك ، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية ، وطالبهم بها ، فنصبوا له الحرب ، فكفرت السغد وبخارى ، واستجاشوا الترك . قال علي : فخرج أشرس غازيا فنزل آمل ، فأقام ثلاثة أشهر ، وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر في عشرة آلاف ، فأقبل أهل السغد وأهل بخارى ، معهم خاقان والترك ، فحصروا قطن في خندقه ، فعبر أشرس بالناس فقاتلوهم حتى استنقذوا ما بأيديهم .

وفي هذه السنة ارتد أهل كردر ، فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم ، وقد كان أهل الترك أعانوا أهل كردر ، فوجه أشرس إلى من قرب من كردر من المسلمين ألف رجل ردءا لهم ، فصاروا إليهم وقد هزم المسلمون الترك فظفروا بأهل كردر . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل. في قول الواقدي وغيره.

ثم دخلت سنة إحدى عشر ومائة

وفي هذه السنة كانت غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد ابن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية . وفيها سارت الترك إلى أذربيجان ، فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم . وفيها ولى هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على أرمينية . وفيها عزل هشام أشرس بن عبد الله السلمي عن خراسان ، وولاها الجنيد بن عبد الرحمن المري. قال علي بن محمد: وسبب ذلك أن الجنيد أهدى امراة هشام قلادة فيها جوهر ، فأعجبت هشاما ، فأهدى لهشام قلادة أخرى ، فاستعمله على خراسان . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي .

ثم دخلت سنة إثنتي عشرة ومائة

وفي هذه السنة غزى معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة ، وحرق فرندية من ناحية ملطية . وفيها سار الترك من اللان ، فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمي فيمن معه من أهل الشام ، فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل ، وافتتحت الترك أردبيل . وفي هذه السنة وجه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك فطلبهم حتى جاز الباب في آثارهم . وفيها كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب . وفيها قتل سورة بن الحر ، وقد قيل أن هذه الوقعة كانت في سنة ثلاث وعشرة ومائة .

قال علي بن محمد : إن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازيا في سنة اثنتي عشرة ومائة يريد طخارستان ، فنزل على نهر بلخ وجاشت الترك فاتوا سمرقند ، وعليها سورة بن الحر ، فكتب سورة إلى الجنيد يطلب الغوث ، فأمر جنيد الناس بالعبور . قال : وعبر فنزل كس ، ثم مضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين مدينة سمرقند أربعة فراسخ ، فصبحه خاقان في جمع عظيم ، وزحف إليه أهل السغد والشاش وفرغانة وطائفة من الترك ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، حتى مل الفريقان فكانت المعانقة ، فتحاجزوا .

وفي هذه السنة قتل سورة بن الحر التميمي . قال علي : كتب الجنيد إلى سورة يأمره بالقدوم لنصرته ، فجاءت عيون الأتراك فأخبروهم ، وأمر سورة بالرحيل ، واستخلف على سمرقند موسى بن أسود ، وخرج في اثني عشر ألفا ،

فتلقاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ ، وبينه وبين الجنيد فرسخ . فأمر خاقان وأشعل النار في الحشيش ، وواقفهم وحال بينهم وبين الماء . فجمع سورة الناس وحملوا فانكشفت الترك، وثار الغبار فلم يبصروا، ومن وراء الترك اللهب، فسقطوا فيه ، وسقط سورة وتفرق الناس ، فقطعتهم الترك فقتلوهم فلم ينج منهم غير ألفين ـ ويقال : ألف . قال : فلما قتل سورة خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا ، فطلع عليهم الترك ، فتناهضوا ، وجال الناس . وأمر الجنيد رجلا فنادى : أي عبد قاتل فهو حر ، فقاتل العبيد قتالا شديدا عجب الناس منه، فانصرف الترك إلى بلادهم ، فأقام الجنيد في سمرقند ذلك العام ، وانصرف خاقان إلى بلاده . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي . وقيل : سليمان بن هشام بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

فمما كان في هذه السنة هلاك عبد الوهاب بن بخت ، وهو مع البطال عبدالله بأرض الروم، فانهزم الناس عن البطال وانكشفوا، فجعل عبد الوهاب يكر فرسه، ثم تقدم في نحور العدو ، حتى قتل . ومن ذلك ما كان من تفريق مسلمة بن عبد الملك الجيوش في بلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه ، ودان لمسلمة من كان وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان .

وفي هذه السنة صار من دعاة بني العباس. جماعة إلى خراسان ، فأخذ الجنيد ابن عبد الرحمن رجلا منهم فقتله ، وقال : من أصيب منهم فدمه هدر . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام بن عبد الملك .وقال بعضهم : إبراهيم بن هشام المخزومي .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى ، فذكر أن معاوية أصاب ربض أقرن ، وأن عبدالله البطال التقى وقسطنطين في جمع فهزمهم ، وأسر قسطنطين ، وبلغ سليمان بن هشام قيسارية . وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن المدينة وأمر عليها

خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم . وفيها ولي محمد بن هشام المخزومي مكة . وفيها ـ هذه السنة ـ وقع الطاعون بواسط . وفيها قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعدما هزم خاقان . وفيها ولى هشام مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان. وحج بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك بن الحارث وهو على المدينة . وقيل حج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام أرض الروم . وفيها وقع الطاعون بالشام . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ، وهو أمير مكة والطائف . وفيها أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة ، فكتب الجنيد إلى الكور : إن مرو كانت آنمة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بانعم الله ، فاحملوا إليها الطعام .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة . وفيها كان طاعون شديد بالعراق والشام . وفيها كانت وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي خراسان . قال علي بن محمد : تزوج الجنيد بن عبد الرحمن من الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فغضب هشام على الجنيد ، وولى عاصم بن عبد الله خراسان ، فقدم عاصم وقد مات الجنيد . قال : وفي هذه السنة خلع الحارث بن سريج وكانت الحرب بينه وبين عاصم بن عبد الله ، فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الحارث وكف عنه عاصم . قال أبو جعفر : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو ولي العهد .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى . وفيها بعث مروان بن محمد ـ وهو على أرمينية ـ بعثين ، فافتتح أحدهما حصونا ثلاثا من اللان ونزل الآخر على تومانشاه، فنزل أهلها على الصلح.

وفيها عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان ، وضمها إلى خالد ابن عبد الله ، فولاها خالد أخاه أسد بن عبد الله . قال علي : كتب عاصم إلى هشام بن عبد الملك : اما بعد . . . فإن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى صاحب العراق ، فتكون موادها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنوائب من قريب ، لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غياثه عنها . قال أبو جعفر : وحج بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة

وفي هذه السنة وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان واليا على شيعة بني العباس ، فنزل مرو ، وغير اسمه وتسمى بخداش ، ودعا إلى محمد بن علي ، فسارع إليه الناس ، وقبلوا ما جاءهم به ، ثم غير ما دعاهم إليه ، وأظهر دين الخرمية ، ورخص لبعضهم في نساء بعض ، وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي ، فبلغ أسد بن عبد الله خبره ، فوضع عليه العيون حتى ظفر به ، فأمر به فقطعت يده ، وقلع لسانه وسملت عينه .

وفي هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث عن المدينة ، واستعمل عليها محمد بن هشام بن إسماعيل . وفيها مات علي بن عبد الله بن العباس ، وكان يكنى أبا محمد ،وكانت وفاته بالحميمة من أرض الشام وهو ابن ثمان ـ أو سبع ـ وسبعين سنة . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

وفي هذه السنة غزا الوليد بن القعقاع العبسي أرض الروم. وفيها غزا أسد بن عبد الله الختل، فافتتح زغرزك، وسار إلى خداش، وملأ يديه من السبي والشاء، وكان الجيش قد هرب إلى الصين . وفيها لقي أسد خاقان فقتله ، وقتل بشرا كثيرا من أصحابه ، وسلم أسد والمسلمون ، وانصرفوا بغنائم كثيرة وسبي . وفي هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان في نفر ، فأخذهم خالد فقتلهم . قال أبو نعيم: كان المغيرة قد نظر في السحر ، فأخذه خالد القسري فقتله وصلبه . وقال علي بن

محمد : خرج المغيرة بن سعيد في سبعة نفر ، وكانوا يدعون الوصفاء ، وكان خروجهم بظهر الكوفة ، فأخبر خالد القسري بخروجهم ، فأخذهم فقتلهم .

وفي هذه السنة حكم بهلول بن بشر الملقب كثارة فقتل . قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى : إن بهلولا خرج يريد الحج ، فأمر غلامه أن يبتاع له خلا بدرهم ، فجاءه غلامه بخمر ، فأمر بردها وأخذ الدراهم ، فلم يجب إلى ذلك ، فجاء بهلول إلى عامل القرية ، فكلمه ، فقال العامل : الخمر خير منك ومن قومك ، فمضى بهلول في حجه حتى فرغ منه ، وعزم على الخروج على السلطان ، فلقى من كان على مثل رأيه ، فجند له خالدا من أهل العراق ، وجند له عامل الجزيرة جندا من أهل الجزيرة ، ووجه إليه هشام جندا من أهل الشام ، فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل ، وبهلول في سبعين من أصحابه ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وقتل بهلول وعامة أصحابه . قال أبو عبيدة: ثم خرج وزير السختياني على خالد في نفر، وكان مخرجه بالحيرة ، فوجه إليه خالد قائداً من أصحابه وشرطاً من شرط الكوفة، فقاتلوه وهو في نفير ، فقاتل حتى قتل عامة أصحابه ، واثخن بالجراح ، فأتي به خالد ، فأقبل على خالد فوعظه ، وتلا عليه آيات من القرآن ، فأعجب خالدا ما سمع منه ، فأمسك قتله ، فبلغ ذلك هشاما وسعي به إليه ، فأمر بقتله واحراقه ، فبعث خالد إليه وإلى نفر من أصحابه ، فأمر بهم فأدخلوا المسجد ، وادخلت أطنان القصب فشدوا فيها ، ثم صب عليهم النفط ورموا بالنيران .

وفي هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الختل . وفيها قتل أسد بدر طاخان ملك الختل . وفيها شرى الصحاري بن شبيب ، وحكم بجبل . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : فبايعه نحو ثلاثين ، فشرى بجبل ، ثم سار حتى أتى المبارك . فبلغ ذلك خالدا، فوجه إليه جندا، فلقوه بناحية المناذر، فقاتلهم، ثم انطووا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه. قال أبو جعفر: وحج بالناس في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحج معه ابن شهاب الزهري .

ثم دخلت سنة عشرين ومائة

وفي هذه السنة غزا سليمان بن هشام الصائفة وافتتح ـ فيما ذكر ـ سندرة . وفيها غزا إسحاق بن مسلم العقلي وافتتح قلاع تومانشاه . وفيها غزا مروان بن

محمد أرض الترك. وفيها كانت وفاة أسد بن عبد الله، واستخلف جعفرا البهراني، وهو جعفر بن حنظلة، فعمل أربعة أشهر، ثم جاء عهد نصر بن سيار.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وجهت شيعة بني العباس بخراسان إلى محمد ابن على بن العباس سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم. قال: فقدم عليه، فكتب له محمد بن علي كتابا إلى شيعة بني العباس بخراسان. قال: ثم وجه محمد بن علي بكر بن ماهان إلى شيعته بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير، وكتب معه إليهم كتابا.

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التي كان ولاه إياها كلها وكتب إلى يوسف بن عمر وهو على اليمن: أن سر إلى العراق فقد وليتك إياه، وخذ ابن النصرانية وعماله فاشفني منهم. قال الهيثم بن عدي: وكان سبب ذلك أن هشاما علم ما بالعراق من الأموال وقد كتمها خالد عنه. قال عمر: فقدم يوسف بن عمر العراق في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة فحبس خالدا وعماله وقيل أنه أخذ منه مائة ألف ألف. وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة.

وفي هذه السنة ولى يوسف بن عمر خراسان جديع بن علي الكرماني وعزل جعفر بن حنظلة. ثم أنه عزله وولى ذلك نصر بن سيار بن ليث. قال علي بن محمد: وأتى نصرا عهده في رجب من سنة عشرين ومائة، وقال له البختري: اقرأ عهدك واخطب الناس، فخطب الناس فقال: استمسكوا أصحابنا بجدتكم، فقد عرفنا خيركم وشركم. قال أبو معشر وغيره: وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل. وقد قيل: سليمان بن هشام. وقيل: يزيد بن هشام.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن هشام بن عبد الملك الروم، فافتتح بها مطامير. وغزا مروان بن محمد بلاد صاحب سرير الذهب، فافتتح قلاعه، وأذعن له بالجزية. وفيها ولد العباس بن محمد. وفيها قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب. قال أبو مخنف: جعلت الشيعة تختلف إلى زيد بن علي، وتأمره بالخروج، ويقولون: إنا لنرجو أن تكون المنصور، وأن يكون هذا الزمان الذي

يهلك فيه بنو أمية . قال أبو عبيدة : فجعل يقول : إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدي . فيحلفون له . فوافقهم وبايعوه ، قال هشام : فاقبلت الشيعة يختلفون إليه ، ويبايعونه ، حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل ، فمكث بذلك بضعة عشر شهرا ، فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ ، فشاع أمره في الناس . وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين ، ثم غزا الثالثة ، فقتل كورصول صاحب الترك . وارتفع نصر إلى فرغانة ثم سار إلى الشاش ، فأغار عليهم الأخرم ، وهو فارس الترك ، فقتله المسلمون ، وأسروا سبعة من أصحابه ، ثم أقبل نصر فنزل سمرقند . قال الواقدي وغيره : وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي .

ثم دخلت سنة إثنتين وعشرين ومائة

وفي هذه السنة قتل زيد بن علي . قال أبو مخنف : لما خرج زيد وأمر أصحابه بالتأهب ، انطلق سليمان بن سراقة إلى يوسف بن عمر ، فأخبره خبره . فلما رأى أصحاب زيد الذين بايعوه أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد ، وأنه يدس إليه، ويستبحث عن أمره، اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم، ففارقوه ونكثوا بيعته ، وقالوا : لا نتبع زيد بن علي فليس بإمام . فسماهم زيد الرافضة . قال : واستتب لزيد خروجه ، فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة . وبلغ الخبر يوسف بن عمر ، فبعث إلى الحكم بن الصلت وكان على أهل الكوفة، فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه. فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء ، وخرج زيد صباح يوم الأربعاء ، فبعث من ينادي بشعارهم ، فكان جميع من وافاه مائتي رجل وثمانية عشر رجلا ، فقال زيد : أين الناس ! فقيل له هم في المسجد الأعظم محصورون . فقال : لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر .

قال : وأقبل زيد بن علي ، وقد رأى خذلان الناس إياه ، فسار إلى دار الرزق ، فدعا يوسف بن عمر العباس بن سعيد المزني صاحب شرطته ، فبعثه في أهل الشام ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا في المعركة ، فقتل نصر بن خزيمة صاحب زيد بن علي . قال: ثم إن زيد بن علي هزمهم وقتل من أهل الشام نحوا من سبعين

رجلا ، فانصرفوا وهم بشرحال . فلما كان العشي عبأهم يوسف بن عمر ثم سرحهم ، فاقبلوا حتى التقوا هم وأصحاب زيد ، فيما بين بارق ورؤاس ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وثبت زيد ومن معه حتى إذا جنح الليل رمي بسهم فأصاب جبهته اليسرى ، فتشبث في الدماغ ، ثم لم يلبث أن قضى نحبه ، فدفنه أصحابه ، فدل غلام زيد بن علي السندي على مكان دفنه ، فبعث الحكم بن الصلت العباس ابن سعيد المزني ، فاستخرجه ، فأمر يوسف بن عمر بن زيد فصلب بالكناسة هو ونصر بن خزيمة وجماعة من أصحابه .

وفي هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القشيري الذي كان هشام بن عبد الملك قد بعثه في خيول أهل الشام إلى إفريقية ، حيث وقعت ألفتنة بالبربر . وفيها قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم . وفيها وجه يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام المخزومي . في قول الواقدي وغيره .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

وفي هذه السنة جرى الصلح بين أهل السغد ونصر بن سيار . قال علي بن محمد : إن خاقان لما قتل في ولاية أسد ، تفرقت الترك في غارة بعضها على بعض، فطمع أهل السغد في الرجعة إليها ، وانحاز قوم منهم إلى الشاش ، فلما ولي نصر ابن سيار ، أرسل إليهم يدعوهم إلى ألفيئة والمراجعة إلى بلادهم ، وأعطاهم كل ما أرادوا . وفي هذه السنة أوفد يوسف بن عمر الحكم بن الصلت إلى هشام بن عبد الملك ، يسأله ضم خراسان إليه وعزل نصر بن سيار . قال علي : كتب يوسف بن عمر إلى هشام يسأله ذلك حسدا منه لنصر بن سيار . فلم يفلح . وفي هذه السنة غزا نصر فرغانة غزوته الثانية ، وأوفد مغراء بن أحمر إلى العراق ، فوقع فيه عند هشام . قال أبو جعفر : ذكر إن نصرا وجه مغراء بن أحمر إلى العراق وافدا ، فقال له يوسف بن عمر : يا بن أحمر ، يغلبكم ابن الأقطع يا معشر قيس على سلطانكم! فقال : قد كان ذلك . قال : فاذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه . فقدمو على هشام ، فسألهم عن أمر خراسان فقال : مغراء : إن نصر بن سيار لا يعرف ولده من الكبر . فرد هشام عليه مقالته ، وبعث إلى دار الضيافة فاتي بشبيل بن عبد

الرحمن المازني ، فقال له هشام : أخبرني عن نصر ، قال : ليس بالشيخ يخشى خرفه ، ولا الشاب يخشى سفهه ، المجرب المجرب ، قد ولي عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته ، فلما قدم مغراء على يوسف ، قال له : قد علمت بلاء نصر عندي ، وقد صنعت به ما قد علمت ، فليس لي في صحبته خير ، ولا لي بخراسان مقام . وكان هشام قد كتب إلى يوسف بن عمر : إن اله عن ذكر الكناني وقد علم أنه يحسده. قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

وفي هذه السنة قدم جماعة من شيعة بني العباس الكوفة يريدون مكة . وفيها غزا سليمان بن هشام الصائفة ، فلقي أليون ملك الروم فسلم وغنم . وفيها مات محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في قول الواقدي وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل في قول الوقدي وغيره .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

وفي هذه السنة توفي هشام بن عبد الملك . قال أبو معشر : توفي لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر . وكذلك قال الواقدي والمدائني وغيرهما ، غير أنهم قالوا : كانت وفاته يوم الأربعاء لست ليال خلون من ربيع الآخر ، فكانت خلافته في قول جميعهم تسع عشرة سنة ، وسبعة أشهر وواحداً وعشرين يوما في قول المدائني وابن الكلبي ، وفي قول أبي معشر : وثمانية أشهر ونصفا ، وفي قول الواقدي : وسبعة أشهر وعشرة ليال واختلف في مبلغ سنه . قال هشام : توفي وهو ابن خمس وخمسين سنة . وقال بعضهم : توفي وله اثنتان وخمسون . وقال ابن عمر : توفي وهو ابن أربع وخمسين سنة . وكانت وفاته بالرصافة وبها قبره ، وكان يكنى أبا الوليد . قال أحمد بن زهير : وكانت وفاته بالذبحة ، وصلى عليه ابنه مسلمة . قال أحمد بن زهير : كان عقال بن شبه ـ وكان مع هشام ـ يقول : دخلت على هشام ، فدخلت على رجل محشو عقلا . قال : وذكر أن دواوين بني مروان قد جمعت ، فلم يرد ديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان

هشـام . قـال : وتفقد هشام بعض ولده ـ ولم يحضر الجمعة ـ فقال له : ما منعك من الصـلاة ؟ قـال : نفـقت دابتي ، قـال : فـعـجزت عن المشي فتركت الجمعة ! فـمنعـه الدابة سنة . قـال : وقـال بعض آل مروان لهشام : أتطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان ؟ قال : ولم لا أطمع بها وأنا حليم عفيف !

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

وفي هذه السنة ولي الخـلافـة الوليـد بن يزيد بن عبد الملك ، وليها يوم السبت في شـهـر ربيع الآخـر سنة خمس وعشرين ومـائة في قـول هشام . وأما ابن عمر فإنه قـال : استخلف الوليد يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومـائة . قـال : وكـان الوليد قد ظهـر للناس منه تهاون بالدين واستخفـاف به ، وكـان هشـام يعـيب الوليد ويتنقصه ، وكثر عبثه به وبأصحابه ، فلما رأى ذلك الوليـد خـرج وخـرج معـه ناس من خـاصـتـه ومواليه ، فنزل بالأزرق ، بين أرض بلقين وفـزارة ، على مـاء يقال له الأغدف ، فلم يزل الوليد مقيما في تلك البرية حتى مـات هشـام وجـاءته الرسل بالخلافة . قال : فاستعمل العمال ، وجاءته بيعته من الآفـاق ، وكـتب إليه العمال ، وجاءته الوفود . قال : وفي هذه السنة عقد الوليد بن يزيد لابنيـه الحكم وعـثمان البـيـعـة من بعـده ، وجـعلهما وليي عهده ، أحدهما بعد الآخـر ، وجـعل الحكم مقدما على عثمان ، وكتب بذلك إلى الأمصار. وفي هذه السنة ولى الوليـد نصر بن سيـار خـراسـان كلها ، وأفرده بها . وفيها وفد يوسف بن عمر على الوليـد ، فـاشترى نصرا وعماله منه ، فـرد إليه الوليد ولاية خراسان . وفيها وجه الوليـد خـاله يوسف بن محمـد بن يوسف الثـقـفي واليـا على المدينة ومكة والطائف ، ودفع إليـه إبراهيم ومحمـدا ابني هشـام بن إسماعـيل المخـزومي مـوثقين ، فـقدم بهما المدينة ، فأقامهما للناس بالمدينة . ثم كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث بهما إلى يوسف ابن عـمـر ، فلما قـدمـا عليـه عذبهما حتى قتلهما . وفي هذه السنة أيضاً عزل الوليد يوسف بن محمـد بن سعـد عن قـضـاء المدينة ، وولاهما يحيى بن سـعيد الأنصاري ، وفـيـها توفي محمد بن علي في مستهل ذي القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وأوصى أصـحـابه بإبراهيم بن محمـد . وفـيـهـا قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان . وحج بالناس في هذه السنة يوسف بن محمـد بن يوسف الثقفي في قول أبي معشر .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

وفي هـذه السنة قـتل يزيد بن الوليـد الذي يقـال له الناقص الوليـد بن يزيد .

قـال أحمد بن زهير : كـان الوليـد صـاحب لهو وصـيد ولذات ، فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي فـيـهـا الناس حـتى قـتل ، ولم يزل ينتـقل ويتصيد حتى ثقل على الناس وعلى جنده ، واشـتـد على بني هشـام ، فضرب سليمان بن هشـام مـائة سوط وحلق رأسـه ولحـيـته ، وغربه إلى عمان فحبسه بها ، وحبس الأفقم يزيد بن هشام ، فـثـقل الوليـد على الناس ، ورمـاه بنو هشـام وبنو الوليـد بالكفـر والزندقـة وغـشيان أمـهـات أولاد أبيـه ، وكـان أشـدهم فـيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناس إلى قوله أميل ، لأنه كان يظهر النسك ويتواضع .

قـال : وكـان هشـام اسـتـعمل الوليد بن القعقاع على قنسرين وعبد الملك بن القـعـقـاع على حمص، فضرب الوليد بن القعقاع ابن هبيرة مائة سوط، فلما قام الوليد هرب بنو القـعـقـاع منه ، فأخذهم الوليد ودفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ـ وكان على قنسرين ـ فـعـذبهم ، فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع ورجـلان مـعـهما ، واضطغن على الوليـد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع واليمانية بما صنع بخـالد بن عبد الله ، فأتت اليمانية يزيد بن الوليد ، فأرادوه على البيعة . قال : فلما اجـتـمع ليـزيد أمره ، أقبل إلى دمشق ، فدخلها ليلا ، وقد بايـع له أكثر أهلها سرا ، وأقـبـل يـزيـد في اثني عشر رجـلا ، ثم لقـوا أربعين رجـلا من أصـحـابهم ، ولقـيـهم زهاء مـائتي رجل ممن بايعوا ليزيد سرا ، فمضوا إلى المسجد وكان فيه سلاح كـثير ، فأخـذوه ، وأخـذوا خـزان بيت المال وصـاحب البريد ، وأرسل يزيد إلى كل من كان يحذره فأخذ ، فما انتصف النهار حتى تبايـع الناس .

قـال : وندب يزيد الناس إلى الوليـد وهو بالأغـدف من عمان ، فـتلقاهم ثقل الوليـد فأخـذوه ، ونزلوا قـريبـا من الوليـد ، ثم أنهم اقـتـتلوا ، فـانكشف أصحاب الـولـيـد وتـفـرق الناس عنه ، فـدخل القصر وأغلق البـاب ورجع إلى الدار فـجلس وأخـذ مـصـحـفـا ، وقـال : يوم كـيوم عثمان ، فعلوا الحائط ونزل من الحائط عشرة رجـال ، فضربوه واحـتـز ابو عـلاقـة القـضاعي رأسه ، وقدم بالرأس على يزيد روح ابن مـقـبل ، فأمـر يزيد بنصب الرأس ، فنصبـه على رمح ، ثم أمر به فأرسل إلى أخيه سليمان ـ وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه .

قال أبو معشر : وقتل الوليد بن يزيد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة . واختلف في قدر المدة التي كان فيها خليفة . قال أبو معشر : كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر . وقال هشام : كانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما . واختلفوا في مبلغ سنه يوم قتل . قال هشام : قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . وقال ابن عمر : قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة . وقال بعضهم : وهو ابن اثنتين وأربعين سنة . وقيل غير ذلك ، وكان الوليد يكنى أبا العباس ، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي .

وفي هذه السنة قتل خالد بن عبد الله القسري . قتله يوسف بن عمر بعد أن عذبه. وفي هذه السنة بويع ليزيد بن الوليد الذي يقال له يزيد الناقص ، وإنما قيل: يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التي زادهموها الوليد بن يزيد في اعطياتهم . وفي هذه السنة اضطرب حبل بني مروان وهاجت ألفتنة . قال علي بن محمد : لما قتل الوليد خرج سليمان بن هشام من السجن وكان محبوسا بعمان ، فأخذ ما كان بعمان من الأموال ، وأقبل إلى دمشق ، وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر . قال : ووثب أهل حمص بأسباب العباس بن الوليد وهدموا داره وأظهروا الطلب بدم الوليد بن يزيد . قال أحمد بن زهير : كتب أهل حمص بينهم كتابا ، ألا يدخلوا في طاعة يزيد ، وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين ، فكتب معاوية إلى مروان بن عبد الله بن عبد الملك وكان عاملا للوليد على حمص، فتابعهم على ما أرادوا. قال: وكان أمر حمص لمعاوية بن يزيد بن حصين ، وليس إلى مروان بن عبد الله من أمرهم شيء . قال : وكان معهم أبو محمد السفياني فقال لهم : لو قد اتيت دمشق، ونظر إلي أهلها لم يخالفوني. فأقبل أهل حمص فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية، فقال لهم مروان بن عبد الله لست أرى المضيء إلى دمشق . فقال السمط بن ثابت : هذا والله العدو القريب الدار . قال فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه، وولوا عليهم أبا محمد السفياني ، وأرسلوا إلى سليمان بن هشام: إنا أتوك فأقم بمكانك ، فأقام . قال : فتركوا عسكر سليمان ذات اليسار ومضوا إلى دمشق ، وبلغ سليمان مضيهم ، فخرج مغذا ، فلقيهم بالسليمانية ـ مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق .

قال علي : لما بلغ يزيد أمر أهل حمص دعا عبد العزيز بن الحجاج ، فوجهه

في ثلاثة آلاف ، وأمره أن يثبت على ثنية العقاب ، ودعا هشام بن مصاد ، فوجهه في ألف وخمسمائة ، وأمره أن يثبت على عقبة السلام ، وأمرهم أن يمد بعضهم بعضا . قال يزيد بن مصاد : كنت في عسكرسليمان ، فلحقنا أهل حمص ، وقد نزلوا السليمانية ، فوقع القتال ، فقتل منهم زهاء مائتي رجل ، وأصيب من أصحاب سليمان نحو من خمسين رجلا . قال : فبينما هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثنية العقاب ، فشد عليهم ، حتى دخل عسكرهم ونفذ إلينا ، قال : وبعث سليمان بن هشام إلى أبي محمد السفياني ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأخذا ، ثم وجههما إلى يزيد بن الوليد فحبسهما في الخضراء مع ابني الوليد ، واجتمع أمر دمشق ، وبايعوا يزيد بن الوليد .

وفي هذه السنة وثب أهل فلسطين والأردن على عاملهم فقتلوه . قال علي بن محمد : كان سعيد بن عبد الملك عاملا للوليد على فلسطين ، فلما أتى قتل الوليد ـ ورأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روح بن زنباع ـ كتب إلى يزيد بن سليمان : أن أقدم علينا نولك أمرنا . وكتب إلى سعيد بن عبد الملك ـ وهو يومئذ نازل بالسبع : ارتحل عنا . فخرج سعيد إلى يزيد بن الوليد ، فدعا يزيد بن سليمان أهل فلسطين إلى قتال يزيد بن الوليد ، وبلغ أهل الأردن أمرهم ، فولوا عليهم محمد بن عبدالملك ، وبلغ يزيد أمرهم ، فوجه إليهم سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص . قال علي : قال عثمان بن داود : وجهني يزيد بن عبد الوليد إلى محمد بن عبد الملك ويزيد بن سليمان ، يدعوهما إلى طاعته ، ويعدهما ويمنيهما ، فأجابا .

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق وولاها منصور بن جمهور . قال أبو مخنف : قدم منصور بن جمهور إلى العراق ، فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب . وقدم منصور بن جمهور فأخذ بيوت الأموال ، وبايع ليزيد بن الوليد بالعراق ، وفي كورها . قال : فلما بلغ يوسف بن عمر البلقاء ، وجه إليه يزيد بن محمد بن سعيد الكلبي في خمسين فارسا ، فظفروا به ، فحبسه يزيد في السجن مع الغلامين ابني الوليد ، فكان في الحبس ولاية يزيد كلها ، فلما قدم مروان الشام ولي قتلهم يزيد بن خالد، فدخل السجن لشدخ الغلامين بالعمد، وأخرج يوسف فضرب عنقه . وفي هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور بن جمهور ، وقد كان يزيد بن الوليد ولاها منصورا مع

العـراق . قال أبو جعفر: وجه منصور أخاه منظور بن جمهور على الري ، فأرجفت الأزد في خـراسـان أن منظور بن جمهـور قـادم خـراسـان ، فـخطب نصر ، فقال في خطبتـه : ان جـاءنا أمير ظنين قطعنا يديه ورجليـه . قـال : ودعا الناس إلى البيعة فـبـايعوه . وفي هذه السنة كتب مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد ، اخي الوليد بن يزيد يأمـره بدم أخيـه الوليـد . وفـيـهـا عـزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العـراق ، وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان .

وفي هـذه الـسنة وقع الاخـتـلاف في خـراسـان بين اليمانيـة والنزارية ، وأظهـر الكرمـاني فيها الخلاف لنصر بن سيار ، واجتمع مع كل واحد منهما جماعة لنصرته . قـال علي : لما أتى نصرا عـهـده من قـبل عبد الله بن عمر قال الكرماني لأصحابه : الناس في فـتنة ، فـانظروا لأمـوركم رجـلا ـ وإنما سمي الكرماني لأنه ولد بكرمان ، واسـمـه جـديع بن علي بن شـبـيب ـ فـقـالوا : أنت لنا ، فـقالت المضرية لنصر : الكرمـاني يفـسـد عليك ، فأرسل إليـه فـاقـتله ، او فأحـبـسه ، فأمر نصر بحبس الكرمـاني ، فلما حـبس تكلم جماعـة من الأزد ، فنزلوا نوش ، ثم كتبوا إلى الكرماني أن يسـتـعد للخروج ، فأخرجوه من السجن ، فأتوا به قرية تسمى غلطان . قال : ثم اجـتـمع إلى نصر بشر كـثير ، فتهيأ الكرماني ليخرج إلى جرجان خوفا من سفك الدماء .

وفي هـذه الـسنة أمن يزيد بن الوليـد الحـارث بن سريج ، وكـتـب له بذلك ، فكتب إلى عـبـد الله بن عـمـر يأمره برد ماكان أخذ منه من ماله وولده . وفيها وجه إبراهيم بن محمـد الإمـام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان ، وبعث معه بالسيرة والوصيـة ، فـقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة ، فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمـد . وفي هذه السنة أخـذ يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس البيعة ، وجعله ولي عهده ، ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم بن الوليـد. وفـيـها أيضاً عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة ، وولاها عـبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان . وفيها أظهر مروان بن محمـد الخـلاف على يزيد بن الوليـد ، وانصرف من أرمـينيـة إلى الجزيرة ، مظهرا أنه طالب بدم الوليد بن يزيد . فلما صار بحران بايع يزيد .

وفي هذه السنة مـات يزيد بن الوليـد ، وكانت وفاته سلخ ذي الحجة من سنة

ست وعشرين ومائة . قال أبو معشر : وكانت خلافته ستة أشهر ، وقيل خمسة أشهر وليلتين . قال علي بن محمد : توفي يزيد وهو ابن ست وأربعين سنة ، وتوفي بدمشق . قال هشام : توفي وهو ابن ثلاثين سنة ، وقال بعضهم : توفي وهو ابن سبع وثلاثين سنة . وكان يكنى أبا خالد وأمه أم ولد اسمها شاه أفريد بنت فيروز ابن يزدجرد بن شهريار بن كسرى . وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز في قول الواقدي . وقال بعضهم : حج بالناس في هذه السنة عمر ابن عبد الله بن عبد الملك .

خلافة أبي إسحق إبراهيم بن الوليد

ثم كان إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك غير أنه لم يتم له أمر . قال علي : كان يسلم عليه جمعة بالخلافة ، وجمعة بالأمرة ، وجمعة لا يسلمون عليه ، حتى قدم مروان بن محمد فخلعه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك. قال هشام: مكث إبراهيم أربعة أشهر ثم خلع في شهر ربيع الآخر من سنة ست وعشرين ومائة، ثم لم يزل حيا حتى أصيب في سنة اثنتين وثلاثين ومائة قال أحمد بن زهير : كانت ولاية إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

وفي هذه السنة سار مروان بن محمد إلى الشام ووقعت الحرب بينه وبين سليمان بن هشام بعين الجرّ . قال أبو جعفر: لما أتى مروان موت يزيد ، شخص إلى إبراهيم بن الوليد ، فسار مروان في جند الجزيرة ، وخلف ابنه عبد الملك في أربعين ألفا من الرابطين بالرقة . فلما انتهى إلى قنسرين ، وبها أخ ليزيد بن الوليد يقال له بشر ، فنادى الناس ، ودعاهم مروان إلى بيعته ، فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية ، وأسلموا بشرا وأخا له يقال له مسرور بن الوليد ، فحبسهما مروان وسار فيمن معه إلى حمص ، وكان أهل حمص قد امتنعوا حين مات يزيد أن يبايعوا إبراهيم ، فوجه إليهم إبراهيم عبد العزيز بن الحجاج في جند من أهل دمشق ، فحاصرهم ، فلما دنا مروان من مدينة حمص ، رحل عبد العزيز عنهم ، وخرجوا إلى مروان فبايعوه . قال : ووجه إبراهيم بن الوليد الجنود مع سليمان بن

هشام ، فسار بهم حتى نزل عين الجرّ ، وأتاه مروان ، فالتقيا ، فاقتتلا فانهزمت جنود سليمان ، وهرب بمن معه إلى دمشق ، فنهب ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجنود وخرج من المدينة .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دعا إلى نفسه عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة ، وحارب بها عبدالله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، فهزمه عبد الله بن عمر ، فلحق بالجبال فغلب عليها . قال : وفيها وافى الحارث بن سريج مرو ، خارجا إليها من بلاد الترك بالأمان الذي كتب له يزيد بن الوليد ، فصار إلى نصر بن سيار ، ثم خالفه وأظهر الخلاف له ، وبايعه على ذلك جمع كبير . قال علي بن محمد : كان الحارث كلما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه ، فانضم إليه ثلاثة آلاف .

خلافة مروان بن محمد

قال أحمد بن زهير: لما قيل: قد دخلت خيل مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد وتغيب ، فانتهب سليمان ما كان في بيت المال وخرج من المدينة ، وثار من فيها من موالي الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ، ونبشوا قبر يزيد وصلبوه على باب الجابية ، ودخل مروان دمشق فنزل عالية ، فبايعه الناس .

قال أبو جعفر : فلما استوت لمروان الشام طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهم ، فقدم عليه سليمان ، وكان يومئذ بتدمر بمن معه من أهله . وفي هذه السنة انتقض على مروان أهل حمص وسائر أهل الشام فحاربهم .

قال أحمد بن زهير : وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم ، وبلغ مروان خبرهم ، فسار إليهم بنفسه من منزله بحران ، فقاتلهم بجيشه ، فقتل عامة أهل حمص ، ثم أرسل جيشه إلى دمشق ، فهزموا من كان بها . قال : وخرج ثابت بن نعيم من أهل فلسطين ، حتى أتى مدينة طبرية ، فحاصر أهلها ، وعليها معاوية ابن مروان ، فكتب إلى مروان بذلك ، فلما دنا جيش أهل الشام انهزم ثابت بن نعيم بمن معه . قال : فولى مروان الرماحس بن عبد العزيز الكناني فلسطين وأمره بطلب ثابت ، فأخذه ومعه نفر ، فأتي به مروان ، فأمر به وببنيه ، فقطعت أيديهم وأرجلهم وأقيموا على باب المسجد في دمشق ، ثم قتلهم وصلبهم أمام الناس .

وفي هذه السنة دخل الضحـاك بن قيس الشيباني الكوفة . قال أحمد بن زهير: كـان سبب خروج الضحـاك أن الوليـد حين قـتل خرج بالجزيرة حروري يقال له سعـيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة ، فيهم الضحاك ، فاغتنم قتل الوليـد وانشغـال مـروان بالشـام ، فـمضى نحو العراق لما بلغه من تشتيت الأمر بها واختـلاف أهل الشـام ، قـال : فمات سعـيـد بن بهدل في وجهه ذلك من طاعون أصـابه ، واستـخلف الضحـاك بن قيس ، فاجتمع مع الضحاك نحو من ألف ثم توجـه إلى الكوفـة ، ومـر بأرض الموصل ، فـاتبـعه منها ومن أهل الجزيرة نحو ثلاثة آلاف، فـخرج إليهم عبدالله بن عمر في جند من أهل الشام ، فاقتتلوا قتالا شديدا، وانهزم عـبـد الله بن عـمر وهرب في جماعته إلى واسط ، فاستولى الضحاك على الكوفة وأرضـهـا . قـال : ثم إن منصور بن جمهور وعبد الله بن عمر ، خرجا إلى الضحاك فبايعاه .

وفي هذه السنة خلع سليمان بن هشـام مـروان بن محمـد ونصب الحرب . قال أحمد بن زهير : لما شـخص مـروان من الرصـافـة إلى الرقـة لتـوجـيـه ابن هبيرة إلى العـراق لمحـاربة الضحـاك بن قـيس استأذنه ابن هشام في مقام أيام ، لاجماع ظهره واصـلاح أمـره ، فأذن له . ومـضى مـروان ، فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مـروان قطع عليـه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم،حتى جاؤوا الرصافة، فـدعـو سليمان إلى خلع مـروان ومحاربتـه ، فأجـابهم ، وخـرج إليهم باخواته وولده ومـواليـه ، فـعـسكر بهم وسـار بجمعهم إلى قنسرين ، فسار إليه مروان بن محمد ، فـالتـقـوا ، فـاقـتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم سليمان ومن معه ، واتبعتهم خيول مروان تقـتلهم وتأسرهم ، فـاحـصى من قتلاهـم يومئذ نيف على ثلاثين ألفا ، وقتل إبراهيم ابـن سلـيمان أكبر ولده . قـال : ومـضى سليمان مـغلولا حـتى انتـهى إلى حمص ، فـانضم إليـه من أفلت ممن كـان مـعه ، فعسكر بها ، ثم شخص مروان إلى سليمان ومن تجـمع مـعـه بحمص ، فلما أتوا سليمان خلف أخاه سعيد بن هشام في حمص . ومـضى هو إلى تدمـر ، فأقـام بها ، ونزل مـروان على حمص ، فـحاصرهم بها عشرة أشهـر ، ونصـب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقا ، فلما تتابع عليهم البلاء ، سـألوه أن يؤمنهم على أن يمكنوه من سـعيد بن هشام وابنيه عثمان ومروان، فأجابهم إلى ذلك، فأمـر بالاستـيـثاق من سعيد وابنيه وأقبل متوجها إلى الضحاك . وقيل أن سليمان بن

هشام حين هزمه مروان يوم خساف ، أقبل هاربا حتى صار إلى عبد الله بن عمر ، فخرج معه إلى الضحاك فبايعه .

وفي هذه السنة كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنه في أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنه قد استخلف حفص بن سليمان . وكتب إبراهيم إلى أبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه ، وكتب إلى أهل خرسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه . قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامل مروان على المدينة ومكة والطائف .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

وفي هذه السنة قتل الحارث بن سريج بخراسان . قال علي بن محمد : لما ولي ابن هبيرة العراق ، كتب إلى نصر بعهده ، فبايع لمروان ، فقال الحارث : إنما أمنني يزيد بن الوليد ، ومروان لا يجيز أمان يزيد ، فلا أمنه. فدعا إلى البيعة ، قال : فلما خرج نصر من مرو غلب عليها الكرماني ، وقال للحارث : إنما اريد كتاب الله ، فأنكر الحارث هدم الدور وانتهاب الأموال ، فهمّ الكرماني به ، ثم كف عنه . قال : وأرسل الحارث إلى الكرماني يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى ، فأبى الكرماني ، فاقتتلوا ، فقتل الحارث وهزم أصحابه .

وفي هذه السنة قتل الضحاك بن قيس . قال أبو مخنف : ارتحل الضحاك حتى لقي مروان بكفر توثا من أرض الجزيرة ، فقتل الضحاك يوم التقوا . قال أحمد بن زهير: فلما قتل الضحاك أصبح أهل عسكره وبايعوا الخيبري، وسليمان بن هشام يومئذ في مواليه وأهل بيته مع الخيبري ، فحمل الخيبري على مروان في نحو من أربعمائة فارس ، فهزم مروان ، ودخل الخيبري فيمن معه عسكره ، فلما رأى أهل عسكر مروان قلة من مع الخيبري ثار إليه عبيد من أهل العسكر بعمد الخيام ، فقتلوا الخيبري وأصحابه ، وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر منهزما ، فانصرف إلى عسكره ورد خيوله عن مواضعها ومواقفها . فانصرف أهل عسكر الخيبري فولوا عليهم شيبان وبايعوه ، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل الصف منذ يومئذ . قال : وفي هذه السنة وجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج ، وحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز .

وفي هذه السنة وجه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان ، وفيها لقي أبو حمزة الخارجي عبد الله بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه . قال العباس بن عيسى العقيلي : كان أول أمر أبي حمزة أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد ، فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخرسنة ثمان وعشرين ومائة ، فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

وفي هذه السنة قتل شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، قال أبو جعفر : لما قتل الضحاك بن قيس رئيس الخوارج والخيبري من بعده ، ولوا عليهم شيبان وبايعوه ، فقاتلهم مروان . قال هشام بن محمد : فأشار عليهم سليمان بن عبد الملك بالانصراف إلى الموصل ، فرحلوا إليها وعسكروا على شواطىء دجلة ، فاتبعهم مروان ، فاقتتلوا تسعة أشهر ، ويزيد بن عمر بن هبيرة بقرقيسيا في جند كثيف من أهل الشام ، فأمره مروان أن يسير إلى الكوفة ، وعليها يومئذ المثنى بن عمران ، من الخوارج ، فسار إليهم ، فخرجوا إليه ، فهزمهم ، واستباح هبيرة عسكرهم ، وبلغ شيبان خبرهم ، فارتحل فيمن معه وأخذ في فرقته إلى ناحية البحرين ، فقتل بها ، وركب سليمان بن عبد الملك فيمن معه إلى السند ، وانصرف مروان إلى منزله من حران . وفي هذه السنة أمر إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بنِ العباس أبا مسلم ، باظهار الدعوة في خراسان . قال علي بن محمد : بث أبو مسلم دعاته في الناس ، وظهر أمره ، وقال الناس : قدم رجل من بني هاشم ، فأتوه من كل وجه . قال : وكان أبو مسلم إذا كتب إلى نصر بن سيار يكتب : للأمير نصر فلما قوى أمره بمن اجتمع إليه من الشيعة ، كتب إلى نصر : أما بعد ، فإن الله تبارك اسماؤه عير أقواما في القرآن فقال : ﴿ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ قال : فتعاظم نصر الكتاب ووجه إلى أبي مسلم مولى له يقال له يزيد في خيل عظيمة لمحاربة أبي مسلم بعد ثمانية عشر شهرا من ظهوره ، فوجه إليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعي ومعه مصعب بن قيس ، فالتقوا في قرية تدعى ألين ، فاقتتلوا ، فقتل من

شيعة بني مروان أربعة وثلاثون رجلا ، وأسر منهم ثمانية نفر ، وأسر مولى نصر ، وانهزم أصحابه ، فدعى أبو مسلم مولى نصر ، فقال : إن شئت أن تقيم معنا وتدخل في دعوتنا فقد أرشدك الله ، وإن كرهت فارجع إلى مولاك ، فاختار الرجوع إلى مولاه وقال أبو مسلم : إن هذا سيرد عنكم أهل الورع والصلاح ، فإنا عندهم على غير الإسلام . وقدم يزيد على نصر بن سيار ، فقال : والله ما ظننت استبقاك القوم إلا ليتخذونك حجة علينا ، فقال يزيد : فهو والله ما ظننت ، إنهم يصلون الصلوات لمواقيتها بآذان وإقامة ، ويتلون الكتاب ، ويذكرون الله كثيرا ، وما أحسب أمرهم إلا سيعلو ، ولولا أنك مولاي اعتقتني من الرق ما رجعت إليك . فهذه أول حرب كانت بين الشيعة وشيعة بني مروان .

وفي هذه السنة غلب خازم بن خزيمة على مروروذ ، وقتل عامل نصر بن سيار ، وكتب بالفتح إلى أبي مسلم مع خزيمة بن خازم . قال علي : خرج خازم فعسكر في قرية يقال لها كنج رستاه ، فلما أمسى بيت أهل مروروذ ، فقتل بشر بن جعفر السغدي ، وكان عاملا لنصر بن سيار على مروروذ ، وبعث بالفتح إلى أبي مسلم . وفي هذه السنة تحالفت وتعاقدت عامة من كان بخراسان من قبائل العرب على قتال أبي مسلم ، وذلك حين كثر أتباع أبي مسلم وقوي أمره . قال علي : لما ظهر أبو مسلم ، تسارع إليه الناس ، وكان الكرماني وشيبان لا يكرهان أمر أبي مسلم ، لأنه دعا إلى خلع مروان بن محمد . قال : وبعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي إلى هراة وعليها عيسى بن عقيل الليثي ، فطرده عن هراة ، فقدم عيسى على نصر منهزما ، وغلب النضر على هراة . قال : فأرسل ابن الكرماني إلى أبي مسلم يستنصره على نصر بن سيار ، فأقبل أبو مسلم حتى أتى الماخون . قال أبو الخطاب : ثم إن أهل القبائل من مضر وربيعة وقحطان توادعوا على وضع الحرب ، وعلى أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبي مسلم ، فنظر أبو مسلم في أمره ، فإذا ماخوان سافلة الماء ، فتخوف أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء ، فتحول إلى آلين ، فخندق فيها خندقاً أمام القرية ، وعسكر نصر بن سيار على نهر عياض ، ووضع عاصم بن عمرو ببلاش جرد، ووضع أبا الذيال بطوسان، ووضع بشر بن أنيف اليربوعي بجلفر ، ووضع حاتم بن الحارث بن سريج بخرق ، فأما أبو الذيال فانزل جنده على أهلها مع أبي مسلم في الخندق ، فأذوا أهل طوسان،

فشكت الشيعة إلى ابي مسلم ، فوجه معهم خيلا ، فلقوا أبا الذيال فهزموه ، وأسروا من أصحابه ميمونا الأعسر في نحو من ثلاثين رجال ، فكساهم أبو مسلم وخلى لهم الطريق .

وفي هذه السنة قتل جديع بن علي الكرماني وصلب . قال أبو جعفر : لما قتل الكرماني الحارث ، خلصت له مرو بقتله إياه ، وتنحى نصر بن سيار إلى أبرشهر ، وقوي أمر الكرماني ، فوجه نصر إليه مالك بن عمرو التميمي فأقبل في أصحابه ، حتى لقي أصحاب الكرماني وعليهم محمد بن المثنى ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب نصر ، وقد قتل منهم سبعمائة رجل ، وقتل من أصحاب الكرماني ثلاثمائة رجل ، ولم يزل الشر بينهم حتى خرجوا جميعاً إلى الخندقين ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فلما استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أثخن صاحبه ، أقبل بمن معه حتى نزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جديع الكرماني ، وهابه الفريقان ، وكثر أصحابه ، فكتب نصر إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تبعه ، وانه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية وهو على دمشق يأمره أن يكتب إلى عامل البلقاء، فيسير إلى كرار الحميمة ، فليأخذ إبراهيم بن محمد ويشده وثاقا ، فوجه الوليد إلى عامل البلقاء فأتى إبراهيم وهو في مسجد القرية ، فأخذه وكتفه وحمله إلى الوليد ، فحمله إلى مروان فحبسه مروان في السجن .

قال أبو جعفر : وبعث أبو مسلم إلى الكرماني : إني معك ، فقبل ذلك الكرماني وانضم إليه أبو مسلم، فاشتد ذلك على نصر، فأرسل إلى الكرماني: هلم إلى الموادعة ، فتدخل مرو ، فنكتب بيننا كتابا بصلح ، فخرج الكرماني حتى وقف في الرحبة ، فأبصر نصر منه غرة ، فوجه إليه ابن الحارث بن سريج في نحو من ثلاثمائة فارس ، فاقتتلوا بها طويلا . قال : ثم إن الكرماني طعن في خاصرته فخر عن دابته ، فأقبل نصر فقتله وصلبه ، فأقبل علي ابن الكرماني ـ وقد كان صار إلى أبي مسلم ـ فسار بهم إلى نصر بن سيار فقاتله حتى أخرجه من دار الامارة ، وأقبل أبو مسلم حتى دخل مرو ، فأتاه علي بن الكرماني فسلم عليه بالإمرة .

وفي هذه السنة غلب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب على فارس . ووافى الموسم أبو حمزة الخارجي ، من قبل عبدالله بن يحيى طالب الحق ،

محكما مظهرا للخلاف على مروان بن محمد . وحج بالناس في هذه السنة عبدالواحد ابن سليمان بن عبدالملك بن مروان . قال العباس بن عيسى العقيلي : فراسلهم عبدالواحد ، وصالحهم على أنهم جميعاً آمنون ، بعضهم من بعض ، حتى ينفر الناس النفر الأخير .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة

وفي هذه السنة دخل أبو مسلم حائط مرو ونزل دار الإمارة بها ، ووافقه علي ابن جديع الكرماني على حرب نصر بن سيار . قال أبو جعفر : وكان دخول أبي مسلم الماخوان منصرفا عن ألين سنة ثلاثين ومائة، للنصف من صفر يوم الخميس، فأقام أبو مسلم في خندقه بالماخوان ثلاثة أشهر ، ثم دخل حائط مرو يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة . قال أبو الخطاب : وهرب نصر عن مرو الغد من يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الأولى ، وصفت مرو لأبي مسلم . فلما دخلها أمر أبا منصور طلحة بن رزيق بأخذ البيعة على الجند .

وفي هذه السنة قتل شيبان بن سلمة الحروري . قال علي بن محمد: أرسل أبو مسلم إلى شيبان يدعوه إلى البيعة ، فأبى ، وسار إلى سرخس ، واجتمع إليه جمع كثير من بكر بن وائل ، وأرسل شيبان إلى ابن الكرماني يستنصره ، فأبى . قال : فبعث إليه أبو مسلم تسعة من الأزد ، فأخذهم شيبان فسجنهم ، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث بيبورد ، يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله . ففعل ، فهزمه بسام ، واتبعه حتى دخل المدينة ، فقتل شيبان وعدة من بكر بن وائل .

وفي هذه السنة قتل أبو مسلم عليا وعثمان ابني جديع الكرماني . قال أبو جعفر : وجه أبو مسلم موسى بن كعب إلى أبيورد فافتتحها ، ووجه أبا داود إلى بلخ فافتتحها ، ثم كتب إلى أبي داود يأمره بالقدوم عليه ، ووجه النضر بن صبيح المري على بلخ . وقدم أبو داود واجتمع رأي أبي داود وأبي مسلم على قتل علي وعثمان ابني الكرماني في يوم واحد ، فوثب أبو داود على عثمان وأصحابه فضرب أعناقهم صبرا . وقتل أبو مسلم في ذلك اليوم علي بن الكرماني وأصحابه .

وفي هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم خراسان منصرفا من عند

إبراهيم بن محمد بن علي ومعه لواؤه الذي عقده له إبراهيم ، فوجهه أبو مسلم على مقدمته ، وضم إليه الجيوش وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة ، ووجهه أبو مسلم إلى نيسابور للقاء نصر بن سيار . قال أبو جعفر : فسار قحطبة إلى نيسابور ، فالتقى بجيش نصر وعليهم تميم بن نصر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل تميم في المعركة ، وقتل معه منهم مقتلة عظيمة ، واستبيح عسكرهم ، فبلغ ذلك نصر ، فارتحل هارباً حتى نزل قومس ، فسار إلى نباتة بن حنظلة بجرجان . وقدم قحطبة نيسابور بجنوده . قال علي بن محمد : فأقبل قحطبة إلى جرجان ، فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض ، فقتل نباتة ، وانهزم أهل الشام فقتل منهم عشرة آلاف .

وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بقديد بين أبي حمزة الخارجي وأهل المدينة . قال العباس بن عيسى العقيلي : إن عبدالواحد بن سليمان استعمل عبدالعزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان على الناس ، فخرجوا حتى نزلوا قديد ، فنزلوها ليلا ، فلم يرعهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من القصير ، وكانت المقتلة على قريش، هم كانوا أكثر الناس، وبهم كانت الشوكة، وأصيب منهم عدد كبير. وفي هذه السنة دخل أبو حمزة الخارجي من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهرب عبدالواحد بن سليمان إلى الشام . قال محمد بن عمر : كانت الحرورية أربعمائة ، فالتقوا مع أهل المدينة لسبع ليال خلون من صفر يوم الخميس سنة ثلاثين ومائة ، فقتل أهل المدينة ، لم يفلت منهم إلا الشريد ، وقتل أميرهم عبدالعزيز بن عبدالله . واختلف في قدر مدة مقام الحرورية بالمدينة . قال الواقدي : كان مقامهم بها ثلاثة أشهر ، وقال غيره : أقاموا بها بقية صفر وشهري ربيع وطائفة من جمادى الأولى . وكان عدة من قتل من أهل المدينة بقديد ـ فيما ذكر الواقدي ـ سبعمائة .

قال العباس : ثم إن مروان بن محمد انتخب من عسكره أربعة آلاف ، واستعمل عليهم عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي ، وأمره بالجد في السير إلى أبي حمزة وجماعته . قال ابن عمر : فسار أبو حمزة وأصحابه إليهم ، فلقيتهم خيل مروان بوادي القرى . فاقتتلوا ؛ فقتل أبو حمزة ورجع أصحابه إلى المدينة ، فلقيهم أهل المدينة فقتلوهم . قال بعضهم : أقام ابن عطية بالمدينة حين دخلها شهرا ، ثم مضى إلى مكة ، واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية ، ثم مضى إلى مكة وإلى اليمن واستخلف على مكة ابن ماعز . ولما مضى ابن عطية بلغ

عبدالله بن يحيى - وهو بصنعاء - مسيره إليه ، فاقبل إليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية ، فقتل ابن عطية عبدالله بن يحيى ، ودخل صنعاء .

وفي هذه السنة غزا الصائفة الوليد بن هشام ، فنزل العمق وبنى حصن مرعش . وفيها وقع الطاعون بالبصرة . وفي هذه السنة أجمع أهل جرجان على الخروج على قحطبة بن شبيب ، فاستعرضهم قحطبة وقتل منهم زهاء ثلاثين ألفا ، فلما بلغ نصر بن سيار قتل قحطبة من قتل من أهل جرجان وهو بقومس ، ارتحل حتى نزل خوار الري . قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبدالملك بن مروان .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة

وفي هذه السنة مات نصر بن سيار . قال علي بن محمد : أقام نصر بالري يومين ثم مرض ، فرحل يريد همذان ، فلما كان بساوة قريباً منها مات بها . فقدم قحطبة الري فنزلها . قال على : ولما كتب قحطبة إلى أبي مسلم بنزوله الري ارتحل أبو مسلم من مرو ، فنزل نيسابور وخندق بها . قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قتل عامر بن ضبارة . قال أبو جعفر : كتب ابن هبيرة إلى عامر بن ضبارة أن يسير إلى قحطبة ، وبلغ ذلك قحطبة ، فخرج إليه في عشرين ألفا وابن ضبارة في مائة ألف ، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهل الشام ، وقتلوا قتلا ذريعا ، وانهزم ابن ضبارة واتبعه قحطبة فقتله .

وفي هذه السنة كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمن كان لجأ إليها من جنود مروان ابن محمد . وقيل كانت الوقعة بجابلق من أرض أصبهان يوم السبت لسبع بقين من رجب . وفي هذه السنة أيضا كانت وقعة أبي عون بشهرزور . قال علي : وجه قحطبة أبا عون عبدالملك بن يزيد الخراساني ومالك بن طريف في أربعة آلاف إلى شهرزور، وبها عثمان بن سفيان، فاقتتلوا، فقتل عثمان بن سفيان ـ وقيل هرب ـ وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة . وفي هذه السنة سار قحطبة نحو ابن هبيرة ، فارتحل ابن هبيرة إلى الكوفة . قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة الوليد ابن عروة بن محمد بن عطية السعدي .

ثم دخلت سنة إثنتين وثلاثين ومائة

وفي هذه السنة قتل قحطبة بن شبيب . قال علي : سار قحطبة إلى ابن هبيرة في الكوفة ، فلما انتهى إلى المخاضة التي ذكرت له ، حمل في عدة من أصحابه على ابن هبيرة ، فولى أصحاب ابن هبيرة منهزمين ، وأنهزم أهل الشام ، وفقدوا قحطبة فكان بين القتلى ، فبايع الناس ابنه الحسن بن قحطبة . قال علي : ورجع ابن هبيرة إلى واسط .

وفي هذه السنة خرج محمد بن خالد بالكوفة ، وسود قبل أن يدخلها الحسن ابن قحطبة ، وخرج عنها عامل ابن هبيرة ثم دخلها الحسن . قال أبو مخنف : خرج محمد بن خالد بالكوفة في ليلة عاشوراء ، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثي ، وسود محمد وسار إلى القصر ، فارتحل زياد ، وكتب محمد بن خالد إلى قحطبة ، وهو لا يعلم بهلكه ، يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة ، فقدم الكتاب على الحسن بن قحطبة ، فارتحل نحو الكوفة فأتوا أبا سلمة وهو في بني سلمة فاستخرجوه ، فوجه أبو سلمة الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة ، ثم فرق عماله في البلدان .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بويع لأبي العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر ، كذلك في قول أبي معشر وهشام بن محمد . وأما الواقدي فإنه قال : بويع لأبي العباس بالمدينة بالخلافة في جمادى الأولى في سنة إثنتين وثلاثين ومائة .

خلافة أبي العباس

قال أبو جعفر : أتى القوم أبا العباس ، فسلموا عليه بالخلافة ، وخرج أبو العباس على برذون أبلق يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، وصعد داود بن علي فقام دونه ، فتكلم أبو العباس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : استعدوا ، فأنا السفاح المبيح ، والثائر المبير . وكان موعوكا فاشتد به الوعك. فجلس على المنبر، وصعد داود بن علي فقام دونه وطلب من الناس الدعاء لأمير المؤمنين فعج الناس له بالدعاء . قال : ثم نزل أبو العباس وداود ، حتى دخل القصر ، وأجلس أبا

جعفر ليأخذ البيعة على الناس في المسجد ، فلم يزل يأخذها عليهم ، حتى صلى بهم العصر ، ثم صلى بهم المغرب ، وجنهم الليل ، فدخل .

وفي هذه السنة هزم مروان بن محمد بالزاب . قال علي بن محمد : إن أبا عون عبدالملك بن يزيد الأزدي وجهه قحطبة إلى شهرزور من نهاوند ، فقتل عثمان ابن سفيان ، وأقام بناحية الموصل ، وبلغ مروان أن عثمان قد قتل ، فأقبل من حران فنزل دجلة ، وحفر خندقا ، فسار إليه أبو عون ، فنزل الزاب ، فلما ظهر أبو العباس أمده بالجند وعليهم عبدالله بن علي ، فبعث عبدالله بن علي المخارق بن غفار في أربعة آلاف ، فأقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبدالله بن علي ، فسرح مروان بن محمد إليه الوليد بن معاوية ، فلقي المخارق ، فانهزم أصحابه ، وأسروا . قال علي : وبلغ عبدالله بن علي انهزام المخارق ، فسار على ميمنته أبو عون ، فنزل الناس ، واشرعوا الرماح ، وجثوا على الركب ، فقاتلوهم ، فجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يدفعون . قال : ثم انهزم أهل الشام ، وانهزم مروان ، وقطع الجسر ، فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل ، فكان فيمن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك المخلوع ، وأمر عبدالله بن علي ، فعقد الجسر على الزاب ، واستخرجوا الغرقى فأخرجوا ثلاثمائة . وكانت هزيمة مروان بالزاب ـ فيما ذكر ـ صبيحة يوم السبت لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة .

وفي هذه السنة قتل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس . قال أبو جعفر : اختلف أهل السير في أمره ، فقال بعضهم : لم يقتل ولكنه مات في سجن مروان بن محمد بالطاعون . قال أحمد بن زهير : هلك إبراهيم في سجن حران في وباء وقع بحران . وقال عمر بن شبة : هدم مروان على إبراهيم بن محمد بيتا فقتله . وقال بعضهم : احتيل عليه في السجن فشرب لبنا ، فما بات إلا ليلته وأصبح من غد ميتا .

وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم . قال أحمد بن زهير: انهزم مروان من الزاب وسار إلى حران وبها أبان بن يزيد بن محمد بن مروان ، فلما دنا منه عبدالله بن علي حمل أهله وولده وعياله ومضى منهزما ، وقدم عبدالله بن علي ، فتلقاه أبان مبايعاً له . قال : ومضى مروان حتى مر بقنسرين وعبدالله متبع له . ثم مضى إلى حمص حتى مر بدمشق وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ،

فمضى وخلفه بها حتى قدم عبدالله بن علي عليه ، فحاصره أياما ، ثم فتحت المدينة ودخلها عنوة معترضا أهلها ، وقتل الوليد بن معاوية فيمن قتل . قال : ومر مروان بالأردن ، فشخص معه ثعلبة بن سلامة العاملي ، وكان عامله عليها ، وتركها ليس عليها وال ، حتى قدم عبدالله فولى عليها ، ثم قدم فلسطين وعليها الرماحس بن عبدالعزيز . فشخص معه ، ومضى مروان حتى قدم مصر ، ثم خرج منها حتى نزل منزلاً يقال له بوصير ، فبيته عامر بن إسماعيل وشعبة ومعهما خيل أهل الموصل فقتلوه بها. وهرب عبدالله وعبيدالله ابنا مروان إلى أرض الحبشة، فلقوا من الحبشة بلاء ، فقتلوا عبيد الله ، وافلت عبدالله في عدة من معه .

قال أبو جعفر : وقتل مروان يوم قتل وهو ابن إثنتين وستين سنة في قول بعضهم ، وفي قول الآخرين : وهو ابن تسع وستين ، وفي قول الآخرين : وهو ابن ثمان وخمسين . وقتل يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة ، وكانت ولايته من حين بويع إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما ، وكان يكنى أبا عبدالملك .

وفي هذه السنة خلع أبو الورد أبا العباس بقنسرين . قال أحمد بن زهير : خلع أبو الورد أبا العباس ودعا أهل قنسرين إلى ذلك فوافقوه ، وكان أبو الورد - واسمه مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي ، من أصحاب مروان وقواده وفرسانه - قال : فلما بلغ عبدالله بن علي خلعهم ، وكان يومئذ مشتغل بحرب حبيب بن مرة المري ، دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه وآمنه ومن معه ، وخرج متوجهاً نحو قنسرين للقاء أبي الورد ، فمر بدمشق ، فخلف فيها أبا غانم عبدالحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف . فلما قدم حمص في وجهه ذلك انتقض عليه بعده أهل دمشق وأعلنوا الخلع ، ونهضوا مع عثمان بن عبدالأعلى الأزدي . قال : فلقوا أبا غانم فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، ومضى عبدالله بن علي إلى ابي الورد ، فالتقوا بمرج الأخرم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل أبو الورد في نحو خمسمائة من أهل بيته وقومه ، وأمن عبدالله أهل قنسرين ، ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق، فلما دنا منهم، هرب الناس وتفرقوا، ولم يكن بينهم وقعة، وأمن عبدالله أهلها ، وبايعوه ، ولم يأخذهم بما كان منهم .

وفي هذه السنة خلع أهل الجزيرة أبا العباس . قال أحمد بن زهير : فوجه أبو

العباس أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود ، فقدم على أهل الجزيرة وعليهم إسحاق بن مسلم ، فكاتبه إسحاق وطلب إليه الأمان ، فأجابه إلى ذلك وكتب أبو جعفر إلى أبي العباس ، فأمرهم أن يؤمنوه ومن معه ، ففعلوا وكتبوا بينهم كتابا . فاستقام أهل الجزيرة وأهل الشام ، وولى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة كلها ، فلم يزل على ذلك حتى استخلف .

وفي هذه السنة أمر أبو مسلم بقتل أبي سلمة ووجه محمد بن الأشعث على فارس وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم ، ثم وجه أبو العباس بعد ذلك إسماعيل بن علي واليا على فارس . وفي هذه السنة أيضاً وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر والياً على الجزيرة ، ووجه أخاه يحيى بن محمد والياً على الموصل . وفيها عزل عمه داود بن علي عن الكوفة ، وولاه المدينة ومكة واليمن واليمامة وولى الكوفة عيسى بن موسى . وكان العامل على البصرة سفيان بن معاوية المهلبي ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى الجزيرة عبدالله بن محمد ، وعلى كور الشام عبدالله بن علي، وعلى مصر أبو عون عبدالملك بن يزيد، وعلى خراسان أبو مسلم. وحج بالناس في هذه السنة داود بن علي بن عبدالله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة

وفي هذه السنة وجه أبو العباس عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها، ووجه عمه إسماعيل بن علي على كور الأهواز . وفيها مات داود بن علي بالمدينة ، وكانت ولايته ـ فيما ذكر محمد بن عمر ـ ثلاثة أشهر . فوجه أبو العباس على المدينة ومكة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبيدالله الحارثي ، ووجه محمد بن يزيد بن عبدالله على اليمن . وفيها كتب أبو العباس إلى أبي عون باقراره على مصر والياً عليها . وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية ففتحها . وفيها خرج شريك ابن شيخ المهري بخرسان على أبي مسلم ، فوجه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله . وفيها توجه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوخش إلى الختل ، فدخلها . وفيها قتل عبدالرحمن بن يزيد بن المهلب ، قتله سليمان الذي يقال له الأسود . وفيها عزل أبو العباس يحيى بن محمد عن الموصل ، واستعمل مكانه إسماعيل بن علي . وحج بالناس في هذه السنة زياد بن عبيدالله الحارثي .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

وفي هذه السنة خالف بسام بن إبراهيم ، وخلع ، وشخص من عسكر أبي العباس إلى أمير المؤمنين مع جماعة ممن شايعه على ذلك من رأيه ، فوجه إليهم أبو العباس خازم بن خزيمة ، فهزمهم وقتل أكثرهم . وفي هذه السنة وجه أبو العباس خازم بن خزيمة إلى عُمان لقتال من فيها من الخوارج ، فخرج مع سبعمائة رجل ، فسارو حتى أرسوا بحزيرة ابن كاوان ، فالتقوا مع شيبان وأصحابه وهم صفرية ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل شيبان ومن معه ، ثم سار خازم إلى ساحل عُمان ، فلقيهم الجلندي وأصحابه - وهم إباضية - فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل الجلندي في جماعة من أصحابه ، وأقام خازم بعد ذلك أشهر ثم قفل راجعا .

وفي هذه السنة غزا أبو داود خالد بن ابراهيم أهل كسّ فقتل الأخريد ملكها ورجع إلى بلخ . وفيها وجه أبو العباس موسى بن كعب إلى الهند لقتال منصور بن جمهور ، فلقيه في اثني عشر ألفا ، فهزمه ومن معه ومضى منصور فمات عطشا في الرمال . وفيها توفي محمد بن يزيد بن عبدالله وهو على اليمن ، فكتب أبو العباس إلى علي بن الربيع ، وهو عامل لزياد بن عبيد الله على مكة بولايته على اليمن فسار إليها . وفيها تحول أبو العباس من الحيرة إلى الأنبار . وفيها عزل صالح بن صبيح عن أرمينية وجعل مكانه يزيد بن أسيد . وفيها عزل مجاشع بن يزيد عن أذربيجان، واستعمل عليها محمد بن صول . وحج بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى وهو على الكوفة .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

وفي هذه السنة خرج زياد بن صالح وراء نهر بلخ ، فشخص أبو مسلم من مرو مستعداً للقائه، حتى انتهى إلى آمل . فلجأ زياد إلى دهقان باركث ، ولجأ معظم قواده إلى أبي مسلم ، فوثب عليه الدهقان ، فضرب عنقه ، وجاء برأسه إلى أبي مسلم . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن علي ، وهو على البصرة .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

وفي هذه السنة قدم أبو مسلم العراق من خراسان على أبي العباس أمير

المؤمنين فأعظمه وأكرمه ، ثم استأذن أبا العباس في الحج ، فأذن له ، وحج معه أبو جعفر المنصور . وفي هذه السنة عقد أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي لأخيه أبي جعفر الخلافة من بعده ، ومن بعد أبي جعفر عيسى بن موسى . وفي هذه السنة توفي أبوالعباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة. وكانت وفاته فيها قيل بالجدري . واختلف في مبلغ سنه يوم وفاته ، فقال بعضهم: كان له يوم توفي ثلاث وثلاثون سنة . وقال هشام : كان ابن ست وثلاثين سنة . وقيل : ثمان وعشرون سنة . وكانت ولايته من لدن قتل مروان بن محمد إلى أن توفي أربع سنين ، وكان ـ فيما ذكر ـ ذا شعرة جعدة وكان طويلا أبيض أقنى الأنف، حسن الوجه واللحية .

خلافة أبي جعفر المنصور

وفي هذه السنة بويع لأبي جعفر المنصور وهو عبدالله بن محمد بالخلافة ، وذلك في اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو العباس ، وأبو جعفر يومئذ بمكة ، وكان الذي أخذ البيعة بالعراق لأبي جعفر بعد موت أبي العباس عيسى بن موسى ، وكتب إليه عيسى يعلمه بالخبر وبالبيعة له ، وبايع له أبو مسلم وبايع الناس واقبلا حتى قدما الكوفة . وفي هذه السنة بعث عيسى بن موسى وأبو الجهم يزيد بن زياد أبا غسان إلى عبدالله بن علي ببيعة المنصور ، فانصرف عبدالله بن علي بمن معه من الجيوش ، قد بايع لنفسه حتى قدم حران . وأقام الحج للناس في هذه السنة أبو جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

وفي هذه السنة قدم أبو جعفر المنصور من مكة ونزل الحيرة ثم شخص إلى الأنبار وأقام بها ، وجمع إليه أطرافه . وفيها سرح أبو جعفر لقتال عبدالله بن علي أبا مسلم ، فأقبل أبو مسلم حتى نزل في موضع عسكر عبدالله بن علي ، فاقتتلوا أشهرا خمسة أو ستة ، فانهزم عبدالله بن علي وعبدالصمد بن علي في جماعة من أصحابها ، فأما عبدالله فأتى سليمان بن علي بالبصرة ، فأقام عنده ، وأما عبدالصمد فإنه قدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فأمنه أبو جعفر . وأمن

أبو مسلم الناس فلم يقتل أحدا ، وأمر بالكف عنهم .

وفي هذه السنة قتل أبو مسلم . قال علي بن محمد : لما انهزم عبدالله بن علي بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبي مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال ، فغضب أبو مسلم وهم بقتله . فرجع أبو الخصيب إلى أبي جعفر وأخبره الخبر . قال : وجاء القواد إلى أبي مسلم ، فقالوا : نحن ولينا أمر هذا الرجل ، وغنمنا عسكره فلم يسأل عما في أيدينا ، إنما لأمير المؤمنين من هذا الخمس . قال : فخاف أبو جعفر أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان ، فكتب إليه ، أن قد وليتك مصر والشام ، فغضب أبو مسلم وقال : هو يوليني الشام ومصر ، وخراسان لي ! واعتزم بالمضي إلى خراسان ، وأراد أن يظهر الخلع . فاحتال عليه أبو جعفر حتى أشعره بالأمان واستقدمه ، فكتب إليه أبو مسلم يخبره أنه منصرف إليه . قال : فوضع أبو جعفر الحرس خلف الرواق في القصر وقال : إذا صفقت فاخرجوا فاقتلوه . قال أبو أيوب : قال لي أمير المؤمنين : دخل علي أبو مسلم فعاتبته ثم شتمته ، فضربه عثمان فلم يصنع شيئا ، وخرج شبيب بن واج وأصحابه فضربوه وسقط ، فقال وهم يضربونه : العفو ، فقلت : يابن اللخناء ، العفو والسيوف قد اعتورتك ! وقلت : اذبحوه ، فذبحوه .

وفي هذه السنة ولى أبو جعفر المنصور أبا داود خالد بن إبراهيم خراسان وكتب إليه بعهده . وفيها خرج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبي مسلم ، وغلب حين خرج على نيسابور وقومس والري ، وتسمى فيروز أصبهذ . فوجه إليهم أبو جعفر جهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف ، فالتقوا فاقتتلوا ، فهزم سنباذ ثم قتل بين طبرستان وقومس ، قتله لونان الطبري . وفي هذه السنة خرج ملبد بن حرملة الشيباني ، فحكم بناحية الجزيرة ، فسارت إليه الجيوش تباعا وكان يهزمها في كل مرة . وحج بالناس في هذه السنة إسماعيل بن علي في قول الواقدي .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

وفي هذه السنة دخل قسطنطين طاغية الروم ملطية عنوة وهدم سورها وعفا عمن فيها . وفيها غزا العباس بن محمد مع صالح بن علي الصائفة، فبنى صالح بن علي ما كان صاحب الروم هدمه من ملطية . وفي هذه السنة بايع عبدالله بن علي

لأبي جعفر المنصور وهو مقيم بالبصرة مع أخيه سليمان بن علي . وفيها خلع جهور بن مرار العجلي المنصور . قال أبو جعفر : إن جهور لما هزم سنباذ حوى ما في عسكره ، وكان فيه خزائن أبي مسلم ، فلم يوجهها إلى أبي جعفر ، وخاف فخلع، فوجه إليه أبو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعي ، فلقيه محمد ، فاقتتلوا قتالا شديدا، فهزم جهور وأصحابه ، وهرب جهور فلحق بأذربيجان فأخذ بعد ذلك بأسباذرو فقتل . وفي هذه السنة قتل الملبد الخارجي . قال أبو جعفر : وجه أبو جعفر إليه خازم بن خزيمة في نحو من ثمانية آلاف ، فالتقوا ، فاقتتلوا ، فقتل الملبد في ثمانمائة رجل من أصحابه ، وهرب الباقون . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس ، في قول الواقدي وغيره .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة

وفي هذه السنة سار عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان إلى الأندلس ، فملكه أهلها أمرهم . وفيها عزل سليمان بن علي عن ولاية البصرة وولها المنصور سفيان بن معاوية ، فلما عزل سليمان توارى عبدالله بن علي وأصحابه خوفا على أنفسهم ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فحبس عبدالله بن علي وأصحابه . وحج بالناس في هذه السنة العباس بن محمد بن علي .

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

وفي هذه السنة هلك أبو داود خالد بن إبراهيم عامل خراسان ، فولها أبو جعفر لعبد الجبار بن عبدالرحمن. وفيها خرج أبو جعفر حاجا، فأحرم من الحيرة، ثم رجع إلى المدينة بعدما قضى حجه ، وتوجه منها إلى بيت المقدس .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

وفي هذه السنة خرجت الراوندية . قال علي بن محمد : الراوندية قوم من أهل خراسان كانوا على رأي أبي مسلم ، وكانوا يقولون ـ فيما زعم ـ بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل . قال : وأتوا قصر

المنصور ، فجعلوا يطوفون به ، ويقولون : هذا قصر ربنا ، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين ، فغضب أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل ، فدخلوا السجن ، فأخرجوا أصحابهم . فأمر أبو جعفر المنصور عسكره بقتلهم ، فحاربوهم حتى أفنوهم . وقتل يومئذ عثمان بن نهيك ، وكان على حرس المنصور ، فجعل مكانه عيسى بن نهيك ، فكان على الحرس حتى مات ، فجعل المنصور على الحرس أبا العباس الطوسي .

وفي هذه السنة خلع عبدالجبار بن عبدالرحمن عامل أبي جعفر على خراسان ، فوجه إليه المنصور محمد بن المنصور ـ المهدي ـ وأمره بنزول الري ، فسار إليها المهدي ، ووجه خازم بن خزيمة مقدمة له لقتال عبدالجبار ، وبلغ ذلك أهل مروالروذ ، فساروا إلى عبدالجبار فناصبوه الحرب ، وقاتلوه حتى هزم ، فانطلق هاربا إلى مقطنة ، فعبر إليه المجشر بن مزاحم ، فأخذه أسيرا ، فبعث به خازم إلى أبي جعفر المنصور ، فأمر بضرب عنقه .

وفي هذه السنة وجه أبو جعفر المنصور عمرو بن العلاء إلى طبرستان ففتحها، فكان الفتح الأول لطبرستان. وفيها عزل زياد بن عبيد الله الحارثي عن المدينة ومكة والطائف، واستعمل عليها محمد بن خالد بن عبدالله القسري. وفيها توفي موسى ابن كعب وكان على مصر من قبل، فولا المنصور محمد بن الأشعث. وحج بالناس في هذه السنة صالح بن علي بن عبدالله بن عباس وهو على قنسرين وحمص ودمشق.

ثم دخلت سنة إثنتين وأربعين ومائة

وفي هذه السنة خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند فوجه إليه المنصور عمر ابن حفص بن أبي صفرة العتكي فغلبه عليها . وفي هذه السنة أيضا نقض إصبهذ طبرستان العهد بينه وبين المسلمين ، وقتل من كان ببلاده من المسلمين ، فوجه إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة وروح بن حاتم ومعهم مرزوق أبو الخصيب مولى أبي جعفر ، فأقاموا على حصنه محاصرين له ، حتى دخلوا عليه ، فمص الاصبهذ خاتما له فيه سم فقتل نفسه . وفي هذه السنة بنى المنصور لأهل البصرة قبلتهم التي يصلون إليها في عيدهم بالحمّان . وفيها توفي سليمان بن علي بالبصرة . وحج بالناس في هذه السنة إسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

وفي هذه السنة ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم بعد ما بلغه خبر ايقاعهم بالمسلمين . وفيها عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف ، وولى ذلك السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس . وفيها عزل حميد بن قحطبة عن مصر ، ووليها نوفل بن فرات ، ثم عزل نوفل ووليها يزيد بن حاتم . وحج بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبيد الله بن العباس .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

وفي هذه السنة غزا محمد بن أبي العباس الديلم في أهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة . وفيها ولى أبو جعفر رياح بن عثمان المري المدينة ، وعزل محمد بن خالد بن عبد الله القسري عنها . وفيها طلب أبو جعفر أبناء حسن ابن جسن بن علي وأمر بحبسهم ، ثم أمر بحملهم من المدينة إلى العراق . قال ابن عمر : رأيت عبد الله بن حسن وأهل بيته يخرجون من بيت مروان بعد العصر وهم في الحديد . قال : وأخذ معهم أبو جعفر نحو من أربعمائة ، من جهينة ومزينة وغيرهم من القبائل . فأراهم بالربذة مكتفين في الشمس . قال : ثم أمر أبو جعفر بحملهم إلى العراق ، فقدم بهم إلى الهاشمية ، فحبسوا بها ، فكان أول من مات في الحبس عبد الله بن حسن ، ثم مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان . قال أبو جعفر : وحج بالناس في هذه السنة أبو جعفر المنصور ، وخلف على عسكره والميرة خازم بن خزيمة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

وفي هذه السنة خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة . قال عمر بن شبة : خرج محمد في أول يوم من رجب سنة خمس وأربعين ومائة ، فبات بالمذاد هو وأصحابه ، ثم أقبل في الليل ، فدق السجن وبيت المال ، وأمر برياح بن عثمان والي المدينة وابن مسلمة بن عقبة فحبسا معا في دار ابن هشام . قال : ووجه حين ظهر الحسن بن معاوية إلى مكة عاملا عليها ، ومعه العباس بن القاسم ، فلم يشعر السري بن عبد الله - عامل مكة - بهم حتى دنوا من مكة ، فخرج إليهم ، فانهزم

أصحاب السري ، وقتل منهم سبعة نفر . قال : ثم إن الحسن والقاسم لما أخذا مكة ، تجهزا وجمعا جمعا كثيرا ، ثم أقبلا يريدان محمدا ونصرته على عيسى بن موسى ، فلما كانا بقديد لقيهما قتل محمد ، فتفرق الناس عنهما ، فهربا .

قال : وندب أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى لقتال محمد ، وضم إليه أربعة آلاف من الجند . قال إبراهيم بن أبي إسحاق : فلما قرب عيسى بن موسى ، نهض محمد فخطب الناس . فقال : إن هذا الرجل قد قرب منكم في عدد وعدة ، وقد حللتكم من بيعتي ، فمن أحب المقامَ فليقم ، ومن أحب الانصراف فلينصرف. قال : فتسللوا حتى بقي في شرذمة قليلة . قال : فلما رأى ذلك ابن خضير ـ وهو رجل من ولد مصعب بن الزبير خرج مع محمد بن عبد الله ـ دخل على رياح بن عثمان المري وأخيه ، فذبحهما وأحرق الديوان . قال : ثم التقى الجيشان فاقتتلا قتالا شديدا ، فقتل محمد بن عبد الله وابن خضير في جماعة من أصحابهما . قال ابن عمر : قتل محمد في النصف من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة . وفي هذه السنة ثارت السودان بالمدينة بعبد الله بن الربيع ، فهرب منهم. قال عمر بن شبة : قدم عبد الله بن الربيع واليا على المدينة من قبل أبي جعفر ، فنازع جنده التجار في بعض ما يشترونه منهم ، فخرجت طائفة من التجار فشكو ذلك إلى ابن الربيع ، فنهرهم ، فتنادى السودان عن الجند فقتلوهم بالعمد في كل ناحية ، فهرب ابن الربيع إلى بطن نخل . قال الحارث بن إسحاق : فركب نفر من قريش إلى ابن الربيع ، فناشدوه إلا رجع إلى عمله ، فلم يزالوا به حتى رجع وسكن الناس .

وفي هذه السنة أسست مدينة بغداد ، وهي التي تدعى مدينة المنصور . وفي هذه السنة ظهر إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، أخو محمد بن عبد الله بن حسن بالبصرة ، فبايعه الناس وصارت البصرة والأهواز وفارس في سلطان إبراهيم . قال ابن سعد : فلما بلغ إبراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله ، خرج يريد أبا جعفر المنصور بالكوفة ، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى يأمره بالتوجه إلى إبراهيم، فالتقوا بباخمرى ـ وهي على ستة عشر فرسخا من الكوفة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل إبراهيم بن محمد وهزم أصحابه . وفي هذه السنة خرجت الترك والخزر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة . وحج بالناس في هذه السنة السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس . وكان عامل أبي جعفر على مكة .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

وفي هذه السنة ، استتمم أبو جعفر مدينة بغداد . قال ابن عمر : تحول أبو جعفر من مدينة ابن هبيرة إلى بغداد في صفر سنة ست وأربعين ومائة ، فنزلها وبنا مدينتها . وفي هذه السنة عزل المنصور عن البصرة سلم بن قتيبة ، وولاها محمد بن سليمان بن علي . وفيها غزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهراني . وفيها عزل عن المدينة عبد الله بن الربيع ، وولي مكانه جعفر بن سليمان . وعزل أيضا عن مكة السري بن عبد الله ، ووليها عبد الصمد بن علي . وحج بالناس عبد الوهاب بن إبراهيم بن عباس .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

وفي هذه السنة أغارت الترك على المسلمين بناحية إرمينية ودخلوا تفليس ، وكان أبو جعفر حين بلغه تحزب الترك وجه إليهم جبرائيل بن يحيى ، وكتب إلى حرب بن عبد الله الراوندي بالمسير معه ، فقتل حرب وهزم جبرائيل . وفي هذه السنة هلك عبد الله بن علي بن العباس . واختلفوا في سبب هلاكه . قال علي : سقط عليه البيت فمات . وقال إبراهيم بن عيسى : توفي عبد الله بن علي في الحبس سنة سبع وأربعين ومائة ، وهو ابن إثنتين وخمسين سنة .

وفي هذه السنة خلع المنصور عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدي ، وجعله ولي عهده من بعده . قال الطبري : وكان أبو العباس جعل الأمر من بعده لأبي جعفر ، ثم من بعد أبي جعفر لعيسى بن موسى فتحايل أبو جعفر على عيسى بن موسى حتى أخذ بيعته للمهدي. وفي هذه السنة ولى أبو جعفر محمد بن أبي العباس البصرة فاستعفى منها فأعفاه ، فانصرف عنها إلى مدينة السلام واستخلف بالبصرة عقبة بن سلم ، فأقره عليها أبو جعفر . وحج بالناس في هذه السنة المنصور.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

وفي هذه السنة وجه المنصور حميد بن قحطبة إلى إرمينية لحرب الترك ، فوجدهم قد ارتحلوا ، فانصرف ولم يلق منهم أحدا . وحج بالناس في هذه السنة جعفر بن أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

وفي هذه السنة غزا العباس بن محمد الصائفة أرض الروم ، ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث ، فهلك ابن الأشعث في الطريق . وفيها عزل عبد الصمد بن علي عن مكة ، ووليها محمد بن إبراهيم ، فحج بالناس في هذه السنة .

ثم دخلت سنة خمسين ومائة

وفي هذه السنة خرج استاذسيس في أهل هراة وباذغيس وغيرهما من عامة خراسان ، وساروا حتى التقوا هم وأهل مرو الروذ ، فخرج إليهم الأجثم المروروذي في أهل مرو الروذ ، فقاتلوه حتى قتل الأجثم ، وكثر القتل في أهل مروالروذ ، فوجه المنصور وهو بالبردان خازم بن خزيمة إلى المهدي ، فولاه المهدي محاربة استاذسيس ، وضم القواد إليه ، فسار إليهم خازم ، فهزمهم ، فكان من قتل منهم في تلك المعركة نحوا من سبعين ألفا ، وأسروا أربعة عشر ألفاً ، واستسلم استاذسيس فنزل مع أصحابه على حكم أبي عون ، فحكم فيهم أن يوثق استاذسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد ، وأن يعتق الباقون ، فانفذ ذلك خازم من حكم أبي عون .

وفي هذه السنة عزل المنصور جعفر بن سليمان عن المدينة ، وولاها الحسن بن يزيد بن حسن بن علي بن أبي طالب . وفيها توفي جعفر بن أبي جعفر المنصور ، الأكبر بمدينة السلام . وحج بالناس في هذه السنة عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

وفي هذه السنة ولى المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة إفريقية ، وعُزل عن السند وولى موضعه هشام بن عمرو التغلبي . وفيها ابتدأ المنصور ببناء الرصافة في الجانب الشرقي من مدينة السلام لأبنه محمد المهدي . وفيها جدد المنصور البيعة لنفسه ولأبنه محمد المهدي من بعده ، ولعيسى بن موسى من بعد المهدي . وغزا الصائفة في هذه السنة عبدالوهاب بن إبراهيم بن محمد . وفيها عزل المنصور عقبة بن سلم عن البصرة وولاها جابر بن توبة الكلابي . وزعم الواقدي

أن أبا جعفر ولى معن بن زائدة في هذه السنة سجستان . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس .

ثم دخلت سنة إثنتين وخمسين ومائة

وفي هذه السنة قتلت الخوارج معن بن زائدة الشيباني ببست سجستان . وفيها غزا حميد بن قحطبة كابل ، وغزا الصائفة عبدالوهاب بن إبراهيم وقيل محمد ابن إبراهيم . وفيها قتل أبو جعفر هاشم بن الاشتاخنج ، وكان عصى وخالف في إفريقية . وفيها عزل المنصور يزيد بن حاتم عن مصر وولاها محمد بن سعيد . وحج بالناس في هذه السنة المنصور .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة

وفي هذه السنة قتل عمر بن حفص بن عثمان بإفريقية ، قتله أبو حاتم الاباضي وأبو عاد ومن كان معهما من البربر . وفيها أخذ المنصور الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول . وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحجوري . وفيها ولى المنصور بكار بن مسلم العقيلي على إرمينية . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن أبي جعفر المهدي .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الشام وسار إلى بيت المقدس ووجه يزيد بن حاتم إلى إفريقية في خمسين ألفا لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر بن حفص . وفيها سقطت صاعقة في المسجد الحرام فقتلت خمسة نفر . وفيها ولى عبدالملك بن ظبيان النميري على البصرة . وغزا الصائفة في هذه السنة زفر بن عاصم الهلالي . وحج بالناس محمد بن إبراهيم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

وفي هذه السنة افتتح يزيد بن حاتم إفريقية وقتل أبا عاد وأبا حاتم ومن كان معهما ، واستقامت بلاد المغرب ودخل يزيد بن حاتم القيروان . وفيها وجه

المنصور ابنه المهدي لبناء مدينة الرافقة . وفيها عزل المنصور عبدالملك بن أيوب بن ظبيان عن البصرة ، واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكي . وفيها طلب صاحب الروم الصلح إلى المنصور ، على أن يؤدي إليه الجزية . وغزا الصائفة في هذه السنة يزيد بن أسيد السلمي . وفيها استعمل المنصور على حرب الجزيرة وخراجها موسى بن كعب . وفيها عزل المنصور عن الكوفة محمد بن العباس ، واستعمل مكانه عمرو بن زهير . وأما عمر بن شبة فإنه زعم أنه عزل محمد بن سليمان عن الكوفة، وولاها عمرو بن زهير الضبي. وفيها عزل المنصور الحسن بن زيد عن المدينة ، واستعمل عليها عبدالصمد بن علي ، وجعل معه فليح بن سليمان مشرفا عليه .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

وفي هذه السنة ظفر الهيثم بن معاوية عامل أبي جعفر على البصرة بعمرو بن شداد عامل إبراهيم بن عبدالله على فارس ، فضرب عنقه وصلبه في مربد البصرة . وفيها عزل المنصور الهيثم بن معاوية عن البصرة ، واستعمل سوار بن عبدالله القاضي .. وفيها توفي الهيثم بن معاوية بمدينة السلام . وفيها غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي . وحج بالناس في هذه السنة العباس بن محمد بن علي .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

وفي هذه السنة ابتنى المنصور قصره الذي على شاطيء دجلة ، الذي يدعى الخلد . وفيها قتل يحيى أبو زكرياء المحتسب . وفيها ولى المنصور جعفر بن سليمان على البحرين ، فلم يتم ولايته ، ووجه مكانه أميرا عليها سعيد بن دعلج ، فبعث سعيد ابنه تميما عليها. وفيها توفي عامر بن إسماعيل المسلمي، بمدينة السلام. وفيها توفي سوار بن عبدالله ، واستعمل المنصور مكانه عبيدالله بن الحسن بن الحصين العنبري. وفيها عزل محمد بن سعيد الكاتب عن مصر، واستعمل عليها مطر مولى أبي جعفر المنصور. وفيها ولى معبد بن الخليل السند، وعزل عنها هشام بن عمرو. وغزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمي. وقال ابن عمر: الذي غزا الصائفة في هذه السنة زفر بن عاصم. وحج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباس.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

وفي هـذه السنـة أمـر المنصـور بعزل موسى بن كعب عن الموصل وولاها خالد ابن برمك وولى يحيى بن خـالد على أذربيجـان ، فلـم يزالا على عملهما إلى أن تـوفي المـنصـور . وفي هذه السنة نزل المنصـور قصره الذي يعـرف بالخلد . وفـيـهـا وجـه المنصـور نصر بن حـرب التميمـي والياً على ثغـر فـارس . وفيها انصرف المهدي إلى مـدنيـة السـلام من الرقة . وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى ، فلقي العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا . وفيها شخص أبو جعفر من مدينة السلام ، متوجها إلى مكة ، وذلك في شـوال ، ثم مـضى إلى الكوفة ، فنزل الرصافة ، فعرض له وجعه الذي توفي منه بالبطن .

واخـتلف في مـبلغ سنه يوم توفي ، فـقـال بعـضـهـم : كان يوم توفي ابن أربع وستين وسنة . وقـال بعـضهم : كان يومئذ ابن خمس وستين سنة . وقال بعضهم : ابن ثلاث وسـتين سنة . وقـال هشـام : ملك المنصور اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين يومـا . قـال أبو معشر : توفي أبو جعفر قبل يوم التروية بيوم يوم السبت . وحـج بالنـاس في هذه السنـة إبراهيم بن يحيـى بن محمـد. وذكـر أن أبا جعـفر كان أسـمراً طويلاً ، نحيفا . خفيـف العارضين . وكان ولـد بالحميمة . قال عباس بن الفـضل : لم ير في دار المنصـور لهو قط ، ولا شيء يشـبـه اللهو واللعب والعبث إلا يوماً واحداً .

قال الصباح بن عبدالملك الشيباني : إن المنصور ولى رجـلا من العـرب حضرمـوت ، فكتب إليـه وإلى البريد أنه يكثـر الخـروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قـد أعـدها ، فـعزله وكتب إليه : إنا إنما استكفيناك أمور المسلمين ولم نستكفك أمور الوحش . وقال الهيثم : فرق أبو جعفر على جماعـة من أهل بيته في يوم واحد عشرة آلاف درهـم ، وأمـر للرجل من أعمامـه بألف ، ولا نعـرف خليفـة قـبله ولا بعـده وصـل بهـا أحـدا مـن الناس . قـال : وقـرأت عنده : ﴿ الذين يبـخلون ويأمـرون الناس بالبـخل ﴾ فـقـال للناس : لولا أن الأمـوال حـصن السلطان ودعـامـة للدين والدنيـا وعـزهما وزينتـهما مـا بت ليلة وأنا أحـرز منه دينارا ولا درهما ، لما أجـد لبذل المال من اللذاذة ، ولما أعلم في اعطائه من جزيل المثوبة .

وذكـر عن قـحطبـة ، قـال : سمعت المنصور يقول : الملوك تحتمل كل شيء

من أصحابها إلا ثلاثا : إفشاء السر ، والتعرض للحرمة ، والقدح في الملك . وقال إسحاق الموصلي : حدثني بعض الصحابة أن المنصور كان يقول : عقوبة الحليم التعريض . وعقوبة السفيه التصريح . قال : ورفع رجل من العامة إليه رقعة في بناء مسجد في محلته ، فوقع في رقعته : من أشراط الساعة كثرة المساجد ، فزد في خطاك تزدد من الثواب .

وأما أسماء أولاده ونسائه ، فمنهم المهدي ـ واسمه محمد ـ وجعفر الأكبر ، وأمهما أروى بنت منصور الحميري . وسليمان وعيسى ويعقوب ، وأمهم فاطمة بنت محمد ، من ولد طلحة عبيد الله . وجعفر الأصغر ، وصالح المسكين ، أمه أم ولد رومية ، يقال لها قالي الفراشة . والقاسم ، مات قبل المنصور ، وأمه أم ولد تعرف بأم القاسم . والعالية ، أمها امرأة من بني أمية .

وفي هذه السنة بويع للمهدي بالخلافة بمكة ، صبيحة الليلة التي توفي فيها أبو جعفر المنصور وذلك يوم السبت لست ليال خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، كذلك قال هشام ومحمد بن عمر. وقال الواقدي: بويع له ببغداد يوم الخميس لاحدى عشرة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة . وحج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

وفي هذه السنة غزا العباس بن محمد الصائفة حتى بلغ أنقرة ، ففتح في غزاته هذه مدينة للروم ومعمورة معها ، وانصرفوا سالمين لم يصب من المسلمين أحد . وهلك في هذه السنة حميد بن قحطبة ، وهو عامل المهدي على خراسان ، فولى المهدي مكانه أبا عون عبدالملك بن يزيد . وفيها ولي حمزة بن مالك سجستان ، وولي جبرئيل بن يحيى سمرقند . وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة وبنى حائط المدينة ، وحفر خندقها . وفيها عزل المهدي عبدالصمد بن علي عن المدينة ، واستعمل مكانه محمد بن عبدالله الكثيري ثم عزله ، واستعمل عليها عبيد الله بن محمد بن عبدالرحمن بن صفوان الجمحي . وفيها توفي معبد بن الخليل بالسند ، وهو عامل المهدي عليها ، فاستعمل مكانه روح بن حاتم . وفيها أمر المهدي باطلاق من كان في سجن المنصور ، وكان في السجن الحسن بن إبراهيم بن عبدالله

ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فحوله المهدي من سجن المطبق إلى نصير الوصيف فحبسه عنده .

وفي هذه السنة عزل المهدي إسماعيل بن أبي إسماعيل عن الكوفة ، واختلف فيمن ولي مكانه . فقال بعضهم : ولي مكانه إسحاق بن الصباح الكندي ، وقيل : عيسى بن لقمان . وفيها عزل المهدي عن أحداث البصرة سعيد بن دعلج ، وعزل عن الصلاة والقضاء من أهلها عبيد الله بن الحسن ، وولى مكانهما عبدالملك بن أيوب بن ظبيان النميري . وفيها عزل قثم بن العباس عن اليمامة ، واستعمل مكانه بشر بن المنذر البجلي . وفيها عزل يزيد بن منصور عن اليمن ، واستعمل مكانه رجاء بن روح . وفيها عزل الهيثم بن سعيد عن الجزيرة واستعمل مكانه الفضل بن صالح . وفيها اعتق المهدي أم ولده الخيزران وتزوجها . وفيها تزوج المهدي أيضا أم عبدالله بنت صالح بن علي . وفيها وقع الحريق في ذي الحجة في السفن ببغداد ، فاحترق ناس كثير ، واحترقت السفن بما فيها . وفيها عزل المهدي مطر مولى المنصور عن مصر ، واستعمل مكانه أبو ضمرة محمد بن سليمان . وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن منصور ـ خال المهدي ـ عند قدومه من اليمن .

ثم دخلت سنة ستين ومائة

وفي هذه السنة خرج يوسف بن إبراهيم ، وهو الذي يقال له يوسف البرم بخراسان منكرا هو ومن تبعه ممن كان على رأيه على المهدي ، واجتمع معه بشر من الناس كثير ، فتوجه إليه يزيد بن مزيد فلقيه ، واقتتلا فأسره يزيد وبعث به إلى المهدي ، فأمر بقتله . وفيها تحايل المهدي على عيسى بن موسى ، ودعا الناس إلى العهد لموسى ، وألح المهدي على عيسى حتى أجابه إلى ذلك ، فبايع للمهدي ولموسى من بعده . وفي هذه السنة وافى عبدالملك بن شهاب المسمعي مدينة بإربد بمن توجه معه من المطوعة وغيرهم ، ففتحها الله عليهم عنوة ، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا . وهاج البحر فلم يقدروا على ركوبه ، فاقاموا إلى أن يطيب ، فاصابهم في أفواههم داء يقال له حمام قر ، فمات نحو من ألف رجل . وفيها صير أبان بن صدقة كاتبا لهارون بن المهدي ووزيرا له . وفيها عزل أبو عون عن خراسان عن سخطة ، وولي مكانه معاذ بن مسلم . وفيها غزا ثمامة بن الوليد

العبسي الصائفة . وفيها غزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشام . وفيها كانت وفاة عبيد الله بن صفوان وهو والٍ على المدينة ، فولي مكانه محمد بن عبدالله الكثيري ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى عزل وولى مكانه زفر بن عاصم . وفيها خرج عبدالسلام الخارجي ، فقتل ، وفيها عزل بسطام بن عمرو عن السند واستعمل عليها روح بن حاتم . وحج بالناس في هذه السنة المهدي ، وشخص معه ابنه هارون وجماعة من أهل بيته . وتزوج في مقامه بالمدينة برقية بنت عمرو العثمانية .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

وفي هذه السنة خرج حكيم المقنع بخراسان وكان يقول بتناسخ الأرواح ، فاستغوى بشرا كثيرا ، وقوي وصار إلى ما وراء النهر ، فافرد المهدي لمحاربته سعيدا الحرشي فحاصره في قلعة بكش . وفيها غزا الصائفة ثمامة بن الوليد ، فنزل دابق ، وجاشت الروم وهو مغتر ، وخرج إلى الروم ، فأصيب من المسلمين عدة ، فلم يكن للمسلمين في ذلك العام صائفة من أجل ذلك . وفيها أمر المهدي ببناء القصور في طريق مكة ، وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس ، وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل ، وبتجديد الأميال والبرك ، وحفر الركايا مع المصانع . وأمر المهدي بالزيادة في مسجد الجامع بالبصرة ، وأمر بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المنابر كما في منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي هذه السنة غزا الغمر بن العباس في البحر . وفيها ولي نصر بن محمد بن الأشعث السند مكان روح بن حاتم ، ثم عزل وولي مكانه محمد بن سليمان . وفيها عزل الفضل بن صالح عن الجزيرة ، واستعمل عليها عبدالصمد بن علي . وفيها استعمل عيسى بن لقمان على مصر . وولي يزيد بن منصور سواد الكوفة وحسان الشروري الموصل وبسطام بن عمرو التغلبي إذربيجان . وفيها عزل أبا أيوب المسمى سليمان المكي عن ديوان الخراج ، وولي مكانه أبو الوزير عمر بن مطرف . وفيها توفي نصر بن مالك ، وصرف أبان بن صدقة عن هارون إلى أخيه موسى . وفيها عزل محمد بن سليمان أبا ضمرة عن مصر وولاها المهدي سلمة بن رجاء . وحج بالناس في هذه السنة موسى بن محمد بن عبدالله الهادي ، وهو ولي عهد أبيه .

ثم دخلت سنة إثنتين وستين ومائة

وفي هذه السنة وجه المهدي شبيب بن واج المروروذي لقتال عبدالسلام الخارجي ، فسار إليه فهرب منهم حتى أتى قنسرين ، فلحقه شبيب فقتله . وفيها وضع المهدي دواوين الأزمة . وفيها ولى ثمامة بن الوليد العبسي الصائفة . وفيها خرجت الروم إلى الحدث ، فهدموا سورها . وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة فبلغ حمة أذروليه ، وسمته الروم التنين . وفيها غزا يزيد بن أسيد السلمي من باب قاليقلا ، ففتح ثلاثة حصون . وفيها عزل علي بن سليمان عن اليمن ، وولي مكانه عبدالله بن سليمان. وفيها عزل سلمة بن رجاء عن مصر ، ووليها عيسى بن لقمان، ثم عزل ووليها واضح مولى المهدي ، ثم عزل ووليها يحيى الحرشي . وفيها ظهرت المحمرة بجرجان ، عليهم رجل يقال له عبدالقهار ، فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان ، فقتل عبدالقهار وأصحابه . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن جعفر بن المنصور .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

وفي هذه السنة هلك المقنع ، وذلك أن سعيدا الحرشي حصره بكش ، فاشتد عليه الحصار ، فلما أحس بالهلكة شرب سما ، وسقاه نساءه وأهله ، فمات وماتوا، ودخل المسلمون قلعته . وفيها أغزى المهدي هارون الرشيد بلاد الروم ، وضم إليه الربيع الحاجب والحسن بن قحطبة . وفيها عزل المهدي عبدالصمد بن علي عن الجزيرة ، وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالي . وفيها عزل المهدي إبراهيم بن صالح عن فلسطين ، فسأله يزيد بن منصور حتى رده عليها . وفيها ولى المهدي ابنه هارون المغرب كله وأذربيجان وإرمينية . وفيها عزل زفر بن عاصم عن الجزيرة ، وولى مكانه عبدالله بن صالح بن علي . وفيها عزل معاذ بن مسلم عن خراسان وولاها المسيب بن زهير . وعزل يحيى الحرشي عن أصبهان ، وولي مكانه الحكم ابن سعيد . وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان والرويان ، وولاهما عمر بن العلاء . وعزل مهلهل بن صفوان عن جرجان ، وولاها هشام بن سعيد . وحج بالناس في هذه السنة علي بن المهدي .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

وفي هذه السنة عزل المهدي محمد بن سليمان عن أعماله ، ووجه صالح بن داود مكانه ، وفيها بنى المهدي بعيساباذ الكبرى قصرا من لبن ، إلى أن أسس قصره الذي بالأجره : الذي سماه قصر السلامة . وفيها توفي نصر بن محمد بن الأشعث بالسند . وفيها عزل عبدالله بن سليمان عن اليمن . واستعمل مكانه منصور بن يزيد بن منصور . وحج بالناس في هذه السنة صالح بن أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

وفي هذه السنة غزا هارون الرشيد الصائفة ، فوغل في بلاد الروم ، فافتتح ماجدة ، ولقيته خيول نقيطا قومس القوامسة ، فبارزه يزيد بن مزيد ، فقتله ، وانهزمت الروم . وسار هارون حتى بلغ القسطنطينية ، وصاحب الروم يومئذ آغسطه امرأة أليون ، فجرت بينها وبين هارون الرسل في طلب الصلح واعطاء الفدية ، فقبل ذلك منها هارون ، وكتبوا كتاب الهدنة إلى ثلاثين سنة . وفيها عزل خلف بن عبدالله عن الري ، وولاها عيسى مولى جعفر . وحج بالناس في هذه السنة صالح بن أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

وفي هذه السنة رجع هارون الرشيد ، ومن كان معه من خليج قسطنطينية ، وقدمت الروم بالجزية معهم ، وفيها أخذ المهدي البيعة على قواده لهارون بعد موسى ابن المهدي ، وسماه الرشيد . وفيها عزل عبيد الله بن الحسن عن قضاء البصرة ، وولى مكانه خالد بن طليق الخزاعي . وفيها عزل جعفر بن سليمان عن مكة والمدينة . وفيها سخط المهدي على يعقوب بن داود بعد أن ارتفع أمره عنده واستوزره ، وفوض إليه أمر الخلافة . قال علي بن محمد : فلم يزل مواليه يحرضونه عليه ويوحشونه منه ، حتى عزم على ازالة النعمة عنه . فقالوا له : إن المشرق والمغرب في يد يعقوب وأصحابه ، وقد كاتبهم ، وإنما يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد ، فيأخذوا الدنيا لاسحاق بن الفضل ، فكان ذلك قد ملأ قلب المهدي عليه ، فأمر بحبسه في المطبق ، فمكث محبوسا أيام

المهدي وأيام موسى كلها حتى أخرجه الرشيد بميله كان إليه في حياة أبيه .

وفي هذه السنة خرج الهادي إلى جرجان ، وجعل على قضائها أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم . وفيها تحول المهدي إلى عيساباذ فنزلها ، وهي قصر السلامة ، ونزل الناس بها معه ، وضرب الدنانير والدراهم . وفيها أمر المهدي باقامة البريد بين المدينة وبين مكة واليمن، بغالا وإبلا . وفيها اضطربت خراسان على المسيب بن زهير ، فولاها الفضل بن سليمان الطوسي أبا العباس . وفيها ولى إبراهيم بن يحيى على المدينة . وفيها عزل منصور بن يزيد عن اليمن ، واستعمل مكانه عبدالله بن سليمان الربعي . وفيها خلى المهدي عبدالصمد بن علي من حبسه الذي كان فيه . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

وفي هذه السنة وجه المهدي ابنه موسى في جمع كثيف من الجند ، إلى جرجان لحرب ونداهرمز وشروين صاحبي طبرستان ، وأمر عليهم يزيد بن مزيد ، فحاصرهما . وفيها توفي عيسى بن موسى بالكوفة . وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم ، وولى أمرهم عمر الكلواذي . وفيها عزل المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل ، وولاه الربيع الحاجب . وفيها فشا الموت ، وسعال شديد ووباء شديد ببغداد والبصرة . وفيها توفي أبان بن صدقة بجرجان . وفيها أمر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام ، فدخلت فيه دور كثيرة . وفيها عزل يحيى الحرشي عن طبرستان والرويان ، ووليها عمر بن العلاء . وولي جرجان فراشة مولى المهدي . وفيها أظلمت الدنيا لليال بقين من ذي الحجة حتى تعالى النهار . ولم يكن فيها صائفة للهدنة التي كانت بين المسلمين والروم . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى وهو على المدينة .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

وفي هذه السنة نقض الروم الصلح الذي كان جرى بينهم وبين المسلمين .

فوجه علي بن سليمان وهو يومئذ على الجزيرة وقنسرين يزيد بن بدر في سرية إلى الروم فغنموا وظفروا . وفيها وجه المهدي سعيدا الحرشي إلى طبرستان . وفيها

مـات عـمر الكلواذي صاحب الزنادقة ، وولي مكانه حمدوية ، وهو محمد بن عيسى من أهل ميـسـان . وفيـهـا قـتل المهدي الزنادقة ببغداد . وفيها ولى المهدي علي بن يقطين ديوان زمـام الازمـة . وحج بالناس في هذه السنة علي بن محمـد المهـدي الذي يقال له ابن ريطة .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

وفي هذه السنة خرج المهدي في المحرم إلى مـاسبذان فتوفي فيها ، واختلف في سبب وفـاته . قال واضح قهرمان المهدي: طردت الكلاب ظبيا ، فلم يزل يتبعها، فاقتحم الظبي باب خربة فاقتحمت الكلاب خلفه، واقتحم الفرس خلف الكلاب، فـدق ظهـره في باب الخـربة ، فمات من سـاعته . وقال علي بن أبي نعيم المروزي : بعـثت جـارية من جواري المهدي إلى ضرة لها بلبأ فيه سم ، وهو قاعد في البستان ، فـدعا به فأكل منه ، ففرقت الجارية أن تقول له : إنه مسموم . وقال أحمد بن محمد الرازي: إن المهـدي كان جالسا في علية في قصر بماسبذان ، وكانت جاريته حسنه ، قد عمدت إلى كـمـثـراتين كـبيرتين ، وسـمت واحـدة منهما ، وكـان المهدي يعجبه الكمثري ، وأرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جارية للمهدي ، تريد قتلها ، فمرت الوصـيـفـة من أمـام المهـدي ، فلما رآها ورأى مـا مـعـهـا ، دعـا بها ، فمد يده إلى الكمـثـراة وهي المسـمـومـة ، فأكلها ، فهلك من يومه . قال أبو معشر والواقدي : كـانـت وفـاته في سنة تسع وسـتين ومـائة ، ليلة الخـمـيس لثمان بقين من المحـرم ، وكـانت خـلافـتـه عشر سنين وشـهـرا ونصف شهر . وقال بعضهم : كانت خلافته عـشر سـنـين وتسـعـة وأربعين يومـا ، وتوفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة . ودفن في قرية من قرى ماسبذان، يقال لها الرذ. وكان في عينه اليمنى ـ وقـيل بعينه اليسرى ـ نكتة بياض .

وفي هذه السنة بويع لموسى بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العـبـاس بالخـلافـة ، يوم توفي المهدي ، وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان . وكانت موافاة موسى الهادي عند منصرفـه من جـرجان لعشر بقين من صفر من هذه السنة ، سار ـ فيما ذكر من جرجان إلى بغداد في عشرين يوما ، فلما قدمها نزل قصر الخلد ثم تحول بعد شهر إلى عيساباذ .

وفي هذه السنة هلك الربيع مولى أبي جعفر المنصور . وفيها اشتد طلب موسى الزنادقة ، فقتل منهم جماعة . وفيها قدم ونداهرمز صاحب طبرستان إلى موسى بأمان ، فأحسن صلته ، ورده إلى طبرستان . وفيها خرج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في جماعة من شيعته ، فوجه إليه الهادي محمد بن سليمان ، فخرج الحسين إلى مكة ، فتبعه محمد بن سليمان . ثم صاروا إلى ذي طوى ، فعسكروا بها ، ثم التقوا ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل الحسين في جماعة من أصحابه ، واحتز رأسه وارسل إلى الهادي . وغزا الصائفة في هذه السنة معيوف بن يحيى . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة سبعين ومائة

وفي هذه السنة توفي يزيد بن حاتم بافريقية ، ووليها بعده روح بن حاتم . وفيها مات عبدالله بن مروان في المطبق . وفيها توفي موسى الهادي بعيساباذ . واختلف في سبب وفاته ، فقال بعضهم : كانت وفاته من قرحة في جوفه . وقال آخرون : كانت وفاته من قبل جوار لامه الخيزران ، كانت أمرتهن بقتله . قال بعض الهاشميين : إن سبب موت الهادي كان أنه لما جد في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر ، وخافت الخيزران على هارون منه ، دست إليه من جواريها لما مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه . قال صالح بن سليمان : أراد الهادي خلع هارون الرشيد والبيعة لابنه جعفر ، وتابعه على ذلك القواد ، فخلعوا هارون ، وتنقصوه في مجلس الجماعة . قال : وقال يحيى بن خالد للهادي لما كلمه في الرشيد: إنك إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم ، وإن تركتهم على بيعة أخيك ثم بايعت لجعفر من بعده كان ذلك أوكد لبيعته ، فقال : صدقت ونصحت .

قال أبو معشر : توفي الهادي ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول . قال هشام : كانت ولايته سنة وشهرا واثنين وعشرين يوما . وقال آخرون : توفي ليلة السبت وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ودفن بعيساباذ الكبرى في بستانه . قال الفضل ابن إسحاق : وكان الهادي طويلا جسيما جميلا أبيض ، مشربا حمرة ، وكان بشفته العليا تقلص ، وكان يلقب موسى أطبق . وكان له من الأولاد تسعة ، سبعة ذكور

وابنتـان . فأمـا الذكـور، جـعـفـر والعـبـاس وعـبـدالله وإسحاق وإسماعيل وسليمان وموسى . والابنتان أحدهما أم عيسى كانت عند المأمون ، والأخرى أم العباس بنت موسى ، تلقب نونة .

وبويع للرشيـد هارون بن محمـد بن عـبـدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بالخلافة ليلة الجمعة الليلة التي توفي فيها أخوه موسى الهادي . وكانت سنه يوم ولي اثنتين وعشرين سنة . وأمـه أم ولد يمانيـة . يقـال لها خـيزران ، وولد بالري لثـلاث بقين من ذي الحـجـة سنة خمس وأربعين ومـائة في خلافة المنصور . وفي هذه السنة ، عزل الرشيد عمر بن عبدالعزيز عن المدينة وولى ذلك إسحاق بن سليمان بن علي . وفـيـها قلد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة ، وقال له : قد قلدتك أمر الرعية، وأخرجتـه من عنقي إليك ، فاحكـم في ذلك بما ترى من الصـواب ، واستعمل من رأيت ، واعـزل من رأيت ، وامض الأمور على ما ترى . وفيها عزل الرشيد الثغور كلهـا عن الجـزيرة وقنسرين ، وجـعلهـا حـيـزا واحدا وسميت العواصم . وفيها أمن الرشـيـد من كـان هاربا أو مـسـتـخفيا . وحج بالناس في هذه السنة الرشيد . وغزا الصائفة سليمان بن عبدالله البكائي .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

وفي هذه السنة توفي أبو العـبـاس الطوسي وكـان بيـده خـاتم الخلافة ، فدفعه الرشيد إلى يحيى بن خـالد ، فاجتمعت ليحيى الوزارتان . وفيها أمر الرشيد بقتل أبا هريرة محمـد بن فـروخ . وفـيـهـا أمـر الرشيد بإخراج الطالبيين من مدينة السلام . وفـيها خرج الفضل بن سعيد الحروري فقتله أبو خالد المرورودي . وحج بالناس في هذه السنة عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن العباس .

ثم دخلت سنة إثنتين وسبعين ومائة

وفي هذه السنة عـزل الرشـيـد يزيد بن مزيد عن إرمينية ، وولاها عبيد الله بن المهـدي . وفـيـهـا غـزا الصـائفة إسحاق بن سليمان بن علي . وحج بالناس في هذه السنة يعقوب بن أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

وفي هذه السنة توفي محمد بن سليمان بالبصرة لليال بقين من جمادى الآخرة . وفيها توفيت الخيزران أم هارون الرشيد وموسى الهادي . وفيها أقدم الرشيد جعفر ابن محمد بن الأشعث من خراسان ، وولاها ابنه العباس بن جعفر . وحج بالناس في هذه السنة هارون الرشيد .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة

وفي هذه السنة ثارت بالشام العصبية . وفيها ولى الرشيد إسحاق بن سليمان الهاشمي السند ومكران . وفيها هلك روح بن حاتم . وفيها خرج الرشيد إلى باقردى وبنى فيها قصرا . وغزا الصائفة عبدالملك بن صالح . وحج بالناس هارون الرشيد .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

وفي هذه السنة عقد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام من بعده ولاية عهد المسلمين وأخذ له البيعة من القواد والجند وسماه الأمين ، وكان له يومئذ خمس سنين . وفيها عزل الرشيد العباس بن جعفر عن خراسان ، وولاها خاله الغطريف ابن عطاء. وفيها صار يحيى بن عبدالله بن حسن إلى الديلم ، فتحرك هناك . وغزا الصائفة عبدالرحمن بن عبدالملك بن صالح فبلغ إفريقية . وقال الواقدي : غزا الصائفة في هذه السنة عبدالملك بن صالح . وحج بالناس هارون الرشيد .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

وفي هذه السنة ولى الرشيد الفضل بن يحيى كور وطبرستان ودنباوند وقومس وإرمينية وأذربيجان . وفيها ظهر يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بالديلم ، واشتدت شوكته ، وقوي أمره ، ونزع إليه الناس من الأمصار والكور . فندب إليه الرشيد الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل ، فنزل الفضل بطالقان الري ودستبي بموضع يقال له أشب ، وواتر كتبه على يحيى ، فأجاب يحيى إلى الصلح على أن يكتب له الرشيد أمانا بخطه . فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد ،

فسره ذلك ، وكتب أمانا ليحيى بن عبدالله فقدم على الرشيد . قال أبو الخطاب : ثم إن الرشيد مزق الأمان وأراد قتل يحيى ، فرأى به أثر علة ، فتركه ، فما مكث يحيى بعد هذا إلا شهراً حتى مات .

وفي هذه السنة هاجت العصبية بالشام بين النزارية واليمانية وعامل السلطان بها موسى بن عيسى ، فولى الرشيد موسى بن يحيى بن خالد الشام ، وضم إليه القواد ، فقدم الشام وأقام بها حتى أصلح بين أهلها ، وسكنت الفتنة ، واستقام أمرها . وفي هذه السنة عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان ، وولاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي . وفيها ولى الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك مصر ، فولاها عمر بن مهران . وغزا الصائفة عبدالرحمن بن عبدالملك ، فافتتح حصنا . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

وفي هذه السنة عزل الرشيد جعفر بن يحيى عن مصر ، وولاها إسحاق بن سليمان ، وعزل حمزة بن مالك عن خراسان ، وولاها الفضل بن يحيى . وغزا الصائفة عبدالرزاق بن عبد الحميد التغلبي . وحج بالناس في هذه السنة هارون الرشيد .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

وفي هذه السنة وثبت الحوفية بمصر ، من قيس وقضاعة وغيرهم بعامل الرشيد عليهم إسحاق بن سليمان ، وقاتلوه . فوجه الرشيد إليهم هرثمة بن أعين في عدة من القواد مددا لإسحاق بن سليمان ، حتى أذعن أهل الحوف ، ودخلوا في الطاعة . فلما انقضى أمر الحوفية صرف الرشيد إسحاق بن سليمان عن مصر ، وولاها هرثمة نحوا من شهر ، ثم صرفه وولاها عبدالملك بن صالح . وفيها كان وثوب أهل إفريقية بعبدويه الأنباري ومن معه من الجند ، فقتل الفضل بن روح بن حاتم ، فوجه الرشيد إليهم هرثمة بن أعين ، فرجعوا إلى الطاعة ، وفيها فوض الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك . وفيها خرج الوليد بن طريف الشاري بالجزيرة ، وحكم بها ففتك بإبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ، ثم

مضى إلى إرمينية . وفيها شخص الفضل بن يحيى إلى خراسان واليا عليها ، وفيها غزا الصائفة معاوية بن زفر بن عاصم . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، وكان على مكة .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

وفي هذه السنة ولى الرشيد خراسان منصور بن يزيد بن منصور الحميري . وفيها شري بخراسان حمزة بن أترك السجستاني . وفيها عزل الرشيد محمد بن خالد ابن برمك عن الحجبة ، وولاها الفضل بن الربيع . وفيها رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدت شوكته ، فوجه الرشيد إليه يزيد بن مزيد الشيباني ، فقتله وجماعة كانوا معه . وحج بالناس في هذه السنة الرشيد . وقيل أنه اعتمر في شهر رمضان ، فلما قضى انصرف إلى المدينة ، فأقام بها إلى وقت الحج ، ثم حج بالناس .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة

وفي هذه السنة هاجت العصبية بالشام ، فعقد الرشيد لجعفر بن يحيى على الشام، فأتاهم فأصلح بينهم. وفيها أخذ الرشيد خاتم الخلافة من جعفر بن يحيى ، فدفعه إلى أبيه يحيى بن خالد . وفيها ولى جعفر بن يحيى خراسان وسجستان . وفيها عزل هرثمة بن أعين عن إفريقية . وفيها كانت بأرض مصر زلزلة شديدة ، فسقط رأس منارة الاسكندرية . وفيها حكم خراشة الشيباني وشري بالجزيرة ، فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العقيلي . وفيها خرجت المحمرة بجرجان ، فكتب علي بن عيسى بن ماهان أن الذي هيج ذلك عليه عمرو بن محمد العمركي ، وأنه زنديق ، فأمر الرشيد بقتله فقتل بمرو . وفيها عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان ، وولى ذلك عبدالله بن خازم . وعزل الفضل أيضاً عن الري ، ووليها محمد بن يحيى بن الحارث بن شخير ، وولى سعيد بن سلم الجزيرة . وغزا الصائفة فيها معاوية بن زفر بن عاصم . وحج بالناس موسى بن عيسى بن موسى بن محمد ابن علي .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة

وفي هذه السنة غـزا الرشـيـد أرض الروم، فافتتح بها عنوة حصن الصفاصف. وفـيـهـا غـزا عبدالملك بن صالـح الـروم ، فبلغ أنقـرة وافتتـح مطمورة . وفيها توفي الحسـن بن قحطبـة وحمـزة بن مالك . وفيها غلبـت المحمـرة على جرجـان ، وحج بالناس في هذه السنة هارون الرشيد .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة

وفي هذه السنة انصرف الرشيد من مكة إلى الرقـة ، وأخذ البيعة لابنه عبدالله المأمون بعد ابنه محمد الامين ، وأخذ البيعة له على الجند بذلك بالرقة . وفيها حملت ابنة خاقان ملك الخزر إلى الفضل بن يحيى، فماتت ببرذعة، فرجع بعضهم إلى أبيها، فأخبروه أن ابنتـه قـتلت غـيلة ، فـحنق لذلك ، وأخـذ في الأهبة لحرب المسلمين . وغـزا الصـائفـة في هذه السنة عـبـدالرحمن بن عـبـدالملك بن صالح ، فبلغ دفسوس مـدينة أصـحـاب الكهف . وفـيها سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن اليون ، وأقـروا أمه ريني ، وتلقب أغسطة . وحج بالناس موسى بن عيسى .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

وفي هـذه الـسنة خـرج الخـزر بسـبب ابنة خـاقـان من باب الأبواب وأوقـعـوا بالمسلمين ، فـانتـهكوا أمـرا عظيما لم يسـمـع في الإسلام بمثله ، فولى الرشيد إرمينية يزيد بن مـزيد مع أذربيـجـان ، وقـواه بالجند . وفـيـهـا خرج بنسا من خراسان أبو الخـصـيب وهيب بن عـبـدالله النسـائي مولى الحريش . وفيها مات موسى بن جعفر ببغداد ومحمد بن السماك القاضي . وحج بالناس العباس بن موسى الهادي .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة

وفي هـذه السنة ولي حماد البربري مكة واليـمن ، وولي داود بن يزيد بن حـاتم المـهـلبي السند ، ويحيى الحـرشي الجـبل ، ومـهـرويه الرازي طبرسـتـان ، وإبراهيم الأغلب إفـريقـيـة . وفـيـها خرج أبو عمرو الشاري فوجه إليه الرشيد زهير القصاب

فقتله بشهرزور . وفيها طلب أبو الخصيب الأمان ، فأعطاه ذلك علي بن عيسى . وحج بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن عبدالله .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

وفي هذه السنة قتل أهل طبرستان مهرويه الرازي وهو واليها ، فولى الرشيد مكانه عبدالله بن سعيد الحرشي . وفيها قتل عبدالرحمن الابناوي أبان بن قحطبة الخارجي بمرج القلعة . وفيها عاث حمزة الشاري بباذغيس من خراسان ، فوثب عيسى بن علي على عشرة آلاف من أصحاب حمزة فقتلهم . وفيها خرج أبو الخصيب ثانية بنسا وزحف إلى مرو، فأحاط بها، فهزم، ومضى نحو سرخس، وقوي أمره. وفيها مات يزيد بن مزيد ببرذعة، فولي مكانه أسد بن يزيد. وفيها مات يقطين بن موسى وعبدالصمد بن علي ببغداد. وحج بالناس منصور بن محمد بن عبدالله.

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

وفي هذه السنة خرج علي بن عيسى من مرو لحرب أبي الخصيب إلى نسا ، فقتله بها ، واستقامت خراسان . وفيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور عند هرثمة . وتوفي العباس بن محمد ببغداد . وحج بالناس هارون الرشيد ومعه محمد وعبدالله وقواده ووزراؤه ، فلما قضى مناسكه كتب لعبد الله المأمون كتابين ، أحدهما على محمد بما اشترط عليه من الوفاء بما فيه من تسليم ما ولي عبدالله من الأعمال ، والآخر نسخة البيعة التي أخذها على الخاصة والعامة والشروط لعبدالله على محمد وعليهم ، وجعل الكتابين في البيت الحرام .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

وفي هذه السنة قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد وأوقع بالبرامكة . قال أحمد بن يوسف : أكثر الناس في البرامكة وما آلت إليه حالهم ، فخاف الرشيد أن يطمعوا بالخلافة . وقال أحمد بن زهير : إن سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن اخته عباسة بنت المهدي ، وكان يحضرهما إذا جلس للشرب ، وذلك بعد أن أعلم جعفرا قلة صبره عنه وعنها ، وقال لجعفر :

ازوجكها ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسي ، وتقدم إليه ألا يمسها ، فزوجها منه على ذلك ، فكان يحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب ، ثم يقوم عن مجلسه ويخليهما، فيثملان من الشراب، وهما شابان ، فيقوم إليها جعفر فيجامعها، فحملت منه وولدت غلاما ، فخافت على نفسها من الرشيد إن علم بذلك ، فوجهت بالمولود مع حواضن له إلى مكة ، فلم يزل الأمر مستورا عن هارون، حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريها شر، فأنهت أمرها وأمر الصبي إلى الرشيد، فأمر بجعفر فجيء به ، فأمر بضرب عنقه ، وأمر بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ، فلم يفلت منهم أحد . قال العباس بن بزيع : قتل جعفر بن يحيى في ليلة السبت أول ليلة من صفر من سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة . وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة .

وفي هذه السنة هاجت العصبية بدمشق بين المضرية واليمانية ، فوجه الرشيد محمد بن منصور فاصلح بينهم . وفيها خرج عبدالسلام بأمد ، فقتله يحيى بن سعيد العقيلي . وفيها مات يعقوب بن داود بالرقة . وفيها غزا الصائفة القاسم بن الرشيد . وفيها غضب الرشيد على عبدالملك بن صالح وحبسه ، فلم يزل محبوسا حتى توفي الرشيد ، فاطلقه محمد ، وعقد له على الشام . وفيها مات علي بن عيسى بن موسى وهو مع القاسم يغزو الروم . وفي هذه السنة نقض الروم الصلح، فسارا إليهم الرشيد حتى أناخ بباب هرقلة ، ففتح وغنم ، واصطفى وأفاء ، فطلب صاحب الروم الصلح فأجابه الرشيد إلى ذلك .

وفي هذه السنة قتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، وكان يحب جعفرا والبرامكة، فجاء ابنه إلى الفضل بن الربيع فأخبره ، فأخبر الفضل الرشيد ، فأرسل الرشيد إلى ابنه وأمره أن يقتله ، فدخل عليه ابنه فضربه بسيفه حتى مات . وحج بالناس عبيدالله بن العباس .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

وفي هذه السنة غزا إبراهيم بن جبريل الصائفة ، فدخل أرض الروم ، فخرج للقائه نقفور ، فقتل من الروم أربعون ألفا وسبعمائة ، وانهزم صاحبهم . وحج بالناس الرشيد .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

وفي هذه السنة خرج الرشيد إلى الري ، وولى عبدالله بن مالك طبرستان والري والرويان ودنباوند وقومس وهمذان ، وولى محمد بن الجنيد ما بين همذان والري ، وولى عيسى بن جعفر بن سليمان عُمان . وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم ، فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي به . وحج بالناس العباس بن موسى بن عيسى .

ثم دخلت سنة تسعين ومائة

وفي هذه السنة ظهر رافع بن ليث بن نصر بن يسار بسمرقند ، مخالفا لهارون الرشيد . وفيها غزا الرشيد الصائفة ، واستخلف ابنه المأمون بالرقة . وفيها فتح الرشيد هرقلة ، وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم ، وخرج في هذه السنة خارجي من عبدالقيس يقال له سيف بن بكر ، فوجه إليه الرشيد محمد بن يزيد ، فقتله بعين النورة . ونقض أهل قبرس العهد ، فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلها . وحج بالناس عيسى بن موسى الهادي .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة

وفي هذه السنة خرج ثروان بن سيف بناحية حولايا ، فوجه إليه الرشيد طوق بن مالك فهزمه . وفيها خرج أبو النداء بالشام فوجه الرشيد في طلبه يحيى بن معاذ ، وعقد له على الشام . وفيها غلظ أمر رافع بن ليث بسمرقند ، وكتب أهل نسف إليه يعطونه الطاعة ، ويسألونه أن يوجه إليهم من يعينهم على قتل عيسى بن علي ، فوجه صاحب الشاش في أتراكه قائدا من قواده ، فأتوا عيسى بن علي ، فأحدقوا به وقتلوه. وفيها ولى الرشيد حمويه الخادم بريد خراسان ، وفيها غزا يزيد ابن مخلد الهبيري أرض الروم ، فأخذت الروم عليه المضيق ، فقتلوه ، وسلم الباقون . وفيها ولى الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن أعين . وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور . وفيها عزل الرشيد علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاها هرثمة بن أعين . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن العباس .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

وفي هذه السنة خرج الرشيد إلى خراسان لحرب رافع . وفيها تحركت الخرمية بناحية أذربيجان ، فوجه إليهم الرشيد عبدالله بن مالك في عشرة آلاف ، فأسر وسبى . وفيها مات علي بن ظبيان القاضي بقصر اللصوص . وفيها قدم يحيى بن معاذ بأبي النداء على الرشيد وهو بالرقة فقتله . وفيها ولي ثابت بن نصر بن مالك الثغور وغزا ، فافتتح مطمورة . وفيها تحرك ثروان الحروري ، وقتل عامل السلطان بطف البصرة . وفيها قدم بعلي بن عيسى بغداد ، فحبس بداره بعد أن اتهمه الرشيد بالخيانة ونهب الأموال . وفيها مات عيسى بن جعفر بطرارستان وهو يريد اللحاق بالرشيد . وفيها قتل الرشيد الهيضم اليماني . وحج بالناس في هذه السنة العباس بن عبيدالله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة ثلاثة وتسعين ومائة

وفي هذه السنة توفي الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في الحبس بالرقة في المحرم ، من ثقل أصابه في لسانه وشقه . وكانت وفاته قبل وفاة الرشيد بخمسة أشهر، وهو في خمس وأربعين سنة. وفيها مات سعيد الطبري المعروف بالجوهري . وفيها مات هارون الرشيد . وتوفي ـ فيما ذكر ـ في موضع يدعى المثقب ، في دار حميد بن أبي غانم ، ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة . قال هشام : استخلف أبو جعفر الرشيد هارون بن محمد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وهو يومئذ ابن اثنتين وعشرين سنة ، وتوفي ليلة الأحد غرة جمادى الأولى وهو ابن خمس وأربعين سنة ثلاث وتسعين ومائة ، فملك ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما ، وقيل : كان سنه يوم توفي سبعا وأربعين سنة . وكان جميلا وسيما أبيض جعدا ، وقد خطه الشيب . قال العباس بن محمد عن أبيه : كان الرشيد يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا . قال : وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاته ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة ، فإنه لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال ، ثم المأمون من بعده . وكان لا يضيع عنده احسان محسن ، ولا يؤخر ذلك في أول ما

يحب ثوابه ، وكان يحب الشعراء والشعر ، ويميل إلى أهل الأدب والفقه ، ويكره المراء في الدين . وذكر أنه كان معه ابن أبي مريم المدني ، وكان مضحاكاً له محداثاً فكيها ، فكان الرشيد لا يصبر عنه ولا يمل محادثته .

وقيل : إنه تزوج زبيدة ، وهي أم جعفر ، ثم صارت للمعتصم بالله ـ فولدت له محمدا الأمين . وتزوج أمة العزيز أم ولد موسى ، فولدت له علي بن الرشيد . وتزوج أم محمد ابنة صالح المسكني . وتزوج العباسة ابنة سليمان بن أبي جعفر . وتزوج عزيزة ابنة الغطريف . وتزوج الجرشية العثمانية ومات الرشيد عن أربع مهائر : أم جعفر ، وأم محمد ابنة صالح ، وعباسة ابنة سليمان ، والعثمانية . وولد للرشيد من الرجال : محمد الأكبر وأمه زبيدة ، وعبدالله المأمون وأمه أم ولد يقال لها مراجل ، والقاسم المؤتمن وأمه أم ولد يقال لها قصف ، ومحمد أبو إسحاق المعتصم وأمه أم ولد يقال لها ماردة ، وعلي وأمه أمة العزيز ، وصالح وأمه أم ولد يقال لها رئم ، ومحمد أبو عيسى وأمه أم ولد يقال لها عرابة ، ومحمد أبو يعقوب وأمه أم ولد يقال لها شذرة ، ومحمد أبو العباس وأمه أم ولد يقال لها خبث ، ومحمد أبو سليمان وأمه أم ولد يقال لها رواح ، ومحمد أبو علي وأمه أم ولد يقال لها دواج ، ومحمد أبو أحمد وأمه أم ولد يقال لها كتمان .

ومن النساء : سكينة وأمها قصف وهي أخت القاسم ، وأم حبيب وأمها ماردة وهي أخت أبي إسحاق المعتصم ، وأروى أمها حلوب ، وأم الحسن وأمها عرابة، وأم محمد وهي حمدونة، وفاطمة وأمها غصص واسمها مصفى، وأم سلمة وأمها رحيق، وخديجة وأمها شجر، وأم القاسم وأمها خزق، ورملة أم جعفر وأمها حلي، وأم علي أمها أنيق، وأم الغالية أمها سمندل، وريطة وأمها زينة.

وفي هذه السنة بويع لمحمد الأمين بن هارون بالخلافة في عسكر الرشيد ، وعبدالله بن هارون المأمون يومئذ بمرو . فأقام المأمون على ما كان يتولى من عمل خراسان ونواحيها إلى الري ، وأقر الامين أخاه القاسم على ما كان أبوه هارون ولاه من عمل الجزيرة ، واستعمل عليها خزيمة بن خازم ، وأقر القاسم على قنسرين والعواصم . وفي هذه السنة قتل نقفور ملك الروم في حرب برجان ، وملك بعده استبراق ، فبقي شهرين ومات . وملك ميخائيل بن جورجس . وحج بالناس في هذه السنة داود بن عيسى وكان والي مكة .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

وفي هذه السنة خالف أهل حمص عاملهم إسحاق بن سليمان ، فصرفه محمد عنهم، وولى مكانه عبدالله بن سعيد الحرشي ، فحبس عدة من وجوههم ، وضرب مدينتهم بالنار ، وسألوه الأمان فأجابهم . وفيها عزل محمد أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه هارون ولاه من عمل الشام وقنسرين والعواصم والثغور ، وولى مكانه خزيمة بن خازم. وفيها أمر محمد بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة. وفيها مكر كل واحد منهما بصاحبه: محمد الأمين وعبدالله المأمون ، وظهر بينهما الفساد. قال أبو جعفر : إن الفضل بن الربيع ، سعى في اغراء محمد بالمأمون ، وحثه على خلعه ، وصرف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى . وأدخل في ذلك رأيه معه علي بن عيسى والسندي وغيرهما ، فما يزالوا بالأمين حتى أزالوه عن رأيه ، وكان من رأيه الوفاء لأخويه .

قال الفضل بن إسحاق بن سليمان : إن المأمون لما بلغه ما أمر به محمد من الدعاء لابنه موسى وعزله القاسم عما كان الرشيد ضم إليه من الأعمال ، علم أنه يدبر عليه في خلعه ، فقطع البريد عن محمد ، وأسقط اسمه من الطرز والضرب . قال : وألح الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى على محمد في البيعة لأبنه وخلع المأمون، وأعطى الفضل الأموال حتى بايع لابنه موسى ، وسماه الناطق بالحق ، وأحضنه علي بن عيسى وولاه العراق . قال : وكان أول من أخذ له البيعة بشر بن السميدع الأزدي ، ثم أخذها صاحب مكة وصاحب المدينة على خواص من الناس قليل ، دون العامة . قال : ونهى الفضل عن ذكر عبدالله والقاسم والدعاء لهما على شيء من المنابر ، ودس لذكر عبدالله والوقيعة فيه ، ووجه إلى مكة في أخذ الكتابين اللذين كان هارون كتبهما ، وجعلهما في الكعبة لعبد الله على محمد ، فلما صار بالكتابين إلى محمد قبضهما ومزقهما وأبطلهما .

وفي هذه السنة عقد محمد بن هارون في شهر ربيع الأول لابنه موسى على جميع ما استخلفه عليه ، وجعل صاحب أمره كله علي بن عيسى بن ماهان . وفيها وثب الروم على ميخائيل صاحب الروم فهرب وترهب. وفيها ملك على الروم ليون القائد .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة

وفي هذه السنة أمر محمد الأمين باسقاط ما كان ضرب لأخيه المأمون من الدنانير والدراهم بخراسان ، لأن المأمون كان أمر ألا يثبت فيها اسم محمد ، وكان يقال لتلك الدنانير والدراهم الرباعية ، وكانت لا تجوز حينا . وفي هذه السنة ، تسمى المأمون بامام الهدى . وفيها عقد الأمين لعلي بن عيسى على كور الجبل كلها : نهاوند وهمذان وقم واصفهان .

وفي هذه السنة شخص علي بن عيسى إلى الري إلى حرب المأمون ، فسار حتى بلغ الري ، فلقيه طاهر بن الحسين وهو في أقل من أربعة الاف ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فشد طاهر على علي بن عيسى فقتله ، وانهزم الجيش . قال محمد بن يحيى النيسابوري : ولما انتهى الخبر بقتل علي بن عيسى إلى محمد الأمين ، وجه عبدالرحمن الأبناوي بالقوة والعدة فنزل همذان ، فسار طاهر إليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عبدالرحمن في أصحابه حتى دخلوا مدينة همذان ، فأقام طاهر على باب المدينة محاصرا لهم واشتد بهم الحصار ، فأرسل عبدالرحمن إلى طاهر فسأله الأمان له ولمن معه ، فأمنه طاهر ووفى له .

وفي هذه السنة سمي طاهر بن الحسين ذا اليمينين . وفيها ظهر بالشام السفياني علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فدعا إلى نفسه ، وطرد عامل محمد الأمين على دمشق سليمان بن أبي جعفر . وفيها طرد طاهر عمال محمد عن قزوين وسائر كور الجبال . وفيها قتل عبدالرحمن بن جبلة الأبناوي بأسداباذ . وحج بالناس في هذه السنة داود بن عيسى وكان عامل محمد على مكة والمدينة .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

وفي هذه السنة وجه الأمين أحمد بن مزيد وعبد الله بن حميد بن قحطبة في أربعين ألف رجل إلى حلوان لحرب طاهر بن الحسين ، فتوجها حتى نزلا قريبا من حلوان بموضع يقال له خانقين ، وأقام طاهر في موضعه ودس الجواسيس والعيون إلى عسكريهما حتى تمكن من ايقاع الاختلاف والشغب بينهم ، فانتفض أمرهم ، وقاتل بعضهم بعضا ، فاخلوا خانقين ، ورجعوا من غير قتال . وتقدم طاهر حتى بلغ حلوان ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى أتاه هرثمة بن أعين بكتاب المأمون وأقام

هرثمة بحلوان ، وتوجه طاهر إلى الاهواز .

وفي هذه السنة رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل وقدره ، وسماه ذا الرياستين . وفيها توفي عبد الملك بن صالح . وفيها خلع محمد بن هارون ، واخذت عليه البيعة لأخيه المأمون ببغداد . قال أحمد بن عبد الله : خلع الحسين بن ماهان محمدا الأمين يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون ، وغدا إلى محمد الأمين فاخرجه من قصر الخلد إلى قصر أبي جعفر ، فحبسه هناك . قال : فلما أصبح الناس من الغد طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق وماج الناس بعضهم في بعض . وقام أسد الحربي، فقال : يا قوم ! ذهب أقوام بذكر خلع محمد وأسره ، فاذهبوا بذكر فكه واطلاقه . فاقبل شيخ فصاح بالناس : ما بالكم خذلتم خليفتكم وأعنتم على اضطهاده وأسره ! أما والله ما قتل قوم خليفتهم قط إلا سلط الله عليهم السيف القاتل ، والحتف الجارف ، انهضوا إلى خليفتكم وادفعوا عنه .

قال : فنهض القوم وقاتلوا الحسين بن علي ، وأكثروا في أصحابه الجراح ، وأسر الحسين بن علي ودخل أسد الحربي على الأمين ، فكسر قيوده وأقعده في مجلس الخلافة ، واتي بالحسين بن علي فلامه الأمين على خلافه ، وعفا عنه ، وحمله على مراكب، وأمره بالمسير إلى حلوان . قال عثمان بن سعيد الطائي : فلما وقف الحسين ابن علي على باب الجسر، هرب في نفر من خدمه ومواليه فصاح الأمين في الناس ، فركبوا في طلبه ، فادركوه ، وابتدره الناس طعنا وضربا حتى قتلوه . وفي تلك الليلة التي قتل فيها الحسين بن علي هرب الفضل بن ربيع .

وفي هذه السنة توجه طاهر بن الحسين إلى الأهواز ، فقتل عامل محمد عليها وهو محمد بن يزيد المهلبي ، وأقام بها ونفذ عماله في كورها ، وولي على اليمامة والبحرين وعُمان مما يلي الأهواز ، ومما يلي عمل البصرة ، ثم أخذ طريق البر إلى واسط ، فهرب عاملها وهو السندي بن يحيى الحرشي ، ثم سار إلى الكوفة وعليها العباس بن موسى الهادي ، فكتب بطاعته إلى طاهر وبيعته إلى المأمون ، وكتب المنصور بن المهدي ـ وكان عاملا على البصرة ـ إلى طاهر وبيعته إلى المأمون . ومثل ذلك فعل المطلب بن عبد الله بن مالك عامل الموصل . فاقرهم طاهر على أعمالهم .

وفي هذه السنة أخذ طاهر المدائن ، ثم صار إلى صرصر ، فعقد بها جسرا

ونزلها . وفيها خلع داود بن عيسى عامل مكة والمدينة محمدا ، ـ وهو عامله يومئذ عليها ـ وبايع للمأمون ، وكتب بذلك إلى طاهر والمأمون ، ثم خرج بنفسه إلى المأمون ، فأقره على مكة والمدينة . وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى ، ودعا للمأمون بالخلافة .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

وفي هذه السنة لحق القاسم بن هارون الرشيد ومنصور بن المهدي بالمأمون ، فوجه المأمون القاسم إلى جرجان . وفيها حاصر طاهر وهرثمة وزهير بن المسيب محمد الأمين ببغداد . فنزل زهير قصر رقة كلواذي ، ونصب المجانيق والعرادات ، ونزل هرثمة نهر بين ، ونزل طاهر البستان بباب الأنبار . قال محمد بن منصور البارودي : فوكل الأمين عليا فراهمود ، بقصر صالح وقصرسليمان بن أبي جعفر ، فألح في إحراق الدور والدروب وهدمها بالمجانيق والعرادات ، وفعل طاهر مثل ذلك ، حتى أوحشت بغداد . فاستأمن الموكلون بقصر صالح من قبل الأمين. وبدا الناس يلتحقون بطاهر ، وصارت قلوبهم وأهواؤهم معه . قال : ولما طال ذلك على الناس ، وضاقت بغداد بأهلها ، خرج عنها من كانت به من قوة الغرم الفادح والمضايقة الموجعة. قال: ثم أن طاهرا منع ادخال أي شيء إلى بغداد، فاشتد الحصار على الناس، وغلت الأسعار ، فضعف أمر محمد الأمين ، وأيقن بالهلاك ، وهرب عبد الله بن خازم من بغداد إلى المدائن . وأمر محمد الأمين بيع ما بقي في الخزائن ، وانتشر جنده وارتاع في عسكره ، وأحس من طاهر بالعلو عليه والظفر به . وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بأمر المأمون بذلك .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

وفي هذه السنة خالف خزيمة بن خازم محمد بن هارون واستأمن طاهر بن الحسين . قال أبو جعفر : كتب طاهر إلى خزيمة يستميله إلى جانبه وذكر له أن لن يقصر معه . وكتب بمثل ذلك إلى محمد بن علي بن عيسى ، فوثب خزيمة ومحمد ابن علي على جسر دجلة فقطعاه ، وخلعا محمدا ، ودعوا لعبد الله المأمون . قال يحيى بن سلمة الكاتب : وغدا طاهر على المدينة الشرقية وأرباضها ، والكرخ

وأسـواقـهـا وهدم قنطرتي الصراة العتـيـقة والحديثة . ثم قصد إلى مدينة أبي جعفر ، فأحـاط بها وبقصر زبيدة وقصر الخلد . قال : وخرج محمد بأمه وولده إلى مدينة أبي جعـفر ، وتفرق عنه عامة جنده وجواريه في السكك والطرق . قال : وتحصن محمد بـالمدينة هو ومن يقـاتل مـعـه ، وحصره طاهر وأخـذ عليـه الأبواب ، ومنع منه ومن أهل المدينة الدقـيق والماء وغيرهما .

وفي هذه السنة قـتل محمـد بن هارون ، قـال علي بن يزيد : لما طال الحـصار على محمـد ، ناظر محمد ومن بقي معه في طلب الأمان . فقال له السندي : ما أرى فـرجـا إلا هرثمـة ، فـوافـقـه الرأي ، فأرسل إلى هرثمة يسأله الأمان ، فأجابه إلى ذلك . فـعلم طاهر وكـمن حول قصر أم جعفر وقصور الخلد كمناء بالسلاح ومعهم العـتل والفـؤوس . قـال الحـسن بن أبي سـعـيـد : وأمـسى محمد فبادر يريد هرثمة للوعـد الذي كـان بينه وبينه ، فلما صار إلى الحراقة ، خرج طاهر وأصحابه ، فرموا الحـراقـة بالسـهـام والحـجـارة فمالوا ناحـيـة الماء ، وانكفأت الحـراقـة ، فغرق محمد وهرثمـة ، فـسـبح محمد حتى صار إلى بستان موسى ، فأسره محمد بن حميد المعروف بالطاهري ، وحبسه في منزل إبراهيم البلخي ، فأخبر طاهر بذلك ، فأمر بمولى له يقـال له قـريش الدنداني ، فأمـره بقـتل محمـد . فدخل عليه في جماعة معه فذبحوه وأخـذوا رأسـه، فمضوا به إلى طاهر. قال: وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون .

قـال هـشـام بن محمـد : ولي محمـد بن هارون وهو أبو مـوسى يوم الخـمـيس لأحـدى عشرة بقـيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسـعين ومائة ، وقتل ليلة الأحد لسـتـة بقين من صـفـر سنة سـبع وتسعين ومائة ، فكانت خلافتة أربع سنين وثمانية أشـهـر وخمسـة أيام ، وكـان عـمره كله ثمانيا وعشرين سنة . وكان سبطا أنزع أبيض صـغير العـينين ، أقنى ، جميـلا ، عظيم الكراديس ، بعـيد ما بين المنكبين ، وكان مولده بالرصافة .

قال حميد بن سعيد : لما ملك محمد ، طلب الخصيان وأتباعهم ، وغالى بهم ، وصـيرهـم لخـلوته في ليله ونهاره ، وقـوام طعـامـه وشـرابه . قـال : ووجـه إلى جميع البلدان في طلب الملهين وضـمـهم إليـه ، وأجـرى لهم الأرزاق ، وأمـر ببناء مجالس لمتنزهاته ومـواضع خلوته ولهوه ولعـبـه بقصر الخلد والخـيـزرانيـة وبسـتـان موس وقصر عـبـدويـة وقـصر المعلى ورقـة كلواذي وباب الأنبـار وبناورى والهوب ، وأمـر بعـمل

خمس حراقات في دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، وأنفق في عملها مالا عظيما .

وفي هذه السنة وضعت الحرب بين الأمين والمأمون ، واستوسق الناس بالمشرق والعراق والحجاز لعبدالله المأمون بالطاعة . وفيها خرج الحسن الهرش يدعو إلى الرضي من آل محمد . وفيها ولى المأمون كل ما كان طاهر بن الحسين افتتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن الحسن بن سهل أخا الفضل بن سهل . وفيها كتب المأمون إلى طاهر وهو مقيم في بغداد بتسليم جميع ما بيده من الأعمال إلى خلفاء الحسن بن سهل، وأن يشخص عن ذلك كله، إلى الرقة، وجعل إليه حرب نصر بن شبث ، وولاه الموصل والجزيرة والشام . وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة

وفي هذه السنة قدم الحسن بن سهل بغداد من عند المأمون ، فلما قدمها فرق عماله في الكور والبلدان . وفيها شخص طاهر إلى الرقة ، وشخص هرثمة إلى خراسان . وفيها خرج أزهر بن زهير بن المسيب إلى الهرش ، فقتله في المحرم . وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن علي بن أبي طالب يدعو إلى الرضى من آل محمد ، وهو الذي يقال له طباطبا ، وكان القيم بأمره في الحرب وقيادة الجيوش أبو السرايا ، واسمه السري بن منصور . قال أبو جعفر : أقام محمد بن إبراهيم بالكوفة ، وأتاه الناس من نواحي الكوفة والأعراب ، فوجه الحسن بن سهل زهير بن مسيب إلى الكوفة في عشرة آلاف فارس ، فاستقبله محمد ابن إبراهيم وجماعته فهزموه واستباحوا عسكره . فلما كان من الغد مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجأة ، فأقام أبو السرايا مكانه غلاما أمرد حدثا يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب . قال : ووجه الحسن بن سهل عبدوس بن محمد المروروذي إلى الكوفة ، فقتله أبو السرايا ، واستباح عسكره .

قال : ثم وجه أبو السرايا جيوشا إلى البصرة وواسط فدخلوهما ، ثم وجه الجيوش إلى المدائن ، فدخلها أصحابه في رمضان ، فواقعهم علي بن أبي سعيد فهزمهم وأخذ المدائن . قال : ووجه أبو السرايا إلى مكة حسين بن حسن الأفطس

فدخلها ولم يقاتله بها أحد ، ووجه إلى المدينة محمد بن سليمان بن داود فدخلها أيضا ولم يقاتله بها أحد . على أن أهل الموسم أفاضوا هذه السنة بغير إمام .

ثم دخلت سنة مائتين

وفي هذه السنة هرب أبو السرايا ومن معه من الكوفة إلى القادسية ، ودخل منصور بن المهدي وهرثمة الكوفة وأمنوا أهلها . ثم خرج أبو السرايا من القادسية إلى واسط ثم أتى السوس فأتاهم الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بالمأموني ، فهزمهم ، واستباح عسكرهم ، وهرب أبو السرايا في جماعة من أصحابه حتى أتوا جلولاء ، فأتاهم حماد الكندغوش فأخذهم ، فجاء بهم الحسن بن سهل ، فقدم بأبي السرايا فضرب عنقه .

وفي هذه السنة خرج إبراهيم بن موسى الطالبي باليمن ، وكان يقال له الجزار لكثرة من قتل باليمن من الناس . وأرسل إبراهيم الطالبي بعض ولد عقيل ابن أبي طالب من اليمن في جند كثيف إلى مكة ليحج بالناس ، فحورب العقيلي فهزم ، ولم يقدر على دخول مكة .

وفي هذه السنة شخص هرثمة إلى خراسان يريد المأمون ، وقد أتته كتب المأمون أن يرجع فيلي الشام أو الحجاز ، فأبى وقال : لا أرجع حتى ألقى أمير المؤمنين . وكان الفضل بن سهل يدبر عليه عند المأمون وقال له : إن هرثمة دس أبا السرايا ، وهو جندي من جنده حتى عمل ما عمل ، ولو شاء هرثمة ألا يفعل ذلك أبو السرايا ما فعله . فلما جاء هرثمة ، قال له المأمون : داهنت ودسست إلى أبي السرايا ، وكان رجلا من أصحابك . فحاول هرثمة أن يعتذر ويدفع عن نفسه ما قرف به فلم يقبل منه ، وأمر المأمون بحبسه ، فمكث في الحبس أياما ، ثم دسوا إليه فقتلوه ، وقالوا له : إنه مات .

وفي هذه السنة قتلت الروم ملكها ليون ، فكان قد ملك عليهم سبع سنين وستة أشهر ، وملكوا عليهم ميخائيل بن جورجس ثانية. وفيها قتل المأمون يحيى بن عامر بن إسماعيل ، وذلك لأن يحيى أغلظ له ، فقال له : يا أمير الكافرين ، فقتل بين يديه . وأقام للناس الحج أبو إسحاق بن الرشيد .

ثم دخلت سنة إحدى ومائتين

وفي هذه السنة راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع عليهم، فلما امتنع من ذلك راودوه على الامرة عليهم ، على أن يدعو للمأمون بالخلافة ، فأجابهم إلى ذلك . وفي هذه السنة أيضا تجردت المطوعة للنكير على الفساق ببغداد ، ورئيسهم خالد الديوش وسهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان ، فعاونهما الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي هذه السنة جعل المأمون علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده، وسماه الرضي من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق. فغضب ولد العباس من ذلك واجتمع بعضهم إلى بعض، وقالوا: نولي بعضنا، ونخلع المأمون. فبايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي بالخلافة ومن بعده ابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي ، وخلعوا المأمون . وفيها افتتح عبدالله ابن خرداذبة وهو والي طبرستان اللارز والشيرز، من بلاد الديلم، وأسر أبا ليلى ملك الديلم بغير عهد في هذه السنة. وفيها تحرك بابك الخرمي في الجاويذانية أصحاب جاويذان بن سهل، صاحب البذ، وادعى أن روح جاويذان دخلت فيه ، وأخذ في العبث والفساد. وفيها أصاب أهل خراسان والري واصبهان مجاعة ، وعز الطعام، ووقع الموت. وحج بالناس في هذه السنة إسحاق بن موسى بن عيسى.

ثم دخلت سنة إثنتين ومائتين

وفي هذه السنة بايع أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي وسموه المبارك ، فوعد الجند أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر ، فدافعهم بها ، فشغبوا عليه ، فأعطاهم مائتي درهم لكل رجل ، وكتب لبعضهم بقيمة بقية مالهم حنطة وشعيرا ، فخرجوا في قبضتها ، فلم يمروا بشيء إلا انتهبوه ، فأخذوا النصيبين جميعا ، نصيب أهل البلاد ونصيب السلطان . وفي هذه السنة حكم مهدي بن علوان الحروري ، وكان خروجه ببزر جسابور ، وغلب على طساسيج هنالك ، وعلى نهر بوق والراذانين ، فوجه إليه إبراهيم بن المهدي أبا إسحاق بن الرشيد في جماعة من القواد ، فهزمه أبو إسحاق إلى حولايا .

وفي هذه السنة وثب أخو أبي السرايا بالكوفة ، فخلع ، واجتمعت إليه جماعة ، فلقيه غسان بن أبي الفرج فقتله ، وبعث برأسه إلى إبراهيم بن المهدي . وفيها ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوعي فحبسه وعاقبه ، فكان بين خروجه وبين أخذه وحبسه اثنا عشر شهرا .

وفي هذه السنة شخص المأمون من مرو يريد العراق . وكان إبراهيم بن المهدي بالمدائن ، فقدم المطلب بن عبدالله بن مالك ، ، جعل يدعو في السر إلى المأمون ، فأجابه إلى ذلك منصور وخزيمة بن خازم وقواد كثير . وكتب المطلب إلى حميد وعلي بن هشام أن يتقدما فينزل حميد نهر صرصر وعلي النهروان ، فلما تحقق عند إبراهيم الخبر خرج من المدائن إلى بغداد ، فبعث حميد قائداً فأخذ المدائن ، وقطع الجسر، ونزل بها. وفي هذه السنة تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل. وفيها زوج المأمون علي بن موسى الرضي ابنته أم حبيب ، وزوج محمد بن علي بن موسى ابنته أم الفضل . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد ، فدعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين

وفي هذه السنة توفي علي بن موسى بن جعفر ، وكان برفقة المأمون عندما شخص إلى بغداد . وفيها غلبت السوداء على الحسن بن سهل ، فذكر سبب ذلك أنه كان مرض مرضاً شديداً ، فهاج به من مرضه تغير عقله ، حتى شد في الحديد وحبس في بيت . وكتب بذلك إلى المأمون ، فأمر أن يكون على عسكره دينار بن عبدالله . وفيها ضرب إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد وحبسه ، لأنه كان يراسل حميدا ويتعذر عن قتاله . فلما بلغ حبس عيسى أهل بيته وأصحابه، مشى بعضهم إلى بعض ، وحرضوا الناس على خلع إبراهيم بن المهدي ، وكان رأسهم عباس خليفة عيسى ، فشدوا على عامل إبراهيم على الجسر فطردوه . وكتب عباس إلى حميد يسأله أن يقدم إليهم حتى يسلموا إليه بغداد . فخرج إليه عباس وقواد بغداد وساعدوه على دخول المدينة .

وفي هذه السنة خلع أهل بغداد إبراهيم المهدي ، ودعوا للمأمون بالخلافة . واختفى إبراهيم بن المهدي ، وتغيب بعد حرب بينه وبين حميد بن عبدالحميد .

فكانت أيام إبراهيم بن المهدي كلها سنة وأحد عشر شهرا واثني عشر يوما . وغلب علي بن هشام على شرقي بغداد وحميد بن عبدالحميد على غربيها ، وصار المأمون إلى همذان في آخر ذي الحجة . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبدالله ابن سليمان بن علي .

ثم دخلت سنة أربع ومائتين

وفي هذه السنة دخل المأمون بغداد في يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة أربع ومائتين ، ولباسه ولباس أصحابه كلها الخضرة ، فلما قدم نزل الرصافة ، وقدم معه طاهر بن الحسين ، ثم تحول ونزل قصره على شط دجلة . فتكلم بنو هاشم وولد العباس وقالوا له : يا أمير المؤمنين ، تركت لباس آبائك وأهل بيتك ودولتهم ، ولبست الخضرة . وكتب إليه في ذلك قواد أهل خراسان ، فلما رأى طاعة الناس له في لبس الخضرة وكراهتهم لها ، دعا بسواد فلبسه ودعا بخلعة سواد فألبسها طاهرا ، وفعل مثل ذلك مع عدة من قواده ، فلما خرجوا من عنده وعليهم السواد ، طرح سائر الناس لبس الخضرة ، ولبسوا السواد . وأمر المأمون بمقاسمة أهل السواد على الخمسين ، وكانوا يقاسمون على النصف ، واتخذ القفيز الملجم ـ وهو عشرة مكاكيك بالمكوك الهاروني ، كيلاً مرسلاً ، وولى المأمون صالح بن الرشيد البصرة ، وعبيدالله بن الحسن الحرمين ، وحج بالناس في هذه السنة عبيدالله بن الحسن .

ثم دخلت سنة خمس ومائتين

وفي هذه السنة ولى المأمون طاهر بن الحسين على خراسان والجبال . وفيها ورد عبدالله بن طاهر بغداد منصرفاً من الرقة ، وكان أبوه استخلفه عليها ، وأمره بقتال نصر بن شبث ، وقدم يحيى بن معاذ فولاه المأمون الجزيرة . وفيها ولى المأمون عيسى بن محمد بن أبي خالد إرمينية وأذربيجان . وفيها مات السري بن الحكم بمصر ، وكان واليها . وفيها مات داود بن يزيد عامل السند ، فولاها المأمون بشر بن داود . وفيها ولى المأمون عيسى بن يزيد الجلودي محاربة الزط . وحج بالناس في هذه السنة عبيدالله بن الحسن .

ثم دخلت سنة ست ومائتين

وفي هذه السنة ولى المأمون داود بن ماسجور محاربة الزط وأعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين . وفيها كان المد الذي أغرق منه السواد وكسكر وذهب بأكثرها . وفيها نكب بابك بعيسى بن محمد بن أبي خالد . وفيها ولى المأمون عبدالله بن طاهر الرقة لحرب نصر بن شبث ومضر فولى عبدالله بن طاهر إسحاق بن إبراهيم الجسرين ، وجعله خليفته ، وذلك حين شخص إلى الرقة لحرب نصر بن شبث. وحج بالناس في هذه السنة عبيدالله بن حسن والي الحرمين.

ثم دخلت سنة سبع ومائتين

وفي هذه السنة خرج عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب ببلاعك من اليمن يدعو إلى الرضي من آل محمد صلى الله عليه وسلم، فوجه إليه المأمون دينار بن عبدالله في عسكر كثيف ، وكتب معه بأمانة ، فبعث إليه دينار بن عبدالله بأمانة من المأمون ، فقبل ذلك ، فخرج به إلى المأمون ، فمنع المأمون عن ذلك الطالبيين من الدخول عليه ، وأمر بأخذهم بلبس السواد . وفي هذه السنة توفي طاهر بن الحسين من حمى وحرارة أصابته ، فولى المأمون إبنه طلحة بن طاهر والياً على خراسان . وفيها غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة بالهاروني أربعين درهماً . وفيها ولي موسى بن حفص طبرستان والرويان ودنباوند . وحج بالناس في هذه السنة أبو عيسى بن الرشيد .

ثم دخلت سنة ثمان ومائتين

وفي هذه السنة خرج الحسن بن الحسين بن مصعب في خراسان وسار إلى كرمان ممتنعاً بها ، فسار إليه أحمد بن خالد حتى أخذه ، فقدم به على المأمون ، فعفا عنه . وفيها مات موسى بن محمد الأمين المخلوع ، ومات الفضل بن الربيع . والحج بالناس في هذه السنة صالح بن الرشيد .

ثم دخلت سنة تسع ومائتين

وفي هذه السنة حصر عبدالله بن طاهر نصر بن شبث وضيّق عليه حتى طلب

الأمان ، فأمره المأمون أن يكتب له بذلك ، فآمنه . وكان مقام عبدالله بن طاهر على نصر بن شبث محارباً له خمس سنين حتى طلب الأمان . وفي هذه السنة ولى المأمون صدقة بن علي المعروف بزريق ارمينية وأذربيجان ومحاربة بابك . فأسره بابك، فولى المأمون إبراهيم بن الليث أذربيجان. وحج بالناس في هذه السنة صالح ابن العباس وهو والي مكة. وفيها مات صاحب الروم ميخائيل بن جورجس، وملكت الروم ابنه توفيل .

ثم دخلت سنة عشر ومائتين

وفي هذه السنة وصل نصر بن شبث إلى بغداد ، فأمر المأمون بحبسه . وفيها ظفر المأمون بإبراهيم بن محمد الذي يُقال له إبن عائشة ومحمد بن إبراهيم الافريقي ومن كان معهما ممن كان يسعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي . فأمر بهم ، فقتلوا . وفيها ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي فأمر بحبسه ثم عفا عنه . وفيها إفتتح عبدالله ابن طاهر مصر ، واستأمن إليه عبيدالله بن السري بن الحكم فآمنه . وفيها فتح عبدالله بن طاهر الاسكندرية ، وأجلى من كان تغلب عليها من أهل الأندلس عنها. وفيها خلع أهل قم السلطان ومنعوا الخراج بسبب أنهم استكثروا ما عليهم من الخراج ، فوجه إليهم المأمون علي بن هشام ، فحاربهم فظفر بهم ، وقتل يحيى بن عمران وهدم سور قم ، وجباها سبعة آلاف ألف درهم بعدما كانوا يتظلمون من ألفي ألف درهم . ومات في هذه السنة شهريار ، وصار في موضعه إبنه سابور ، فنازعه مازيار بن قارن فأسره وقتله ، وصارت الجبال في يدي مازيار بن قارن . وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس وهو يومئذ والي مكة .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين

وفي هذه السنة قدم عبدالله بن طاهر مدينة السلام من المغرب ، فتلقاه العباس بن المأمون وسائر الناس ، ومات موسى بن حفص ، فولى المأمون محمد بن موسى طبرستان مكان أبيه ، وولى حاجب بن صالح الهند فهزمه بشر بن داود ، فانحاز إلى كرمان . وفيها أمر المأمون منادياً فنادى : برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير ، أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحج

بالناس في هذه السنة صالح بن العباس وهو والي مكة . وفيها مات أبو العتاهية الشاعر .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائتين

وفي هذه السنة وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي إلى بابك لمحاربته ، فأخذ محمد بن حميد يعلى بن مرة ونظراءه من المتغلبة بأذربيجان ، فبعث بهم إلى المأمون . وفيها خلع أحمد بن محمد العمري المعروف بالأحمر العين باليمن . وفيها ولى المأمون محمد بن عبد الحميد المعروف بأبي الرازي اليمن وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام . وقال : هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن عبدالله بن العباس .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

وفي هذه السنة خلع عبدالسلام وأبن جليس بمصر في القيسية واليمانية . وفيها مات طلحة بن طاهر بخراسان . وفيها ولى المأمون أخاه أبا إسحاق الشام ومصر ، وولى إبنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم . وولى غسان بن عباد السند . وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن عبيدالله بن العباس .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

وفي هذه السنة قتل محمد بن حميد الطوسي ، قتله بابك بهشتادسر . وفيها قتل أبو الرازي باليمن ، وفيها قتل عمير بن الوليد الباذغيسي عامل أبي إسحاق بن الرشيد بمصر ، فخرج أبو إسحاق إليها فافتتحها ، فظفر بعبدالسلام وأبن جليس، فقتلهما . وفيها خرج بلال الضبابي الشاري ، فوجه إليه المأمون عباساً ابنه في جماعة من القواد ، فيهم هارون بن محمد ، فقتل هارون بلالاً . وفيها ولى علي ابن هشام الجبل وقم وإصبهان وأذربيجان . وحج بالناس في هذه السنة إسحاق بن العباس .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين

وفي هذه السنة شخص المأمون من مدينة السلام لغزو الروم ، فأقام على حصن يقال له قرة ، حتى فتحه عنوة ، وكان قد أفتتح قبل ذلك حصناً يقال له ماجدة . وقيل إن المأمون لما أناخ على قرة فحارب أهلها طلبوا الأمان ، فأمنهم المأمون ، فوجه أشناس إلى حصن سندس ، فأتا برئيسه ، ووجه عجيفاً وجعفراً الخياط إلى صاحب حصن سنان ، فسمع وأطاع . وفي هذه السنة أيضاً شخص المأمون بعد خروجه من أرض الروم إلى دمشق . وحج بالناس عبدالله بن عبيدالله ابن العباس .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين

وفي هذه السنة كر المأمون إلى أرض الروم ، ونزل على أنطيغوا ، فخرج أهلها على صلح وصار إلى هرقلة ، فخرج أهلها إليه على صلح ، ووجه أخاه أبا إسحاق ، فافتتح ثلاثين حصناً ، ثم ارتحل إلى دمشق . وفيها ظهر عبدوس الفهري ، فوثب بمن معه على عمال أبي إسحاق ، فقتل بعضهم ، فشخص المأمون من دمشق إلى مصر . وفيها قدم الأفشين من برقة ، فأقام بمصر . وفيها غضب المأمون على علي بن هشام ، فوجه إليه عجيف بن عنبسة وأحمد بن هشام ، وأمر بقبض أمواله وسلاحه . وفيها ماتت أم جعفر ببغداد . وفيها قدم غسان بن عباد من السند ، وقد استأمن إليه بشر بن داود المهلبي ، فرجع غسان إلى بغداد ، وهرب جعفر بن داود القمي إلى قم ، وخلع بها . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبدالله وقيل : عبدالله بن عبيد بن العباس .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين

وفي هذه السنة ظفر الأفشين بالبيما ، وهي من أرض مصر ، ونزل أهلها بأمان على حكم المأمون . وفيها أتي بعبدوس الفهري فأمر المأمون بضرب عنقه . وفيها قتل المأمون إبني هشام علياً وحسيناً للذي بلغه من سوء سيرة علي في أهل عمله ، وكان المأمون ولاه كور الجبال ، فقتل الرجال ، وأخذ الأموال . وفيها دخل المأمون أرض الروم ، فأناخ على لؤلؤة مائة يوم ، ثم رحل عنها وخلف

عليهـا عـجـيـفـاً ، فافتدى أهلها وأسروه ، فمكث أسيراً في أيديهم ثمانية أيام ، ثم أخـرجـوه بأمـان . وفـيـهـا كـتب توفيل صـاحب الروم إلى المأمون يسأله الصلح . فكتب إليـه المأمون : فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة، غير أني رأيت أن أتقدم إليك بالموعظة من الدعـاء لك ولمن مـعك إلى الوحـدانية والشريعـة الحنيـفـية ، فإن أبيت فـفـدية توجب ذمـة ، وتثبت نظرة ، وإن تركت ذلك ، فـفي يقين المعـاينة لنعوتنا مـا يغني عن الإبلاغ في القـول والإغـراق في الصـفة . والسلام على من إتبع الهدى . وفي هذه السنة صـار المأمـون إلى سلفـوس . وفـيـهـا بعث علي بن عـيسى القـمي جـعفر بن داود القمي فضرب أبو إسحاق بن الرشيد عنقه . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبدالله بن سليمان بن علي .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين

وفي هـذه الـسـنة شـخص المأمـون من سلغـوس إلى الرقـة ، وقـتل إبن أخت الداري . وفـيـهـا وجـه المأمـون ابنه العـبـاس إلى أرض الروم ، وأمره بنزول الطوانة وبنائهـا ، فـبناها مـيـلاً في مـيل ، وجـعل لها أربعة أبواب ، على كل باب حصناً . وفـيـهـا كـتب المأمـون إلى إسـحـاق بن إبراهيم في امـتـحان القضاة والمحدثين وأمره باشخاص جماعة منهم إليه إلى الرقة . وكان المأمون يقول في خلق القرآن .

وفي هـذه الـسـنة توفي المأمـون من علة أصـابتـه وهو في طرسـوس . قـال أبو جـعـفر : توفي المأمون يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومـائتين . ودفن في طرسـوس في دار كـانت لخـاقـان خادم الرشيد . وكانت خلافته عشرين سنة وخمسـة أشـهـر وثلاثة وعشرين يوماً . وكان ولد للنصف من ربيع الأول سنة سبـعين ومـائة . وكـان يكنى أبا العـبـاس . وكـان ربعة أبيض جميلاً ، طويل اللحـيـة ، قـد وخطه الشيب . وقيل كان أسمر تعلوه صفرة ، أحنى أعين ، طويل اللحية رقيقها ، أشيب ، ضيق الجبهة ، بخده خال أسود .

وفي هذه السنة بويع لأبي إسـحـاق المعتصم محمد بن هارون الرشيد ، وذلك يوم الخـمـيس لاثنتي عشرة ليلة بقـيت من رجب سنة ثمان عشرة ومـائتين . وفيها أمر المعـتـصم بهدم مـا كـان المأمـون أسر ببنائه بغـوانة وانصرف إلى بغـداد . وفيها دخل جماعـة كـثيرة من أهل الجـبال في دين الخرمية ، فوجه المعتصم إليهم عساكر ، فكان

آخر عسكر وجه إليهم مع إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فقتل في عمل الجبال ستين ألفاً وهرب باقيهم إلى بلاد الروم . وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين

وفي هذه السنة ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، فاجتمع إليه ناس كثير ، وكانت بينه وبين قواد عبدالله بن طاهر وقعات ، فهزم هو وأصحابه ، فخرج هارباً يريد بعض كور خراسان . فأخذه عامل الكور وبعث به إلى المعتصم فأمر بحبسه ، فذكر أنه هرب من الحبس بعد أن مكث ثلاثة أيام . وفي هذه السنة وجع المعتصم عجيف بن عنبسة لحرب الزط ، الذين كانوا قد عاثوا في طريق البصرة ، فقطعوا فيه الطريق ، فقاتلهم عجيف تسعة أشهر ، وأسر منهم خمسمائة رجل وقتل منهم في المعركة ثلاثمائة رجل . وكان رئيس الزط رجلاً يقال له محمد بن عثمان . وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس .

ثم دخلت سنة عشرين ومائتين

وفي هذه السنة دخل عجيف بالزط بغداد ، بعد أن طلبوا الأمان فآمنهم ، وكانت عدتهم سبعة وعشرين ألفاً ، فدخل بهم بغداد وأقاموا في سفنهم ثلاثة أيام، ثم عبر بهم إلى الجانب الشرقي ، فدفعوا إلى بشر بن السميدع ، فذهب بهم إلى خانقين ، ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة ، فأغارت عليهم الروم ، فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد .

وفي هذه السنة عقد المعتصم للأفشين خيذر بن كاوس على الجبال ، ووجه به لحرب بابك ، فكانت وقعة بين بابك وأفشين بأرشق ، قتل فيها الأفشين من أصحاب بابك خلقاً كثيراً ، وهرب بابك إلى موقان ، ثم شخص منها إلى مدينته التي تدعى البذّ . وفي هذه السنة أيضاً خرج المعتصم من بغداد إلى القاطول ووضع البناء بسامرا ولم يرجع إلى بغداد . وفيها غضب المعتصم على الفضل بن مروان وحبسه ، وكان الفضل يرفض تنفيذ أوامر المعتصم بالأعطيات ، ومنعه ما كان

يحتاج إليه من الأموال في مهم أموره ، فيقول له المعتصم إحمل إلي كذا وكذا من المال ، فيقول : ما عندي ، حتى صارت الدواوين كلها تحت يديه وهو يكنز الأموال . فغضب المعتصم عليه وأهل بيته ، وأمر برفع ما جرى على أيديهم ، وأخذ الفضل فحبسه . وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

وفي هذه السنة كانت الوقعة بين بابك وبغا الكبير من ناحية هشتادسر فهزم بغا واستبيح عسكره . وفيها واقع الآفشين بابك وهزمه . وفيها قتل قائد لبابك كان يقال له طرخان ، وفيها غضب الآفشين على رجاء الحضاري وبعث به مقيداً . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود بن عيسى وهو والي مكة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين

وفي هذه السنة وجه المعتصم جعفر بن دينار إلى الأفشين مدداً له . وفيها فتحت البذ مدينة بابك ، ودخلها المسلمون ، واستباحوها ، وتمكن الأفشين من أخذ بابك وأخيه فحبسهما في بيت واحد ، ووكل بهما قوماً يحفظونهما وكتب الأفشين إلى المعتصم بأخذه بابك وأخاه ، فكتب المعتصم إليه يأمره بالقدوم بهما عليه . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

وفي هذه السنة قدم الأفشين على المعتصم ببابك وأخيه ، فأمر المعتصم بهما فضربت أعناقهما، وكان جميع من قتل بابك في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين الفاً وخمسمائة إنسان. وأسر مع بابك ثلاثة ألاف وثلاثمائه وتسعة اناسي، واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات وأولادهم سبعة الآف وستمائة إنسان فتوج المعتصم الأفشين والبسه وشاحين بالجوهر، ووصله بعشرين ألف ألف درهم .

وفي هذه السنة أوقع توفيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زبطرة ، فأسرهم وخرب ديارهم، ومضى من فوره إلى ملطيه فأغار على أهلها وعلى أهل حصون من حصون المسلمين، وسبا من المسلمات فيما قيل ــ أكثر من ألف امرأة ، وبلغ النفير

إلى سامرا، وخرج أهل ثغور الشام والجزيرة وأهل الجزيرة إلا من لم يكن عنده دابة ولا سلاح ، واستعظم المعتصم ذلك فعسكر بغربي دجلة ، ووجه عجيف بن عنبسة وعمراً الفرغاني ومحمد كوتة وجماعة من القواد إلى زبطرة إعانة لأهلها فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده ثم إن المعتصم سأل : أي بلاد الروم أمنع وأحصن ؟ فقيل : عمورية . فشخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم وقيل كان شخوصه إليها من سامرا في سنة أربع وعشرين ومائتين ـ وقيل في سنة اثنتين وعشرين ومائتين فذكر أنه تجهز جهازاً لم يتجهز مثله قبله خليفة قط، من السلاح والعدد والآلة، وجعل على مقدمته أشناس ، ويتلوه محمد بن إبراهيم، وعلى ميمنته إيتاخ وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط، وعلى القلب عجيف بن عنبسة .

فأمر المعتصم، فنصبت المجانيق على سور المدينة حتى تهدم فدخل الجيش واستباح عسكر الروم، وأقبل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه حتى امتلأ العسكر، فأمر المعتصم بتمييز من له القدر منهم فعزلوا ناحية ، ثم أمر بالباقين فضربت أعناقهم جميعاً، وهم مقدار ستة آلاف رجل، ورحل المعتصم حتى دخل طرسوس وكانت إناخة المعتصم على عمورية يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان وقفل بعد خمسة وخمسين يوماً .

وفي هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنة وكان السبب في ذلك أن المعتصم لم يطلق يد عجيف في النفقات كما اطلقت يد الأفشين ، فوبخ عجيف العباس على مبايعته للمأمون، وشجعه على أن يتلافى ذلك، فقبل العباس، ودس رجلاً يقال له الحارث السمرقندي فصيره رسوله إلى القواد، فكان يدور في العسكر حتى تألف له جماعة من القواد وبايعوه ، فأشار عجيف على العباس بقتل المعتصم، فأبى العباس عليه، ووصل الخبر إلى المعتصم، فأمر بهم جميعاً، فمنهم من قتل، ومنهم من مات في الحبس والتعذيب، ومات العباس بمنبج ، وكان في يدي الأفشين، ومات عجيف في الطريق وهو في المحمل. ، وقتل باقي القواد، وورد المعتصم سامرا سالماً بأحسن حال، فسمي العباس : اللعين يومئذ، وجرح في هذه السنة إسحاق بن إبراهيم، جرحه خادم له وحج بالناس محمد بن داود .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

وفي هذه السنة أظهر مازيار بن قارن بن وندا هرمز بطبرستان الخلاف على المعتصم ومنع الخراج، فوجه إليه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب وضم إليه جيشاً كثيفاً ، ووجه المعتصم من قبله محمد بن إبراهيم أخا إسحاق بن إبراهيم في جمع كثيف ، فأحتال الحسن بن الحسين على مازيار وأعلمه أنه قد أخذ له الأمان ، واستوثق له ، فسلم نفسه إلى الحسن بن الحسين فبعث به إلى عبد الله بن طاهر فوجهه إلى المعتصم ، فأمر بضرب المازيار حتى مات . وفي هذه السنة ولى جعفر بن دينار اليمن. وفيها امتنع عبد الله الورثاني في بورثان وفيها خالف منكجور الاشروسني بأذربيجان فأمر المعتصم الأفشين أن يوجه رجلاً من قبله بعزل منكجور، فوجه رجلاً من قواده في عسكر ضخم، فانهزم منكجور وصار إلى حصون أذربيجان، وتحصن فيه ، فلم يلبث إلا أقل من شهر حتى وثب به أصحابه ، فأسلموه إلى القائد الذي كان يحاربه، فقدم به إلى سامرا، فأمر المعتصم بحبسه . وفي هذه السنة مات إبراهيم بن المهدي وحج بالناس محمد بن داود .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

وفي هذه السنة قدم الورثاني على المعتصم في المحرم بالأمان . وفيها غضب المعتصم على الأفشين فحبسه . فذكر أن الأفشين كان أيام حربه بابك ، لا يأتيه هدية من أهلها ومن أهل إرمينية إلا وجه بها إلى أشروسنة، فكتب عبد الله بن طاهر إلى المعتصم بخبره . وكان الأفشين يسمع أحياناً من المعتصم كلاماً يدل على أنه يريد عزل أل طاهر عن خراسان، فطمع فيها، فجعل يكاتب مازيار ويبعثه على الخلاف، ظناً منه أن مازيار إن خالف احتاج المعتصم إلى أن يوجهه لمحاربته ، ويعزل عبد الله بن طاهر ويوليه خراسان، فلما قدم مازيار على المعتصم أخبره الخبر، واطلعه على كتب الأفشين ، فأمر المعتصم بحبسه ، وكتب إلى عبد الله بن طاهر في الاحتيال للحسن بن الأفشين، فاحتال إليه عبد الله بن طاهر وحمله مع أترنجة بنت أشناس زوجته وبعث بهما إلى المعتصم وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

وفي هذه السنة مات الأفشين في حبسه قال حمدون بن إسماعيل : فأخرجوه فصلبوه على باب العامة، ثم طرح بباب العامة مع خشبته، فأحرق وحمل الرماد ، وطرح في دجلة . قال : وكان المعتصم حين أمر بحبسه ، وجه سليمان بن وهب الكاتب يحصي جميع ما في دار الأفشين ، فوجد في داره بيت فيه تمثال إنسان من خشب ، عليه حلية كثيرة وجوهر وأصنام وغير ذلك، وكان له متاع بالوزيرية، فوجد فيه أيضا صنم آخر، ووجدوا في كتبه كتباً من كتب المجوس يقال له زراوه وأشياء كثيرة من الكتب فيها ديانته التي كان يدين بها . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

وفي هذه السنة خرج أبو حرب المبرقع اليماني بفلسطين وخالف السلطان واستجاب له قوم من أهل القرى وجماعة من رؤساء اليمانية ، فوجه إليه المعتصم رجاء بن أيوب الحضاري في زهاء ألف من الجند، فأسر أبا حرب وحمل إلى سامرا، فأمر المعتصم بحبسه . وفيها أظهر جعفر بن مهرجش الكردي الخلاف ، فبعث إليه المعتصم إيتاخ إلى جبال الموصل لحربه ، فوثب بجعفر وبعض أصحابه فقتله . وفيها كانت وفاة بشر بن الحارث الحافي .

وفي هذه السنة توفي المعتصم يوم الخميس لثماني عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول فدفن بسامرا، وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر ويومين ، وكان عمره سبعاً وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً . وكان أبيض أصهب اللحية طويلها، مربوعاً مشرب اللوب حمرة، حسن العينين، وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس . ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات. وقيل إنه كان اذا غضب لا يبالي من قتل ولا من فعل وذكر عن الفضل بن مروان أنه قال : لم يكن للمعتصم لذة في تزيين البناء ، وكانت غايته في الاحكام . قال : ولم يكن بالنفقة على شيء أسمح منه بالنفقة في الحرب .

وبويع في يوم توفي المعتصم ابنه هارون الواثق بن محمد المعتصم ، وذلك يوم الأربعاء لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ويكنى أبا

جعفر ، وأمه أم ولد رومية تسمى قراطيس . وفي هذه السنة هلك توفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتي عشرة سنة . وفيها ملكت بعده امرأته تذورة ، وابنها ميخائيل بن توفيل صبي . وحج بالناس في هذه السنة جعفر بن المعتصم وكانت ام الواثق خرجت معه تريد الحج، فماتت بالحيرة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

وفي هذه السنة توج الواثق أشناس وألبسه وشاحين بالجوهر. وفيها مات أبو الحسن المدائني . وحبيب بن أوس الطائي أبو تمام الشاعر. وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود وفيها غلا السعر بطريق مكة، الخبز بدرهم وراوية ماء بأربعين درهماً وأصاب الناس في الموقف حر شديد ثم مطر شديد فيه برد، وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة قتلت عدة من الحاج .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

وفي هذه السنة حبس الواثق بالله الكتاب والزمهم أموالاً . قال عزون بن عبد العزيز الأنصاري : كنا ليلة عند الواثق، فقال : من منكم يعلم السبب الذي به وثب جدي الرشيد على البرامكة فأزال نعمتهم ؟ فقلت : أنا احدثك يا أمير المؤمنين : كان السبب في ذلك أن الرشيد ذكرت له جارية فأشتراها بمائة ألف دينار، وأرسل إلى يحيى بن خالد البرمكي بخبر الجارية، ويأمره أن يرسل إليه بمائة ألف دينار ، فقال يحيى : هذا مفتاح سوء إذا اجترأ في ثمن جارية واحدة على طلب مائة الف دينار فهو أحرى أن يطلب المال على قدر ذلك، فأرسل يخبره أنه لا يقدر على ذلك ، فغضب عليه الرشيد، وقال : ليس في بيت مالي مائة ألف دينار وأخذ الرشيد في التفتيش عن المال ، فوجد البرامكة قد استهلكوه ، فوثب عليهم، وأزال نعمتهم . قال عزون : فما مضى اسبوع حتى أوقع الواثق بكتابه وفي هذه السنة ولي شاربا ميان لايتاخ اليمن وولي محمد بن صالح بن العباس المدينة . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين

وفي هـذه السنة ، تطاول بنو سليم على الناس حـول المدينة بالشر، وترقى بهم الأمـر إلى أن أوقعـوا بالحجـاز بناس من بني كنانة وباهله ، فقتلوا بعضهم ، فوجه إليـهم محمـد بن صـالح بن العباس ، وهو عامل المدينة ، حماد بن جرير الطبري في مـائتي فـارس ، فـاقـتـتلوا قـتـالاً شـديداً ، فقتل حماد وعامة أصحابه ، وحازت بنو سليم الكراع والسـلاح والشـيـاب ، فـوجـه إليهم الواثق بغا الكبير أبا موسى التركي، فلقـيـهم بشق الحـرة، فـقـتل منهم نحواً من خمسين رجلاً وأسر مثلهم فانهزم الباقون وانكشف بنو سليم لذلك، ودعـاهم بغـا إلى الأمان على حكم أمير المؤمنين فأجابوه. وفي هذه السنة مـات أبوالعباس عبدالله بن طاهر بعد موت أشناس بتسعة أيام، فولى الواثق أعماله كلهـا ابنه طاهراً ، وحج بالناس محمد بن داود .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

وفي هذه السنة جـرى الفداء بين المسلمين والروم، وبلغت عدة المسلمين أربعة آلاف وثـلاثمائة واثنين وسـتين انسـاناً وفـيـهـا قـتل من قـتل من بني سليم بالمدينة في حـبس بغـا الكبير بعـد أن حـاولوا الهرب فـوثب عليـهم أهل المدينة ، وفـيـهـا تحرك ببـغـداد قـوم رفـضـوا فكرة خلق القـرآن وأخذوا على أحمد بن نصر الخزاعي البيعة ، فـحـملوا إلى الواثق وهو بسـامرا فأمر بهم فضربت أعناقهم . وفيها ولى الواثق جعفر ابن دينار اليـمن . وفـيـهـا خرج محمد بن عمرو الخارجي من بني زيد بن تغلب في ثلاثة عشر رجـلاً في ديار ربيـعـة ، فـخرج إليه غانم بن أبي مسلم فقتل من الخوارج أربعـة وأخـذ محمـد بن عـمـرو أسيراً فـبـعث به إلى سـامـرا ، فأمـر الواثق فضربت أعنـاقـهم . وحج بالناس في هذه السنة محمـد بن داود . وفـيـهـا مـات الحسن بن الحسين أخـو طاهر بن الحسين ومـات أبو عـبد الله الأعرابي الراوية . ومات مخارق المغني وأبو نصر أحمد بن حـاتم راوية الأصـمعي . وماتت أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرضي .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

وفي هـذه الـسنة أظهـر بنو نمير الفسـاد وأخـذوا يغيرون على الناس ، فكتب

الواثق إلى بغـا يأمـره بحـربهم ، فسارإليهم ، فهزمهم وقتل منهم زهاء ألف وخمسمائة رجل وقـدم بالأسرى . وفـيـهـا ولي محمد بن إبراهيم بن مصعب فارس. وفيها مات الواثق من علة أصـابتـه ذكـر أنها الاسـتـسـقـاء ، وكـانت وفـاته لست بقين من ذي الحـجـة، ودفن في قصره الهاروني . وكـان أبيض مشرباً حمرة، جميلاً ربعـه، حسن الجسم ، قـائم العين اليسرى، وفـيـهـا نكتـة بيـاض . وتوفي وهو ابن ست وثلاثين سنة، وقـيـل : ابن اثنتين وثلاثين سنة . وكـانت خـلافـتـه خمس سنين وتسـعـة أشهر وخمسـة أيام . وكـان ولد بطريق مكة ، وأمـه أم ولد رومـية يقال لها قراطيس واسمه هارون وكنيته أبو جعفر .

وفي هذه السنة بويع لجـعـفـر المتوكل على الله بالخلافة، وهو جعفر بن محمد بن هارون بن محمـد بن عـبـد الله بن محمـد ذي الثفنات بن علي السجاد بن عبد الله بن العـبـاس بن عبد المطلب. وذكر أنه كان يوم بويع له ابن ست وعشرين سنة . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

وفي هذه السنة غـضـب المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات فحبسه وعذب في حـبـسـه حـتى مات ، وكان محمد بن عبد الملك الزيات لما توفي الواثق أشار بأبن الواثق لكي يتـولى الخـلافـة ، فـحـفظهـا له المتوكل وكان ذلك سبب هلاكه . وفيها غـضـب المـتـوكل على عـمـر بن فـرج وإبراهيم بن الجنيـد النصراني وعلى أبي الوزير فـحـبـسـهم وأمـر بمـحـاسـبتهم حتى استخرج ما لديهم من أموال . وفيها استكتب المتوكل محـمـد بن الفـضل الجـرجـرائي . وفـيـهـا عزل المتوكل عن ديوانه الفضل بن مـروان وولاه يحيى بن خـاقـان الخـراسـاني ، وولي إبراهيم بن العـبـاس ديوان زمـام النفـقـات وعـزل عنه أبا الوزير . وفيها ولى المتوكل ابنه محمداً المنتصر الحرمين واليمن والطائف . وفـيـهـا وثب ميخائيل بن توفيل على أمه تذوره فشمسها وأدخلها الدير ، وقـتل اللغـشـيط لأنه اتهـمـهـا به، وكان ملكها ست سنين وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

وفيها خرج المتوكل إلى المدائن . وحج في هذه السنة ايتاخ وكان والي مكة والمدينة والموسم . وكان ايتاخ غلاماً فزرياً لسلام الأبرش طباخاً ، فاشتراه منه المعتصم ، فرفعه ومن بعده الواثق ، حتى ضم اليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة، فلما ولي المتوكل كان ايتاخ في مرتبته ، إليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالي والبريد والحجابة ودار الخلافة . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود بن عيسى . وفيها هرب محمد بن البعيث بن حلبس، وكان ابن البعيث في الحبس فهرب إلى مرند، فوجه إليه المتوكل حمدوية بن علي بن الفضل السعدي في عشرة آلاف، فجاء به أسيراً من أذربيجان وحبس .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتنين

وفي هذه السنة قتل ايتاخ الخزري ، وكان المتوكل قد أمر بحبسه أثناء عودته من مكة إلى العراق ، فذكر أنه هم بقتل المتوكل عندما عربد عليه المتوكل ، فلما عاد من الحج أمر به فحبس حتى مات في الحبس . وفيها أمر المتوكل بأخذ النصارى وأهل الذمة كلهم بلبس الطيالسة العسلية والزنانير ومنعهم من لبس المناطيق ، وأمر بهدم بيعهم المحدثة وبأخذ العشر من منازلهم، وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين تفريقاً بين منازلهم وبين منازل المسلمين ، ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأعمال الدولة ، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض، لئلا تشبه قبور المسلمين .

وفي هذه السنة ظهر بسامرا رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابوري فزعم أنه نبي، وأنه ذو القرنين، فأتي به وباصحابه المتوكل، فأمر بضربه بالسياط حتى الموت، وحبس أصحابه ، وفيها عقد المتوكل البيعة لبنية الثلاثة : لمحمد وسماه المنتصر، ولأبي عبد الله بن قبيحة ويختلف في اسمه ، فقيل : محمد، وقيل : الزبير، ولقبه المعتز ـ ولإبراهيم وسماه المؤيد بولاية العهد، وذلك يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة، وعقد لكل واحد منهم لواءين، أحدهما أسود وهو لواء العهد، والآخر أبيض وهو لواء العمل. وفيها كانت وفاة إسحاق بن إبراهيم.

وفيها أتي المتوكل بيحيى بن عمر بن حسين بن زيد بن علي بن أبي طالب وكان قد جمع قوماً فضرب وحبس ببغداد في المطبق . وحج بالناس محمد بن داود .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين

وفي هذه السنة قتل محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق، أخي إسحاق بن إبراهيم بفارس، وكان محمد بن إبراهيم قد تعلل بحمل خراج فارس، فولى محمد ابن إسحاق الحسين بن إسماعيل فارس، وعزل عمه ، وتقدم محمد إلى الحسين بن إسماعيل في قتل عمه محمد بن إبراهيم، فاهدى إليه حلواء فأكل منها، فعاش يومين، ومات . وفيها توفي الحسن بن سهل وتوفي محمد بن إسحاق. وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدور. وفيها استكتب المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وصرف محمد بن الفضل الجرجرائي . وحج بالناس في هذه السنة المنتصر محمد بن جعفر المتوكل .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

وفي هذه السنة وثب أهل إرمينية بعامل المدينة يوسف بن محمد فقتلوه ، فوجه المتوكل بغا الشرابي إلى إرمينية طالباً بدم يوسف ، فحاربهم فظفر بهم ، فقتل زهاء ثلاثين ألفاً وسبى منهم خلقاً كثيراً . وفيها ولي عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بغداد ومعاون السواد. وفيها عزل المتوكل محمد بن أحمد بن أبي داود عن المظالم وولاها محمد بن يعقوب المعروف بأبي الربيع . وفيها غضب المتوكل على ابن أبي داود وأمر بالتوكيل على ضياع أحمد بن أبي داود ابنه أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي داود في ديوان الخراج، وحبس إخوته، ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم . وفيها ولى ابن أكثم قضاء الشرقية وولى سوار بن عبد الله قضاء الجانب الغربي . وغزا الصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الأرمني . وحج بالناس علي بن عيسى وكان والي مكة .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

وفي هذه السنة ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية بتفليس ، فأخذه

أسيراً وأمر بضرب عنقه بعد أن أحرق المدينة فأحترق فيها نحو من خمسين ألف إنسان . وفيها خرج المتوكل إلى المدائن . وغزا الصائفة علي بن يحيى الأرمني . وحج بالناس في هذه السنة علي بن عيسى .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

وفي هذه السنة أمر المتوكل بأخذ أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين ، ثم أمر بالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمر دون الخيل والبراذين . وفيها مات أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي داود ببغداد . وغزا الصائفة علي بن يحيى الأرمني . وحج بالناس عبد الله بن محمد بن داود، وكان والي مكة .

ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

وفي هذه السنة وثب أهل حمص بعاملهم على المعونة وكان يومئذ أبو المغيث الرافعي موسى بن إبراهيم، فقتلوا جماعة من أصحابه ، ثم أخرجوه وأخرجوا صاحب الخراج من مدينتهم ، وكان سبب ذلك أن أبا المغيث الرافعي قتل رجلاً من رؤسائهم ، فبلغ ذلك المتوكل، فولى عليهم محمد بن عبدوية ففعل فيهم الأعاجيب . وفيها مات أحمد بن أبي داود ببغداد . وحج بالناس عبد الله بن محمد ابن داود .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

وفي هذه السنة وثب أهل حمص بعاملهم محمد بن عبدوية ، وأعانهم على ذلك قوم من النصارى ، فكتب بذلك إلى المتوكل ، فكتب إليه يأمره بمناهضتهم ، وأمده بجند من راتبه دمشق ، فأخذ ابن عبدوية عشرة نفر منهم، وضرب منهم خمسة نفر بالسياط فماتوا، ثم ظفر برأس من رؤوس الفتنة وهو رجل يقال له عبد الملك بن إسحاق بن عماره ، فضربه بالسياط حتى مات ، وصلبه على حصن يعرف بتل العباس .

وفي هذه السنة أيضا ضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد ألف سوط ، وكان السبب في ذلك أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة

وحفصة ، فأمر المتوكل أن يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط، فذكر أنه لما ضرب ترك في الشمس حتى مات، ثم رمي به في دجلة ، وفيها أغارت الروم على عين زربة، فأسرت من كان بها من الزط. وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم . وفيها غارت البجة على حرس في أرض مصر، فوجه المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله القمي، والبجة جنس من أجناس الحبش في المغرب وفي بلاد البجة معادن الذهب ، فلما كان أيام المتوكل إمتنعت البجة عن اداء الخراج، فخرج إليهم محمد القمي فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهرب ملك البجة علي بابا، ثم طلب الأمان على أن يرد إلى مملكته فأعطاه القمي ذلك، فأدى إليه الخراج وهي أربعمائة مثقال لكل سنة وفيها مات يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة . وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود وهو والي مكة .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين

وفيها كانت الزلازل الهائلة بقومس ورساتيقها ، فتهدمت الدور ومات من الناس ما عدتهم خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً. وفيها خرجت الروم من ناحية شمشاط وأسروا نحواً من عشرة آلاف إنسان . وفيها قتل المتوكل عطارداً ـ رجلاً كان نصرانياً فأسلم ـ ثم ارتد فأبى الرجوع إلى الإسلام . وفيها مات أبو حسان الزيادي قاضي الشرقية ومات الحسن بن علي قاضي مدينة المنصور. وحج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم وهو والي مكة .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

وفيها شخص المتوكل إلى دمشق . وفيها مات إبراهيم بن العباس، فولى ديوان الضياع الحسن بن مخلد بن الجراح . وحج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

وفي هذه السنة دخل المتوكل دمشق ، وعزم على المقام بها ، ونقل دواوين الملك إليها ثم استوبأ بالبلد ، وذلك أن الهواء بها بارد والماء ثقيل، وهي كثيرة

البراغيث. وفيها وجه المتوكل بغا من دمشق لغزو الروم، فافتتح صملة وأقام المتوكل بدمشق شهرين وأياماً ، ثم رجع إلى سامرا . وفيها اتفق عيد المسلمين الأضحى وشعانين النصارى وعيد الفطر لليهود. وحج فيها عبد الصمد بن موسى.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

وفي هذه السنة أمر المتوكل ببناء الماحوزة وسماها الجعفري ، وأمر بنقض القصر المختار والبديع ، وحمل ساجها إلى الجعفري . وفيها زلزلت بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر . وفيها بعث ملك الروم بأسرى من المسلمين أهداهم إلى المتوكل . وفيها كانت بانطاكية زلزلة ورجفة قتلت خلقاً كثيراً. وفيها زلزلت بالس والرقة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرطوس والمصيصة وأذنة وسواحل الشام ورجفت اللاذقية . وفيها مات إسحاق ابن أبي إسرائيل وسوار بن عبد الله وهلال الرازي ونجاح بن سلمة . وفيها أغارت الروم على سمياط ، فقتلوا وسبوا نحواً من خمسمائة . وحج بالناس محمد بن سليمان والي مكة .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

وفي هذه السنة غزا عمر بن عبد الله الأقطع الصائفة ، فأخرج سبعة الآف رأس ، وغزا قربياس فأخرج خمسة الآف رأس ، وغزا الفضل بن قارن بحراً في عشرين مركباً فافتتح حصن انطاكية . وغزا بكاجور فغنم وسبى . وغزا علي بن يحيى الأرمني ، فأخرج خمسة الاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحواً من عشرة الآف . وفيها تحول المتوكل إلى المدينة التي بناها الماحوزة وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان الزينبي .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

وفي هذه السنة قتل المتوكل في مجلسه . قال أبو جعفر : أمر المتوكل بقبض ضياع وصيف باصبهان والجبل وإقطاعها الفتح بن خاقان ، فبلغ ذلك وصيفاً واستقر عنده الذي أمر به من أمره . وذكر بعضهم أن المتوكل عزم هو والفتح على

أن يفتك بالمنتصر ، ويقتل وصيفاً وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم فكثر عبثه بابنه المنتصر مرة يشتمه، ومرة يسقيه فوق طاقته ومرة يأمر بصفعة ومره يتهدده بالقتل ، فتعاون المنتصر مع قواد الاتراك على الفتك بالمتوكل فداهموه بالسيوف في مجلسه فقتلوه . قال أبو جعفر : وقتل ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال ، فكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام . وقتل وهو ابن أربعين سنة . وكان أسمر حسن العينين خفيف العارضين نحيفا .

وفيها بويع للمنتصر محمد بن جعفر بالخلافة في يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال وهو ابن خمس وعشرين سنة . وكنيته أبو جعفر بالجعفرية ، فأقام بها بعدما بويع له عشرة أيام ، ثم تحول إلى سامرا . وكان أحمد بن الخطيب قد قرأ على الناس كتاباً يخبر فيه عن أمير المؤمنين المنتصر أن الفتح بن خاقان قتل أباه جعفراً المتوكل، فقتله به، فبايع الناس على ذلك . وفيها ولى المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد المظالم. وأخرج المنتصر علي بن المعتصم من سامرا إلى بغداد ووكل به . وحج بالناس محمد ابن سليمان الزينبي .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين

وفي هذه السنة أغزا المنتصر وصيفاً التركي صائفة الروم، وامره بالمقام ببلاد الثغر اذا هو انصرف من غزاته أربع سنين، يغزو في أوقات الغزو ومنها إلى أن يأتيه رأي أمير المؤمنين . وفيها خلع المعتز والمؤيد أنفسهما، وأظهر المنتصر خلعهما في القصر الجعفري المحدث . قال أبو جعفر : ذكر أن المنتصر بالله لما استقامت له الأمور، قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا : إنا لا نأمن من الحدثان ، ، وأن يموت أمير المؤمنين ، فيلي الأمر المعتز فلا يبقي منا باقية، والرأي أن نعمل في خلع هذين الغلامين قبل أن يظفرا بنا، فجد الأتراك في ذلك، وألحوا على المنتصر أن يبايع لابنه عبد الوهاب، فلم يزالوا به حتى فعل، فأجبروهما على كتابة كتب الخلع بأيديهما . قال أبو جعفر : وكتب كل واحد منهما رقعة بخطه أنه خلع نفسه من البيعة التي بويع له، وأن الناس في حل من حلها ونقضها، وأنهما يعجزان عن القيام بشيء منها . فكتب المنتصر بذلك إلى العمال .

وفي هذه السنة توفي المنتصر بالله عن علة أصابته ، فقال بعضهم : أصابته

الذبحة في حلقه يوم الخميس وتوفي الأحد لخمس ليال خلون من شهر ربيع الأخر، وقيل : توفي يوم السبت لاربع خلون من شهر ربيع الأخر، وإن علته كانت من ورم في معدته . وقيل إنه توفي وهو ابن خمس وعشرين سنة وستة أشهر ، وقيل : كان عمره أربعاً وعشرين سنة ، وكانت مدة خلافته ستة أشهر في قول بعضهم ويومين . وكانت وفاته بسامرا بالقصر المحدث . وكان أعين أقنى قصيراً جيد البضعة . وكان مهيباً وكانت كنيته أبا جعفر واسم أمه حبشية وهي أم ولد رومية .

وفي هذه السنة حكم محمد بن عمرو الشاري، وخرج بناحية الموصل، فوجه اليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغاني، فأخذه أسيراً مع عدة من أصحابه، فقتلوا . وفيها تحرك يعقوب بن الليث الصفار من سبحستان، فصار إلى هراة . وفي هذه السنة بويع بالخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين ويكنى أبا العباس . وفيها توفي طاهر بن عبدالله بن طاهر بخراسان، فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر على خراسان ولمحمد بن عبدالله بن طاهر على العراق وجعل إليه الحرمين والشرطة. وفيها توفي بغا الكبير . وفيها غضب الموالي على أحمد بن الخصيب واستصفى ماله ومال ولده ونفي إلى أقريطش . وفيها صرف علي بن يحيى عن الثغور الشامية، وعقد له على إرمينية وأذربيجان في شهر رمضان من هذه السنة . وفيها شغب أهل حمص على كيد بن عبيدالله عامل المستعين عليها فأخرجوه منها، فوجه إليهم الفضل ابن قارن ، فمكر بهم حتى أخذهم ، وقتل منهم خلقاً كثيرا. وفيها غزا الصائفة وصيف فافتتح حصن فرورية . وفيها عقد المستعين لأوتامش على مصر والمغرب واتخذه وزيراً. وفيها عقد لبغا الشرابي على حلوان وماسبذان ومهرجان قذق. وحج بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان الزينبي .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين

وفي هذه السنة غزا جعفر بن دينار الصائفة ، فافتتح حصناً ومطامير، واستأذنه عمر بن عبيد الله الأقطع في المصير إلى ناحية بلاد الروم ، فأذن له، فسار معه خلق كثير، فلقيه ملك الروم في جمع عظيم بموضع يقال له أرز من مرج الأسقف، فاقتتلوا، فقتل عمر وألفا رجل من المسلمين، فبلغ ذلك علي بن يحيى ، فنفر اليهم ، فقتل في نحو من أربعمائه رجل، فلما بلغ الخبر مدينة السلام، شغب

الجند والشاكرية لمقتل عمر وعلي الأرمني، وكانا من أنياب المسلمين، شديداً بأسهما فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير، احتجاجاً على مقتلهما .

وفي هذه السنة قتل، اوتامش وكاتبه شجاع بن القاسم، وكان المستعين قد أطلق يد اوتامش في بيوت الاموال فاكتسحها، فتذمرت الأتراك والفراعنة فخرجوا إليه مع المستعين فقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم ونهبوا أموالهما ، ولما قتل اوتامش استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج ووليه عيسى بن فرخاشاه، وولى وصيف الأهواز وبغا الصغير فلسطين . وفيها عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ووليه جعفر بن محمد بن عمار البرجمي . وفيها أصاب أهل الري زلزلة شديدة ورجفة تهدمت منها الدور ومات خلق من أهلها. وحج بالناس في هذه السنة عبدالصمد بن موسى بن محمد وهو والي مكة .

ثم دخلت سنة خمسين ومائتين

وفي هذه السنة ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة، فتبعه جماعة من أهل الكوفة والزيدية، فوجه محمد بن عبد الله لمحاربته الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب . فأقام الحسين بن إسماعيل بشاهي وأقام يحيى بن عمر بالكوفة يعد العدد، ويجمع السلاح ، ثم إن جماعة من الزيدية ممن لا علم له بالحرب، أشاروا على يحيى بمعالجة الحسين، فزحف إليه من ظهر الكوفة في جماعة من أصحابه، فاقتتلوا ، فانهزم رجال أهل الكوفة وقتل يحيى بن عمر، في معظم أصحابه . وفي هذه السنة أيضا خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فاجتمع إليه معظم أهل طبرستان وصمغان وفادسبان، فزحف بجماعته نحو مدينة آمل وهي أول مدن طبرستان، فهرب عاملها محمد بن أوس ولحق بسليمان بن عبد الله عامل طبرستان الذي هرب إلى سارية ، ثم وجه إلى الري خيلاً، فهرب عاملها ، فاستخلف بها الحسن بن زيد رجلاً من الطالبين يقال له محمد بن جعفر ، فظهرت منه أمور كرهها أهل الري ، فوجه محمد ابن طاهر بن عبد الله قائداً له من قبله، يقال له محمد بن ميكال ، فذكر أن ابن

ميكال أسر محُمد بن جعفر الطالبي ودخل الري ، فأقام بها ، ودعا للسلطان ، فوجه اليه الحسن بن زيد قائداً من قواده يقال له واجن في خيل، فهزم واجن وأصحابه محمد بن ميكال وجيشه ، فاتبعه واجن وأصحابه حتى قتلوه، وصارت الري إلى أصحاب الحسن بن زيد .

وفي هذه السنة غضب على جعفر بن عبد الواحد لأنه كان بعث إلى الشاكرية حتى أفسدهم، فنفي إلى البصرة . وفيها خرج الحسن بن الأفشين من الحبس . وفيها عقد لجعفر بن الفضل ببشاشات على مكة . وفيها وثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلوه ، فوجه المستعين إليهم موسى بن بغا الكبير فهزمهم وافتتح حمص من جديد . وفيها مات جعفر بن أحمد بن عمار القاضي ، ومات أحمد ابن عبد الكريم الجواري قاضي البصرة . وفيها ولي أحمد بن الوزير قضاء سامراء . وفيها وثبت الشاكرية والجند بفارس بعبد الله بن إسحاق فانتهبوا ماله، وقتلوا محمد ابن الحسن بن قارن ، وهرب عبد الله بن إسحاق . وفيها غزا الصائفة بلكاجور ، وحج بالناس في هذه السنة جعفر بن الفضل بشاشات والي مكة .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

وفي هذه السنة قتل باغر التركي ، قتله وصيف وبغا الصغير، وكان باغر أحد قتله المتوكل، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل، ووكد البيعة عليهم ، فقال : الزموا الدار حتى نقتل المستعين وبغا ووصيفاً ، ونجيء بعلي بن المعتصم أو بابن الواثق ، فنقعده خليفة حتى يكون الأمر لنا ، كما هو لهذين اللذين استوليا على أمر الدنيا (وصيف وبغا) وبقينا نحن في غير شيء، فأجابوه إلى ذلك، وانتهى الخبر إلى المستعين، فأرسل إلى بغا ووصيف فأعلمهما الخبر، فاحضروا باغر وأمروا بقتله ، وبلغ ذلك الأتراك فوثبوا على اصطبل السلطان فأخذوا ما كان فيه من الدواب فأنتهبوهاوركبوها، وأقاموا على ما هم عليه من الشغب حتى علموا أن المستعين وبغا ووصيف قد انحدروا إلى بغداد .

وفي هذه السنة هاجت الفتنة ووقعت الحرب بين أهل بغداد وجند السلطان الذين كانوا بسامرا ، فبايع كل من كان بسامرا منهم المعتز وأقام من ببغداد منهم

على الوفـاء ببـيعة المستعين". قال أبو جعفر : أجمع الأتراك على اخراج المعتز والبيعة له ، وكـان المعتـز والمؤيد في حـبس المستعين ، فأخرجوا المعتز من يومهم وبايعوه . ولما بايع الأتراك المعتـز ولى عماله ، فـاتصل الخبر بمـحمد بن عبد الله، فأمر بقطع الميرة عن أهل سـامرا، وأمـر المسـتعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد، فـتـقـدم في ذلك . وكـتب المستعين إلى عمال الخراج أن يكون حملهم ما يحملون من الأمـوال إلى السلطان إلى بغـداد ، ولا يحملون إلى سامرا شيئاً . قال أبو جعفر : ثم جـرت بين المعتـز ومحمـد بن عـبـد الله بن طاهر مكاتبات ومراسلات، يدعو المعتز محمداً إلى خلع المستعين، واحتج كل واحد منهما على صاحبه بما يراه حجة له .

قـال: وعـقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل على حرب المستعين وابن طاهر، فـوقـعـت الحـرب في أكـثـر من مـوضع ، ووضـعت الحـرب أوزارها بين الموالي وابن طاهر، فلم يعـودوا لها، وكـان سـبب ذلك ، أن ابن طاهر قد كان كاتب المعتز قبل ذلك في الصلح فـاتفـقا على ذلك ، فأمر ابن طاهر باطلاق جميع من في الحبوس ممن كـان حـبـس بسـبب مـا كـان بينه وبين أبي أحمد من الحـروب ووجـه أبو أحمد خمس سـفائن من دقيق وحنطة وشعير إلى ابن طاهر ، فوصلت إليه ، فعلم الناس ما عليه ابن طاهر من خلعـة المستعين ، وبيعته للمعتز ، ووجه ابن طاهر قواده إلى أبي أحمد حـتى بايعـوه للمـعـتـز ، وظنت العامة أن الصلح جرى بأذن الخليفة المستعين، وأن المعتز ولي عهده .

قـال : وعلمت العـامـة مـا عليـه ابن طاهر فـمـضت إلى الجزيرة التي بحذاء داره، فـصـاحـوا به وشـتـمـوه أقـبح شتم، وكان المستعين قد أقام منذ أن انحدر إلى بغـداد من سـامـرا في منزل محمـد بن عبد الله بن طاهر، فلما رأى من العامة ما رأى انتـقل إلى دار رزق الخـادم في الرصـافـة ، فـركب إليه ابن طاهر لمناظرته في الخلع، فـامـتنع عليـه المسـتعين ، وظن المسـتـعين أن بغـا ووصيفاً معه ، فكاشفاه ، فقال المسـتـعـين : هذا عنقي والسـيـف والنطع، فلما رأى امـتناعـه انصرف عنه، فـبـعث المسـتـعين إلى ابن طاهر بعلي بن يحيى المنجم وقـوم من ثقاته، وقال : قولوا له : اتق الله ، فإنما جئتك لتدفع عني فإن لم تدفع عني فكف عني . فرد عليه، أما أنا فأقعد في بيـتي، ولكن لا بد لك من خلعـهـا طائعـاً أو مكرها . فلما رأى المستعين ضعف أمـره وخـذلان نـاصريه أجـاب إلى الخلع، ولما كـان يوم السـبت لعشر بقين من ذي

الحجة ركب ابن طاهر إلى الرصافة وجمع القضاة والفقهاء، وأدخلهم على المستعين وأشهدهم عليه أنه صير أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم أخذ منه جوهر الخلافة، وأعد للخروج إلى المعتز في الشروط التي اشترطها للمستعين ولنفسه ولقواده ليوقع المعتز في ذلك بخطه ، فبعث قواده إلى المعتز حتى وقع في ذلك بخطه إمضاء كل ما سأل المستعين وابن طاهر لانفسهما من الشروط .

وفي هذه السنة ظهر الكوكبي بقزوين وزنجان وغلب عليها وطرد عنها آل طاهر، واسم الكوكبي الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وفيها قطعت بنو عقيل طريق جدة، فحاربهم جعفر بشاشات فقتل من أهل مكة نحو من ثلاثمائة رجل . وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف الطالبي بمكة، فهرب جعفر بن الفضل العامل على مكة فانتهب إسماعيل بن يوسف منزل جعفر ومنزل أصحاب السلطان ونهب خزائن الذهب والفضة وكسوه الكعبة ثم خرج إلى المدينة، فتوارى علي بن الحسين العامل عليها، ثم رجع إلى مكة فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً، ثم رحل إلى جده فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار ، ثم وافي إسماعيل بن يوسف الموقف، وذلك يوم عرفه وبه محمد بن أحمد بن عيسى الملقب كعب البقر، وعيسى ابن محمد المخزومي صاحب جيش مكة ـ وكان المعتز وجهها إليها ـ فقاتلهم، فقتل نحو من ألف ومائة من الحاج، ولم يقف الناس بعرفة ووقف إسماعيل وأصحابه ، ثم رجع إلى جده فأفنى أموالها .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين

وفي هذه السنة توفي عبيد الله بن يحيى بن خاقان في مدينة أبي جعفر . وفيها خلع المعتز المؤيد أخاه من ولاية العهد بعده وأمر بحبسه فمات في الحبس ، وذكر أن المؤيد أدرج في لحاف سمور ثم أمسك طرفاه حتى مات وقيل : إنه اقعد في حجر من ثلج ونضدت عليه حجارة الثلج فمات برداً. وفيها قتل أحمد بن محمد المستعين. وفيها غضب المعتز على كنجور وأمر بحبسه في الجوسق ثم وجه به إلى اليمامة فحبس هنالك . وفيها مات إسماعيل بن يوسف الطالبي الذي كان فعل بمكة ما فعل . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

وفي هذه السنة عقد المعتز لموسى بن بُغا الكبير على الجبل . وفيها أوقع مفلح وهو على مقدمة موسى بن بغا بعبد العزيز بن أبي دلف، وعبد العزيز في زهاء عشرين ألفاً من الصعاليك . وفيها قتل وصيف التركي وكان السبب في ذلك، أن الأتراك والفراعنة شغبوا وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر، فقال لهم وصيف : خذوا تراباً، فوثب عليه بعضهم فقتلوه . فجعل المعتز ما كان إلى وصيف من الأمور إلى بغا الشرابي . وفيها قتل بندار الطبري ، ومات محمد بن عبد الله بن طاهر من علة أصابته. وفيها نفى المعتز أبا أحمد بن المتوكل إلى واسط، ثم إلى البصرة ، ثم رده إلى بغداد . وفيها نفي علي بن المعتصم إلى واسط، ثم إلى بغداد . وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر . وفيها غزا محمد بن معاذ بالمسلمين من ناحية ملطية فهزموا وأسر محمد بن معاذ . وفيها التقى موسى بن بغا والكوكبي الطالبي ، فهزم موسى الكوكبي ودخل قزوين . وحج بالناس في هذه السنة عبد الله الزينبي .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

وفي هذه السنة قتل بغا الشرابي . وكان السبب في ذلك أن بغا كان يحض المعتز على المصير إلى بغداد، والمعتز يأبى ذلك عليه . فأمر به المعتز فضربت عنقه . وفيها عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مضر وقنسرين والعواصم فوثبوا بالمعتز في ربيع الأول منها . وفيها عقد بايكباك لأحمد بن طولون على مصر . وفيها مات علي بن محمد بن موسى الرضا . وحج بالناس في هذه السنة علي بن الحسين ابن إسماعيل بن العباس بن محمد .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

وفي هذه السنة خلع المعتز ، وكان السبب في ذلك أن الأتراك والفراعنة والمغاربة طالبوا بأرزاقهم ، فأرسل المعتز إلى امه يسألها أن تعطيه مالاً ليعطيهم ، فأرسلت اليه : ما عندي شيء. فاجتمعوا على خلع المعتز فصاروا إليه لثلاث بقين من رجب ، فدخل إليه جماعة فجروا برجله وتناولوه بالضرب ودفع إلى من يعذبه ومنع الطعام والشراب ثلاثة أيام، ثم جصصوا سرداباً بالجص الثخين، ثم أدخلوه

فيه وأطبقوا عليه فأصبح ميتاً ، فكانت خلافته من يوم بويع له بسامرا إلى أن خلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً . وكان عمره كله أربعاً وعشرين سنة

وكان أبيض أسود الشعر كثيفة ، أحسن العينين والوجه ، أضيق الجبين ، أحمر الوجنتين ، حسن الجسم ، طويلاً . وكان مولده بسامرا .

وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب من هذه السنة ، بويع محمد بن الواثق، فسمي بالمهتدي بالله وكان يكنى أبا عبد الله . قالوا : إن محمد بن الواثق لم يقبل بيعة أحد، حتى أتى بالمعتز فخلع نفسه وأخبره عن عجزه عن القيام بما أسند إليه وأن المعتز مد يده فبايع الواثق ، ثم تنحى وبايع خاصة الموالي .

وفي سلخ رجب من هذه السنة، كان ببغداد شغب، ووثب العامة بسليمان بن عبد الله بن طاهر. وفيها قتل أحمد بن إسرائيل وأبو نوح. ولثلاث عشرة خلت من شهر رمضان من هذه السنة فتح السجن ببغداد ، ووثبت الشاكرية والنائبة ببغداد من جندها بمحمد بن أوس البلخي . وفي هذه السنة أمر المهتدي باخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامرا ونفيهم منها إلى بغداد، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب وابطال الملاهي ورد المظالم . وفيها شخص موسى ابن بغا ومن معه من الموالي وجند السلطان من الري وانصرف مفلح عن طبرستان بعد أن دخلها ، وهزم الحسن بن زيد وأخرجه عنها إلى أرض الديلم .

وللنصف من شوال من هذه السنة ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنه علي ابن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وجمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ، ثم عبر دجلة فنزل الديناري وكان اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد قيس. ثم إنه شخص إلى البحرين واتبعه جماعة من أهلها، فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أبوه عصبية قتلت بينهم جماعة فانتقل عنهم إلى الأحساء، ثم تحول إلى البادية فنفرت عنه العرب وكرهته ، فشخص عن البادية إلى البصرة فلم يجبه أحد من أهلها ، فخرج هارباً إلى بغداد ، ولقب نفسه بجربان ثم سار في جماعته حتى وافوا برنخل ، وأظهر أنه وكيل لولد الواثق في بيع السباخ ، فأقام هنالك . وحج بالناس في هذه السنة علي ابن الحسن بن إسماعيل بن العباس .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين

وفي هذه السنة قتل واصف بن وصيف . وفي رجب من هذه السنة لأربع عشرة ليلة خلت منه خلع المهتدي ، وتوفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب . وكان السبب في ذلك أن ساكني الكرخ بسامرا والدور تحركوا يطلبون أرزاقهم ، فوجه إليهم المهتدي طبايغو الرئيس عليهم وعبد الله أخا المهتدي ، فكلمهم فلم يقبلوا منهما ، فقدم بايكباك زعيم الأتراك فدخل على المهتدي ، فأمر المهتدي بضرب عنق بايكباك ، وأمر عتاب بن عتاب أن يرميهم برأسه ، فأخذ عتاب الرأس ، فرمى به إليهم فجاشوا، ثم شد رجل منهم على عتاب فقتله ، واجتمع جميع الأتراك فصار أمرهم واحداً ، وخرج المهتدي والمصحف في عنقه ، يدعو الناس إلى أن ينصروا خليفتهم ، فلما التحم الشر مال الأتراك الذين مع المهتدي إلى أصحابهم الذين مع أخي بايكباك ، وبقي المهتدي في الفراعنة والمغاربة، فحمل عليهم طوغيتا أخو بايكباك فهزمهم ، وأكثر فيهم القتل وولوا منهزمين ، ومضى المهتدي يركض منهزماً حتى صار إلى دار ابن جميل فبادرهم ليصعد ، فرمي بسهم وبعج بالسيف ، ودفعوه إلى رجل فقتله ، وبايعوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان لثلاث عشرة خلت من رجب ، وسمي المعتمد على الله . وكانت خلافة المهتدي أحد عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً ، وعمره كله ثمان وثلاثون سنة . وكان رحب الجبهة ، جهم الوجه ، أشهل ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، وكان ولد بالقاطول . وفي هذه السنة وافى جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج ، فلم يجد إلى لقائه سبيلاً لضيق الموضع ، فصرف عن حربه ، وأمر سعيد الحاجب بالشخوص اليه لحربه . وفيها تحول صاحب الزنج من السبخة التي كان ينزلها إلى الجانب الغربي من النهر المعروف بأبي الخصيب، ثم دخل الزنج الأبله ، فقتلوا بها خلقاً كثيرا وأحرقوها . وفيها استسلم أهل عبادان لصاحب الزنج فسلموا إليه حصنهم . وفيها دخل أصحابه الأهواز وأسروا إبراهيم ابن مدبر . وفيها ظهر بالكوفة علي بن زيد الطالبي . وفيها غلب جيش الحسن بن زيد الطالبي على الري وحج بالناس في هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

وفي هــذه السنة عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن ، ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز وفارس ، وأمر أن يعقد ليارجوخ على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين ، فولى يارجوخ منصور بن دينار البصرة وكور دجلة إلى ما يلي الأهواز . وفي هذه السنة خرج سعيد بن صالح الحاجب لقتال صاحب الزنج ، فأوقع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه فقتلوه ومن معه . وفيها دخل أصحاب الخبيث (صاحب الزنج) البصرة فأحرقوها وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها من الأموال والمتاع . وفيها سار محمد المعروف بالمولد لقتال صاحب الزنج ، فهزمه صاحب الزنج وغنم ما في عسكره . وفيها خالف محمد بن واصل السلطان بفارس ، وغلب عليها وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق . وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلبي على ميخائيل بن توفيل ملك الروم فقتله وتملك بعده على الروم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

وفي هذه السنة عقد المعتمد لأبي أحمد أخيه على ديار مضر وقنسرين والعواصم . وفيها ضرب عنق قاض لصاحب الزنج ، وأعناق أربعة عشر رجلاً من الزنج بباب العامة بسامرا . وفيها أوقع مفلح بأعراب بتكريت . وفيها أوقع مسرور البلخي بالأكراد اليعقوبية فهزمهم . وفيها دخل محمد بن واصل في طاعة السلطان . وفيها قتل منصور بن جعفر بن دينار الخياط ، وكان منصور قد خرج لحرب علي بن أبان وهو من قادة صاحب الزنج فهزموه وقتلوه بعد أن سقط في النهر . وفيها قتل مفلح بسهم أصابه في صدغه فأصبح ميتاً وكان ذلك أثناء حربه مع صاحب الزنج . وفيها وقع الوباء في الناس في كور دجلة ، فهلك خلق كثير في مدينة السلام وسامرا وواسط . وفيها قتل خرسنخارس ببلاد الروم في جماعة من أصحابه ، وفيها أسر يحيى بن محمد البحراني صاحب قائد الزنج فضرب بالسوط ثم خبط بالسيوف ثم ذبح وأحرق . وفيها مات يارجوخ . وفيها كانت وقعة بين موسى بن بغا وأصحاب الحسن بن زيد ، فهزم موسى أصحاب الحسن . وفيها

حدث في الناس ببغداد داء كان أهلها يسمونه القفاع . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين

وفي هذه السنة انصرف أبو أحمد بن المتوكل من واسط وقدم سامرا ، واستخلف على واسط وحرب صاحب الزنج محمداً المولد . وفيها قتل كنجور ، وكان والي الكوفة ، فانصرف عنها يريد سامرا بغير إذن ، فأمر بالرجوع فأبى ، فحمل إليه مال ليفرق في أصحابه أرزاقهم منه، فلم يقنع بذلك فتوجه إليه من سامرا عدة من القواد، فذبحوه ذبحاً، وحمل رأسه إلى سامرا . وفيها غلب شركب الجمال على مرو وناحيتها وأنهبها. وفيها انصرف يعقوب بن الليث عن بلخ . وفيها دخل المهلبي ويحيى بن خلف النهر بطي سوق الأهواز ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً . وفيها وافى عبد الرحمن بن مفلح الأهواز لحرب صاحب الزنج من قبل موسى بن بغا . وفيها غلب الحسن بن زيد على قومس ودخلها أصحابه . وفيها غلب صاحب الروم على سميساط ، ثم نزل على ملطية ، فحاربه أهلها وهزموه . وفيها دخل يعقوب بن الليث نيسابور. وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل .

ثم دخلت سنة ستين ومائتين

وفي هذه السنة قتل محمد بن هارون بن المعمر ، قتله رجل من أكراد مساور الشاري . وفيها قتل قائد الزنج علي بن زيد العلوي صاحب الكوفة . وفيها واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد الطالبي، فهزمه ودخل طبرستان . وفيها اشتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام، وارتفع السعر ببغداد، فبلغ الكر الشعير عشرين ومائة دينار، والحنطة خمسين ومائة ، ودام ذلك شهوراً . وفيها قتلت الأعراب منجور والي حمص ، فاستعمل عليها بكتمر . وفيها صار يعقوب بن الليث إلى ناحية الري . وفيها قتل العلاء بن أحمد الأزدي . وفيها أخذت الروم لؤلؤة من المسلمين . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين

وفي هذه السنة انصرف الحسن بن زيد من أرض الديلم إلى طبرستان وأحرق شالوس لما كان من ممالأتهم يعقوب بن الليث . وفيها توفي عبد الله بن الواثق . وفيها قتل مساور الشاري يحيى بن حفص . وفيها مات أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري . وفيها كانت بين محمد بن واصل وعبدالله بن مفلح وطاشتمر وقعة برامهرمز، فقتل ابن واصل طاشتمر وأسر ابن مفلح . وفيها ولي المتعمد ابنه جعفراً العهد وسماه المفوض إلى الله وولاه المغرب، وضم اليه موسى بن بغا، وولى أخاه العهد بعد جعفر، وولاه المشرق، وضم إليه مسرور البلخي ، وعقد لكل واحد منهما لواءين : أسود وأبيض وشرط ، إن حدث به حدث الموت وجعفر لم يكمل للأمر، أن يكون الأمر لأبي أحمد ثم لجعفر ، وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق . وفيها مات الحسن بن محمد بن أبي الشوارب بمكة بعدما حج .

ثم دخلت سنة إثنتين وستين ومائتين

وفي هذه السنة خرج المعتمد لحرب يعقوب بن الليث ، وأنهض أخاه أبا أحمد لحرب يعقوب ، فالتقى العسكران بموضع يقال له اضطربد بين سيب بني كوما ودير العاقول، فانهزم أصحاب يعقوب ، وتخلص محمد بن طاهر بن عبد الله من أسر يعقوب ، فولاه المعتمد الرصافة . وفيها وجه قائد الزنج جيوشه إلى ناحية البطيحة ودست ميسان . وفيها ولي القضاء علي بن محمد بن أبي الشوارب . وفيها خرج الحسين بن طاهر من بغداد فصار إلى الجبل . وفيها مات الصلابي وولي الري كيغلغ . وفيها مات صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور وولي إسماعيل بن إسحاق قضاء الجانب الشرقي وفيها قتل محمد بن عتاب وكان ولي السيبين فصار إليها ، فقتله الأعراب . وفيها صار موسى بن بغا إلى الأنبار متوجهاً إلى الرقة . وفيها قتل القطان صاحب مفلح، وكان عاملاً بالموصل على الخراج . وفيها غلب يعقوب بن الليث على فارس وهرب ابن واصل . وفيها كانت وقعة بين الزنج وأحمد بن ليثوية، فقتل منهم خلقا كثيرا ، وأسر أبا داود الصعلوك وقد كان صار معهم . وفيها وقع بين الحناطين والجزارين بمكة قتال ، فقتل منهم سبعة عشر رجلاً . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

وفي هذه السنة ظفر عزيز بن السري صاحب يعقوب بن الليث بمحمد بن واصل وأخذه أسيراً . وفيها وثب الديراني بابن أوس فبيته ليلاً ، وأفلت بن أوس ومضى نحو واسط . وفيها أقبل يعقوب بن الليث من فارس وصار إلى الأهواز . وفيها توفي مساور بن عبد الحميد الشاري . وفيها أخرج أخو شركب الحسين بن طاهر عن نيسابور ، وغلب عليها . وفيها سلمت الصقالبة لؤلؤة إلى الطاغية . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق . وفيها مات عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

وفي هذه السنة توفي موسى بن بغا . وفيها ماتت قبيحة أم المعتز . وفيها أسرت الروم عبدالله بن رشيد بن كاوس . وفيها ولي محمد المولد واسطاً، فحاربه سليمان بن جامع وهو عامل على ما يلي تلك الناحية من قبل قائد الزنج ، فهزمه وأخرجه عن واسط فدخلها . وفيها خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا، فلما صار بسامرا غضب عليه المعتمد وحبسه وقيده ثم أطلقه أهل عسكر أبي أحمد بعد عبورهم إلى عسكر المعتمد . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

وفي هذه السنة كانت وقعة بين أحمد بن ليثوية وسليمان بن جامع قائد صاحب الزنج بناحية جنبلاء . فقتل له أحمد أربعة عشر قائداً وقيل : سبعة وأربعين قائداً وخلقاً من الخلق لا يحصى كثرة . وفيها أوقع أحمد بن طولون بسيما الطويل بانطاكية، فحصره بها، حتى افتتحها ، وقتل سيما . وفيها وثب القاسم بن مماه بدلف بن عبد العزيز بن أبي دلف بإصبهان، فقتله . ثم وثب جماعة من أصحاب دلف على القاسم فقتلوه ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز . وفيها لحق محمد المولد بيعقوب بن الليث ، فصار إليه ، فأمر السلطان بقبض أمواله وعقاراته . وفيها قتلت الأعراب جعلان المعروف بالعيار بدمما . وفيها أمر أبو أحمد بحبس سليمان بن

وهب وابنه عبيد الله . ثم صولح سليمان وابنه عبيد الله وصيرا في موضع يصل إليهما من أحبا . وفيها خرج خمسة من بطارقة الروم في ثلاثين الفاً من الروم إلى أذنة، فصاروا إلى المصلى . وأسروا أرخوز ـ وكان والي الثغور ـ وأسر معه نحو من أربعمائة رجل . وفيها غلب أحمد بن عبد الله الخجستاني على نيسابور ، وصار الحسين بن طاهر إلى مرو . وفيها اخربت طوس . وفيها مات يعقوب بن الليث بالأهواز وخلفه أخوه عمرو بن الليث فدخل في طاعة السلطان . وفيها قتلت جماعة من أعراب بني أسد علي بن مسرور البلخي وكان والياً على طريق مكة . وفيها بعث ملك الروم بعبد الله بن رشيد بن طولون مع عدة من أسراء المسلمين . وفيها لحق العباس بن أحمد بن طولون ببرقة مخالفاً لأبيه ، فوجه إليه أحمد جيشاً فظفروا به وردوه إلى ابيه . وفيها دخل الزنج النعمانية ، فأحرقوا سوقها . وفيها ولى أبو أحمد عمرو بن الليث خراسان وفارس واصبهان وسبحستان وكرمان والسند وفيها شخص تكين البخاري إلى الأهواز مقدمة لمسرور البلخي . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق . وفيها كانت موافاة المعروف بأبي المغيرة بن عيسى بن محمد المخزومي متغلباً بزنج معه على مكة .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

وفي هذه السنة غلب أساتكين على الري، وأخرج عنها طلمجور العامل الذي كان عليها . وفيها مات أبو الساج وسليمان بن عبد الله بن طاهر . وفيها ولى عمرو بن الليث أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف اصبهان . وفيها ولي محمد بن أبي الساج الحرمين وطريق مكة . وفيها ولي أغرتمش ما كان تكين البخاري يليه من عمال الأهواز . وفيها قتل أهل حمص عاملهم عيسى الكرخي . وفيها أوقع الخجستاني بالحسن بن زيد بجرجان، فهرب منه الحسن فلحق بآمل . وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية . وفيها وثبت الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها . وفيها دخل أصحاب قائد الزنج رامهرمز . وفيها كانت وقعة لأكراد الداربان مع زنج الخبيث، هزموا فيها وفلوا . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

وفي هذه السنة حبس السلطان محمد بن طاهر بن عبد الله وعدة من أهل بيته بعقب هزيمة أحمد بن عبد الله الخجستاني عمرو بن الليث وتهمة عمرو بن الليث محمد بن طاهر بمكاتبة الخجستاني والحسين بن طاهر، ودعا الحسين والخجستاني لمحمد بن طاهر على منابر خراسان . وفيها غلب أبو العباس بن الموفق على عامة ما كان سليمان بن جامع صاحب قائد الزنج غلب عليه من قرى كور دجلة . وفيها كان بين أصحاب كيغلغ التركي وأصحاب أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وقعه بناحية قرماسين ، فهزمهم كيغلغ، وصار إلى همذان ، فوافاه أحمد بن عبد العزيز فيمن قد اجتمع من أصحابه ، فحاربه فانهزم كيغلغ ، وانحاز إلى الصيمرة . وفيها دخل أبو أحمد وأصحابه طهيثا، وأخرجوا منها سليمان بن جامع، وقتل بها أحمد بن مهدي الجبائي . وفيها قتل صندل الزنجي ، أمر به أبو أحمد فرمي بالسهام حتى قتل . وفيها استأمن إلى أبي أحمد خلق كثير من عند الزنج . وفيها دخل الخجستاني نيسابور وانهزم عمرو بن الليث وأصحابه . وفيها كانت لأبي العباس وقعه بالزنج قتل فيها منهم جمع كثير . وفيها ضرب الخجستاني لنفسه دنانير ودراهم ووزن الدينار منها عشرة دوانيق ووزن الدرهم ثمانية دوانيق ، عليه : «الملك والقدرة لله، والحول والقوة بالله لا اله إلا الله محمد رسول الله» وعلى جانب منه : «المعتمد على الله باليمن والسعادة» وعلى الجانب الآخر : «الوافي أحمد بن عبد الله» . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين

وفي هذه السنة استأمن جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجان من أصحاب صاحب الزنج، واستأمن من عسكر الخبيث خلق من قواد الزنج وغيرهم، وتتابع الناس في طلب الأمان والخروج من عند الخبيث . وفي هذه السنة صار عمرو بن الليث إلى فارس لحرب عامله محمد بن الليث عليها ، فهزمه عمرو واستباح عسكره وأفلت محمد بن الليث، ثم أتي به أسيراً وصار عمرو إلى شيزار فأقام بها . وفيها زلزلت بغداد لثمان خلون من شهر ربيع الأول. وفيها زحف العباس بن أحمد ابن طولون لحرب أبيه ، فخرج اليه أبوه أحمد إلى الإسكندرية ، فظفر به ورده إلى

مصر فرجع معه إليها . وفيها عبر أبو أحمد الموفق إلى مدينة الفاجر صاحب الزنج ، بعد أن أوهى قوته بالتضييق عليه والحصار ، فدخل أصحاب أبي أحمد المدينة من جميع جوانبها، وجاء أصحاب الخبيث يحاربوهم ، فهزمهم أصحاب أبي أحمد ، ثم رجع أصحاب الخبيث فشدوا على أصحاب أبي أحمد، وخرج كمناؤهم من نواح يهتدون لها ولا يعرفها الأخرون، فتراجع أصحاب أبي أحمد ، وانصرفوا إلى مدينة الموفقية .

وفي هذه السنة أوقع أخو شركب بالخجستاني وأخذ أمه . وفيها وثب ابن شبث بن الحسن، فأخذ عمر بن سيما والي حلوان . وفيها ولى كيغلغ الخليل بن ريمال حلوان . وفيها قتل بهبوذ بن عبد الوهاب من أصحاب صاحب الزنج ، وكان أكثر أصحابه غارات ، وأرشدهم تعرضاً لقطع السبيل وأخذ الأموال . وفيها ظفر أبو أحمد بالذوائبي ، وكان ممايلاً لصاحب الزنج . وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على ابن طولون وفيها قتل صاحب الزنج ابن ملك الزنج ، وكان بلغة أنه يريد اللحاق بأبي أحمد . وفيها قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني ، قتله غلام له في ذي الحجة . وفيها قتل أصحاب ابن أبي الساج محمد بن علي بن حبيب اليشكري، وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية خلف الفرغاني عامل بن حبيب اليشكري ، وغزا الصائفة من ناحية الشغور الشامية خلف الفرغاني عامل ابن طولون . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن إسحاق الهاشمي .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

وفي هذه السنة وثب خلف صاحب أحمد بن طولون بالثغور الشامية ، وهو عامله عليها، بيازمان الخادم مولى الفتح بن خاقان فحبسه ، فوثبت جماعة من أهل الثغر بخلف ، وتخلصوا يازمان ، وهرب خلف ، وتركوا الدعاء لابن طولون ، ولعنوه على المنابر . وفيها خالف لؤلؤ غلام ابن طولون مولاه ، وكاتب أبا أحمد في المصير إليه ومفارقة ابن طولون ، واشترط لنفسه شروطاً فأجابه أبو أحمد إلى ما سأله . وفيها رمي أبو أحمد الموفق بسهم ـ رماه غلام رومي يقال له قرطاس ـ للخبيث بعدما دخل أبو أحمد مدينته التي كان بناها لهدم سورها ، فعولج في ليلته تلك من جراحته، ثم عاد إلى الحرب . وفيها شخص المعتمد يريد اللحاق بمصر ،

فلما صار المعتمد إلى عمل إسحاق بن كنداج ـ وكان العامل على الموصل وعامة الجزيرة ـ وثب ابن كنداج بالمعتمد ومن معه فقيدهم وأخذ أموالهم ثم حملهم في قيودهم حتى وافى بهم سامرا . وفيها كانت وقعة بين الحسينيين والجعفريين ، فقتل من الجعفريين ثمانية نفر . وفيها عقد هارون بن الموفق لابن أبي الساج على الأنبار وطريق الفرات ورحبة طوق ، ولى أحمد بن محمد الطائي الكوفة وسوادها والمعاون والخراج . وفيها أحرق صاحب أبي أحمد قصر الفاسق صاحب الزنج ، وانتهبوا ما فيه ، واستأمن إلى الموفق محمد بن سمعان كاتب الخبيث ووزيره، وغرق نصير المعروف بأبي حمزة وهو من قواد صاحب الزنج .

وفي هذه السنة كانت وفاة عيسى بن الشيخ بن السليل . وفيها لعن ابن طولون المعتمد في دار العامة وأمر بلعنة على المنابر. وفيها عقد جعفر المفوض لصاعد بن مخلد على شهرزور وداباذ والصامغان وحلوان وماسبذان ومهرجا نقذف وأعمال الفرات . وفيها كانت بين أحمد وبين الزنج وقعة في مدينة الفاسق أثر فيها أثاراً وصل بها إلى مراده منها ، فتحول الفاسق من غربي نهر أبي الخصيب إلى شرقيه وانقطعت عنه الميرة من كل وجهة وفيها دخل الموفق مدينة الفاسق وأحرق منازلة من الجانب الشرقي من نهر الخصيب . وفيها كان إحدار المعتمد إلى واسط ، فسار إليها وأنزل دار زيرك . وفيها سأل أنكلاي ابن الفاسق أبا أحمد الموفق الأمان ، فعلم الفاسق أبو أنكلاي بما كان من أبنه فعذله حتى ثناه عن رأيه في طلب الأمان وفيها طلب سليمان بن موسى الشعراني ـ وهو أحد رؤساء أصحاب الفاسق ـ الأمان من أحمد ، فأجابه إلى اعطائه الأمان . وفيها طلب شبل بن سالم الأمان من أبي أحمد ، فأجابه إلى ذلك ، وكان شبل من عدد الخبيث وقدماء أصحابه وذوي الغناء والبلاء في نصرته . وفيها دخل الموفق مدينة الفاسق بالجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب ، فخرب داره ، وانتهب ما كان فيها . وفي هذه السنة دخل عيال صاحب الزنج وولده بغداد . وفيها سمي صاعد ذا الوزارتين . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق .

ثم دخلت سنة سبعين ومائتين

وفي هذه السنة كانت وقعة بين أبي أحمد وصاحب الزنج ، فقتل الفاجر ،

وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني واستريح من أسباب الفاسق . وكان خروج صاحب الزنج في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فكانت أيامه من لدن خرج إلى اليوم الذي قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام .

وفي هذه السنة توفي هارون بن أبي أحمد الموفق بمدينة السلام يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأولى . وفيها توفي أحمد بن طولون . وفيها مات الحسن ابن يزيد العلوي بطبرستان وفيها كان فداء أهل ساتيدما على يدي يازمان في سلخ رجب منها . وفيها قتل ملك الروم المعروف بابن الصقلبي . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين

وفي هذه السنة دخل محمد وعلي ابني الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين المدينة وقتلا جماعة من أهلها وطالبوا أهلها بمال . وفيها أدخل على المعتمد من كان حضر بغداد من حاج خراسان ، فأعلمهم أنه قد عزل عمرو بن الليث عما كان قد قلده وأخبرهم أنه قد قلد خراسان محمد بن طاهر وأمر بلعن عمرو بن الليث على المنابر وفيها عقد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة . وفيها كانت بين أبي العباس بن الموفق وبين خمارويه بن أحمد بن طولون وقعة بالطواحين ، فهزم أبو العباس خمارويه . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق .

ثم دخلت سنة إثنتين وسبعين ومائتين

وفي هذه السنة، أخرج أهل طرسوس أبا العباس بن الموفق من طرسوس ، لخلاف كان وقع بينه وبين يازمان ، فخرج عنها يريد بغداد للنصف من المحرم من هذه السنة . وفيها توفي سليمان بن وهب في حبس الموفق . وفيها حكم شار في طريق خراسان ، وصار إلى دسكرة الملك ، فقتل وانتهب وفيها توفي إسماعيل بن برية الهاشمي وعبيد الله بن عبد الله الهاشمي .

وفيها كانت للزنج بواسط حركة ، وكان أنكلاي والمهلبي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وأخر معهم من قواد الزنج محتبسين في دار محمد بن عبدالله بن طاهر بمدينة السلام في دار البطيخ ، في يد غلام من غلمان الموفق ، يقال له : فتح السعدي ، فكتب الموفق إلى فتح أن يوجه برؤوس هؤلاء الستة ، فدخل إليهم ، فجعل يخرج الأول فالأول منهم ، فذبحهم ، ووجه رؤوسهم إلى الموفق . وفيها صلح أمر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرت وتراجع الناس إليها . وفيها غزا الصائفة يا زمان . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين

وفيها كانت وقعة بين أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وعمرو بن الليث . وفيها كانت وقعة بين إسحاق بن كنداج ومحمد بن أبي الساج بالرقة ، فانهزم إسحاق . وفيها قدمت رسل يا زمان من طرسوس ، فذكروا أن ثلاثة بنين لطاغية الروم وثبوا عليه ، فقتلوه وملكوا أحدهم عليهم . وفيها قيد أبو أحمد لؤلؤاً القادم عليه بالأمان من عند ابن طولون . وفيها كانت بين محمد بن أبي الساج وإسحاق ابن كنداج وقعة أخرى وكانت الدبرة فيهاعلى ابن كنداج . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد إسحاق .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين

وفيها شخص أبو أحمد إلى كرمان لحرب عمرو بن الليث . وفيها غزا يازمان ، فبلغ المسكنين ، فأسر وغنم. وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين

وفي هذه السنة وجه الطائي جيشا إلى سامرا بسبب ما أحدثه صديق الفرغاني بها ، وكان صديق دخل دور سامرا ، فأغار على أموال التجار ، فأطلق الطائي أخاه من السجن ، وكان أسيراً عند الفرغاني ، ثم خرج الطائي وأرسل صديقاً

ووعده ومناه وأمنه ، فدخل صديق سامرا مع أصحابه ، فأخذه الطائي ، ومن دخل معه ، فقطع يد صديق ورجله وأيدي جماعة من أصحابه . وفيها غزا يازمان في البحر ، فأخذ للروم أربعة مراكب وفيها تصعلك فارس العبدي فعاث بناحية سامرا ، وصار إلى كرخها فانتهب دور آل حسنج ، فشخص الطائي إليه فهزمه وأخذ سواده . وفيها أمر أبو أحمد بتقييد الطائي وحبسه . وفيها حبس أبو أحمد ابنه أبا العباس . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين

وفيها ضمت الشرطة بمدينة السلام إلى عمرو بن الليث وكتب فيها على الأعلام والمطارد والترسة اسمه ، ثم أمر بطرحها واسقاط ذكره . وفيها ولي عبيدالله ابن عبد الله بن طاهر شرطة بغداد . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين

وفيها دعا يازمان بطرسوس لخمارويه بن أحمد بن طولون . وكان السبب في ذلك أن خمارويه وجه إليه بثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسين ومائة دابة وخمسين ومائة ممطر وسلاح . وفيها ولي يوسف بن يعقوب المظالم . وفيها قدم قائد من قواد ابن طولون في جيش عظيم من الفرسان والرجالة بغداد . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين

وفيها توفي أبو أحمد الموفق في يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر ودفن ليلة الخميس في الرصافة عند قبر والدته . وفيها بايع القواد والغلمان لأبي العباس بولاية العهد بعد المفوض ، ولقب بالمعتضد بالله . وفيها خلع على عبيد الله بن سليمان بن وهب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر منها ، وولي الوزارة . وفيها وردت الأخبار بقتل علي بن الليث ، أخي الصفار ، قتله رافع بن هرثمة . ووردت الأخبار فيها عن مصر أن النيل غار ماؤه وغلت الأسعار عندهم .

ذكر ابتداء أمر القرامطة

وفيها وردت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة ، فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ومقامه بموضع منه يقال له النهرين ، يظهر الزهد والتقشف ويكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره وأمره بالدين، وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة، حتى فشا ذلك عنه بموضعه، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول . ثم دعا أهل القرية إلى أمره ،. فأجابه أهل تلك الناحية ، وكان يأخذ من كل رجل اذا دخل دينه ديناراً ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام، فمكث بذلك يدعو أهل تلك القرية والقرى الأخرى فيجيبونه. واتخذ منهم اثنى عشر نقيباً وأمرهم أن يدعو الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أنتم كحواريي عيسى بن مريم ، فاشتغل أكرة تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الخمسين الصلاة التي ذكر أنها مفترضة عليهم .

وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكرته في العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن إنساناً طرأ عليهم ، فأظهر لهم مذهباً من الدين وأعلمهم أن الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة ، فقد شغلوا بها عن أعمالهم ،فوجه في طلبه وأخذه وحبسه في بيته وتشاغل الهيصم بالشرب ، وسمع بعض من في داره من الجواري بقصته، فرقت له ، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح وأخرجت الرجل، ففتح الهيصم الباب فلم يجده ، وشاع بذلك الخبر، ففتن به أهل الناحية وسألوه عن قصته ، فقال : ليس يمكن أحداً أن يبدأني بسوء ولا يقدر على ذلك مني ، فعظم في أعينهم ، ثم خاف على نفسه، فخرج إلى ناحية الشام ، فلم يعرف له خبر .

وكان هذا الرجل قد مرض ، فمكث مطروحاً على الطريق ، وكان في القرية رجل أحمر العينين يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، فأخذ الرجل إلى بيته واعتنى به حتى برأ فسمي هذا الرجل باسم الرجل الذي كان في منزله كرميته ، ثم خففـ فقالوا قرمط وفشا أمر القرامطة ومذهبهم وكثروا بسواد الكوفة ، ووقف الطائي أحمد بن محمد على أمرهم ، فوظف على كل رجل منهم في كل سنة ديناراً وكان يجبي من ذلك مالاً جليلاً . وكان من شرائع قرمط أن الصوم يومان في السنة ،

وهما المهرجان والنوروز ، وأن النبيذ حرام والخمر حلال ، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة وأن من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية ولا يؤكل كل ذي ناب، ولا كل ذي مخلب .

وفي هذه السنة دخل أحمد العجيفي مدينة طرسوس وغزا مع يا زمان غزاة الصائفة ، فبلغ سلندو . وفيها مات يا زمان من شظية منجنيق فدفن في طرسوس. وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

وفيها أمر السلطان بالنداء بمدينة السلام ألا يقعد على الطريق ولا في مسجد الجامع قاص ولا صاحب نجوم ولا زاجر، وحلف الوراقون ألا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة . وفيها خلع جعفر المفوض من العهد وبويع للمعتضد بأنه ولي العهد من بعد المعتمد . وفيها توفي المعتمد ليلة الإثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ، وكان شرب على الشط في الحسني يوم الأحد شراباً كثيراً وتعشى فأكثر ، فمات ليلاً ، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام .

وفي صبيحة هذه الليلة بويع لأبي العباس المعتضد بالله بالخلافة . وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد وقام بما كان إليه من العمل وراء نهر بلخ أخوه إسماعيل ابن أحمد . وفيها ورد الخبر بأخذ أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ماردين من محمد ابن إسحاق بن كنداج . وفيها مات إبراهيم بن محمد بن المدبر، وكان يلي ديوان الضياع، فولى مكانه محمد بن عبد الحميد . وفيها عقد لراشد مولى على الدينور . وفيها كتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بمحاربة رافع بن هرثمة ورافع بالري ، فزحف إليه أحمد فهزمه وأخرجه عن الري . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين

وفيها أخذ المعتضد عبد الله بن المهتدي ومحمد بن سهل المعروف بشيلمه ـ وكان سبب أخذه إياهما أن بعض المستأمنه سعى به إلى المعتضد ، وأعلمه أنه يدعو إلى رجل لم يوقف على اسمه ، فقرره المعتضد فلم يقر بشيء ، فأمر به فضربت

عنقه ، وحبس ابن المهتدي إلى أن وقف على براءته ، فأطلق . وفيها خرج المعتضد يريد بني شيبان ، فقصد الموضع الذي كانت شيبان تتخذه معقلاً ، فأوقع بهم ، فقتل منهم مقتله عظيمة ، ثم رجع إلى بغداد فلقيه بنو شيبان يسألونه الصفح عنهم، وبذلوا له الرهائن ، فأخذ منهم خمسمائة رجل .

وفيها ورد الخبر بأن محمد بن أبي الساج افتتح المراغة بعد حصار شديد، وأنه أخذ عبد الله بن الحسين بعد أن أمنه وأصحابه ، فقيدة وحبسه ، ثم قتله بعد . وفيها ورد الخبر بوفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف . وكانت وفاته في آخر شهر ربيع الأول ، فقام بالأمر من بعده ابنه عمر، ولم يكتب إليه المعتضد بالولاية وفيها افتتح محمد بن ثور عُمان . وذكر أن جعفر بن المعتمد توفي في يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الآخر . وفيها ورد الخبر بدخول عمرو بن الليث نيسابور في جمادى الأولى منها . وفيها دخل أحمد بن أبّا طرسوس لغزاة الصائفة ، لخمس خلون من رجب من قبل خمارويه ودخل بعده بدر الحمامي ، فغزوا جميعاً مع العجيفي أمير طرسوس حتى بلغوا البلقسور . وفيها ورد الخبر بغزو إسماعيل بن أحمد بلاد الترك وافتتاحه مدينة ملكهم، وأسره إياه وامرأته خاتون ونحواً من عشرة الآف . ولليلتين بقيتا من شهر رمضان منها ، توفي راشد مولى الموفق بالدينور وحمل إلى بغداد . ولثلاث عشرة خلت من شوال مات مسرور البلخي . وفيها في ذي الحجة ـ ورد كتاب من دبيل بانكساف القمر في شوال لأربع عشرة خلت منها فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلمة ، فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء شديدة ، فلما كان ثلث الليل زلزلوا ، فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلهم إلا اليسير ، وقد ذكر بعضهم أن جملة من أخرج من تحت الهدم خمسون ومائة ألف ميت . وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن هارون المعروف بابن ترنجة .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين

وفيها كانت موافاة ترك بن العباس عامل السلطان على ديار مضر مدينة السلام لتسع خلون من المحرم بنيف وأربعين نفساً من أصحاب أبي الأغر صاحب سميساط ، فمضى بهم إلى دار المعتضد ، فردوا إلى الحبس الجديد فحبسوا به .

وفيها دخل طغج بن جف طرسوس لغزاة الصائفة من قبل خمارويه يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة وغزا فبلغ طرايون ، وفتح ملورية . ولخمس ليال بقين من جمادى الآخرة مات أحمد بن محمد الطائي بالكوفة . وفيها غارت المياه بالري وطبرستان . وفيها قلد المعتضد أبا محمد علي بن المعتضد الري وقزوين وزنجان وأبهر وقم وهمذان والدينور . وفيها استأمن الحسن بن علي عامل رافع على الري إلى علي بن المعتضد في زها ألف رجل، فوجهه إلى أبيه المعتضد. وفيها دخل الأعراب سامرا فأسروا ابن سيما أنف في ذي العقدة منها وانتهبوا .

وفيها خرج المعتضد إلى الموصل عامداً لحمدان بن حمدون ، وكانت الأعراب والأكراد لما بلغهم خروج المعتضد، تحالفوا واجتمعوا على حربه ، فأوقع بهم المعتضد ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فلما خرج إلى الموصل هرب حمدان بن حمدون وخلف ابنه بها، فنزل عسكر المعتضد على قلعة ماردين فأمر المعتضد فنقل ما في القلعة من المال والأثاث وهدمها، ثم مضى المعتضد إلى مدينة الحسنية، وفيها رجل يقال له شداد في جيش كثيف، وكان له قلعة في المدينة فظفر به المعتضد ، فأخذه فهدم قلعته . وفي شوال منها غزا المسلمون الروم فكانت بينهم الحرب اثني عشر يوماً ، فظفر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وانصرفوا .

ثم دخلت سنة إثنتين وثمانين ومائتين

وفيها أمر المعتضد بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي هو نيروز العجم ، وتأخير ذلك إلى اليوم الحادي عشر من حزيران ، وسمي ذلك النيروز المعتضدي . وفيها منع الناس من عمل ما كانوا يعملون في نيروز العجم من صب الماء ورفع النيران وغير ذلك . وفيها كتب المعتضد من الموصل إلى إسحاق بن أيوب وحمدان ابن حمدون بالمصير إليه ، فأما إسحاق فسارع إلى ذلك ، وأما حمدان فتحصن في قلاعه ، فوجه إليه المعتضد الجيوش فهرب منهم حتى ضاقت به الأرض فوافى مضرب إسحاق بن أيوب في عسكر المعتضد مستجيراً به، فأحضره إسحاق مضرب المعتضد وأمر بالاحتفاظ به . وفي شهر ربيع الأول قبض على بكتمر بن طاشتمر وقيد وحبس، وقبض ماله وضياعه ودوره .

وفيها شخص المعتضد إلى الجبل ، فبلغ الكرج وأخذ أموالاً لابن أبي دلف .

وفيها أطلق لؤلؤ غلام ابن طولون بعد خروج المعتضد . وفي شعبان لإحدى عشرة بقيت منها ، توفي أبو طلحة منصور بن مسلم في حبس المعتضد . ولثمان بقين من شهر رمضان منها ، ولدت ناعم جارية أم القاسم بنت محمد بن عبد الله للمعتضد ابناً سماه جعفراً فسمى المعتضد هذه الجارية شغب . وفيها ورد الخبر أن خمارويه بن أحمد ذبح على فراشه ، ذبحه بعض خدمه من الخاصة .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين

وفي هذه السنة شخص المعتضد إلى ناحية الموصل بسبب الشاري هارون ، فظفر به . وفيها أمر المعتضد برد الفاضل من سهام المواريث على ذوي الأرحام وإبطال ديوان المواريث ، وصرف عمالها . وفيها خرج عمرو بن الليث الصفار من نيسابور ، فخالفه رافع بن هرثمة إليها . وفي يوم الإثنين لأربع خلون من جمادى الآخرة وافى بغداد محمد بن إسحاق بن كنداجيق وخاقان المفلحي ومحمد بن كمشجور وبدربن جف في جماعة من قواد مصر في الأمان . وفي شعبان من هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم على يدي أحمد بن طغان . وفي يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان قرىء كتاب على المنبر بمدينة السلام ، بأن عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف صار إلى بدر وعبيد الله بن سليمان في الأمان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وفي يوم الجمعة لسبع خلون من شوال ، مات علي بن محمد ابن أبي الشوارب. وفي يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة ، قرىء كتاب على القواد من عمرو بن الليث يخبر فيه أنه وجه في أثر رافع محمد بن عمرو البلخي، وقد كان رافع صار إلى طوس ، فلحق بخوارزم فقتل بخوارزم . وفي يوم الجمعة لثمان من ذي القعدة منها قرئت الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين

وفيها كانت ملحمة بين راغب ودميانة بطرسوس ، وكان سبب ذلك أن راغباً مولى الموفق ترك الدعاء لخمارويه بن أحمد ودعا لبدر مولى المعتضد ، فوقع بينه وبين أحمد بن طغان الخلاف ، فلما انصرف ابن طغان وخلف دميانه للقيام بأمر طرسوس ، وجه يوسف بن الباغمردي ليخلفه على طرسوس ، فلما دخلها وقوي

به دميانه ، كرهوا ما يفعله راغب من الدعاء لبدر ، فوقعت بينهم الفتنة ، وظفر بهم راغب ، فحمل دميانه وابن الباغمردي وابن اليتيم مقيدين إلى المعتضد وفيها خلع على أبي عمر يوسف بن يعقوب وقلد قضاء مدينة أبي جعفر المنصور مكان علي ابن محمد بن أبي الشوارب . وفي يوم الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الأخر ظهرت ظلمة بمصر وحمرة في السماء شديدة ، وحتى كان الرجل ينظر إلى وجه الأخر فيراه أحمراً ، ومكثوا كذلك من العصر إلى العشاء الآخرة وخرج الناس من منازلهم يدعون الله ويتضرعون إليه . وفيها نودي بأن أمير المؤمنين قد أطلق للناس في وقود النيران وصب الماء ففعلت العامة من ذلك ما جاوز الحد . وفيها عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ثم تخوف شغب العامة والفتنة.

وفي هذه السنة فتحت بلاد الروم قرة على يد راغب مولى الموفق وابن كلوب، وذلك في يوم الجمعة من رجب . وفي يوم السبت لثمان بقين من شعبان ، وجه كرامة بن مر من الكوفة بقوم مقيدين ، ذكر أنهم من القرامطة ، فأقروا على أبي هاشم بن صدقة الكاتب أنه كان يكاتبهم ، وأنه أحد رؤسائهم فقبض على أبي هاشم وقيد وحبس في المطامير . وفي ذي القعدة منها ورد الخبر من اصبهان بوثوب الحارث بن عبد العزيز بن أبي دلف المعروف بأبي ليلى بشفيع الخادم الموكل كان به فقتله ، وكان أخوه عمر بن عبد العزيز أخذه فقيدة وحمله إلى قلعة لأل أبي دلف بالزز فحبسه فيها ولليلة بقيت من ذي الحجة كانت وقعة بين عيسى النوشري وبين أبي ليلى بن عبد العزيز ، فأصاب أبا ليلى سهم في حلقه فنحره، وانهزم أصحابه وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

وفيها قطع صالح بن مدرك الطائي في جماعة من طيء على الحاج بالأجفر يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من المحرم ، فحاربه الجني الكبير وهو أمير القافلة ، فظفر الأعراب بالقافلة . وفيها قرىء على جماعة من حاج خراسان في دار المعتضد بتوليه عمرو بن الليث الصفار ما وراء نهر بلخ، وعزل إسماعيل بن أحمد عنه . وفيها كتب صاحب البريد من الكوفة ، يذكر أن ريحاً صفراء ارتفعت بنواحي

الكوفة في ليلة الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الأول، فلم تزل إلى وقت صلاة المغرب ، ثم استحالت سوداء ، فلم يزل الناس في تضرع إلى الله . وأن السماء مطرت بعقب ذلك مطراً شديداً برعود هائلة وبروق متصلة ، ثم سقط بعد ساعة بقرية تعرف بأحمد أباذ ونواحيها حجارة بيض وسود مختلفة الألوان ، فأنفذ منها حجراً ، فأخرج إلى الدووابن والناس حتى رأوه .

وفيها شخص ابن الأخشاد أميراً على طرسوس . وفيها ورد الخبر من البصرة أن ريحا ارتفعت بها بعد صلاة الجمعة لخمس بقين من شهر ربيع الأول صفراء ، ثم استحالت خضراء ثم سوداء ثم تتابعت الأمطار بها لم يروا مثلها ، ثم وقع برد كبار كان وزن البردة الواحدة مائة وخمسين درهماً وأن الريح أقلعت من نهر الحسين خمسمائة نخلة وأكثر ، ومن نهر معقل مائة نخلة عدداً . وفيها كانت وفاة الخليل بن ريمال بحلوان . وفيها ورد الخبر على السلطان أن بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف توفي بطبرستان من علة أصابته . وفيها ولى المعتضد محمد بن أبي الساج أعمال أذربيجان وإرمينية وفيها ورد الخبر أن راغباً الخادم الموفق غزا في البحر فأظفره الله بمراكب كثيرة وبجميع من فيها من الروم ، فضرب أعناق ثلاثة الآلف منهم وفيها ورد الخبر بوفاة أحمد بن عيسى بن شيخ وقيام ابنه محمد بن أحمد بن عيسى بما كان في يد أبيه بآمد وفيها غز ابن الأخشاد بأهل طرسوس وغيرهم في ذي الحجة وبلغ سلندو . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

وفي شهر ربيع الآخر منها ورد الخبر أن المعتضد بالله وصل آمد ، فأناخ بجنده عليها . وأغلق محمد بن أحمد بن عيسى عليه أبواب مدينة آمد ففرق المعتضد جيوشه حولها وحاصروهم ثم جرت بينهم حروب ، ونصب عليهم المجانيق ، ونصب أهل آمد على سورهم المجانيق وتراموا بها ، ثم وجه محمد بن أحمد بن عيسى إلى المعتضد يطلب لنفسه ولأهله ولأهل آمد الأمان فأجابه المعتضد إلى ذلك. وفيها انصرف عبد الله بن الفتح إلى المعتضد وهو مقيم بآمد من مصر بأجوبة كتبه إلى هارون بن خمارويه وأعلمه أن هارون قد بذل أن يسلم أعمال قنسرين والعواصم وأنه يسأل أن يجدد له ولاية على مصر والشام ، وأن يوجه المعتضد

بخادم من خدمه إليه بذلك ، فأجابه إلى ما سأل ، وأنفذ إليه بدراً القدامي وعبد الله بن الفتح بالولاية والخلع فخرجا من آمد إلى مصر بذلك وتسلم عمال المعتضد أعمال قنسرين والعواصم من أصحاب هارون في جمادى الآخرة .

وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين ، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة ، فقوي أمره ، فقتل من حوله من أهل القرى ، وذكر أنه يريد البصرة ، فكتب معاون البصرة إلى السلطان بما اتصل إليه من أمر هؤلاء القرامطة ، فكتب إليه في عمل سور على البصرة فبني السور . وفي رجب منها صار إلى الأنبار جماعة من أعراب بني شيبان ، فأغاروا على القرى وقتلوا من لحقوا من الناس ، واستاقوا المواشي فوجه إليهم المعتضد العباس بن عمرو الغنوي وخفيفاً الأذكوتكيني وجماعة من القواد ، وبلغ الأعراب خبرهم ، فارتحلوا إلى عين التمر ونواحي الكوفة . وفيها وجه المعتضد إلى راغب مولى أبو أحمد وهو بطرسوس ، يأمره بالمصير إليه بالرقة ، فصار إليه فحبسه ، وأخذ جميع ما كان معه ، ثم مات راغب في الحبس بعد أيام . وقبض على مكنون غلام راغب وعلى أصحابه ، وكان المتولي أخذهم ابن الأخشاد .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

وفي هذه السنة قبض المعتضد على محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ وعلى جماعة من أهله وقيدهم ، وحبسهم في دار ابن طاهر ، وذلك أن المعتضد علم أن محمداً على الهرب في جماعة من أصحابه وأهله ، فكتب إلى عبيد الله بن سليمان يأمره بالقبض عليه ، ففعل ذلك يوم الأربعاء لأربع خلون من المحرم من هذه السنة . وفي هذا الشهر من هذه السنة ورد كتاب أبي الأغر على السلطان أن طيئاً تجمعت له، واعترضوا قافلة الحاج ، فواقعوهم ، فولى الأعراب منهزمين. وفي يوم السبت لثلاث بقين من المحرم وافى أبوالأغر مدينة السلام، وبين يديه رأس صالح ابن مدرك ورأس جحنش ، ورأس غلام لصالح أسود ، وأربعة أسارى من بني عم صالح . ولأربع ليال بقين من صفر منها ، دخل المعتضد من متنزهه ببراز الرّوز إلى بغداد ، وأمر ببناء قصر في موضع اختاره من براز الرّوز ، فحمل إليه الآلات، وابتدأ في عمله . وفي شهر ربيع الأول غلظ أمر القرامطة بالبحرين ، فأغاروا على

نـواحـي هجـر ، وقـرب بعـضـهم من نواحي البصرة ، فكتب أحمد بن يحيى الواثقي يسأل المدد ، فـوجـه إليـه بثماني شذوات ، فيها ثلاثمائة رجل ، وأمر المعتضد باختيار جيش لينفذه إلى البصرة .

وفي يوم الإثنين لاحـدى عشرة خلت من شـهـر ربيع الأخـر ، مـات محمد بن عبـد الحـميد الكاتب المتولي ديوان زمام المشرق والمغرب . وفي شهر ربيع الأخر منها ولى المعتضـد عباس بن عمرو الغنـوي اليمامـة والبحـرين ومحاربـة أبي سعيـد الجنابي ومن مـعـه من القـرامطة . وفي شـهـر ربيع الأخر مات إسحاق بن أيوب الذي كان اليـه المعـاون بديار ربيـعـة ، فقلد ما كان إليه عبد الله بن الهيثم . ولسبع خلون من رجـب تـوفـيت ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون ، زوجـة المعـتـضـد ، ودفنت داخل قصر الرصـافـة . وفي أخـر رجب خرج العباس بن عمرو الغنوي بمن ضم إليه من الجند ، نحـو أبي سـعـيـد الجنابي ومن انضـوى إليه من القرامطة، فتناوشوا القتال ، فـانهزم أصـحـاب العـبـاس : وأسر العـبـاس وأسر من أصحابه زهاء سبعمائة رجل . ثم أن أبا سـعـيـد الجنابي أطلق العـبـاس وخـادمـه ، وفي يوم الخميس لاحدى عشرة خـلـت من شـوال ارتحل المعـتـضـد في طلب وصـيـف الخـادم، فكانت الوقـعـة وأسر وصـيف الخـادم لثـلاث عشرة بقـيت من ذي القـعدة . وفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة خـلـت من شـوال ، ورد الخبر على السلطان أن القـرامطة بالسـواد وثبـوا بواليـهم بدر غـلام الطائي ، فـقـتلوا من المسلمين جمعاً وأحرقوا المنازل . ولخمس بقين من شوال ورد الخبر على السلطان بأن محمـد بن زيد العلوي قـتل . وذكـر أن محمـد خـرج لما اتصل به الخبر عن أسر إسماعـيل بن أحمد عمرو بن الليث في جيش نحو خراسان ، طامـعاً فيها فندب إسماعيل محمد بن هارون لحرب محمد بن زيد، فتناوشوا الحرب ، فـانهزم عـسكر محمـد بن زيد، وأصابت بن زيد ضربات ، ثم مات بعد هذه الوقعة بـأيام . وفي يوم السـبت لاثنتي عشرة خلت من ذي القـعـدة أوقع بدر غـلام الطائي بالقـرامطة على غـرة منهم ، فـقتل منهم مقتلة عظيمة . وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

وفي هذه السنة وقع الوباء بأذربيجان فمات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما

يـكـفـنـون بـه المـوتى، ثم صـاروا إلى أن لم يجدوا من يدفن الموتى ، فكانوا يتركـونهم مطروحين في الطرق . وفـيـهـا دخل أصـحـاب طاهر بن محمـد بن عمرو بن الليث فـارس ، وأخـرجـوا منهـا عمال السلطان . وفـيـهـا توفي محمد بن أبي الساج الملقب بأفـشين بأذربيـجـان ، فـاجـتـمع أصـحابه فأمروا عليهم ديوداد بن محمد ، واعتزلهم يوسف بن أبي السـاج على الخـلاف لهم . وفـيـهـا ولى المعـتـضد مولاه بدلاً فارس . وفـيـهـا أوقع يوسف بن أبي السـاج بأبن أخـيـه ديوداد بن محمد ، فهرب عسكره ، فـعـرض عليـه يوسف المقـام مـعـه، فأبى وأخذ طريق الموصل إلى بغداد ، وفيها غزا نزار بن محمـد عـامل الحسن بن علي الصـائفـة فـفتح حصوناً كثيرة للروم . وفي آخر ذي الحـجة منها قتل وصيف خادم بن أبي الساج وقيل إنه مات ولم يقتل ، فلما مات احـتز رأسه . وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد المكنى أبا بكر .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين .

وفي هذه السنة انتشر القـرامطة بسـواد الكوفـة ، فـوجه إليهم شبل غلام أحمد ابـن محـمـد الـطائي، فأخـذ من ظفـر به منهم ، وظفـر برئيس لهم يعـرف بابن أبي فـوارس ، فـدعـا بـه المـعـتـضـد وضربـت عـنقـه وصلب مع من صلب هنالك من القـرامطة . وفي ربيع الأخـر منهـا توفي المعتضد فولي الخلافة المكتفي بالله . وفي يوم الثـلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى ، دخل المكتـفي إلى داره بالحـسني . وفي هذا اليـوم مـات عـمـرو بن الليث الصفار . وفي رجب منها ورد الخبر لأربع بقين منه أن جمـاعـة مـن أهل الري كـاتبـوا محمـد بن هارون، فـخلع محمـد بن هارون وبيض ، ودخل الري واسـتـولى عليـها . وفي هذه السنة كان مقتل بدر غلام المعتضد وذكر أن سـبب قـتله كـان أن القاسم بن عبيد الله كان هم بتصيير الخلافة من بعد المعتضد في غير ولد المعـتـضـد . وأنه كـان ناظر بدراً في ذلك ، فـامـتنع بدر عليه ، فاضطغنها القـاسم على بدر فلما ولى المكتـفي الخلافة عمل القاسم في هلاك بدر حذراً على نفسه من بدر أن يقـدم على المكتـفي ، فـيطلعـه على ما كان القاسم هم به، وعزم عليه في حـياة المعتضد من صرف الخلافة عن ولد المعتضد إذا مات فدعا القاسم بن عبيد الله لؤلؤاً أحـد غلمان السلطان وأمـره بقتل بدر فأخذه لؤلؤ فضرب عنقه .

وفي ليلة الاثنين لأربع عشرة بقـيت من شـهـر رمضان منها قتل عبد الواحد بن

أبي أحمد الموفق . وفيها « هذه السنة » لحق رجل يقال له إسحاق الفرغاني من أصحاب بدر لما قتل بدر إلى ناحية البادية في جماعة من أصحابه على الخلاف على السلطان . وفيها ظهر بالشام رجل جمع جموعاً كثيرة من الأعراب وغيرهم فأتى بهم دمشق ، وبها خرج طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه ، فكانت بين طغج وبينه وقعات كثيرة قتل فيها خلق كثير ، ذكر أن زكروية بن مهروية أرسل أولاده إلى جماعة من كلب كانت تخفر الطريق فيها بين الكوفة ودمشق ، فبايعوهم وخالطوهم، ثم دبوا فيهم بالدعاء إلى رأي القرامطة ، فلم يقبل ذلك أحد منهم ـ من الكلبيين ـ إلا الفخذ المعروفة ببني العليص بن ضمضم ومواليهم خاصة فبايعوا ابن زكروية المسمى بيحي والمكنى أبا القاسم ولقبوه الشيخ ، وزعم لهم أنه أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وأظهر عضداً له ناقصة وذكر أنها أيه وانحازت إليه جماعة من بني الأصبغ وأخلصوا له وتسموا بالفاطميين ، ودانوا بدينه، فقصدهم سبك الديلمي مولى المعتضد بناحية الرصافة فقتلوه وحرقوا مسجد الرصافة واعترضوا كل قرية اجتازوا بها حتى اصعدوا إلى أعمال الشام ، فهزموا كل عسكر لقيهم لطغج حتى حصروه في مدينة دمشق ، فأنفذ المصريون إليه بدراً الكبير غلام ابن طولون ، فاجتمع مع طغج على محاربته فواقعهم قريباً من دمشق ، فقتل الله يحيى بن زكروية، فاجتمعت موالي بني العليص ومن معهم من الأصبغيين، فبايعوا الحسين بن زكرويه المسمى بأحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر فأظهر شامة في وجهه ذكر أنها آيته وطرأ إليه ابن عمه عيسى بن مهروية المسمى عبد الله فلقبه المدثر ، ولقب غلاماً من أهله المطوق .

وفي هذه السنة كانت وقعة بين إسماعيل بن أحمد بالري ومحمد بن هارون فانهزم ابن هارون ودخل إسماعيل بن أحمد الري . وفي جمادى الأخرة منها ولي القاسم بن سيما غزو الصائفة بالثغور الجزرية. وحج بالناس في هذه السنة الفضل ابن عبد الملك الهاشمي .

ثم دخلت سنة تسعين ومائتين

وفي هذه السنة كانت وقعة بين القرمطي ابن زكروية وسبك غلام المكتفي ، فقتل سبك وانهزم أصحاب السلطان . وفيها أخرج طغج بن جف جيشاً من دمشق إلى القرمطي ، عليهم غلام له يقال له بشير ، فواقعهم القرمطي ، فهزم الجيش

وقتل بشيراً . وفيها خلع على أبي الأغر ووجه به لحرب القرمطي بناحية الشام . وفيها خلع على أبي العشائر أحمد بن نصر وولي طرسوس . وللنصف من شهر رمضان منها مضى أبو الأغر إلى حلب فوافاهم جيش القرمطي المعروف بصاحب الشامة، وقد بدرهم المعروف بالمطوق ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وانهزم العسكر وأفلت أبو الأغر في جماعة من أصحابه . وفيها وجه القاسم بن عبيد الله الجيوش إلى صاحب الشامة وولى حربه محمد بن سليمان الكاتب . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

وفي هذه السنة كتب وزير السلطان القاسم بن عبيد الله إلى محمد بن سليمان وقواد السلطان يأمره وإياهم بمناهضة ذي الشامة وأصحابه ، فساروا إليه حتى صاروا إلى موضع بينهم وبين حماة اثنا عشر ميلاً ، فلقوا أصحاب القرمطي في يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم ، فالتحمت الحرب فهزم أصحاب القرمطي ، وقتلوا وأسر من رجالهم بشر كثير، وأسر القرمطي وابن عمه المسمى المدثر والمطوق صاحبه وغلام له رومي فأمر المكتفي بضرب أعناقهم وأعناق جميع الأسرى من أصحاب القرمطي . ولثلاث بقين من رجب قرىء في الجامعين بمدينة السلام كتاب ورد من إسماعيل بن أحمد من خراسان يذكر فيه أن الترك قصدوا المسلمين في جيش عظيم ، ونودي في الناس بالنفير ، فخرج من المطوعة ناس كثير، ومضى صاحب العسكر نحو الترك بمن معه، فقتل منهم خلق كثير، وانهزم الباقون وانصرف المسلمون إلى موضعهم غانمين .

وفي شهر رمضان منها ورد كتاب من القاسم بن سيما من الرحبة على السلطان ، يذكر فيه أن الأعراب الذين استأمنوا إلى السلطان وإليه من بني العليص ومواليهم ممن كان مع القرمطي نكثوا وغدروا ، وأني أوقعت عليهم الحيلة حتى قتلت منهم وأسرت خمسين ومائة نفس . وفي هذه السنة فتحت أنطاكية على يد غلام زرافة فتحها بالسيف عنوة . وأقام الحج للناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائتين

وفي المحرم من هذه السنة أغار أندرونقس الرومي على مرعش ونواحيها ، فنفر أهل المصيصة وأهل طرسوس فأصيب أبو الرجال أبي بكار في جماعة من المسلمين . وفي المحرم أيضا صار محمد بن سليمان إلى حدود مصر لحرب هارون بن خمارويه، فكاتب القواد الذين بها، فكان أول من خرج إليه بدر الحمامي ـ وكان رئيس القوم ـ ثم تتابع من يستأمن إليه من قواد المصريين وغيرهم ، فلما رأى ذلك هارون وبقية من معه زحفوا إلى محمد بن سليمان ، فكانت بينهم وقعات، ثم وقع بين أصحاب هارون عصبية فاقتتلوا ، فخرج هارون ليسكتهم، فرماه بعض المغاربة بزانة فقتله . وفي شهر رمضان منها ورد الخبر على السلطان بأن قائداً من المصريين يعرف بالخليجي ، يسمى إبراهيم ، تخلف عن محمد بن سليمان مع جماعة استمالهم من الجند وغيرهم، ومضى إلى مصر مخالفاً للسلطان فندب السلطان لمحاربته فاتكاً مولى المعتضد وضم إليه بدراً الحمامي . وللنصف من شوال منها دخل مدينة طرسوس رستم بن بردوا والياً عليها وعلى الثغور الشامية . وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

وفي هذه السنة ورد الخبر أن أخاً للحسين بن زكروية المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدالية من طريق الفرات، وأنه اجتمع إليه نفر من الأعراب فسار بهم نحو دمشق وعاث بتلك الناحية، فندب للخروج إليه الحسين بن حمدان بن حمدون، ثم ورد الخبر أن هذا القرمطي صار إلى طبرية فقتل عامة من بها ونهبها ، وانصرف إلى ناحية البادية . وفي شهر ربيع الأخر ورد الخبر بأن الداعية الذي بنواحي اليمن صار إلى مدينة صنعاء وتغلب على سائر مدن اليمن . قال محمد بن داود : أنفذ زكروية بن مهروية رجلاً يسمى عبد الله بن سعيد ، ويكنى أبا غانم فتسمى نصراً ليعمي أمره . فدار على أحياء كلب يدعوهم إلى رأيه ، فلم يقبله أحد سوى رجل من بني زياد ، يسمى مقدام بن الكيال ، فإنه استغوى له طوائف من الأصبغيين وصعاليك من سائر كلب ، فسار إلى مدينتي بصرى وآذرعات من كورتي حوران والثنية ، فقتل أهلها واستصفى أموالهم ، وقصد نحو طبرية ، فواقعهم يوسف بن

إبراهيم عامل أحمد بن كيغلغ على الأردن فقتلوه ونهبوا مدينة الأردن ، ثم قصدوا نحو هيت فعجل السلطان محمد بن إسحاق بن كنداجيق نحوهم ، وكتب إلى الحسين بن حمدان بالنفور من جهة الرحبة إليهم ، فلما أحس الكلبيون باشراف الجند عليهم ، ائتمروا بعدوا الله المسمى نصراً فوثبوا عليه فقتلوه ، وظفرت طلائع محمد بن إسحاق برأس المسمى بنصر ، فاحتزوه وأدخلوه مدينة السلام ، واقتتلت القرامطة بعده ، حتى وقعت بينهما الدماء ، فصار مقدام بن الكيال إلى ناحية طيء ، وصارت فرقة منهم كرهت أمورهم إلى بني أسد بنواحي عين التمر ، فجاوروهم وأرسلوا إلى السلطان وفداً يعتذرون مما كان منهم ، ويسألون قرارهم في جوار بني أسد ، فاجيبوا إلى ذلك .

وانفذ زكروية إليهم داعية له من أكرة أهل السواد يسمى القاسم بن أحمد بن علي ، ويعرف بابي محمد ، فبايع له بالكوفة أربعون ألف رجل ، وفي سوادها أربعمائة ألف رجل ، ودخل مدينة الكوفة من القرامطة زهاء مائة فارس ، فاجتمعت العوام وجماعة من أصحاب السلطان ، فرموهم بالحجارة وحاربوهم فقتل منهم زهاء عشرين نفساً واخرجوهم من المدينة ، وخرج إسحاق بن عمران ومن معه من الجند ، فصافوا القرامطة الحرب ، فانهزمت القرامطة نحو القادسية ، وكتب إسحاق بن عمران إلى السلطان يستمده ، فندب للخروج إليه جماعة من قواده ثم ورد الخبر أن هؤلاء القواد خرجوا إلى زكروية في رجالهم وخلفوا إسحاق ابن عمران بالكوفة ليضبطها ، وصاروا إلى موضع يعرف بالصوأر ، فلقيهم زكروية هنالك فصافوه لتسع بقين من ذي الحجة ، فانهزم أصحاب السلطان أقبح هزيمة .

وفي يوم الجمعة لأثنتي عشرة ليلة خلت من رجب ، قرىء على المنبر ببغداد كتاب ورد على السلطان ، أن أهل صنعاء اجتمعوا على الخارجي الذي كان تغلب على اليمن ، فحاربوه وهزموه ، ثم خلع السلطان لثلاث خلون من شوال على مظفر بن حاج ، وعقد له على اليمن . ولسبع بقين من رجب ، ورد الخبر على السلطان أن فاتكاً والقواد زحفوا إلى الخليجي ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، فانهزم أصحاب الخليجي ، وأسر الخليجي في جماعة من أصحابه . ثم وجه فاتك بالخليجي وجماعته إلى مدينة السلام ، فأمر السلطان بحبسه ومن معه . ولسبع خلون من شوال ورد الخبر على السلطان أن الروم أغاروا على قورس ، فقتلوا أكثر

أهلها ، وقتلوا رؤساء بني تميم ، واستاقوا من بقي من أهل المدينة . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

وفي هذه السنة دخل ابن كيغلغ طرسوس غازياً في أول المحرم ، وخرج معه رستم ، فبلغوا سلندو ، ففتح الله عليهم ، وصاروا إلى ألس . ولأربع عشرة بقيت من المحرم ، ورد الخبر مدينة السلام أن زكرويه اعترض قافلة الخراسانية بالعقبة من طريق مكة ، فأوقع بها ، وجعل أصحابه يقتلون الرجال والنساء ، واحتووا على ما كان في القافلة . ثم اعترضوا القافلة الثانية ، وكان أبوالعشائر مع أصحابه في أول القافلة ، فأسروه ثم قتلوه ، وقتلوا جميع من في القافلة ، واحتووا على ما كان فيها ، فعظم ذلك على الناس جميعاً وعلى السلطان . وفي أول شهر ربيع الأول أنهض المكتفي وصيف بن صوارتكين ـ ومعه من القواد جماعة ـ لمحاربة زكرويه ، فنفذوا من القادسية على طريق خفّان ، فلقيه وصيف ، فقتل جيش السلطان منهم مقتلة عظيمة ، وخلصوا إلى عدو الله زكرويه ، فضربه بعض الجند بالسيف ، فأخذ أسيراً ، ثم مات بعد خمسة أيام من أسره .

وفي هذه السنة غزا ابن كيغلغ من طرسوس ، فأصاب من العدو أربعة آلاف رأس سبي . ودخل بطريق من البطارقة إليه في الأمان . وفيها كاتب اندرونقس البطريق السلطان يطلب الأمان ، فأعطي ذلك . وفيها كانت وقعة بين الحسين بن حمدان وأعراب كليب والنمر وأسد ، فهزموه حتى بلغوا به باب حلب . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

وفيها توفي أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد عامل خرسان ، وقام ابنه أحمد بن إسماعيل في عمل أبيه مقامه . وفيها فتح المظفر بن حاج بعض ما كان غلب عليه بعض الخوارج باليمن ، وأخذ رئيساً من رؤسائهم يعرف بالحكيمي . وفيها تم الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة . وفيها توفي المكتفي بالله ، في ذي القعدة لاثنتي عشرة ليلة خلت منها ، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر

يوماً، وكان يوم توفي ابن اثنتين وثلاثين سنة، وكان ولد سنة أربع وستين ومائتين، ويكنى أبا محمد، وأمه أم ولد تركية تسمى جيجك. وكان ربعة جميلاً، رقيق اللون، حسن الشعر، وافر الجمة، وافر اللحية. ثم بويع جعفر بن المعتضد بالله، فلقب المقتدر بالله، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وواحد وعشرين يوماً. وكنيته أبو الفضل، وأمه أم ولد يقال لها شغب. وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

وفيها ما كان من اجتماع جماعة من القواد والكتاب والقضاة على خلع المقتدر، وتناظروا فيمن يجعل في موضعه، فاجتمع رأيهم على عبدالله بن المعتز، فبايعهم على ذلك. وكان الرأس في ذلك محمد بن داود بن الجراح وأبو المثنى أحمد بن يعقوب، وكان العباس ين الحسن على مثل رأيهم. فلما رأى العباس أمره مستوثقاً له مع المقتدر، بدا له فيما كان عزم عليه من ذلك، فوثب به الآخرون فقتلوه، وكان الذي تولى قتله بدر الأعجمي والحسين بن حمدان ووصيف بن صوارتكين، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول.

ولما كان من غد هذا اليوم، خلع المقتدر القواد والكتاب وقضاة بغداد، وبايعوا عبد الله بن المعتز، ولقبوه الراضي بالله. وفي هذا اليوم انفضت الجموع التي كان محمد بن داود جمعها لبيعه ابن المعتز عنه، ذلك أن الخادم الذي يدعى مؤنساً حمل غلماناً من غلمان الدار في شذوات، فصاعد بها وهم فيها في دجلة، فلما حاذوا الدار التي فيها ابن المعتز وجماعته، صاحوا بهم ورشقوهم بالنشاب فتفرقوا، وهرب من في الدار من الجند والكتاب، وهرب ابن المعتز ولحق بعض الذين بايعوا ابن المعتز بالمقتدر فاعتذروا بأنه منع المصير إليه. وفيها بعث الحسين ابن حمدان يطلب الأمان فأعطى ذلك. وفيها عقد المقتدر ليوسف بن أبي الساج على المراغة وأذربيجان. وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

وفيها غزا مؤنس الخادم الصائفة بلاد الروم ومعه أبو الأغر السلمي وظفر

بالروم ، وأسر أعلاجاً . وفيها صار الليث بن علي بن الليث بن الصفار إلى فارس فتغلب عليها وطرد عاملها سبكري ، فأمر المقتدر مؤنساً بالشخوص إلى فارس لحرب الليث بن علي ، فكانت بينهم وقعة هزم فيها الليث وأسر وقتل من أصحابه جماعة كثيرة . وأقام الحج في هذه السنة للناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

وفي هذه السنة غزا القاسم بن سيما أرض الروم الصائفة . وفيها وجه المقتدر وصيف كامه الديلمي لحرب سبكري ، فهزمه وصيف وأخرجه من عمل فارس ، ومضى سبكري هارباً إلى أحمد بن إسماعيل بما معه من الأموال ، فأخذ ما معه أحمد ابن إسماعيل ، وقبض عليه فحبسه . وفيها كانت بين أحمد بن إسماعيل ومحمد بن علي بن الليث وقعه بناحية بست والرفج ، أسره فيها أحمد بن إسماعيل . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

وفيها غزا رستم بن بردوا الصائفة من ناحية طرسوس . وفيها ورد رسول أحمد بن إسماعيل بكتاب منه إلى السلطان يخبر فيه أنه فتح سجستان وأن أصحابه دخلوها وأخرجوا من كان بها من أصحاب الصفار . وفي الحجة منها غضب على علي بن محمد بن الفرات لأربع خلون منه، وحبس ووكل بدوره ودور أهله . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

ثم دخلت سنة ثلاثمائة

وفيها كثرت الأمراض والعلل ببغداد في الناس ، وذكر أن الكلاب والذئاب كلبت فيها بالبادية ، فكانت تطلب الناس والدواب والبهائم ، فاذا عضت انساناً أهلكته . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة .

وفيها عزل المقتدر محمد بن عبيد الله عن الوزارة وحبسه وجعل علي بن

عيسى بن داود له وزيراً . وفيها كثر الوباء ببغداد ، فكان بها منه نوع سموه حنيناً، ومنه نوع سموه الماسرا، فأما الحنين فكانت سليمة، وأما الماسرا فكانت طاعوناً قتالة . وفيها غزا الصائفة الحسين بن حمدان من طرسوس وفتح حصوناً كثيرة . وفيها قتل أحمد بن إسماعيل صاحب خراسان ، قتله غلام له تركي . وفيها كانت وقعة بين نصر بن أحمد بن إسماعيل وأصحابه من أهل بخاري وإسحاق بن أحمد عم أبيه وأصحابه من أهل سمرقند، هزم فيها نصر وأصحابه إسحاق وأهل سمرقند، واخذوا إسحاق بن أحمد أسيراً وولوا ما كان إليه من عمل ابناً لعمر بن نصر بن أحمد . وفيها دخل أصحاب ابن البصري من أهل المغرب برقة ، وطرد عنها عامل السلطان . وفيها ولي أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الماذرائي أعمال مصر . وفيها قتل أبو سعيد الجنابي الخارج كان بناحية البحرين ، قتله خادم له . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

ثم دخلت سنة إثنتين وثلاثمائة

وفيها دخل صاحب ابن البصري الإسكندرية ، وغلب عليها . وفيها شخص مؤنس الخادم إلى مصر لحرب حباسه، فكانت وقعة ، قتل من الفريقين جماعة ، وخرجت منهم جماعة، ثم هزم أصحاب السلطان المغاربة . وفيها ورد كتاب من بشر عامل السلطان على طرسوس ، يذكر فيه غزوة أرض الروم، وما فتح فيها من الحصون ، وأنه غنم وسبي، وأسر من البطارقة مائة وخمسين ، وأن مبلغ السبي نحو من الفي رأس . وفيها انصرف حباسه ومن معه من المغاربة عن الإسكندرية راجعين إلى المغرب . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

تم الكتاب ، وهو آخر تاريخ ابن جرير الطبري رحمه الله



فهرس موضوعات الكتاب

